نزول الوحي
ومرحلة الدعوة السرية

ممدوح جاد أحمد

اسم الكتاب : نزول الوحي ومرحلة الدعوة السرية

اسم المؤلف : ممدوح جاد أحمد

تصميم الغلاف : عبد الله عباس

رقم الإيداع : 7192 -2023

ترقيم دولي : 978- 977- 8960- 84- 6

كافة الحقوق محفوظة للناشر والمؤلف

لا يُسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقة، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق من الناشر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببعض الفقرات لغرض النقد والدراسة، طبقًا لما تحدده قوانين واتفاقات حقوق الملكية الفكرية.

نزول الوحي
ومرحلة الدعوة السرية

للمؤلف/ ممدوح جاد أحمد

{إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (163) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (164) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (165) لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (166)}

[سورة النساء: 163 - 166]

مقدمة الكتاب

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. .وبعد ،

فى الجزء السابق لهذا الكتاب تحدثت عن حياته - صلى الله عليه وسلم - قبل بعثته ، هذه الحياة التى دلت على مقدمات البعثة وإن طالت هذه المقدمات لأربعين عاما فقد كانت حياة البشرية من أولها مقدمات لهذه البعثة ، فقد بشر الله – عز وجل - به كل الأنبياء - عليهم السلام - من لدن آدم حتى المسيح ، وذكره - عز وجل - في كل كتبه التي أنزلها عليهم وأخذ عليهم العهد بالإيمان به وتبشير الناس جميعا لإتباعه والإيمان به قال تعالى: " وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ [آل عمران:81]".

أما الأربعين عاما فكانت إثباتاً لأهلية المُبَلِغ لهذه الرسالة فلم يُعرف بين قومه بالصادق الأمين ، ولم يرضى به الجميع حكماً فى الحجر الأسود إلا إقراراً لهم ضمناً أنه الأهل لإبلاغ هذه الرسالة. فكانت حياته البشرية منذ نشأتها بشارة للرسالة وكانت حياة الأربعين عاماً إقراراً لهذا النموذج المثالى من البشرية أنه أحق من مُبَلِغ من البشر لهذه الرسالة الخاتمة.

وفى هذا الجزء- نزول الوحي ومرحلة الدعوة السرية - نتحدث عن أساس هذه الرسالة. هذا الأساس الذى بدونه لا تُقر الرسالة بل وكل الرسالات. إنّه الوحى. هذا الوحى الذى أدرك أهميته العدو قبل الصديق فلولاه ما كانت الرسالة رسالة ، وما كان المُبَلِغ هو الأسوة الحسنة ، ولانقضت كل أركان الإسلام.

أدرك أعداء الإسلام جيداً هذا فأجمعوا أمرهم وإمكاناتهم وكرّسوا كل جنودهم لنقض هذا الأساس ، وكانت أقلامهم المسمومة العمياء التى سدت الأفق تصوب ليل نهار وتضرب بلا هوادة كل ذرة من مكونات هذا الأساس فاندفعت سهامهم أولاً تتهم المُبَلِغ – صلى الله عليه وسلم – تارة بالجنون ، وتارة بالمرض النفسى أو الصرع ، وتارة أخرى بالسحر أو الكهانة ، ونسوا أنّ هذه الإتهامات ليست من بدعهم وأنّ المُبَلِغ - صلى الله عليه وسلم - لم يكن أول من أُتهم بذلك، فكفار قريش أطلقوا نفس السهام دفاعاً عن دنياهم ؛ فرُدت سهامهم فى نحور من تعنت منهم وقتلته شر قتلة. ونسيَّ من كان من أهل الكتاب منهم أنّ مثل هذه التهم لحقت أيضا بأنبياء آمنوا هم بهم ونصرهم الله - عز وجل – عليهم قال الله تعالى : "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (23) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ [غافر : 23، 24] " وقال تعالى " كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ [الذاريات : 52] " وقال تعالى " فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ [آل عمران : 184] " وقال تعالى "وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ [الحجر : 80] " وقال تعالى "كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (12) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (13) إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (14) [ص : 12 15] " بل إنّ كتبهم التي بين أيديهم تشهد بذلك.

فلما أرهقتهم سهامهم ، والتى رُدت عليهم ولم تُصِبْ غيرهم ، وما زادت المُبَلِغ وصحبه إلا إيماناً وتثبيتا. شرعوا فى بث سموم عقولهم فى عقول الجهال والعامة فمن لم يقتله السيف قتله السم الرعاف فارتدوا أقنعة أهل العلم والبحث وفندوا الإفتراءات والتحليلات التى فى ظاهرها البحث العلمى النزيه وباطنها الحقد الأزلى الدفين ، فزعموا فى المُبَلِغ المرض النفسى أو الصرع ولكن سرعان ما سقطت تلك الأقنعة ، فالتمسوا غيرها وعدوا المُبَلِغ - صلى الله عليه وسلم - عبقرياً من عباقرة العالم أو مصلحاً إجتماعياً عزَّ عليه حال قومه أو زعيماً للإشتراكية أو غير ذلك.

وتتساقط الأقنعة وإن خدعوا بها بعض الوقت أو حقبة من الزمان ، عظمت هذه الخدعة فضلت حتى بعض المنتسبين لصاحب الرسالة أم هانت فلم تؤثر حتى فى الجُهال والعامة من الناس. لكنها سرعان ما تنقضى وتنكشف وتتهاوى ويبقى النور فلا ينطفيء مهما حاولوا حجبه عن الأعين قال تعالى " يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ [الصف : 8] " وقال تعالى " يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ [التوبة : 32] ".

هكذا كانت ولا زالت الحرب الضروس على أساس ومنبع هذه الرسالة الخاتمة آخر رسالات السماء إلى الأرض قبل أن يقوم الناس لرب العالمين؛ لذا كانت من أهم وأخطر الموضوعات التى يبحث عنها أى باحث فى هذه الرسالة هى موضوع الوحى ، فالباحث فيه يجد نفسه أمام كيان يسد الأفق يحتاج إلى إجتماع كل البشر وكل العصور على قلب رجل صادق واحد يتأملون نور الحق الذى بُعث إليهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور قال تعالى " هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون [التوبة : 33] ". لقد كان تركيزى فى هذا الموضوع نابعاً من ثقتى بأنه هو روح الرسالة وكل الرسالات السابقة لذا حاولت قدر المستطاع أن أجمع ما كتبته فيه. وقد قسمت هذا الموضوع – نزول الوحي ومرحلة الدعوة السرية - إلى ثلاثة عشر مبحثا ، كل مبحث تعددت فيه المطالب بحسب ما فتح الله - عز وجل - به لنا فيه ، محاولا قدر المستطاع الإلمام بحقبة تاريخية ذكرتها معظم كتب السيرة والتاريخ في سطور رغم كونها أساس البنيان في البعثة المحمدية المشرفة حتى أنّ الكثيرين من الكتاب من غير المسلمين بل والحاقدين على هذه البعثة المشرفة أدركوا أهمية هذه الحقبة فخصصوا لها من الأوهام والجدل والإفتراءات ما يسع مجلدات.

وقد بدأت بما ورد فى الكتاب ثم السُّنة ثم أئمتنا الأوئل ثم تطرقت إلى عرض متعلقات هذا الموضوع وما يستنبط منه من أحكام ودروس وعِبر ثم تناولت مطاعن الضالين وما أفردوه فى كتبهم من سموم وسجلت ردود علمائنا عليهم بقدر ما أُتيح لى من كتب وإطّلاع فى هذا الموضوع ، ثم ذكرت أوائل من أسلم مع ترجمة مختصرة أحياناً ووافية أخرى بحسب شخصية المترجم له ، وكعادتي إلماما لكل موضوع من كل جوانبه قدر المستطاع – تطرقت لعرض بعض الأمور الشرعية والفقهية المتعلقة ببعض الأحداث كأحكام قيام الليل وحكم قراءة الفاتحة في الصلاة وغير ذلك.

والله أسأل العون وحسن العاقبة

مَبْعَثُ النّبِيّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلّمَ تَسْلِيمًا-

كان لترتيب أحداث بداية المبحث في كتب أهل السير والمغازي بعض الاختلافات ما بين تقديم وتأخير في سرد بعضها ، وما بين مختصر ومفصل في رواياتها ، والجمع لكل الروايات يعطي الصورة اكثر وضوحًا عن غيرها ، فمثلا ما سجله هؤلاء عند نزول الوحي للمرة الأولى وذكر ما كان من السيدة خديجة – رضي الله عنها ، أو ما كان من رد فعل النبي – صلى الله عليه وسلم – ولمن ذهبت السيدة خديجة وقتها إلى ورقة فقط أم إلى بحيرى الراهب أم إلى عداس ، أم إلى كل هؤلاء ، ثم ما قال كل منهم، لاشك أن رواية واحدة لا تكفي للإجابة على هذه الأسئلة ، أدرك ذلك كل باحث في سيرته - صلى الله عليه وسلم - فجمعوا الروايات وقارنوها ووفقوا بين صحيحها حتى سجل الكثير منهم تصورا واضحا لما حدث وقد اخترت أن أعرض لما قدمه ابن هشام باعتباره من أوائل من سجلوا ثم ما قدمه الصالحي الذي جاء بعده بقرون وقد جمع ما تم تسجيله من الأولين في هذا الموضوع.

ذكر ابن هشام ترتيب أحداث المبعث كالآتي :

لَمّا بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً بَعَثَهُ اللهُ – تَعَالَى – :

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ [1] : فلما بلغ محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا

[1] السيرة النبوية لابن هشام (2/ 64).

أَوّلُ مَا بُدِئَ بِهِ مِنْ النّبُوّةِ الرّؤْيَا الصّادِقَةُ :

أول ما بدىء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصادقة لا يرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح ، وحبب الله تعالى إليه الخلوة فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده.

وكَانَ إذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ لَا يَمُرّ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إلّا سَلّمَ عَليه :

وحين أراده الله بكرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسر[1] عنه البيوت ويفضي إلى شعاب مكة وبطون أوديتها فلا يمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله ؛ فيلتفت رسول الله -صلى الله عليه وسلم - حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة فمكث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله وهو بحراء في شهر رمضان.

وكانَ يُجاورُ حِرَاءَ الشّهْرَ مِنْ كُلّ سَنَةٍ :

كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجاور حراء في ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين فإذا قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله ثم يرجع إلى بيته.

---

[1] في الصحاح في اللغة: حَسَرْتُ كُمِّي عن ذراعي أَحْسِرُهُ حَسْراً: كشفت. والحاسِرُ: الذي لا مِغْفَرَ له ولا دِرع. والانْحِسارُ: الانكشاف.

وجاءه – صلى الله عليه وسلم - الوحي في رمضان :

حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه الله تعالى فيها وذلك الشهر شهر رمضان خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب ؛ فقال : اقرأ. قال : قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغتني به ؛ حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني ؛ فقال : اقرأ. قال : قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغتني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني ؛ فقال : اقرأ.

قال : فقلت ماذا أقرا ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي فقال : {اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم }. قال : فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتابا.

وبعد خروجه من الغار رأى جبريل في صورته العظيمة :

قال- صلى الله عليه وسلم - : فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل. قال : فرفعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل. قال : فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء. قال : فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك فما زلت واقفا ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها وأنا في مكاني ذلك ثم انصرف عني.

ثم انصرف راجعا إلى خديجة :

قال - صلى الله عليه وسلم - : وانصرفت راجعا إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفا إليها ؛ فقالت : يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا لي. ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت : أبشر يا ابن عم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجوا أن تكون نبي هذه الأمة.

ثُمّ انْطَلَقْت خَدِيجَةَ إلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلِ :

ثم قامت خديجة - رضي الله عنها - فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن قصي وهو ابن عمها وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه رأى وسمع ؛ فقال ورقة بن نوفل: قدوس قدوس[1] والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وإنه لنبي هذه الأمة فقولي له فليثبت ؛ فرجعت خديجة الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته بقول ورقة بن نوفل.

فَلَمّا قَضَى جِوَارَهُ وَانْصَرَفَ بَدَأَ بِالْكَعْبَةِ فَطَافَ بِهَا، فَلَقِيَهُ وَرَقَةُ :

فلما قضي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جواره وانصرف صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها ؛ فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة؛ فقال : يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت ؟ فأخبره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له ورقة : والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ، وقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ، ولتكذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى منزله.

---

[1] في الصحاح في اللغة : القُدُّوسُ: اسمٌ من أسماء الله تعالى، وهو فُعُولٌ من القُدْسِ، وهو الطهارة. وكان سيبويه يقول: قَدُّوسٌ وسَبُّوحٌ بفتح أوائلهما.

خَدِيجَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - تَسْتَوثِقُ مِنْ جِبْرِيلَ -عَلَيْهِ السَلّامَ - :

روي أن خديجة - رضي الله عنها - قالت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أي ابن عم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم.

قالت : فإذا جاءك فأخبرني به ؛ فجاءه جبريل - عليه السلام - كما كان يصنع ؛ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم – لخديجة : يا خديجة هذا جبريل قد جاءني.

قالت : قم يا ابن عم ؛ فاجلس على فخذي اليسرى ؛ فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجلس عليها. قالت : هل تراه ؟ قال : نعم. قالت : فتحول؛ فاجلس على فخذي اليمنى. فتحول رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فجلس على فخذي اليمنى فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم. قالت : فتحول فاجلس في حجري. قالت : فتحول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجلس في حجرها. قالت : هل تراه ؟

قال : نعم. فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس في حجرها ثم قالت له : هل تراه ؟ قال : لا. قالت : يا ابن عم أثبت وأبشر فوالله إنه لملك وما هذا بشيطان.

ابْتِدَاءُ تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ

ابتدىء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالتنزيل في شهر رمضان بقول الله - عز وجل - { شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان } وقال الله تعالى { إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر } وقال الله تعالى { حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين } وقال تعالى { إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان } وذلك ملتقى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمشركين ببدر.

ثم تتام الوحي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو مؤمن بالله مصدق بما جاءه منه قد قبله بقبوله وتحمل منه ما حمله على رضا العباد وسخطهم والنبوة أثقال ومؤنة لا يحملها ولا يستطيع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه لما يلقون من الناس وما يرد عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى فمضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أمر الله على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى.

فَتْرَةُ الْوَحْيِ وَنُزُولُ سُورَةِ الضّحَى

ثم فتر الوحي عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فترة من ذلك حتى شق ذلك عليه فأحزنه فجاءه جبريل بسورة الضحى يقسم له ربه وهو الذي أكرمه بما أكرمه به ما ودعه وما قلاه فقال تعالى{ وَالضّحَى وَاللّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدّعَكَ رَبّكَ وَمَا قَلَى } يقول ما حرمك فتركك وما أبغضك منذ أحبك{ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لّكَ مِنَ الْأُولَى } أي لما عندي من مرجعك إلي خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا { وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبّكَ فَتَرْضَى } من الفلح في الدنيا والثواب في الآخرة {{ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَآلّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى } يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره ومنه عليه في يتمه وعيللته وضلالته واستنقاذه من ذلك كله برحمته

{ فَأَمّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمّا السّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ } أي لا تكن جبارا ولا متكبرا ولا فحاشا فظا على الضعفاء من عباد الله { وَأَمّا بِنِعْمَةِ رَبّكَ فَحَدّثْ } أي بما جاءك من الله من نعمته وكرامته. من النبوة فحدث أي أذكرها وادع إليها.

فجعل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرا إلى من يطمئن إليه من أهله.

ابْتِدَاءُ فَرْضِ الصّلَاةِ

وافترضت الصلاة عليه فصلى رسول الله - صلى الله عليه وآله والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته - ، عن عائشة - رضي الله عنها – قالت: افترضت الصلاة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أول ما افترضت عليه ركعتين ركعتين كل صلاة ثم إن الله تعالى أتمها في الحضر أربع وأقرها في السفر على فرضها الأول ركعتين.

تَعْلِيمُ جِبْرِيلَ الرّسُولَ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - الْوُضُوءَ وَالصّلَاةَ

حين افترضت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- الصلاة آتاه جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي؛ فانفجرت منه عين ؛ فتوضأ جبريل عليه السلام ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينظر إليه ليريه كيف الطهور للصلاة ثم توضأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما رأى جبريل توضأ ثم قام به جبريل فصلى به وصلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بصلاته ثم انصرف جبريل عليه السلام.

تَعْلِيمُ الرّسُولِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - خَدِيجَةَ الْوُضُوءَ وَالصّلَاةَ :

فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم- خديجة فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ لها رسول الله -عليه الصلاة والسلام- ثم صلى بها رسول الله -عليه الصلاة والسلام - كما صلى به جبريل فصلت بصلاته.

وما رواه ابن هشام في مراحل بدء المبعث يتلخص في :

لما بلغ – صلى الله عليه وسلم – أربعين سنة بعثه الله – تعالى -.

وكان إذا خرج لحاجته لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه.

وكان يجاور حراء شهر رمضان من كل سنة.

وجاءه – صلى الله عليه وسلم – جبريل بالوحي للمرة الأولى في رمضان وهو في الغار.

وبعد خروجه من الغار رأى جبريل في صورته العظيمة.

ثم انصرف راجعا إلى خديجة.

ثم انطلقت خديجة إلى ورقة بن نوفل.

فلما قضى جواره وانصرف بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة.

خديجة – رضي الله عنها تستوثق من جبريل – عليه السلام -.

ابتداء نزول الوحي.

ثم فتر الوحي ، ثم بعد فترة الوحي نزلت سورة " الضحى "

ثم كان ابتداء فرض الصلاة.

وعلَّمَ جبريل – الرسول – صلى الله عليه وسلم – الوضوء والصلاة.

ثم علم الرسول – صلى الله عليه وسلم – خديجة الوضوء والصلاة.

كيفية بدء الوحي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند الصالحي

جمع الصالحي من جملة الروايات التي رُويت عن بدء الوحي قصة الوحي في المراحل الآتية [1]:

---

[1] سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (2/ 232) وقال الصالحي : ورد ذلك من حديث: خديجة رضي الله تعالى عنها. رواه البيهقي. وعائشة رضي الله تعالى عنها. رواه الشيخان. وعبيد بن عمير الليثي رواه ابن إسحاق. وابن الجوزي في الوفا. وسعيد بن المسيب. رواه موسى بن عقبة. وسليمان بن طرخان التيمي رواه أبو نعيم وابن عساكر. وعمرو بن شرحبيل. رواه البيهقي وأبو نعيم. وابن شهاب. رواه أبو نعيم والبيهقي. وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن حزم رواه الدولابي

كانت الرؤيا الصادقة منذ طفولته :

قال الشامي : أن أول ما بدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصالحة - وفي رواية : الصادقة - في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فرأى وهو بمكة أن آت أتاه ومعه صاحبان له فنظروا إليه فقالوا : هو هو ولم يأن له بعد. فهاله ذلك وذكره لعمه فقال : يابن أخي ليس بشئ، حلمت.

ثم رجع إليه بعد ذلك فقال : يا عم سطا بي الرجل الذي ذكرت لك فأدخل يده في جوفي حتى أجد بردها. فخرج به عمه إلى رجل من أهل الكتاب يتطيب بمكة فحدثه حديثه وقال :عالجه ؛ فصوب به وصعد وكشف عن قدميه ونظر بين كتفيه وقال : يا عبد مناف ابنك هذا طيب طيب، للخير فيه علامات، إن ظفرت به يهود قتلته، وليس الرئي من الشيطان ولكنه من النواميس الذين يتحسسون القلوب للنبوة فرجع به.

حتى رأى وهو في بيت خديجة من يشق صدره :

قال الشامي : ثم رأى في منامه أن سقف بيته نزعت منه خشبة وأدخل فيه سلم من فضة ثم نزل إليه رجلان، فأراد أن يستغيث فمنع الكلام فقعد أحدهما إليه والآخر إلى جنبه، فأدخل أحدهما يده في جنبه فنزع ضلعين منه، فأدخل يده في جوفه ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجد بردها فأخرج قلبه فوضعه على كفه فقال لصاحبه : نعم القلب قلب رجل صالح.

فطهر قلبه وغسله ثم أدخل القلب مكانه ورد الضلعين، ثم ارتفعا ورفعا سلمهما فإذا السقف كما هو، فذكر لخديجة بنت خويلد فقالت له : أبشر فإن الله لا يصنع بك إلا خيرا هذا خير فأبشر.

ثمّ أتاه جبريل باقرأ للمرة الأولى وهو نائم :

قال الشامي : وفي حديث عبيد بن عمير أنه - صلى الله عليه وسلم - رأي في منامه أيضا جبريل ومعه نمط من ديباج فيه كتاب فقال له اقرأ. فقال له ما أقرأ.

فغته به حتى ظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه الموت، ثم أرسله فقال : اقرأ. قال : ما أقرأ. فغته به حتى ظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه الموت، ثم أرسله فقال له اقرأ. قال : ما ذا أقرأ - ما قال ذلك إلا افتداء منه أن يعود إليه بمثل ما صنع - قال : (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم). [العلق 1] فقرأها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم انتهى فانصرف جبريل وهب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من نومه، قال : فكأنما كتب في قلبي كتابا، فذكر ذلك لخديجة فقالت : أبشر فإن الله لا يصنع بك إلا خيرا.

ثمّ حُبب إليه الخلاء فكان يخلو شهر رمضان بغار حراء :

ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو شهر رمضان بغار حراء - وفي لفظ يلحق - ومعه أهله فيتحنث - وفي لفظ: فيتحنف - فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل إن ينزع - وفي لفظ : يرجع - إلى أهله ويتزود لذلك ويطعم من جاءه من المساكين، فإذا رجع من جواره كان أول ما يبدأ به إذا انصرف قبل أن يدخل بيته الكعبة، فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله، ثم يرجع إلى بيته فيتزود لمثلها.

وأول ما رأى جبريل بأجياد وصرخ جبريل : يا محمد أنا جبريل.

فقال لخديجة يوما : لما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شئا فنظرت عن شمالي فلم أر شيئا فرفعت رأسي فرأيت شيئا بين السماء والأرض فقلت : دثروني دثروني وصبوا علي ماء باردا.

وفي رواية أبي الأسود عن عروة عن عائشة قالت : كان أول شأنه يرى في المنام، وكان أول ما رأى جبريل بأجياد وصرخ جبريل : يا محمد أنا جبريل.

نظر يمينا وشمالا فلم يرى شيئا فرفع بصره فإذا هو على أفق السماء فقال : يا محمد أنا جبريل.

فهرب فدخل في الناس فلم ير شيئا، ثم خرج عنهم فناداه ثم هرب ثم استعلن جبريل من قِبَل حراء. انتهى.

وفي رواية : إني إذا خلوت وحدي أرى ضوءا وأسمع نداء : يا محمد أنا جبريل. وقد والله خشيت أن يكون هذا أمرا.

فقالت : معاذ الله ما كان الله ليفعل ذلك بك، إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث.

ثمّ طلبت خديجة من أبي بكر الذهاب مع محمد إلى ورقة :

فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له وقالت : اذهب مع محمد إلى ورقة بن نوفل فإنه رجل يقرأ الكتب فيذكر له ما يسمع.

فانطلقا إليه فقصا عليه فقال : إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي : يا محمد أنا جبريل.

فأنطلق هاربا. فقال ورقة : سبوح سبوح[1] ! وما لجبريل يذكر في هذه الأرض التي يُعبد فيها الأوثان، جبريل أمين الله تعالى على وحيه بينه وبين رسله، لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني فأخبرني.

---

[1] إسفار الفصيح تأليف: أبو سهل محمد بن علي بن محمد الهروي النحوي دراسة وتحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الأولى، 1420هـ عدد المجلدات: [2]

قال الهروي : وأما سبوح قدوس: فصفتان لله تعالى. فالسبوح : المنزه عن السوء، أي المباعد عن كل ما لا ينبغي أن يوصف به، تبارك وتعالى عما يصف المشركون. والقدوس : الطاهر. وقيل : هو المطهر المنزه عن الأدناس، وعن أن يكون له ولد، أو يكون في حكمه وفعله ما ليس بعد. وهو فعول من القدس، وهو الطهارة.

وخرج مرة أخرى فسمع من يقول له : السلام عليكم :

فخرج ذات ليلة فسمع : السلام عليكم. قال : فظنها فجأة الجن، فجاء مسرعا حتى دخل على خديجة فقالت : ما شأنك ؟ فأخبرها، فقالت : أبشر فإن السلام خير. فخرج مرة أخرى إلى حراء.

ثمّ خرج الثالثة فسمع : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل :

قال : فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل. فرفعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء فرفعت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفا ما أتقدم أمامي وما أتأخر ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي فبلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك.

فلما عاد بخبرها لخديجة بشرته ثمّ انطلقت لورقة :

ثم انصرفت راجعا إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إليها فقالت : يا أبا القاسم أين كنت ؟ فو الله لقد بعثت رسلي في طلبك فبلغوا مكة ورجعوا إلي.

ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت : أبشر يا بن عم واثبت، فو الذي نفسي بيده إني أرجو أن تكون نبي هذه الأمة.

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة فأخبرته بما أخبرها به فقال ورقة : قدوس قدوس ! والذي نفسي بيده لئن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبي هذه الأمة، فقولي له فليثبت.

فرجعت خديجة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته بقول ورقة.

فلما قضى جواره وانصرف لقيه ورقة :

فلما قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جواره وانصرف صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف فلقيه ورقة فقال له : يا بن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت.

فأخبره فقال له ورقة : والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ولتكذبنه ولتقاتلنه ولتؤذينه، ولئن أدركت ذلك لأنصرن الله نصرا يعلمه. ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه.

حيلة خديجة لتستوثق من المَلَك :

وقالت خديجة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يا بن عم أتستيطع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي نفسي بيده إذا جاءك ؟ قال:نعم. قالت : فإذا جاءك فأخبرني به.

فجاءه جبريل فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يا خديجة هذا جبريل قد جاءني فقالت : قم يا بن عمي فاجلس على فخذي اليسرى. فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجلس عليها، فقالت : هل تراه ؟ قال: نعم.

قالت : فتحول فاقعد على فخذي اليمنى فتحول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجلس على فخذها اليمنى فقالت: هل تراه ؟ قال نعم.

فحسرت فألقت خمارها ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس في حجرها ثم قالت : هل تراه ؟ قال : لا.

قالت : يا بن عم اثبت وأبشر فو الله إنه لملك ما هذا شيطان.

شق صدر النبي وتبشيره بالبعثة :

قال البراء بن عازب - رضي الله تعالى – عنه : عرض جبريل للنّبي - صلى الله عليه وسلم - ليلة السبت وليلة الأحد، ثم أتاه بالرسالة ليلة الاثنين ففجأه الحق - وفي لفظ : فجاءه الحق - وهو في غار حراء وفي رواية : فأتاه جبريل وميكائيل، فنزل جبريل وبقي ميكائيل واقفا بين السماء والأرض، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : هو هو قال : فزنه برجل. فوزنه به فرجحه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. قال : زنه بعشرة فوزنه فرجحهم.

قال : زنة بمائة. فوزنه فرجحهم. قال : زنة بألف. فوزنه فرجحهم.

ثم جعلوا يتساقطون عليه من كفة الميزان فقال ميكائيل : تبعته أمته ورب الكعبة ثم أجلس على بساط كهيئة الدرنوك[1]، فيه الياقوت واللؤلؤ، فقال أحدهما لصاحبه : شق بطنه.

فشقه ؛ فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحها ؛ فقال أحدهما لصاحبه : خط بطنه غسل الإناء واغسل قلبه غسل الملاء[2]. ثم قال أحدهما لصاحبه : خط بطنه. فخاطه.

ثم أجلساه فبشره جبريل برسالة ربه حتى اطمأن النّبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له جبريل : اقرأ فقال : ما أنا بقارئ.

---

[1] في الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : الدرنوك: ضرب من البسط ذو خمل، وتشبه به فروة البعير.

[2] الملحفة وما يفرش على السرير.

فغطه حتى بلغ منه الجهد، ثم أرسله فقال له : اقرأ ، قال : ما أنا بقارئ.

فغطه حتى بلغ منه الجهد، ثم أرسله فقال له : اقرأ. قال : ما أنا بقارئ ؛ فغطه حتى بلغ منه الجهد.

ثم أرسله فقال : (اقرأ) أو جد القراءة : مبتدئا (باسم ربك الذي خلق) الخلائق (خلق الإنسان) الجنس (من علق) جمع علقه وهي القطعة اليسيرة من الدم الغيظ وجمعها لأن الإنسان في معنى الجمع (اقرأ) تأكيد للأول. (وربك الأكرم) الذي لا يوازيه كريم. (الذي علم) الخط (بالقلم) وأول من خط إدريس - صلى الله عليه وسلم -.

ثم أفرد ما هو أشرف وأظهر صنيعا وتدبيرا وأدل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال : (علم الإنسان) الجنس (ما لم يعلم) قبل تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها.

وهذا القدر من هذه السورة هو الذي نزل أولا بخلاف بقية السورة فإنما نزل بعد ذلك فرجع بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أهله ترجف بوادره. وفي لفظ : فؤاده. لا يلقاه حجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله.

فرجع إلى خديجة وهو موقن ببعثته :

فرجع إلى بيته وهو موقن قد فاز فوزا عظيما فدخل على خديجة فقال : (زملوني زملوني). فزملوه حتى ذهب عنه الروع.

قال : أرأيتك الذي كنت أخبرتك أني رأيته في المنام ؟ فإنه جبريل استعلن لي أرسله إليَّ ربي. وأخبرها الخبر. وقال : لقد خشيت على نفسي.

فقالت خديجة : كلا أبشر فو الله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتقري الضيف وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق، فاقبل الذي جاءك من الله فإنه حق، وأبشر فإنك رسول الله حقا.

بشرته خديجة ثمّ انطلقت إلى عداس غلام عتبة :

ثم انطلقت حتى أتت غلاما لعتبة به ربيعة بن عبد شمس نصرانيا من أهل نينوى

يقال له عداس، فقالت له :يا عداس أذكرك الله إلا ما أخبرتني هل عندكم علم من جبريل ؟ فقال عداس : قدوس قدوس ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التي أهلها أهل الأوثان. فقالت : أخبرني بعلمك فيه. قال هو أمين الله بينه وبين النبيين، وهو صاحب موسى وعيسى.

ولما رجعت من عند عداس انطلقت لورقة :

فرجعت من عنده فانطلقت برسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى ورقة بن نوفل بن أسد ابن عم خديجة وكان امرءا قد تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي فيكتسب من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا قد عمي، فقالت له خديجة : يا بن عم اسمع من ابن أخيك ؛ فقال له ورقة : يا بن أخي ماذا ترى ؟.

فأخبره رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - خبر ما رأى فقال له ورقة : أبشر فأنا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم. هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى.

وفي لفظ : وإنك على مثل ناموس موسى، وإنك لنبي مرسل وستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا، ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك، يا ليتني فيها جذعا[1]. ليتني أكون حيا إذا يخرجك قومك...فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أو مخرجي هم ؟

فقال : نعم.لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي. وفي لفظ : أوذي. وفي رواية : وَلَتُكَذّبَنّهْ وَلَتُؤْذَيَنّهْ وَلَتُخْرَجَنّهْ وَلَتُقَاتَلَهْ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا، ثم أدني رأسه منه فقبل يا فوخه، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي.

وقال ورقة في ذلك أشعارا منها قوله :

يَا لِلرّجَالِ لِصَرْفِ الدّهْرِ وَالْقَدَرِ. . . وَمَا لِشَيْءِ قَضَاهُ اللهُ مِنْ غِيَرِ

حَتّى خَدِيجَةُ تَدْعُونِي لِأُخْبِرَهَا.. . أَمْرًا أَرَاهُ سَيَأْتِي النّاسَ مِنْ أُخُرِ

فَخَبّرَتْنِي بِأَمْرٍ قَدْ سَمِعْت بِهِ.. . فِيمَا مَضَى مِنْ قَدِيمِ الدّهْرِ وَالْعُصُرِ

بِأَنّ أَحْمَدَ يَأْتِيهِ فَيُخْبِرُهُ.. . جِبْرِيلُ إنّك مَبْعُوثٌ إلَى الْبَشَرِ

فَقُلْت : عَلّ الّذِي تَرْجِينَ يُنْجِزُهُ.. . لَك الْإِلَهُ فَرَجّي الْخَيْرَ وَانْتَظِرِي

وَأَرْسَلَتْهُ إلَيْنَا كَيْ نُسَائِلَهُ.. . نْ أَمْرِهِ مَا يَرَى فِي النّوْمِ وَالسّهَرِ

فَقَالَ حِينَ أَتَانَا مَنْطِقًا عَجَبًا.. . يَقِفّ مِنْهُ أَعَالِي الْجِلْدِ وَالشّعَرِ

إنّي رَأَيْت أَمِينَ اللهِ وَاجَهَنِي . فِي صُورَةٍ أُكْمِلَتْ فِي أَهْيَبِ الصّوَرِ

ثُمّ اسْتَمَرّ فَكَانَ الْخَوْفُ يَذْعَرُنِي.. . مِمّا يُسَلّمُ مِنْ حَوْلِي مِنْ الشّجَرِ

فَقُلْت : ظَنّي وَمَا أَدْرِي أَيَصْدُقُنِي أ . سَوْفَ تُبْعَثُ تَتْلُو مَنْزِلَ السّوَرِ

وَسَوْفَ أُبْلِيكَ إنْ أَعْلَنْت دَعْوَتَهُمْ.. مِنْ الْجِهَادِ بِلَا مَنّ وَلَا كَدَرِ وقوله:

---

[1] جَذَعاً أي غير مُسِن.

فَإِنْ يَكُ حَقًّا يَا خَدِيجَةُ فَاعْلَمِي.. . حَدِيثُكِ إِيَّانَا فَأَحْمَدُ مُرْسَلُ

وَجِبْرِيلُ يَأْتِيهِ وَمِيكَالُ مَعْهُمَا.. . مِنَ اللهِ وَحْيٌ يَشْرَحُ الصَّدْرَ مُنْزَلُ

يَفُوزُ بِهِ مَنْ فَازَ فِيهَا بِتَوْبَةٍ.. . وَيَشْقَى بِهِ الْعَاتِي الْغَوِيُّ الْمُضَلَّلُ

فَرِيقَانِ مِنْهُمْ فِرْقَةٌ فِي جِنَانِهِ.. . وَأُخْرَى بِإِخْوَانِ الْجَحِيمِ تُغَلَّلُ

إِذَا مَا دُعُوا بِالْوَيْلِ فِيهَا تَتَابَعَتْ.. . مَقَامِعُ فِي هَامَاتِهَا ، ثُمَّ تُشْعَلُ

فَسُبْحَانَ مَنْ تَهْوِي الرِّيَاحُ بِأَمْرِهِ.. . وَمَنْ هُوَ فِي الْأَيَّامِ مَا شَاءَ يَفْعَلُ

وَمَنْ عَرْشُهُ فَوْقَ السَّمَوَاتِ كُلِّهَا. . . وَأَقْضَاؤُهُ فِي خَلْقِهِ لَا تُبَدَّلُ

وما رواه الشامي في مراحل بدء المبعث يتلخص في :

كانت الرؤيا الصادقة منذ طفولته.

حتى رأى وهو في بيت خديجة من يشق صدره.

ثمّ أتاه جبريل باقرا للمرة الأولى وهو نائم.

ثمّ حُبب إليه الخلاء فكان يخلو شهر رمضان بغار حراء.

وأول ما رأى جبريل بأجياد وصرخ جبريل : يا محمد أنا جبريل.

ثمّ طلبت خديجة من أبي بكر الذهاب مع محمد إلى ورقة.

وخرج مرة أخرى فسمع من يقول له : السلام عليكم.

ثمّ خرج الثالثة فسمع : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل.

فلما عاد بخبرها لخديجة بشرته ثمّ انطلقن لورقة.

فلما قضى جواره وانصرف فلقيه ورقة.

حيلة خديجة لتستوثق من المَلَك.

شق صدر النبي وتبشيره بالبعثة.

فرجع إلى خديجة وهو موقن ببعثته.

بشرته خديجة ثمّ انطلقت إلى عداس غلام عتبة.

ولما رجعت من عند عداس انطلقت لورقة.

ولتفصيل هذه الأحداث يتطلب الأمر منا المباحث التالية :

المبحث الأول : إرهاصات النُّبوة وفيه عدة مطالب :

المطلب الأول : لكل مقدور نذير.

المطلب الثاني : أخذ الله -عز وجل - الميثاق على النبيين للإيمان بمحمد.

المطلب الثالث : إعلام الوحش برسالته.

المطلب الرابع : ما سمع من الكهان والرهبان عند مبعثه.

المطلب الخامس : سلام الحجر والشجر عليه – صلى الله عليه وسلم -.

المطلب السادس : ما قيل في رجم الشياطين قبيل المبعث.

المطلب السابع : السيدة خديجة تسأل ميسرة لتستوثق مما سمعت عن نبوة محمد.

المبحث الثاني : في أول ما بدء به من الوحي الرؤيا الصالحة

المطلب الأول : الرؤيا الصادقة أول مراحل الوحي.

المطلب الثاني : الرؤيا في اللغة.

المطلب الثالث : الرؤيا في القرآن الكريم

المطلب الرابع : الرؤيا في السنة النبوية المطهرة.

المطلب الخامس : الحكمة من هذه الرؤى قبيل نزول جبريل - عليه السلام – عليه للمرة الأولى.

المطلب السادس : الرؤيا جزء من النبوة

المطلب السابع : اختلاف الآثار الواردة في درجة الرؤيا من النبوة.

المطلب الثامن :. هل المراد بالرؤيا والنبوة في الروايات خصوص رؤياه ونبوته – صلى الله عليه وسلم -.

المطلب التاسع : من رؤى الصحابة.

المطلب العاشر : هل يرى الكافر الرؤيا الصادقة ؟ وهل تكون دائما مبشرة بخير ؟

المطلب الحادي عشر : جزء من النبوة غير الرؤيا.

المطلب الثاني عشر : تفسير الرؤى عبر العصور.

المبحث الثالث : الخلوة والتحنث فى غار حراء ويشمل عدة مطالب :

المطلب الأول : التحنث والتحنف في اللغة.

المطلب الثاني : الحكمة في أنّ الله - عز وجل - حببَ إليه – صلى الله عليه وسلم – الخلاء :

المطلب الثالث : غار حراء وصفه قديما وحديثا.

المطلب الرابع : كيف كان يتعبد – صلى الله عليه وسلم – فى الغار ؟!

المطلب الخامس : الوقت الذي كان يقضيه – صلى الله عليه وسلم - في الغار.

المطلب السادس : حب النبي – صلى الله عليه وسلم – للخلوة والتفكر منذ صغره.

المطلب السابع : زاده – صلى الله عليه وسلم – فى الخلوة.

المطلب الثامن : هل كان – صلى الله عليه وسلم – أول من تحنث فى قومه ؟

المطلب التاسع : الخلوة في شريعة الإسلام كما ذكرها الغزالي.

المبحث الرابع : بدء الوحي وفيه عدة مطالب :

المطلب الأول : ما ورد من روايات عن بدء الوحى

المطلب الثاني : توضيح بعض الكلمات التى وردت بهذه الروايات

المطلب الثالث : هل غَدَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ.

المطلب الرابع : ما اشتملت عليه روايات الوحي.

المطلب الخامس : تحليل بعض المواقف من الروايات

المطلب السادس : مقصود الوحي وحالاته.

المطلب السابع : حامل الوحي

المطلب الثامن : اساليب حامل الوحي.

المطلب التاسع : ما الذي كان ينزل به جبريل - عليه السلام -.

المطلب العاشر : هل قُرِنَ اسرافيل بالنبي قبل جبريل.

المطلب الحادي عشر : هل شُقَّ صدر النّبي – صلى الله عليه وسلم – قبيل مبعث ؟

المطلب الثاني عشر : من دروس وعبر مجيء الوحي.

المطلب الثالث عشر : من دروس وعبر روايات الوحي.

المبحث الخامس : الملائكة وفيه عدة مطالب :

المطلب الأول : الملائكة في القرآن الكريم.

المطلب الثاني : الإيمان بالملائكة.

المطلب الثالث : جبريل - عليه السلام - في القرآن الكريم.

المطلب الرابع : جبريل – عليه السلام – من كتب نصارى اليوم.

المطلب الخامس : جبريل – عليه السلام – عند اليهود.

المطلب السادس : بعض ما ورد عن اسرافيل – عليه السلام -

المطلب السابع :هل قرن اسرافيل بالنبي - صلى الله عليه وسلم- أولا قبل جبريل ؟.

المبحث السادس : في تعريف النبوة والرسالة وعمر النّبي – صلى الله عليه وسلم - حين بعثه الله - عز وجل. وفيه عدة مطالب هي :

المطلب الأول : في تعريف النبوة والرسالة.

المطلب الثاني : في شهر وعام مبعثه – صلى الله عليه وسلم -

المطلب الثالث : في ذكر عمره – صلى الله عليه وسلم – عند مبعثه.

المطلب الرابع : في ما قيل عن تدرج أحوال النبوة

المبحث السابع : التعريف بالقرآن الكريم وكيف نزل وفيه عدة مطالب :

المطلب الأول : في منزلة القرآن من الإسلام

المطلب الثاني : في تعريف القرآن وخصائصه

المطلب الثالث : في كيفية انزال القرآن الكريم.

المطلب الرابع : جمع القرآن الكريم.

المطلب الخامس : الأحرف السبعة.

المبحث الثامن : في أول ما نزل به الروح الأمين على الصادق الأمين وفيه عدة مطالب

المطلب الأول : في أول ما نزل من القرآن الكريم.

المطلب الثاني : في رحاب نزول صدر سُورَةُ الْعَلَقِ.

المطلب الثالث : في رحاب نزول صدر سورة المزمل.

المطلب الرابع : في رحاب نزول صدر سورة المدثر.

المطلب الخامس : في رحاب نزول سورة الفاتحة

المبحث التاسع : فترة الوحي وفيه عدة مطالب

المطلب الأول : الحكمة من فتور الوحى

المطلب الثاني : مدة فترة الوحى.

المطلب الثالث : هل تعدد إبطاء الوحى عليه - صلى الله عليه وسلم - ؟

المطلب الرابع : أول ما نزل بعد فترة الوحى

المبحث العاشر: فيما أثير من شبهات حول الوحي وفيه عدة مطالب هي

المطلب الأول : زعم المستشرقين أنّ الوحي أمر ذاتي

المطلب الثاني : شبهة أنّ الوحي مقتبس من اليهودية والنصرانية

المطلب الثالث : موقف أهل الكتاب من اليهود والنصارى زمن النّبي – صلى الله عليه وسلم - من القرآن الكريم

المطلب الرابع : موقف كفار قريش ومن تبعهم من القرآن الكريم

المطلب الخامس : موقف أهل الكتاب من اليهود والنصارى زمن النّبي – صلى الله عليه وسلم - من القرآن الكريم.

المطلب السادس : شبهة أنّ مهمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاصرة على بلاغ القرآن فقط والرد عليها.

المبحث الحادي عشر :الرعيل الأول وأوائل من أسلم وفيه عدة مطالب :

المطلب الأول : ما قيل في أول من أسلم.

المطلب الثاني : الرعيل الأول.

المطلب الثالث : السابقون إلى الإسلام بعد هؤلاء الثمانية

المطلب الرابع : الصحابي ومنزلته في الشريعة.

المطلب الخامس : هل يُعدُّ ورقة بن نوفل من الصحابة.

المبحث الثاني عشر: أول ما افترضه الله على المسلمين وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول : تعليم جبريل النّبي - صلى الله عليه وآله وسلم - الوضوء والصلاة

المطلب الثاني : الأمر بقيام الليل

المطلب الثالث : فوائد قيام الليل الروحية.

المطلب الرابع : فوائد قيام الليل الصحية.

المطلب الخامس : من فقه قيام الليل والتهجد.

المبحث الثالث عشر : مدة الدعوة السرية وسماتها

المطلب الأول : مدة الدعوة السرية ومفهومها

المطلب الثاني : سمات المرحلة الأولى للدعوة

المطلب الثالث : دروس من مرحلة الدعوة السرية

المبحث الأول

إرهاصات النُّبوة

وفيه عدة مطالب :

المطلب الأول : لكل مقدور نذير.

المطلب الثاني : أخذ الله -عز وجل - الميثاق على النبيين للإيمان بمحمد.

المطلب الثالث : إعلام الوحش برسالته.

المطلب الرابع : ما سمع من الكهان والرهبان عند مبعثه.

المطلب الخامس : سلام الحجر والشجر عليه – صلى الله عليه وسلم -.

المطلب السادس : ما قيل في رجم الشياطين قبيل المبعث.

المطلب السابع : السيدة خديجة تسأل ميسرة لتستوثق مما سمعت عن نبوة محمد.

المطلب الأول

لكل مقدور نذير أو بشير

من سنن الله - عز وجل- ان جعل لكل مقدور إرهاصات دالة على قدومه ، تختلف هذه الإرهاصات باختلاف قدر هذا المقدور قال الماوردي[1] : إنّ الله - تعالى - جعل لكل مقدور من الأمور إذا دنا نذيرا أو بشيرا يظهر بهما مبادئ ما أخفاه ويشعر بحلولهما قدره وقضاه ليكونا تعذيرا وتحذيرا تستيقظ بهما العقول ويزدجر بهما العقول ويزدجر بهما الجهول لطفا بعباده من فجأة الأمور المذهلة أن تصدم ببوادر لا تستدرك لتكون النفوس في مهلة من استدفاع خطبها و حل صعبها.

انتشر في الأمم أن الله تعالى سيبعث نبيا :

ولما دنا مبعث رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - بالنّبوة رسولا وإلى الخلق بشيرا و نذيرا انتشر في الأمم أنّ الله تعالى سيبعث نبيا في هذا الزمان وأنّ ظهوره قد قرب وآن فكانت كل أمة لها كتاب يعرف ذلك من كتابها والتي لا كتاب لها ترى من الآيات المنذرة ما تستدل عليه بعقولها وتنبيه عليه بهواجس فطرها إلهاما أعان به الفطن اللبيب وأنذر به الحازم الأريب هذا ورسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - غافل عنها وغيره عالم أنه مراد بها ومؤهل لها لم يشعر بها حتى نودي ولا تحققها حتى نوجي ليكون أبعد من التهمة وأسلم من الظنة فيكون برهانه أظهر وحجاجه أقهر وكان مع تمييزه عن قومه بشرف أخلاقه وكرم طباعه لم يعبد معهم صنما و لا عظم وثنا و كان متدينا بفرائض العقول في قول جميع الفقهاء والمتكلمين : من توحيد الله تعالى وقدمه وحدوث العالم وفنائه وشكر المنعم وتحريم الظلم ووجوب الإنصاف وأداء الأمانة

---

[1] أعلام النبوة المؤلف : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (1 / 275) الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى، 1987 تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي عدد الأجزاء : 1

المطلب الثاني

أخذ الله الميثاق على الرسل للإيمان به - صلى الله عليه وسلم -

لما بلغ محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به والتصديق له والنصر له على من خالفه وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم ؛ فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق في يقول الله تعالى لمحمد - صلى الله عليه وسلم- {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي } أي ثقل ما حملتكم من عهدي { قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ } [آل عمران 81] ؛ فأخذ الله ميثاق النبيين جميعا بالتصديق له والنصر له ممن خالفه وأدوا ذلك الى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين الكتابين [1].

وفي الشفا [2] : - قال أبو الحسن القابسى : استخص الله - تعالى - محمدا - صلى الله عليه وسلم - بفضل لم يؤته غيره أبانه به وهو ما ذكره في هذه الآية.

قال المفسرون : أخذ الله الميثاق بالوحى فلم يبعث نبيا إلا ذكر له محمدا ونعته وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به وقيل أن يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم، وقوله ثم جاءكم : الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد - صلى الله عليه وسلم-، قال على بن أبى طالب - رضى الله عنه - : لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد - صلى الله عليه وسلم - لئن بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذن العهد بذلك على قومه. ونحوه عن السدى وقتادة في آى تضمنت فضله من غير وجه وحد.

---

[1] السيرة النبوية لابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (1 / 233)

[2] الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء المؤلف : العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي 544 هـ الحاشية : العلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمنى 873(1 / 43)

قال الله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (7) [الأحزاب : 7]) الآية وقال تعالى (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا [النساء : 163] –

روى عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أنه قال في كلام بكى به النّبي - صلى الله عليه وسلم – فقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ [الأحزاب : 7]) الآية بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أنّ أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون : يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا : قال قتادة : إنّ النّبي- صلى الله عليه وسلم- قال : كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث. فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره.

قال السمرقندى : في هذا تفضيل نبينا - صلى الله عليه وسلم - لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم بعثا، المعنى أخذ الله تعالى عليهم الميثاق إذ أخرجهم من ظهر آدم كالذر.

وقال تعالى (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ [البقرة : 253]) الآية قال أهل التفسير : أراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا - صلى الله عليه وسلم - لأنه بعث إلى الأحمر والأسود وأحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس أحد من الأنبياء أعطى فضيلة أو كرامة إلا وقد أعطى محمدا - صلى الله عليه وسلم – مثلها

قال بعضهم : ومن فضله أنّ الله – تعالى - خاطب الأنبياء بأسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال يا أيها النبي ويا أيها الرسول.

وحكى السمرقندى عن الكلبى في قوله تعالى (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ [الصافات : 83]) أنّ الهاء عائدة على محمد - صلى الله عليه وسلم - أي إنّ من شيعة محمد لإبراهيم أي على دينه ومنهاجه، وأجازه الفراء وحكاه عنه مكى، وقيل المراد نوح عليه السلام.

وفي سبل الهدى والرشاد [1] : -

وروى أبو الشيخ عن جعفر بن محمد - رحمه الله تعالى - قال: كنت مع أبي محمد بن علي، فقال له رجل : يا أبا جعفر ما بدء خلق هذا الركن ؟ فقال : إن الله - تعالى - لما خلق الخلق قال لبني آدم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى، فأقروا فأجرى نهرا أحلى من العسل وألين من الزبد، ثم أمر القلم فاستمد من ذلك النهر، فكتب إقرارهم وما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم ألقم ذلك الكتاب هذا الحجر، فهذا الاستلام الذي ترى إنما هو بيعة على إقرارهم بالذي كانوا أقروا به.

وروى عبد الرازق في المنصف وأبو الشيخ عن فاطمة بنت حسن - رضي الله تعالى عنها - قالت: لما أخذ الله الميثاق من بني آدم جعله الله - تعالى - في الركن، فمن الوفاء بعهد الله تعالى استلام الحجر.

شهادة الحجر الأسود يوم القيامة لمن استلمه بحق :

وروى الجندي في فضائل مكة وأبو الحسن القطان في المطولات والحاكم والبيهقي في الشعب عن أبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه - قال: حججنا مع عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - فلما دخل في الطواف استقبل الحجر فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقبلك ما قبلتك ثم قبله، فقال له علي - رضي الله تعالى عنه -: إنه يضر وينفع يا أمير المؤمنين

قال : بم ؟ قال : بكتاب الله تعالى.

---

[1] سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد (1 / 176- 177)

قال : وأين ذلك من كتاب الله ؟ قال : قال الله عز وجل: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) إلى قوله: (بلى)، خلق آدم ومسح على ظهره فقررهم بأنه الرب وأنهم العبيد، وأخذ عهودهم ومواثيقهم وكتب ذلك في رق، وكان لهذا الحجر عينان ولسان، فقال له: افتح فاك، ففتح فاه فألقمه ذلك الرق وقال: اشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة، وإني أشهد لسمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: " يؤتى بالحجر الأسود يوم القيامة وله لسان ذلق يشهد لمن يستلمه بالتوحيد " فهو يا أمير المؤمنين يضر وينفع.

فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن.

المطلب الثالث

إعلام الوحش برسالته - صلى الله عليه وسلم -[1]

وردت روايات تتحدث عن إعلام الوحش برسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - وإن اختلفت درجة هذه الروايات في الصحة إلا أنها كثيرة

ففي مسند الإمام أحمد قَالَ [2]: عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ الدَّارِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا شَيْخٌ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَنَحْنُ فِي غَزْوَةِ رُودِسَ يُقَالُ لَهُ ابْنُ عَبْسٍ قَالَ : كُنْتُ أَسُوقُ لِآلٍ لَنَا بَقَرَةً قَالَ : فَسَمِعْتُ مِنْ جَوْفِهَا يَا آلَ ذَرِيحٍ قَوْلٌ فَصِيحٌ رَجُلٌ يَصِيحُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قَالَ : فَقَدِمْنَا مَكَّةَ فَوَجَدْنَا النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ خَرَجَ بِمَكَّةَ. [3]

وفيه [4] : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : جَاءَ ذِئْبٌ إِلَى رَاعِي غَنَمٍ فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى انْتَزَعَهَا مِنْهُ قَالَ فَصَعِدَ الذِّئْبُ عَلَى تَلٍّ فَأَقْعَى وَاسْتَذْفَرَ فَقَالَ : عَمَدْتَ إِلَى رِزْقٍ رَزَقَنِيهِ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - انْتَزَعْتَهُ مِنِّي فَقَالَ الرَّجُلُ:

---

[1] سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - (2 / 294).
[2] مسند أحمد (24/ 204).
[3] قال الهيثمي في مجمع الزوائد" رجاله ثقات".
[4] مسند أحمد - (13 / 425) برقم8063.

تَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ ذِئْبًا يَتَكَلَّمُ قَالَ الذِّئْبُ أَعْجَبُ مِنْ هَذَا رَجُلٌ فِي النَّخَلَاتِ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ يُخْبِرُكُمْ بِمَا مَضَى وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ وَكَانَ الرَّجُلُ يَهُودِيًّا فَجَاءَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَسْلَمَ وَخَبَّرَهُ فَصَدَّقَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: إِنَّهَا أَمَارَةٌ مِنْ أَمَارَاتٍ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ قَدْ أَوْشَكَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ فَلَا يَرْجِعَ حَتَّى تُحَدِّثَهُ نَعْلَاهُ وَسَوْطُهُ مَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ [1].

شهادة الرضيع والأبكم برسالته - صلى الله عليه وسلم - :

شهادة الأبكم والرضيع وردتا عند الصبهاني وغيره ففي معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني [2] : - عن معرض بن عبد الله بن معرض بن معيقيب اليمامي، عن أبيه، عن جده، قال : « حججت حجة الوداع، فدخلت معه دارا بمكة، فرأيت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن وجهه دارة القمر، فسمعت منه عجبا، أتاه رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد، وقد لفه في خرقة، فقال : » يا غلام، من أنا ؟ « قال : أنت رسول الله قال : » صدقت، بارك الله فيك «، ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب، قال : وإن كنا لنسميه مبارك اليمامة ».

وفي سيرة ابن اسحاق [3] :

عن شمر بن عطية عن بعض أشياخه قال : جاءت امرأة بابن لها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد تخزل فقالت : يا رسول الله إن ابني هذا لم يتكلم منذ ولد فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أدنيه فأدنته منه فقال : من أنا ؟ فقال : أنت رسول الله.

---

[1] إسناده صحيح أخرجه البخاري ومسلم باختلاف يسير.
[2] معرفة الصحابة لأبي نعيم (5/ 2650).
[3] سيرة ابن اسحاق = السير والمغازي (ص: 278).

المطلب الرابع

ما سمع من الكهان والرهبان عند مبعثه [1]

الروايات التي ذكرت فيما سمع من الكهان والرهبان كثيرة منها ما في كتب الصحاح ومنها ما دون ذلك ففي صحيح البخاري [2] : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ : مَا سَمِعْتُ عُمَرَ لِشَيْءٍ قَطُّ يَقُولُ إِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذَا إِلَّا كَانَ كَمَا يَظُنُّ بَيْنَمَا عُمَرُ جَالِسٌ إِذْ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ جَمِيلٌ فَقَالَ : لَقَدْ أَخْطَأَ ظَنِّي أَوْ إِنَّ هَذَا عَلَى دِينِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوْ لَقَدْ كَانَ كَاهِنَهُمْ عَلَيَّ الرَّجُلَ فَدُعِيَ لَهُ فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ :

مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ اسْتُقْبِلَ بِهِ رَجُلٌ مُسْلِمٌ. قَالَ : فَإِنِّي أَعْزِمُ عَلَيْكَ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي.

قَالَ : كُنْتُ كَاهِنَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. قَالَ : فَمَا أَعْجَبُ مَا جَاءَتْكَ بِهِ جِنِّيَّتُكَ ؟ قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا يَوْمًا فِي السُّوقِ جَاءَتْنِي أَعْرِفُ فِيهَا الْفَزَعَ فَقَالَتْ: أَلَمْ تَرَ الْجِنَّ وَإِبْلَاسَهَا وَيَأْسَهَا مِنْ بَعْدِ إِنْكَاسِهَا وَلُحُوقَهَا بِالْقِلَاصِ وَأَحْلَاسِهَا قَالَ عُمَرُ: صَدَقَ بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ عِنْدَ آلِهَتِهِمْ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ بِعِجْلٍ فَذَبَحَهُ فَصَرَخَ بِهِ صَارِخٌ لَمْ أَسْمَعْ صَارِخًا قَطُّ أَشَدَّ صَوْتًا مِنْهُ يَقُولُ : يَا جَلِيحْ أَمْرٌ نَجِيحْ رَجُلٌ فَصِيحْ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَوَثَبَ الْقَوْمُ قُلْتُ : لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَعْلَمَ مَا وَرَاءَ هَذَا ثُمَّ نَادَى يَا جَلِيحْ أَمْرٌ نَجِيحْ رَجُلٌ فَصِيحْ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقُمْتُ فَمَا نَشِبْنَا أَنْ قِيلَ هَذَا نَبِيٌّ.

---

[1] بعد التحقيق والإختصار الموضوع من الخصائص الكبرى المؤلف / أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي (1 / 169) دار النشر / دار الكتب العلمية - بيروت - 1405هـ - 1985م. عدد الأجزاء / 1.

[2] صحيح البخاري (5/ 48).

وأخرج البيهقي [1]عن البراء أنّ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال لسواد بن قارب : حدثنا ببدء اسلامك. قال : كان لي رئيي من الجن فبينا انا ذات ليلة نائم إذ جاءني قال : قم فافهم واعقل إن كنت تعقل قد بعث رسول من لؤي بن غالب ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وانجاسها

وشدها العيس بأحلاسها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى

ما مؤمنوها مثل أرجاسها

فانهض إلى الصفوة من هاشم

واسم بعينيك إلى راسها

ثم انبهني وأفزعني وقال : يا سواد بن قارب إنّ الله تعالى بعث نبيا فانهض إليه تهتدي وترشد فلما كانت في الليلة الثانية أتاني فأنبهني ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتطلابها

وشدها العيس بأقتابها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى

ما صادقوا الجن ككذابها

فارحل الى الصفوة من هاشم

ليس قدامها كأذنابها

فما كان في الليلة الثالثة أتاني فأنبهني ثم قال :

---

[1] دلائل النبوة للبيهقي (2/ 250)

عجبت للجن وتجسارها

وشدها العيس بأكوارها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى

ليس ذووا الشر كأخيارها

فانهض الى الصفوة من هاشم

ما مؤمنو الجن ككفارها

قال : فلما سمعته يكرر علي ليلة بعد ليلة وقع في قلبي حب الاسلام فانطلقت حتى أتيت النّبي - صلى الله عليه وسلم - فلما رآني قال : مرحبا بك يا سواد بن قارب قد علمنا ما جاء بك. قلت : يا رسول الله قد قلت شعرا فاسمعه مني فقلت شعر :

أتاني رئيي بعد ليل وبجعة

ولم يك فيما قد بلوت بكاذب

ثلاث ليال قوله كل ليلة

أتاك رسول من لؤي بن غالب

فشمرت عن ساقي الإزار ووسطت

بي الذعلب الوجناء عند السباسب

فاشهد ان الله لا رب غيره

وأنك مأمون على كل غائب

وأنك ادنى المرسلين شفاعة

إلى الله يا ابن الاكرمين الأطائب

فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى

وإن كان فيما جاء شيب الذوائب

وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة

سواك بمغن عن سواد بن قارب

قال السيوطي في الخصائص : هذا الحديث له عدة طرق فأخرجه ابن شاهين في الصحابة من طريق الفضل بن عيسى القرشي عن العلاء بن زيدل عن انس بن مالك قال : دخل سواد بن قارب على النّبي - صلى الله عليه وسلم - فذكر القصة بطولها.

وأخرجه الحسن بن سفيان في مسنده من طريق الحسين بن عمارة عن عبد الله بن عبد الرحمن قال دخل سواد بن قارب على عمر فذكر الحديث بطوله.

وأخرجه البخاري في تاريخه والبغوي والطبراني من طريق عباد بن عبد الصمد سمعت سعيد بن جبير أخبرني سواد بن قارب قال كنت نائما فذكره بطوله

وأخرجه الحسن بن سفيان وأبو يعلى والحاكم والبيهقي والطبراني من طريق عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي عن محمد بن كعب القرظي قال دخل سواد على عمر فذكره بطوله.

وأخرجه ابن ابي خيثمة والروياني في مسنده والخرائطي من طريق أبي جعفر الباقر قال دخل سواد بن قارب على عمر فذكره

اقرار الصنم بنبوة النّبي – صلى الله عليه وسلم - :

أورد البيهقي وغيره روايات سماع أصوات من الأصنام تقر بمجيء النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وهي أيضا كسائر روايات الإرهاصات أكثرها ضعيف أو لا يصح ، وإن كانت لا يعتمد عليها في اثبات نبوته – صلى الله عليه وسلم- لكن أصحاب المغازي والسير أوردوها ، وقد ذكرت بعضا منها من باب جمع ما ورد في هذه المناسبة والتنبيه على أنه لم يعتمد أحد المؤرخين عليها في إثبات نبوته - صلى الله عليه وسلم -.

ففي دلائل النبوة للبيهقي :- عن أبي علي بن حرب بن محمد بن علي بن حيان بن مازن الوافد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : لقيت أبا المنذر هشام بن محمد الكلبي، فقال لي : ممن الرجل ؟ فقلت : من طيئ، ثم قال لي : ثم ممن ؟ قلت : من ولد نبهان. قال : ثم ممن ؟ قلت : من ولد خطامة، فقال لي : لعلك من ولد السادن. قلت : نعم، فأكرمني، وأدناني وقربني، ثم قال لي : كنت لقيت شيوخا من شيوخ طيئ المتقدمين فسألتهم عن قصة مازن، وسبب إسلامه، ووفوده على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإقطاعه أرض عمان، وذلك بمن الله وفضله، فكان مازن بأرض عمان بقرية تدعى سمايل، وكان يسدن الأصنام لأهله وكان له صنم يقال له باجر قال مازن : فعترت ذات يوم عتيرة [1]، وهي الذبيحة، فسمعت صوتا من الصنم يقول : يا مازن أقبل إلي أقبل. تسمع ما لا يجهل. هذا نبي مرسل، جاء بحق منزل. فآمن به كي تعدل عن حر ناب تشعل. وقودها بالجندل. قال مازن : فقلت : إن هذا والله لعجب، ثم عترت بعد أيام عتيرة أخرى فسمعت صوتا أبين من الأول وهو يقول : يا مازن اسمع تسر. ظهر خير وبطن شر. بعث نبي من مضر بدين الله الكبر. فدع نحيتا من حجر. تسلم من حر سقر. قال مازن : فقلت : إنّ هذا والله لعجب وإنه لخير يراد بي. وقدم علينا رجل من أهل الحجاز فقلنا

---

[1] العتيرة : ذبيحة كانوا يذبحونها في الجاهلية في رجب تقربا وعبادة، وسميت عتيرة لأنها تعتر أي تذبح

: ما الخبر وراءك ؟ قال : خرج رجل بتهامة يقول : لمن أتاه : أجيبوا داعي الله - عز وجل -، يقال له أحمد. قال : فقلت : هذا والله نبأ ما سمعت. فثرت إلى الصنم فكسرته أجذاذا وشددت راحلتي [1]، ورحلت حتى أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فشرح لي الإسلام فأسلمت وأنشأت أقول : كسرت باجر أجذاذا وكان لنا ربا نطيف به ضلا بتضلال بالهاشمي هدانا من ضلالتنا ولم يكن دينه مني على بال يا راكبا بلغا عمرا وإخوته أني لمن قال ديني ناجر قالي يعني بعمرو إخوته بني خطامة قال مازن : فقلت : يا رسول الله، إني امرؤ مولع بالطرب وشرب الخمر والهلوك من النساء، وألحت علينا السنون، فأذهبن الأموال وأهزلن الذراري [2] والرجال، وليس لي ولد فادع الله أن يذهب عني ما أجد ويأتيني بالحيا، ويهب لي ولدا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن، وبالحرام الحلال، وآته بالحيا وهب له ولدا». قال مازن : فأذهب الله عني كل ما كنت أجد، وأخصبت عمان، وتزوجت أربع حرائر، ووهب الله لي حيان بن مازن، وأنشأت أقول : إليك رسول الله خبت مطيتي [3]تجوب الفيافي [4] من عمان إلى العرج لتشفع لي يا خير من وطئ [5] الحصا فيغفر لي ربي فأرجع بالفلج إلى معشر خالفت في الله دينهم فلا رأيهم رأيي ولا شرجهم شرجي وكنت امرءا بالزعب والخمر مولعا شبابي حتى آذن الجسم بالنهج فأصبحت همي في جهاد ونية فلله ما صومي ولله ما حجي قال مازن : فلما رجعت إلى قومي أنبوني وشتموني، وأمروا شاعرهم فهجاني [6]، فقلت : إن هجوتهم فإنما أهجو نفسي فتركتهم وأنشأت أقول : وشتمكم عندنا مر مذاقته وشتمنا عندكم يا قومنا لئن لا ينشب الدهر أن يثبت معايبكم وكلكم أبدا في عيبنا فطن.

---

(1) الراحلة : البَعيرُ القويّ على الأسفار والأحمال، ويَقَعُ على الذكر والأنثى

(2) الذُّرِّية : اسمٌ يَجْمعُ نَسل الإنسان من ذَكَرٍ وأنَثَى وقد تطلق على الزوجة

(3) المطية : الدابة التي يركب مطاها أي ظهرها، أو هي التي تمط في سيرها أي تمدُّ.

(4) الفيافي : جمع الفيفاء وهي الصحاري الواسعة

(5) وطئ : وضع قدمه على الأرض أو على الشيء وداس عليه، ونزل بالمكان

(6) الهجاء : السَّبُّ وتعديد المعايب، ويكون بالشعر غالبا

قال أبو جعفر : إلى ههنا حفظت، وأخذته من أصل جدي كأنه يريد الباقي فشعرنا مفحم عنكم وشاعركم في حربنا مبلغ في شتمنا لسن [1] ما في الصدور عليكم فاعلموا وغر وفي صدوركم البغضاء والإحن فحدثنا موادنا من أهل عمان عن سلفهم أن مازنا لما تنحى عن قومه أتى موضعا فابتنى مسجدا يتعبد فيه فهو لا يأتيه مظلوم يتعبد فيه ثلاثا، ثم يدعو محقا على من ظلمه يعني، إلا استجيب. وفي أصل السماع فيكاد أن يعافى من البرص، فالمسجد يدعى مبرصا إلى اليوم قال أبو المنذر :

قال مازن : ثم إن القوم ندموا أو كنت القيم [2] بأمورهم، فقالوا : ما عسانا أن نصنع به، فجاءني منهم أرفلة عظيمة فقالوا : يا ابن عم، عبنا عليك أمرا فنهيناك عنه، فإذ أبيت فنحن تاركوك ارجع معنا. فرجعت معهم فأسلموا بعد كلهم. هكذا أخبرنا به عاليا، وقد ذكره شيخنا أبو عبد الله الحافظ رحمه الله عن أبي أحمد بن أبي الحسن عن عبد الرحمن بن محمد الحنظلي عن علي بن حرب، عن أبي المنذر هشام بن محمد، عن أبيه، عن عبد الله العماني، عن مازن بن الغضوبة قال : كنت أسدن صنما بالسمال قرية بعمان، فعترنا ذات يوم عنده عتيرة وهي الذبيحة، فذكر الحديث بمعنى ما روينا وزاد بيتا بعد قوله : وكنت امرءا فقال :

فبدلني بالخمر خوفا وخشية وبالعهر إحصانا وحصن لي فرجي وقد روي في معنى ما روينا عن مازن أخبار كثيرة منها حديث عمرو بن جبلة، فيما سمع من جوف الصنم : يا عصام يا عصام جاء الإسلام، وذهبت الأصنام. ومنها حديث طارق من بني هند بن حرام، يا طارق، يا طارق : بعث النبي الصادق. ومنها حديث ابن دقشة فيما أخبر به رئيه فنظر إلى ذباب بن الحارث، وقال :

---

(1) اللسن : رجل لسن بَيّن اللسن إذا كان ذا بيان وفصاحة

(2) القيّم : القائم على رعاية شئون غيره

يا ذباب، يا ذباب، اسمع العجب العجاب. بعث محمد بالكتاب يدعو بمكة ولا يجاب. ومنها حديث عمرو بن مرة الغطفاني فيما رأى من النور الساطع في الكعبة في نومه، ثم ما سمع من الصوت : أقبل حق فسطع. ودمر باطل فانقمع. ومنها حديث العباس بن مرداس فيما سمع من الصوت. ومنها حديث خالد بن سطيح حين أتته تابعته فقالت :

جاء الحق القائم والخير الدايم، وغير ذلك مما يطول بسياق جميعه الكتاب، وبالله التوفيق.

ابلاغ الجن الأنس بمبعث النّبي – صلى الله عليه وسلم - :

لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن ، وسمي الجن جنا لاستجنانهم واستتارهم عن العيون. وأصل الجن النار كما أن أصل الإنس الطين.

قال الله تعالى {وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (27)} [الحجر]، وقال تعالى {وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (15)} [الرحمن]. وقد خلق الله تعالى الجن وأمرهم بعمارة الأرض فكانوا يعبدون الله جل ثناؤه حتى طال بهم الأمد فعصوا الله - عز وجل - وسفكوا الدماء ، فأرسل الله تعالى عليهم جندا من الملائكة ، فهبطوا فأفنوا بني الجان من الأرض وأجلوهم عنها وألحقوهم بجزائر البحر. من هذا نعلم أن الحكمة من خلق الجن والإنس هي عبادة الله وحده، كما قال تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } (الذاريات : 56)

والجن مكلفون كالإنس ويعلمون بنبوة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم- وقد أخبروا بمجيئه دلت على ذلك الآيات القرآنية والحديث الشريف ، أما اخبار الجن للإنس فقد وردت روايات بها بين الصحيح وما دون ذلك منها في دلائل النبوة للبيهقي [1] : عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر قال : أول خبر قدم المدينة عن النّبي - صلى الله عليه وسلم - أنّ امرأة من أهل المدينة، كان لها تابع فجاء في صورة طائر حتى وقع على حائط دارهم، فقالت له المرأة : انزل تخبرنا ونخبرك قال : لا، إنه بعث بمكة نبي منع منا القرار، وحرم علينا الزنا. لفظ حديث الشعراني، وفي رواية ابن جابر : فوقع على حائط دارها، فقالت له : انزل نخبرك وتخبرنا قال : إنه بعث نبي بمكة منع منا القرار وحرم علينا الزنا.

وفي الخصائص الكبرى[2] :

عن عبد الرحمن بن ابي سبرة قال حدثني ذباب بن الحارث الصحابي [3]- رضي الله عنه – قال : كان لابن وقشة رأي من الجن يخبره بما يكون فأتاه ذات يوم فأخبره بشيء فنظر اليه فقال يا ذباب يا ذباب اسمع العجب العجاب بعث محمد بالكتاب يدعو بمكة فلا يجاب فقلت له ما هذا قال لا أدري كذا قيل فلم يكن إلا قليل حتى سمعت بمخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فأسلمت.

وفيه أيضا :عن سفيان الهذلي قال خرجنا في عير لنا إلى الشام فلما كنا بين الزرقاء ومعان قد عرسنا من الليل إذا بفارس يقول أيها النيام هبوا فليس هذا بحين رقاد قد خرج أحمد وطردت الجن كل مطرد ففزعنا ونحن رفقة حزاورة كلهم قد سمع هذا فرجعنا إلى أهلينا فإذا هم يذكرون اختلافا بمكة بين قريش بنبي خرج فيهم من بني عبد المطلب إسمه أحمد.

---

[1] دلائل النبوة للبيهقي (2/ 262) ، الخصائص الكبرى - (1 / 172)

[2] الخصائص الكبرى - (1 / 172)

[3] في الإصابة في تمييز الصحابة - (2 / 425) ذباب بن الحارث بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن ربيعة بن بلال بن أنس الله بن سعد العشيرة له إدراك وشهد ولده عبد الله صفين مع علي ذكره بن الكلبي.

وأخرج أبو نعيم[1] عن يعقوب بن يزيد بن طلحة التيمي أن رجلا مر على عمر فقال : أكاهن أنت ؟ متى عهدك بصاحبتك ؟.

قال : قبيل الاسلام اتتني فصرخت : يا سلام يا سلام الحق المبين والخير الدائم غير حلم النائم الله اكبر ؛ فقال رجل من القوم : يا أمير المؤمنين أما أحدثك مثل هذا والله انا لنسير دوية ملساء لا نسمع فيها إلا الصداء إذ نظرنا فإذا راكب مقبل فقال : يا أحمد يا أحمد الله أعلى وأمجد أتاك ما وعدك من الخير يا أحمد ثم ذهب فقال رجل من الأنصار إنا احدثك مثل هذا انطلقت إلى الشام فلما كنا بقفزة من الأرض إذا هاتف من خلفنا يقول :

(قد لَاحَ نجم فأضاء مشرقه.. . يخرج من ظلماء عسوف موبقه)

(ذَاك رَسُول مُفْلِح من صدقه. . . الله أَعلَى أمره وحققه)

وَأخرج ابو نعيم عَن ابْن عَبَّاس قَالَ هتف هَاتِف من الْجِنّ على ابي قبيس بِمَكَّة فَقَالَ

قَبَّحَ اللَّهُ رَأْيَ كَعْبِ بْنِ فِهْرٍ.. . مَا أَرَقَّ الْعُقُولَ وَالْأَحْلَامْ

دِينُهَا أَنَّهَا يُعَنَّفُ فِيهَا.. . دِينُ آبَائِهَا الْحَمَاةُ الْكِرَامْ

حَالَفَ الْجِنَّ حِينَ يُقْضَى عَلَيْكُمْ.. . وَرِجَالَ النَّخِيلِ وَالْآطَامْ

هَلْ كَرِيمٌ مِنْكُمْ لَهُ نَفْسُ حُرٍّ.. . مَاجِدُ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَعْمَامْ

يُوشِكُ الْخَيْلُ إِنْ تَرَاهَا تَهَادَى. . . تَقْتُلُ الْقَوْمَ فِي بِلَادِ التِّهَامْ

ضَارِبٌ ضَرْبَةً تَكُونُ نَكَالًا.. . وَرَوَاحًا مِنْ كُرْبَةٍ وَاغْتِمَامْ

---

[1] الخصائص الكبرى - (1/ 175)

فأصبح هذا الحديث قد شاع بمكة وأصبح المشركون يتناشدونه بينهم وهموا بالمؤمنين فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- هذا شيطان يكلم الناس في الأوثان يقال له مسعر والله يخزيه فمكثوا ثلاثة أيام فإذا هاتف على الجبل يقول :

(نَحن قتلنَا مسعرا. . . لما طَغى واستكبرا)

(وسفه الْحق وَسن المنكرا.. . قنعته سَيْفا جروفا مبترا)

(بشتمه نَبينَا المطهر...)

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ذلكم عفريت من الجن يقال له سمحج سميته عبد الله آمن بي فأخبرني انه في طلبه منذ أيام.

وأخرج ابو نعيم[1] عن تميم الداري قال : كنت بالشام حين بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فخرجت إلى بعض حاجتي وأدركني الليل فقلت : أنا في جوار عظيم هذا الوادي ؛ فلما أخذت مضجعي إذا أنا بمناد ينادي لا أراه : عذ بالله فإن الجن لا تجير على الله أحدا ؛ فقلت : أيم الله ما تقول ؟ قال : قد خرج الرسول الأمين رسول الله وصلينا خلفه بالحجون فأسلمنا واتبعناه ، وذهب كيد الجن ورميت بالشهب فانطلق إلى محمد رسول رب العالمين فأسلم ، قال تميم : فلما أصبحت ذهبت إلى راهب فأخبرته الخبر فقال : قد صدقوك يخرج من الحرم ومهاجره الحرم وهو خير الأنبياء فلا تسبق إليه.

[1] الخصائص الكبرى - (1 / 177)

حديث الأصنام بخروج سيد الآنام :

قبيل مبعثه - صلى الله عليه وسلم - كانت الأصنام قد انتشرت في كل جزيرة العرب حتى أنها أحاطت بكعبة أبيهم ابراهيم - عليه السلام - وكان لهذه الأصنام سدنتها من الجن والإنس يلبسون على الحق ، ويزينون لهم باطلهم ؛ فلما أراد الله إظهار دينه آمن بعض هؤلاء وثابوا إلى الحق جنهم وإنسهم وقد وردت الروايات بذلك منها :

في الخصائص [1]: أخرج ابن سعد والبزار وأبو نعيم عن جبير بن مطعم قال كنا جلوسا عند صنم ببوانة قبل أن يبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بشهر نحرنا جزورا فإذا صائح يصيح من جوف الصنم يقول الا اسمعوا إلى العجب ذهب استراق السمع للوحي ويرمى بالشهب لنبي بمكة إسمه أحمد مهاجره إلى يثرب قال جبير فأمسكنا وعجبنا وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم-.

واخرج أبو نعيم عن خويلد الضمري قال : كنا عند صنم جلوسا إذ سمعنا من جوفه صائحا يصيح ذهب استراق السمع للوحي ورمي بالشهب لنبي بمكة اسمه أحمد ومهاجره إلى يثرب يأمر بالصلاة والصيام والبر والصلات للأرحام ؛ فقمنا من عند الصنم ؛ فسالنا فقالوا : خرج بمكة نبي إسمه أحمد.

وفي دلائل الأصبهاني [2]: - عن قبيصة بن عمرو بن إسحاق الخزاعي، عن العباس بن مرداس السلمي، قال : « كان أول إسلامي أنّ مرداسا أبي لما حضرته الوفاة أوصاني بصنم له يقال له : ضماد، فجعلته في بيت، وجعلت آتيه كل يوم مرة، فلما ظهر النّبي - صلى الله عليه وسلم - إذ سمعت صوتا في جوف الليل راعني، فوثبت إلى ضماد مستغيثا، فإذا بالصوت في جوفه، وهو يقول :

---

[1] الخصائص الكبرى - (1 / 174)

[2] دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: 118)

قُلْ لِلْقَبِيلَةِ مِنْ سُلَيْمٍ كُلِّهَا.. . هَلَكَ الْأَنِيسُ وَعَاشَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ

أَوْدَى ضِمَادُ وَكَانَ يُعْبَدُ مُدَّةً.. . قَبْلَ الْكِتَابِ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

إِنَّ الَّذِي وَرِثَ النُّبُوَّةَ وَالْهُدَى.. . بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِي

قال : فكتمته الناس فلما رجع الناس من الأحزاب بينا أنا في إبلي بطرف العقيق من ذات عرق راقد سمعت صوتا، فإذا برجل على جناحي نعامة، وهو يقول : النور الذي وقع ليلة الاثنين، وليلة الثلاثاء مع صاحب الناقة العضباء [1]، في ديار إخوان بني العنقاء، فأجابه هاتف عن شماله، وهو يقول :

بَشِّرِ الْجِنَّ وَأَبْلَاسَهَا[2]، إِنْ وَضَعَتِ الْمَطِيُّ[3] أَحْلَاسَهَا[4]، وَكَلَأَتِ السَّمَاءُ أَحْرَاسَهَا

قال : فوثبت مذعورا، وعلمت أن محمدا مرسل، فركبت فرسي، وأجشمت السير، حتى انتهيت إليه، فبايعته، ثم انصرفت إلى ضماد، فأحرقته بالنار، ثم رجعت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فأنشدته شعرا، أقول فيه :

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَجْعَلُ جَاهِلًا. . . ضِمَادًا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مُشَارِكَا

وَتَرْكِي رَسُولَ اللَّهِ وَالْأَوْسُ حَوْلَهُ.. . أُولَئِكَ أَنْصَارٌ لَهُ مَا أُولَئِكَا

كَتَارِكِ سَهْلِ الْأَرْضِ وَالْحَزْنَ يَبْتَغِي.. . لِيَسْلُكَ فِي وَعَثِ الْأُمُورِ الْمَسَالِكَا

---

(1) العضباء : الناقة المشقوقة الأذن، واسم ناقة النبي

(2) الإبلاس اليأس من الفرج.

(3) المطي : جمع مطية وهي الدابة التي يركب مطاها أي ظهرها، أو هي التي تمط في سيرها أي تمدُّ

(4) الصحاح في اللغة : والحَلِسُ بكسر اللام: الشجاعُ. ويقال أيضاً: رجلٌ حَلِسٌ، للحريص. والأَحْلَسُ: الذي لونه بين السواد والحمرة.

فَآمَنْتُ بِاللَّهِ الَّذِي أَنَا عَبْدُهُ.. . وَخَالَفْتُ مَنْ أَمْسَى يُرِيدُ الْمَهَالِكَا

وَوَجَّهْتُ وَجْهِي نَحْوَ مَكَّةَ قَاصِدًا.. . أُبَايِعُ نَبِيَّ الْأَكْرَمِينَ الْمُبَارَكَا

نَبِيٌّ أَتَانَا بَعْدَ عِيسَى بِنَاطِقٍ.. . مِنَ الْحَقِّ فِيهِ الْفَصْلُ فِيهِ كَذَلِكَا

أَمِينٌ عَلَى الْفُرْقَانِ أَوَّلُ شَافِعٍ.. . وَأَوَّلُ مَبْعُوثٍ يُجِيبُ الْمَلَائِكَا

تَلَاقَى عُرَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ انْتِقَاضِهَا . . . فَأَحْكَمَهَا حَتَّى أَقَامَ الْمَنَاسِكَا

عَنَيْتُكَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا. . تَوَسَّطْتَ فِي الْفَرْعَيْنِ وَالْمَجْدِ مَالِكَا

وَأَنْتَ الْمُصَفَّى مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا سَمَتْ.. . عَلَى ضَمْرِهَا تَبْقَى الْقُرُونَ الْمُبَارَكَا

المطلب الخامس

سلام الحجر والشجر عليه – صلى الله عليه وسلم –

ومع كمال إشراقة نفسه - صلى الله عليه وسلم - واقتراب سطوع نور الحق كان - صلى الله عليه وسلم - لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلَّم عليه ؛ فيلتفت يميناً ويساراً وخلفه فلا يجد أحداً.

قال ابن إسحاق [1]: وحدثني عبد الملك بن عبيد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي، وكان واعية عن أهل العلم أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أراده الله بكرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسر عنه البيوت ويفضي إلى شعاب مكة وبطون أوديتها، فلا يمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله. قال : فيلتفت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حوله فمكث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث ثم جاءه جبريل - عليه السلام - بما جاءه من كرامة الله وهو بحراء في شهر رمضان.

[1] السيرة النبوية لابن هشام (2/ 66).

وفي مسند أحمد [1]:- عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِنَّ بِمَكَّةَ لَحَجَرًا كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ لَيَالِيَ بُعِثْتُ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ إِذَا مَرَرْتُ بِهِ.

وفي دلائل البيهقي [2] : - عن إسماعيل بن عبد الرحمن، هو السدي، عن عباد قال : سمعت عليا رضي الله عنه يقول:« لقد رأيتني أدخل معه- يعني النبي صلى الله عليه وسلم- الوادي فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله، وأنا أسمعه»

كيفية نطق الحجر والشجر ونوع الكلام الذى تكلمته :

لعل سائلاً عن كيفية نطق الحجر والشجر ونوع الكلام الذى تكلمته ووسيلة ذلك ، وهل هو كلاماً مقروناً بحياة وعلم أم هو صوتاً مجرداً غير مقترن بحياة وعلم ؟!

قال السهيلى [3] : ذكر ابن إسحاق : ما بدئ به النبي - صلى الله عليه وسلم - من النبوءة إذ كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله. وفي مصنف الترمذي ومسلم أيضا أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن ينزل علي "

وفي بعض المسندات زيادة أنّ هذا الحجر الذي كان يسلم عليه هو الحجر الأسود، وهذا التسليم يكون حقيقة وأن يكون الله أنطقه إنطاقا كما خلق الحنين في الجذع ، ولكن ليس من شرط الكلام الذي هو صوت وحرف الحياة والعلم والإرادة لأنه صوت كسائر الأصوات والصوت عرض في قول الأكثرين ولم يخالف فيه إلا النظام فإنه زعم أنه جسم وجعله الأشعري اصطكاكا في الجواهر بعضها لبعض.

---

[1] مسند أحمد (34/ 511).
[2] مدلائل النبوة للبيهقي (2/ 154)
[3] الروض الأنف ت السلامي (2/ 254).

وقال أبو بكر بن الطيب : ليس الصوت نفس الاصطكاك ولكنه معنى زائد عليه وللاحتجاج على القولين ولهما موضع غير هذا، ولو قدرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجر والشجر والصوت عبارة عنه لم يكن بد من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام والله أعلم أي ذلك كان أكان كلاما مقرونا بحياة وعلم فيكون الحجر به مؤمنا، أو كان صوتا مجردا غير مقترن بحياة ؟ وفي كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوءة ، وأما حنين الجذع فقد سمي حنينا، وحقيقة الحنين يقتضي شرط الحياة وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافا في الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن يعمرونها، فيكون مجازا من قوله تعالى : { واسأل القرية } والأول أظهر وإن كانت كل صورة من هذه الصور التي ذكرناها فيها علم على نبوته - عليه السلام - غير أنه لا يسمى معجزة في اصطلاح المتكلمين إلا ما تحدى به الخلق فعجزوا عن معارضته.

قال الحلبي [1] : وفي كلام الشيخ محيى الدين بن العربي : أكثر العقلاء بل كلهم يقولون عن الجمادات لا تعقل فوقفوا عند بصرهم والأمر عندنا ليس كذلك فإذا جاءهم عن نبي أو ولي أن حجرا كلمه مثلا يقولون خلق الله فيه العلم والحياة في ذلك الوقت والأمر عندنا ليس كذلك بل سر الحياة سار في جميع العالم.

وقد ورد أن كل شيء سمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد إلا من علم وأطال في ذلك.

وقال : قد أخذ الله بأبصار الإنس والجن عن إدراك حياة الجماد إلا من شاء الله كنحن وأضرابنا فإنا لا نحتاج إلى دليل في ذلك لكون الحق تعالى قد كشف لنا عن حياتها عينا وأسمعنا تسبيحها ونطقها وكذلك إندكاك الجبل لما وقع التجلي إنما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله - عز وجل - ولولا ما عنده من العظمة لما تدكدك والله أعلم.

---

[1] السيرة الحلبية (1/ 362)

المطلب السادس

ما قيل في رجم الشياطين قبيل المبعث [1] :

كانت الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى، والكهان من العرب، قد تحدثوا بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل مبعثه لما تقارب من زمانه. أما الأحبار من يهود والرهبان من النصارى. فعما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه وأما الكهان من العرب : فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع إذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره لا تلقي العرب لذلك فيه بالا، حتى بعثه الله تعالى، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون. فعرفوها.

فلما تقارب أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحضر مبعثه. حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها، فرموا بالنجوم فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله في العباد.

كيف كان الجن يسترق السمع ؟

في رواية عن عبدالله بن العباس عن نفر من الأنصار أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لهم : ماذا كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به ؟

قالوا : يا نبى الله كنا نقول حين رأيناها يرمى بها مات مَلِكٌ ، مَلِكَ مَلِكٌ ، ولد مولود مات مولود ؛ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ليس ذلك كذلك ولكن الله تبارك وتعالى كان إذا قضى في خلقه أمرا سمعه حمله العرش ؛ فسبحوا فسبح من تحتهم فسبح لتسبيحهم من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي إلى السماء الدنيا فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض

---

[1] السيرة النبوية لابن هشام (2/ 27) و الروض الأنف ت السلامي (2/ 194).

مم سبحتم ؟ فيقولون : سبح من فوقنا فسبحنا لتسبيحهم فيقولون ألا تسالون من فوقكم من سبحوا ؛ فيقولون مثل ذلك ؛ حتى ينتهوا إلى حملة العرش فيقال لهم : مم سبحتم ؟ فيقولون : قضى الله في خلقه كذا وكذا للأمر الذي كان ؛ فيهبط به الخبر من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى السماء الدنيا فيتحدثوا به ؛ فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاف ، ثم يأتوا به الكهان من أهل الأرض ؛ فيحدثوهم به فيخطئون ويصيبون ؛ فيتحدث به الكهان فيصيبون بعضا ويخطئون بعضا ثم إن الله عز وجل حجبت الشياطين بهذه النجوم التي يقذفون بها فانقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة[1]

بحث الجن عن سبب منع الإستراق :

لما منع الجن من استراق السمع أخذت تبحث عن سبب ذلك وقد وردت في سنن الترمذى[2] : عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ الْجِنُّ يَصْعَدُونَ إِلَى السَّمَاءِ يَسْتَمِعُونَ الْوَحْيَ فَإِذَا سَمِعُوا الْكَلِمَةَ زَادُوا فِيهَا تِسْعًا فَأَمَّا الْكَلِمَةُ فَتَكُونُ حَقًّا وَأَمَّا مَا زَادُوهُ فَيَكُونُ بَاطِلًا فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُنِعُوا مَقَاعِدَهُمْ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِإِبْلِيسَ وَلَمْ تَكُنْ النُّجُومُ يُرْمَى بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُمْ إِبْلِيسُ مَا هَذَا إِلَّا مِنْ أَمْرٍ قَدْ حَدَثَ فِي الْأَرْضِ فَبَعَثَ جُنُودَهُ فَوَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَائِمًا يُصَلِّي بَيْنَ جَبَلَيْنِ أُرَاهُ قَالَ بِمَكَّةَ فَلَقُوهُ فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ هَذَا الَّذِي حَدَثَ فِي الْأَرْضِ.

قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

أول من فُزِعَ من العرب كانت قبيلة ثقيف :

كان أول من فزع من العرب حين رميت الشهب قبيلة ثقيف ففي سيرة ابن هشام [3]

---

[1] السيرة النبوية لابن هشام (2/ 31).
[2] سنن الترمذي ت بشار (5/ 285)
[3] ا السيرة النبوية لابن هشام (2/ 30).

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث أن أول العرب فزع للرمي بالنجوم حين رمي بها، هذا الحي من ثقيف، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بني علاج - قال وكان أدهى العرب وأنكرها رأيا - فقالوا له يا عمرو : ألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم ؟ قال بلى، فانظروا، فإن كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس كانت نجوما غيرها، وهي ثابتة على حالها، فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق فما هو ؟.

ما فعله العرب عند ازدياد الشُهب[1] :

ظن العرب قرب فناء البشرية وأنهم مقبلون على الحساب فأعتقوا وتصدقوا وقد ذكر ذلك في رواية عن أبى بن كعب قال : لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى تنبأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، رمى بها فرأت قريش أمرا لم تكن تراه، فجعلوا يسيبون أنعامهم ويعتقون أرقاءهم يظنون أنه الفناء، ثم فعلت ثقيف مثل ذلك، فبلغ عبد ياليل فقال : لا تعجلوا وانظروا فإن تكن نجوما تعرف فهو عند فناء الناس، وإن كانت نجوما لا تعرف فهو عند أمر قد حدث، فنظروا فإذا هى لا تعرف، فأخبروه فقال : هذا عند ظهور نبى، فما مكثوا إلا يسيرا حتى قدم الطائف أبو سفيان بن حرب فقال : ظهر محمد بن عبد الله يدعى أنه نبى مرسل، قال عبد ياليل : فعند ذلك رمى بها.

هل تقتل الشُهب أم لا ؟

اختلف العلماء في أثر الشهب على الجن التي تحاول استراق السمع فمنهم من قال تقتل ، ومنهم من قال : تُصيب ، وقد ذكر هذا الآراء القرطبي في تفسيره فقال [1] :

[1] جامع الأحاديث المؤلف : جلال الدين السيوطي(32 / 386) برقم 35435-

واختلف في الشهاب هل يقتل أم لا. فقال ابن عباس : الشهاب يجرح ويحرق ويخبل ولا يقتل. وقال الحسن وطائفة : يقتل ؛ فعلى هذا القول في قتلهم بالشهب قبل إلقاء السمع إلى الجن قولان :

أحدهما : أنهم يقتلون قبل إلقائهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم ؛ فعلى هذا لا تصل أخبار السماء إلى غير الأنبياء، ولذلك انقطعت الكهانة. والثاني : أنهم يقتلون بعد إلقائهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم من الجن؛ ولذلك ما يعودون إلى استراقه، ولو لم يصل لانقطع الاسترق وانقطع الإحراق ؛ ذكره الماوردي.

هل الشُهب التي يُرمى بها الجن من الكواكب الثابتة ؟

الشهب: جمع شهاب وهو القطعة التي تنفصل عن بعض النجوم فتسقط في الجو أو في الأرض أو البحر وتكون مضاءة عند انفصالها ثم يزول ضوؤها ببعدها عن مقابلة شعاع الشمس وتسمى الواحد منها عند علماء الهيئة نيزكا باسم الرمح القصير

وهي تخرج من جاذبية إلى جاذبية الأرض وتسقط بسرعة خمسة وأربعون ميلا، وقد تكلم كتاب السير والمغازي الأوائل في أصل هذه الشهب هل هي من الكواكب الجارية في السماء أم هي نجوم خاصة لرصد الشياطين.

قال الصالحي [2]: قال بعضهم : ظاهر القرآن والأحاديث يقتضي أن الرجم بالنجوم نفسها. وقال القرطبي : ليست الشهب التي يرجم بها من الكواكب الثوابت يدل على ذلك رؤية حركاتها، والثابتة لا تجرى ولا ترى حركاتها لبعدها. وقال في موضع آخر : قال العلماء نحن نرى انقضاض

---

[1] الجامع لأحكام القرآن المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671هـ) (10 / 11) المحقق : هشام سمير البخاري الناشر : دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة : 1423هـ/ 2003م

[2] الكتاب : سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد المؤلف : محمد بن يوسف الصالحي الشامي (2 / 202)

الكواكب فيجوز أن يكون ذلك كما نرى ثم يصير نارا إذا أدرك الشيطان، ويجوز أن يقال يرمون بشعلة من نار من الهواء فيخيل إلينا أنه نجم يرى.

وقال في موضع آخر : الكواكب الراجمة هي التي يراها الناس تنقض.

قال النقاش ومكي : وليست بالكواكب الجارية في السماء لأن تلك لا ترى حركتها، وهذا الراجمة ترى حركتها لأنها قريبة منا.

وقال الإمام أبو عبد الله الحليمي في منهاجه : ليس فيما نتلوه من كلام ربنا عز وجل أن الشيطان يرمى بالكواكب أو النجوم.

ثم أطال الكلام في تقرير أن الرمي إنما هو بالشهب وهي شعل النار، وجعل المصابيح كناية عن الشعل لا النجوم.

وقال الإمام شهاب الدين أبو شامة رحمه الله تعالى: الشهاب في اللغة اسم للشعلة الساطعة من النار ثم أطلق على النجم المرصد لرجم الشياطين المسترقين للسمع لأنها لما عينت لرجم الشياطين وهي الشعل من النار، أطلق عليها لفظ الشهب لهذه الملابسة والمجاورة مجازا.

وهذا ظاهر كلام الشقراطيسي فإنه لما جعل ثواقب الشهب رامية بالشعل دل على أن الشهب عنده هي النجوم المرصدة لذلك.

ثم قال: والمصابيح هي النجوم التي جعلها الله تعالى راجمة للشياطين بالشهب، لأن النجوم تنقض بأنفسها خلف الشياطين.

ثم نقل كلام الحليمي فقال : لا خفاء أنه قد جاء الرمي بالنجوم مصرحا في الأحاديث وفي شعر العرب القديم.

ففي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: أخبرني رجال من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - من الأنصار قالوا : بينما هم جلوس مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رمي بنجم فاستنار. الحديث.

وذكر عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن الزهري أنه سئل عن هذا الرمي بالنجوم أكان في الجاهلية قال: نعم ولكنه إذا جاء الإسلام غُلِّظ وشُدِّد.

ثم ذكر أبو شامة شاهدين من كلام العرب القدماء ثم قال: ففي الجمع بين هذين وما تقدم وجهان: أحدهما أن هذا جاء على حذف المضاف للعلم به وتقديره: رمي بنار نجم وانقض انقضاض نار الكواكب وهي الشُعَل المُعَبر عنها بالشُهب.

فقد أخبر الله تعالى في كتابه أن الذي يتبع مسترق السمع (شهاب مبين) [الحجر 18] وقال في موضع آخر: (شهاب ثاقب [الصافات 10] والشهاب عبارة عن شعلة نار وبها يحصل إحراق الجني.

الوجه الثاني: أن يكونوا أطلقوا لفظ النجوم على الشهب تجوزا، كما أطلقوا لفظ الشهب على النجوم لملابسة كل واحد منهما الآ خر على ما قدرناه من أن النجوم ترمي الجن بشعل النار.

وقال شيخه الشيخ عز الدين بن عبد السلام في أماليه: إن الذي يرجم به شهب تخلق عند الرجم.

ولذا قال أبو علي في قوله تعالى (وجعلناها رجوما للشياطين) [الملك 5] الهاء عائدة على السماء، التقدير: وجعلنا شهبها. على حذف المضاف، فصار الضمير للمضاف إليه. انتهى.

لم دام قذف الجن بعد النّبي – صلى الله عليه وسلم - :

تحدث كتاب المغازي عن الحكمة في دوام قذف الجن بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – رغم انقطاع الوحي من السماء ، وقد لخص الصالحي أقوالهم فقال [1]: قال الإمام أبو عبد الله الحليمي رحمه الله تعالى : فإن قيل هذا القذف كان لأجل النبوة، فلم دام بعد النّبي - صلى الله عليه وسلم - ؟

[1] سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - (2 / 203)

فالجواب: أنه دام بدوام النبوة فإن النّبي - صلى الله عليه وسلم - أخبر ببطلان الكهانة، فلو لم تحرس السماء بعد موته لعادت الجن إلى تسمعها وعادت الكهانة، ولا يجوز ذلك بعد أن بطل لأن قطع الحراسة عن السماء إذا وقع لأجل النبوة فعادت الكهانة دخلت الشبهة في ضعفاء المسلمين ولم يؤمن أن يظنوا أن الكهانة إنما عادت لتناهي النبوة، فصح أن الحكمة تقتضي دوام الحراسة في حياة النّبي - صلى الله عليه وسلم - وبعد وفاته.

وقال الحافظ رحمه الله تعالى : فإن قيل : إذا كان الرمي بها غُلظ وشُدد بسبب نزول الوحي، فهلا انقطع بانقطاع الوحي بموت النبي - صلى الله عليه وسلم - ونحن نشاهدها الآن يرمي بها ؟.

فالجواب: يؤخذ من حديث الزهري المتقدم، ففيه عند مسلم قالوا: كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : فإنها لا ترمي لموت أحد ولا حياته.

ولكن ربنا إذا قضى أمرا أخبر أهل السموات بعضهم بعضا حتى يبلغ الخبر السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفون به إلى أوليائهم.

فيؤخذ من ذلك أن سبب التغليظ والحفظ لم ينقطع لما يتجدد من الحوادث التي تلقى بأمره إلى الملائكة، وأن الشياطين مع شدة التغليظ عليهم في ذلك بعد المبعث لم ينقطع طمعهم من استراق السمع في زمن النّبي - صلى الله عليه وسلم -، فكيف بما بعده ؟ وقد قال عمر لغيلان لما طلق نساءه : إني أحسب أن الشياطين فيما تسترق من السمع سمعت بأنك ستموت فألقت إليك ذلك الحديث. رواه عبد الرزاق وغيره.

فهذا ظاهر في أن استراقهم للسمع استمر بعد النّبي - صلى الله عليه وسلم-، وكانوا يقصدون استماع الشئ مما يحدث فلا يصلون إلى ذلك إلا أن يخطف أحدهم بخفة حركته خطفة فيتبعه الشهاب فإن أصابه قبل أن يلقيها لأصحابه مات وإلا سمعوها وتداولوها.

هل كانت الجن تُقذف بالشُهب قبل مبعثه – صلى الله عليه وسلم - :

اختلف العلماء- رضي الله تعالى عنهم - في ذلك على قولين : نقل أبو عبد الله القرطبي - رحمه الله تعالى - في تفسيره عن الأكثرين الأول وبه جزم السهيلي والشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى في أماليه وتلميذه الشيخ أبو شامة في شرح الشقراطيسية وغيرهم وصححه غير واحد واحتجوا بقوله تعالى: (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (6) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (7) لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (8)) [الصافات 6: 8] وبقوله تبارك وتعالى: وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (17) إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ (18) [الحجر 17، 18].

قال الزركشي في شرح البردة : فهذه الآيات تدل على وجود الرجم قبل المبعث، لأنها خلقت لذلك: وكذا قوله تعالى (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (8)) [الجن 8] وهذا إخبار عن الجن أنه كان الرجم موجودا لكنه ليس يستأصل وأنه زيد في حرس السماء حتى امتلأت.

وقال الإمام العلامة شمس الدين الهروي في شرح مسلم: وفي هذه الآية دليل على أن الحادث هو الملأ والكثرة، وأنهم كانوا في الأول يقعدون من السماء مقاعد لاستراق السمع ويجدون بعض المقاعد غير خالية من الحرس والشهب، والآن ملئت المقاعد كلها ولم يبق مقعد من المقاعد خاليا.

وأيضا فإن الله سبحانه وتعالى ذكر فائدتين في خلق الكواكب في قوله: (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ) [الملك 5] وفي قوله تعالى: (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (6) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (7)).

وروى عبد الرزاق في تفسيره عن معمر قال: قلت للزهري: أو كان يرمى به - أي النجم - في الجاهلية ؟ قال نعم.

قلت: يقول الله عز وجل (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (9) وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (10)) قال: غُلِّظت وشُدِّد أمرها حين بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

قال البيهقي: وهذا يوافق ظاهر القرآن لأنه خبرا عن الجن: (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (8)): وأخبرت الجن أنه زيد في حراسة السماء وشهبها حتى امتلأت منها ومنهم.

وفي ذلك دليل على أنه كان قبل ذلك فيها حُراس وشُهب ومُعدة معهم.

واستدلوا أيضا بما رواه مسلم عن ابن عباس قال: بينما النّبي - صلى الله عليه وسلم - جالس في نفر من الأنصار إذ رمي بنجم فاستنار، فقال - صلى الله عليه وسلم - : (ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية إذا رأيتموه ؟) وتقدم بتمامه.

واستدلوا أيضا بما جاء في أشعار العرب القديمة من ذكر ذلك، كأوس بن حجر وعوف بن الجذع وبشر بن أبي خازم.

ورجح جماعة الثاني وهو الذي صح عن ابن عباس وبه قال أبي بن كعب والشعبي ونافع بن جبير وصححه أبو عثمان الجاحظ ومال إليه أبن الجوزي وغيره، واستدلوا بأن ذلك ظاهر الأخبار لإنكار الشياطين للرمي وطلبهم بسببه ولهذا كانت الكهانة فاشية في العرب ومرجوعا إليها حكمهم، حتى قطع سببها بأن حيل بين الشياطين وبين استراق السمع.

وجمع المحققون بين الأخبار فقال القرطبي: يجمع بأنها لم يكن يرمى بها قبل المبعث رميا يقطع الشياطين عن استراق السمع، ولكن ترمى تارة ولا ترمى أخرى، وترمى من جانب ولا ترمى من جانب، ولا ترمى من جميع الجوانب.

ولعل الإشارة إلى ذلك بقوله تعالى (وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (8) دُحُورًا).

وقال في موضع آخر : لا يبعد أن يقال : انقضاض الكواكب كان في قديم الزمان، ولكنه لم يكن رجوما للشياطين ثم صار رجوما حين ولد النّبي - صلى الله عليه وسلم - انتهى وفي هذا نظر.

وقال الحافظ : قد وجدت عن وهب بن منبه ما يرفع الإشكال ويجمع بين مختلف الأخبار.

قال: كان إبليس يصعد إلى السموات كلهن يتقلب فيهن كيف شاء لا يمنع منذ أخرج آدم إلى أن رفع عيسى - عليه الصلاة والسلام - فحجب من أربع سموات، فلما بعث نبينا - صلى الله عليه وسلم - حجب من ثلاث، فصار يسترق السمع هو وجنوده ويُقذفون بالكواكب.

ويؤيده ما روى الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس قال: لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد، فلما بعث محمد- صلى الله عليه وسلم - حرست حرسا شديدا ورجمت الشياطين فأنكروا ذلك.

ومن طريق السدي قال : إن السماء لم تكن تُحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين ظاهر، وكانت الشياطين قد اتخذت مقاعد يستمعون فيها ما يحدث، فلما بعث محمد رجموا.

وقال الإمام زين الدين بن المنير رحمه الله تعالى : ظاهر الخبر أن الشهب كانت يُرمى بها، وليس كذلك لما دل عليه حديث مسلم.

وأما قوله تعالى: (فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (9)) فمعناه أن الشهب كانت يُرمى بها فتُصيب تارة ولا تُصيب أخرى ، وبعد البعثة أصابتهم إصابة مستمرة فوصفوها لذلك بالرصد، فإن الذي يرصد الشئ لا يخطئه، فيكون المتجدد دوام الإصابة لا أصلها.

لطيفة تتعلق بموضوع الجن :

لماذا أوصانا رسولنا - صلى الله عليه وسلم - بأن نأكل 3-5-7 تمرات في الصباح؟ وأن الأفضل أكل 7 تمرات.

مؤخرا كان الاكتشاف التالي.. فمنذ وقت قريب أُكتُشف أن أكل التمر أو البلح يولد هالة زرقاء اللون حول جسم الإنسان، ووجد أن تلك الهالة الطيفية ذات اللون الأزرق تشكل درعا واقيا وحاجزا مانعا لعديد من الأمواج الكهرومغناطيسية اللامرئية ? من الجن والحسد والسحر والعين الحاسدة ?وخلافه.. والجن يصبحون غير قادرين على اختراق هذا الحاجز الذي ولدته الطاقة المنبثقة من العناصر الموجودة في التمر، وخاصة عنصر الفسفور الغني بالالكترونات والتي تزيل الشحنات الموجبة التي يحبها الجن ومظهرها الاثارة والتهيج لدى الانسان.. ومن المعروف أن لمركبات هذا العنصر اشعاعات تألقية فوسفورية تدعم الطيف الأزرق وتمنع اختراق الجن لهذا الحاجز الطيفي في حين أنهم قادرون على اختراق كافة الأطياف والتعامل معه.. .....سبحان الله وبحمده.. سبحان الله العظيم.

المطلب السابع

السيدة خديجة تسأل ميسرة لتستوثق مما سمعت عن نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم –

لعل الواقعة التالية هي إحدى الوقائع التي جعلت السيدة خديجة والتي كانت قد عزفت عن الزواج جعلتها تحرص على الزواج ممن النّبي محمد – صلى الله عليه وسلم -

ففي سيرة ابن هشام [1] : - قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى وكان ابن عمها وكان نصرانيا قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب وما كان يرى منه إذ كان الملكان يظلانه فقال ورقة لئن كان هذا حقا يا خديجة إن محمدا لنبي هذه الأمة وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر هذا زمانه أو كما قال : فَجَعَلَ وَرَقَةُ يَسْتَبْطِئُ الْأَمْرَ وَيَقُولُ حَتّى مَتَى ؟ فَقَالَ وَرَقَةُ فِي ذَلِكَ :

لَجِجْتُ وَكُنْتُ فِي الذِّكْرَى لَجُوجًا. . . لِهَمّ طَالَمَا بَعَثَ النّشِيجَا

وَوَصْفٍ مِنْ خَدِيجَةَ بَعْدَ وَصْفٍ.. . فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِي يَا خَدِيجًا

بِبَطْنِ الْمَكّتَيْنِ عَلَى رَجَائِي.. . حَدِيثُك أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجًا

بِمَا خَبّرْتِنَا مِنْ قَوْلِ قَسّ.. . مِنْ الرّهْبَانِ أَكْرَهُ أَنْ يَعُوجَا

بِأَنّ مُحَمّدًا سَيَسُودُ فِينَا.. . وَيَخْصِمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَجِيجًا

وَيَظْهَرُ فِي الْبِلَادِ ضِيَاءُ نُورٍ . . . يُقِيمُ بِهِ الْبَرّيّةَ أَنْ تَمُوجَا

فَيَلْقَى مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَارًا.. . وَيَلْقَى مَنْ يُسَالِمُهُ فَلُوجَا

فَيَا لَيْتِي إذَا مَا كَانَ ذَاكُمْ.. . شَهِدْت فَكُنْتُ أَوّلَهُمْ وُلُوجًا وُلُوجًا

فِي الّذِي كَرِهَتْ قُرَيْشٌ . . . وَلَوْ عَجّتْ بِمَكّتِهَا عَجِيجًا

أُرَجّي بِالّذِي كَرِهُوا جَمِيعًا.. . إلَى ذِي الْعَرْشِ إنْ سَفَلُوا عُرُوجًا

وَهَلْ أَمْرُ السّفَالَةِ غَيْرُ كُفْرٍ.. . بِمَنْ يَخْتَارُ مَنْ سَمَكَ الْبُرُوجَا

فَإِنْ يَبْقَوْا وَأَبْقَ تَكُنْ أُمُورٌ.. . يَضِجّ الْكَافِرُونَ لَهَا ضَجِيجًا

وَإِنْ أَهْلِكْ فَكُلّ فَتًى سَيَلْقَى.. . مِنْ الْأَقْدَارِ مَتْلَفَةً حَرُوجَ

---

[1] السيرة النبوية لابن هشام (2/ 10).

المبحث الثاني

في أول ما بدء به من الوحي الرؤيا الصالحة

المطلب الأول : الرؤيا الصادقة أول مراحل الوحي.

المطلب الثاني : الرؤيا في اللغة.

المطلب الثالث : الرؤيا في القرآن الكريم

المطلب الرابع : الرؤيا في السنة النبوية المطهرة.

المطلب الخامس : الحكمة من هذه الرؤى قبيل نزول جبريل - عليه السلام – عليه للمرة الأولى.

المطلب السادس : الرؤيا جزء من النبوة

المطلب السابع : اختلاف الآثار الواردة في درجة الرؤيا من النبوة.

المطلب الثامن :. هل المراد بالرؤيا والنبوة في الروايات خصوص رؤياه ونبوته – صلى الله عليه وسلم -.

المطلب التاسع : من رؤى الصحابة.

المطلب العاشر : هل يرى الكافر الرؤيا الصادقة ؟ وهل تكون دائما مبشرة بخير ؟

المطلب الحادي عشر : جزء من النبوة غير الرؤيا.

المطلب الثاني عشر : تفسير الرؤى عبر العصور.

المطلب الأول

الرؤيا الصادقة أول مراحل الوحي

بزواجه - صلى الله عليه وسلم - بدأت مرحلة جديدة فى حياته. هذه المرحلة عاشها بعقله ووجدانه يتأمل ويفكر فيما حوله لقد كان لا يجد إلا قوماً على أصنام عاكفين ، قد بدَّلوا وحرَّفوا شعائر أبيهم إبراهيم - عليه السلام - ، تلك التى كانوا قد توارثوها من قبل نقية بيضاء من لدن أبيهم إبراهيم - عليه السلام - فلم يعجبه هذا الصنيع ولم يروقه هذا المظهر الوضيع ، فكيف لإنسان عاقل أن يعبد صنماً لا يعقل ولا يفكر ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعا وأى عقل يصدق بأدنى تدبر أن هذا الكون العظيم البنيان والبديع الإتقان ليس له موجد.

ولعل كثرة التأمل والتفكر كانت مرحلة من مراحل اتمام الإستعداد النفسي لاستقبال الوحي وتلقي أمر الله - عز وجل - بتحمل أعباء الدعوة إليه وتلت هذه المرحلة الرؤيا الصادقة التي كانت تجئ كفلق الصبح.

ففي سيرة ابن هشام [1] : عن عروة بن الزبير، عن عائشة - رضي الله عنها - أنها حدثته أنَّ أول ما بدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصادقة لا يرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح قالت : وحبب الله - تعالى - إليه الخلوة فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده.

وقبل[2] : أن يشافهه جبريل - عليه السلام - بالرسالة بستة أشهر كان وحيه مناماً ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، وعلى ذلك حَمَل بعض المحدثين قوله - صلى الله عليه وسلم - رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة والله اعلم)

---

[1] السيرة النبوية لابن هشام (2/ 66).

[2] كتاب بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل للإمام الفقيه عماد الدين يحيى بنأبي بكر العامري ج 1 ص 58

المطلب الثاني

الرؤيا في اللغة [1]

[رَأَى] رَ أَ ى : الرُّؤْيَةُ بالعين تتعدى إلى مفعول واحد وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين و رَأَى يرى رَأْيا و رُؤْيةً و رَاءَةً مثل راعة و الرَّأْيُ معروف وجمعه آراءٌ و أَرْءَاءٌ أيضا مقلوب منه.

ورَئِيٌّ من الجن أي مس ويقال رَأَى في الفقه رَأْياً ، وقد تركت العرب الهمز في مستقبله لكثرته في كلامهم وربما احتاجت إلى همزه فهمزته قال الشاعر : ومن يتمل العيش يَرْءَ ويسمع ، وقال آخر : أُرِي عيني ما لم ترأَياهُ كلانا عالم بالترهات وربما جاء ماضيه بغير همز قال الشاعر : صاح هل رأيت أو سمعت براع رد في الضرع ما قرى في الحلاب - ويروى في العلاب وإذا أمرت منه على الأصل قلت إرء وعلى الحذف ره ، وأَرَيْتُه الشيء فرآهُ وأصله أرأَيْتُهُ و ارْتَآهُ ، وهو افتعل من الرأي والتدبير وفلان مُرَاءٍ وقوم مُراءُون والاسم الرِّيَاءُ يقال فعل ذلك رِيَاءً وسمعة و تَرَاءَى الجمعان رأى بعضهم بعضا.

وفلان يَتَراءَى أي ينظر إلى وجهه في المرآة وفي السيف و الرِّئةُ السَّحر مهموزة ويُجمع على رِئِينَ والهاء عوض من الياء تقول منه رَأَيْتُه أي أصبت رئته و التَّرِيَّةُ الشيء الخفي اليسير من الصفرة والكدرة وقوله تعالى { هم أحسن أثاثا ورِئيا } من همزه جعله من المنظر من رأيت وهو ما رأته العين من حالة حسنة وكسوة ظاهرة ومن لم يهمزه فإما أن يكون على تخفيف الهمزة أو يكون من رويت ألوانهم وجلودهم ريا أي امتلأت وحسنت.

---

[1] مختار الصحاح المؤلف : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (1 / 267).

وتقول للمرأة أنت ترين وللجماعة أنتن ترين لا فرق بينهما إلا أن النون التي في الواحدة علامة الرفع والتي في الجمع إنما هي نون الجماعة ، وتقول أنت تريننى وإن شئت أدغمت فقلت أنت تريّني بتشديد النون مثل تضربنّي وسامرَّى المدينة التي بناها المعتصم وفيها لغات سُرَّ من رأى وسَّر من رأى وساء من رأى وسامرَّي والمِرآةُ بكسر الميم التي يُنظر فيها وثلاث مَرَاءٍ ، والكثير مَرَايا و المَرْءاةُ بفتح الميم المنظر الحسن يقال امرأة حسنة المرءاة و المَرْأَى كما يقال حسنة المنظرة والمنظر وفلان حسن في مَرْءاةِ العين أي في المنظر وفي المثل تُخبِر عن مجهوله مرءاته أي ظاهره يدل على باطنه و الرُّواءُ بالضم حسن المنظر ويقال رَاءَى فلان الناس يرائيهم مُرَاءاةً و رَايَأَهُم مُرَايَأَةً على القلب بمعنى و رَأَى في منامه رُؤْيَا على فُعلى بلا تنوين وجمع الرؤيا رُؤًى بالتنوين بوزن رُعًى وفلان مني بمَرْأًى ومسمع أي حيث أراه وأسمع قوله.

المطلب الثالث

لفظ رأى ومشتقاته في القرآن الكريم

جاء اللفظ بمعنى الرؤيا المنامية ومرة بمعنى المشاهدة في اليقظة كالآتي:

ما جاء بمعنى الرؤيا المنامية :

رؤيا العدو في غزوة بدر الكبرى :

قال الله - تعالى - :{ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (43) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (44)} [الأنفال: 43، 44]

كان صلى الله عليه وسلم قد رأى الكفار في نومه قليلاً، فأخبر بذلك أصحابه، فقويت نفوسهم وتجرؤوا على قتالهم، وكانوا قليلاً في المعنى، { ولو أراكَهُمْ كثيراً } في الحس { لفشلْتُمْ } لجبنتم، { ولتنازعتم في الأمر}؛ في أمر القتال، وتفرقت آراؤكم، { ولكنَّ الله سلَّم } أي : أنعم بالسلامة من الفشل والتنازع.

رؤيا سيدنا يوسف - عليه السلام - :

قال الله – تعالى - : {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (5)

قال الماوردي[1] : قوله عز وجل: {إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحَدَ عشر كوكباً والشمس والقمر} فيه قولان:

أحدهما: أنه رأى إخوته وأبويه ساجدين له فثنى ذكرهم ، وعنى بأحد عشر كوكباً إخوته وبالشمس أباه يعقوب ، وبالقمر أمه راحيل رآهم له ساجدين ، فعبر عنه بما ذكره ، قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني: أنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين له فتأول الكواكب إخوته ، والشمس أباه ، والقمر أمه ، وهو قول الأكثرين. وقال ابن جريج: الشمس أمه والقمر أبوه ، لتأنيث الشمس وتذكير القمر.

[1] تفسير الماوردي (3/ 6).

الرؤيا التي رءاها فتيان سجنا مع سيدنا يوسف :

قال الله - تعالى- : {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (36) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37) } وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (38) يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (40) يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (41) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (42) [سورة يوسف]

وسبب قولهما ذلك ما حكاه ابن جرير الطبري[1] : أنهما سألاه عن علمه فقال: إني أعبر الرؤيا ، فسألاه عن رؤياهما وفيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها كانت رؤيا صدق رأياها وسألاه عنها قال مجاهد وابن إسحاق: وكذلك صدق تأويلها.

الثاني: أنها كانت رؤيا كذب سألاه عنها تجربة ، فلما أجابهما قالا: إنما كنا نلعب فقال {قضي الأمر الذي فيه تستفتيان}.

الثالث: أن المصلوب منهما كان كاذباً ، والآخر صادقاً.

---

[1] تفسير الماوردي (3/ 36).

رؤيا ملك مصر التي فسرها له سيدنا يوسف :

قال الله - تعالى - : " وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (43) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (44) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (45) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (46) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (48) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (49)

لما دنا فرج يوسف رأى الملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعاً أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها وقيل كان ابتداء بلاء يوسف في الرؤيا ثم كان سبب نجاته أيضاً الرؤيا [1].

رؤيا سيدنا ابراهيم-عليه السلام - ذبح ابنه :

قال الله - تعالى - : {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107) [سورة الصافات]

---

[1] تفسير النسفي (2/ 113).

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ أي وصل إلى السن التي تمكنه من أن يسعى معه في أعماله ويعينه، قيل: بلغ سبع سنين، وقيل: ثلاث عشرة سنة إِنِّي أَرى أي رأيت، ورؤيا الأنبياء حق، وأفعالهم بأمر الله تعالى. قيل: إنه رأى ليلة التروية أن قائلا يقول له: إن الله يأمرك بذبح ابنك، فلما أصبح روّى أنه من الله أو من الشيطان، فلما أمسى رأى مثل ذلك، فعرف أنه من الله، ثم رأى مثله في الليلة الثالثة، فهمّ بنحره، ولهذا سميت الأيام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر [1].

رؤيا النبي – صلى الله عليه وسلم – فتح مكة :

قال الله - تعالى- :{ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (27)} [الفتح: 27]

رأى في النوم أنهم دخلوا المسجد الحرام، فجاءت تلك الرؤيا كفلق الصبح، فدخلوا المسجد الحرام في عمرة القضاء عام سبع يقظة، لا مناماً، تصديقاً لتلك الرؤيا[2].

لفظ الرؤية بمعنى المشاهدة في اليقظة :

في سورة الأعراف : " وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (145) [الأعراف].

وكذلك في سورة الأنفال :

وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (48) [الأنفال : 48]

---

[1] التفسير المنير للزحيلي (23/ 118).
[2] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (3/ 5)

الرؤيا التي رآها النبي - صلى الله عليه وسلم - في الإسراء والمعراج :

وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (60) [الإسراء]

وفي سورة طه : قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46 [طه]

وفيها أيضا : وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (56) [طه]

وفي سورة الأنبياء:خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (37) [الأنبياء]

وفي سورة النمل : وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) [النمل]

وفي سورة غافر: يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (29)[غافر].

وفي سورة محمد : أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (29) وَلَوْ نَشَاء لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (30) [محمد].

المطلب الرابع

الرؤيا في السنة المطهرة

كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول لأصحابه - رضوان الله عليهم - كما ورد عن ابن عباس [1]: « من رأى منكم رؤيا فليقصها علي، فَأَعْبُرَهَا له » وكان - صلى الله عليه وسلم- يشرح لهم أنواع الرؤى ، ويوضح لهم أنها دليل المؤمن يراها أو تُرى له ، ويشرح لهم درجات الرؤى من مقام النبوة ، ونبه على مكانة الرؤية بالنسبة للمؤمن أخر الزمان ، كل ذلك وغيره وردت به روايات كثيرة نذكر منها الأتي :

تحديد أنواع الرؤى :

حدد النبي – صلى الله عليه وسلم- أنواع الرؤى لصحابته بأنها ثلاثة وممن أورد هذه الرواية الإمام أحمد في مسنده [2]: عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا ورؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة قال وقال : الرؤيا ثلاثة فالرؤيا الصالحة بشرى من الله - عز وجل - والرؤيا تحزينا من الشيطان والرؤيا من الشيء يحدث به الإنسان نفسه فإذا رأى أحدكم ما يكره فلا يحدثه أحدا وليقم فليصل. قال : وأحب القيد في النوم وأكره الغل القيد ثبات في الدين[3].

إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا :

في صحيح البخاري [4]:- عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ « إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللَّهِ، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَيْهَا، وَلْيُحَدِّثْ بِهَا، وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلاَ يَذْكُرْهَا لأَحَدٍ، فَإِنَّهَا لاَ تَضُرُّهُ ».

---

[1] صحيح مسلم (7/ 56).
[2] مسند أحمد (16/ 347).
[3] تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين
[4] صحيح البخاري (9/ 30).

الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ وَالرُّؤْيَا السَّوْءُ مِنَ الشَّيْطَانِ :

في صحيح مسلم [1] : عَنْ أَبِى سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِى قَتَادَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قَالَ : « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ وَالرُّؤْيَا السَّوْءُ مِنَ الشَّيْطَانِ فَمَنْ رَأَى رُؤْيَا فَكَرِهَ مِنْهَا شَيْئًا فَلْيَنْفِثْ عَنْ يَسَارِهِ وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ لاَ تَضُرُّهُ وَلاَ يُخْبِرْ بِهَا أَحَدًا فَإِنْ رَأَى رُؤْيَا حَسَنَةً فَلْيُبْشِرْ وَلاَ يُخْبِرْ إِلاَّ مَنْ يُحِبُّ ».

إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ :

في مسند الحميدي [2] : عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- :« إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَلاَ يُخْبِرْ بِهَا أَحَدًا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ ».

إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ :

في صحيح مسلم [3]:- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم- قَالَ « إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرُّؤْيَا ثَلاَثَةٌ فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ وَلاَ يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ ». قَالَ « وَأُحِبُّ الْقَيْدَ وَأَكْرَهُ الْغُلَّ[4] وَالْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِى الدِّينِ ». فَلاَ أَدْرِى هُوَ فِى الْحَدِيثِ أَمْ قَالَهُ ابْنُ سِيرِينَ.

---

[1] صحيح مسلم (7/ 51).
[2] مسند الحميدي (2/ 283).
[3] صحيح مسلم (7/ 52).
[4] الغل : القيد فى العنق وهو يفسر فى الرؤيا بتحمل دين أو مظالم

إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ تَكْذِبُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ :

في صحيح البخاري [1]:حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَبَّاحٍ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ سَمِعْتُ عَوْفًا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ تَكْذِبُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ. » قَالَ مُحَمَّدٌ : وَأَنَا أَقُولُ هَذِهِ. قَالَ : وَكَانَ يُقَالُ : الرُّؤْيَا ثَلاَثٌ حَدِيثُ النَّفْسِ، وَتَخْوِيفُ الشَّيْطَانِ، وَبُشْرَى مِنَ اللَّهِ، فَمَنْ رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلاَ يَقُصُّهُ عَلَى أَحَدٍ، وَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ قَالَ : وَكَانَ يُكْرَهُ الْغُلُّ [2]فِى النَّوْمِ، وَكَانَ يُعْجِبُهُمُ الْقَيْدُ، وَيُقَالُ الْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِى الدِّينِ.

وَرَوَى قَتَادَةُ وَيُونُسُ وَهِشَامٌ وَأَبُو هِلاَلٍ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - وَأَدْرَجَهُ بَعْضُهُمْ كُلَّهُ فِى الْحَدِيثِ، وَحَدِيثُ عَوْفٍ أَبْيَنُ. وَقَالَ يُونُسُ لاَ أَحْسِبُهُ إِلاَّ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فِى الْقَيْدِ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لاَ تَكُونُ الأَغْلاَلُ إِلاَّ فِي الأَعْنَاقِ.

اختلاف الروايات في أن الرؤيا كم جزء من النبوة :

رويت عدة روايات ظاهرها الإختلاف في كون الرؤيا كم جزء من النبوة منها من ذكر أنها سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ ، ومنها أَرْبَعِينَ جُزْءًا ، ومنها أنها مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ ومن هذه الروايات :

جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ :

في صحيح البخاري [3] :- عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ ». رَوَاهُ ثَابِتٌ وَحُمَيْدٌ وَإِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَشُعَيْبٌ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم -.

---

[1] صحيح البخاري (9/ 38).
[2] الغل : القيد في العنق وهو يفسر في الرؤيا بتحمل دين أو مظالم
[3] صحيح البخاري (9/ 30).

جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ :

في مسند أحمد [1] :- عَنْ وَكِيعِ بْنِ حُدُسٍ عَنْ أَبِى رَزِينٍ عَمِّهِ أَنَّ نَبِىَّ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- قَالَ « رُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ وَهِىَ - يَعْنِى - عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ مَا لَمْ يُحَدِّثْ بِهَا فَإِذَا حَدَّثَ بِهَا وَقَعَتْ ».

رُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ :

صحيح مسلم [2] : عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم- قَالَ « إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرُّؤْيَا ثَلاَثَةٌ فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ وَلاَ يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ ». قَالَ « وَأُحِبُّ الْقَيْدَ وَأَكْرَهُ الْغُلَّ وَالْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِى الدِّينِ». فَلاَ أَدْرِى هُوَ فِى الْحَدِيثِ أَمْ قَالَهُ ابْنُ سِيرِينَ.

المطلب الخامس

ما قيل في اختلاف الآثار الواردة في درجة الرؤيا من النبوة

اختلفت الروايات في درجة الرؤيا من النبوة ، ففى رواية أنها جزء من أربعين جزءاً من النبوة ورواية أنها جزء من ستة وأربعين ، ورواية أنها جزء من أربعة وأربعين

ورواية أنها جزء من خمسة وعشرين جزءاً ، ورواية أنها جزء من ستة وعشرين ، وأخرى أنها جزء من سبعين جزءاً

---

[1] مسند أحمد (26/ 120).

[2] صحيح مسلم - م - (7 / 52) برقم 6042

ففي صحيح البخاري [1]: عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ »

وفي صحيح مسلم [2] : عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ

وفيه [3] : عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ : « إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرُّؤْيَا ثَلاَثَةٌ فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ وَلاَ يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ ».

قَالَ « وَأُحِبُّ الْقَيْدَ وَأَكْرَهُ الْغُلَّ وَالْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِى الدِّينِ ». فَلاَ أَدْرِى هُوَ فِى الْحَدِيثِ أَمْ قَالَهُ ابْنُ سِيرِينَ.

وفي مسند أحمد[4] : عَنْ وَكِيعِ بْنِ عُدُسٍ عَنْ عَمِّهِ أَبِى رَزِينٍ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم- قَالَ « الرُّؤْيَا مُعَلَّقَةٌ بِرِجْلِ طَائِرٍ مَا لَمْ يُحَدِّثْ بِهَا صَاحِبُهَا فَإِذَا حَدَّثَ بِهَا وَقَعَتْ وَلاَ تُحَدِّثُوا بِهَا إِلاَّ عَالِماً أَوْ نَاصِحاً أَوْ لَبِيباً وَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ ».

وفيه [5]: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : { لَهُمْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } قَالَ : " الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يُبَشَّرُهَا الْمُؤْمِنُ هِيَ جُزْءٌ مِنْ تِسْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ فَمَنْ رَأَى ذَلِكَ فَلْيُخْبِرْ بِهَا وَمَنْ رَأَى سِوَى ذَلِكَ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ الشَّيْطَانِ لِيُحْزِنَهُ فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا وَلْيَسْكُتْ وَلَا يُخْبِرْ بِهَا أَحَدًا ".

---

[1] صحيح البخاري (9/ 30).
[2] صحيح مسلم (7/ 53).
[3] صحيح مسلم (7/ 52).
[4] مسند أحمد (26/ 103).
[5] مسند أحمد - (14 / 285)

وفيه [1]: - عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيَّ. قَالَ : فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ قَالَ : قَالَ : وَلَكِنْ الْمُبَشِّرَاتُ. قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ ؟ قَالَ : "رُؤْيَا الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ ".

وفي مسند أبي يعلى [2] : عن أبي سعيد الخدري : أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " الرؤيا الصالحة جزء من خمسة وأربعين جزءا من النبوة ".

وفيه [3]: عن الأعرج عن سليمان بن عريب قال :

سمعت أبا هريرة يقول لابن عباس : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " رؤيا المسلم جزء من أربعين جزءا من النبوة "

قال ابن عباس : من ستين فقال أبو هريرة : تسمعني أقول : قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - وتقول من ستين ؟

وفيه [4] : وعن أبي سعيد الخدري : أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : الرؤيا الصالحة جزء من خمسة وأربعين جزءا من النبوة.

وفي مسند البزار[5] : - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - : رُؤْيَا الرِّجَالِ أَحْسَبُهُ قَالَ : الْمُؤْمِنُ، بُشْرَى مِنَ اللهِ، جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ قَالَ : فَحَدَّثْتُ بِهِ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ : قَالَ أَبِي الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَا حَدَّثَ بِهِ أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ : جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - : جُزْءٌ مِنْ خَمْسِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ.

---

[1] مسند أحمد (11/ 621).
[2] مسند أبي يعلى المؤلف : أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي (2 / 513).
[3] مسند أبي يعلى - (12 / 63).
[4] [مسند أبي يعلى] (2 / 513) برقم 1362
[5] مسند البزار (1 / 226) برقم 1298

وفي جامع الأحاديث [1]:- - الرؤيا الصالحة جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة (ابن النجار عن ابن عمر)

قال الدكتور / محمد عبد الله دراز [2] عن تأويل الرؤيا الصالحة بأنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة : قال بعض المحققين فى تأويل قوله - صلى الله عليه وسلم - الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة (أنَّ رؤيا النبى - صلى الله عليه وسلم - جزء من أجزاء نبوته بهذا لامعنى ، وكأنهم أَبَو حَمْل الحديث على ظاهره لوجهين :

الأول : أنّ النّبوة معنى لا يقبل التجزئة إلى هذا العدد أو غيره

الثاني : أنّ الرؤيا الصالحة قد تقع لغير الصالحين ولغير المؤمنين وهذه ليست من النبوة فى قليل ولا كثير ، وقد استبعد ابن خلدون هذا التأويل لأنه يقلب معنى الحديث فيجعله بياناً للنسبة بين زمن الرؤيا وزمن النبوة مع أنه ظاهر فى كونه بياناً للنسبة بين حقيقة الرؤيا وحقيقة النبوة لا بين زمنيهما.

قال : وإنما معنى الحديث بيان الفرق بين الاستعداد البشرى العام لمطالعة الحقائق الغيبية فى لمحة تتجرد فيها النفس الناطقة عن المواد الجثمانية بالنوم ، وبين الاستعداد النبوى الخاص لمطالعة تلك الحقائق بالانسلاخ عن حال البشرية إلى حال المَلَكية عند الوحى فى النوم أو اليقظة ، وأنَّ نسبة هذا الاستعداد القريب كنسبة جزء واحد إلى ستة وأربعين ، وقال : وليس المراد التحديد بل التكثير لأنه ورد فى بعض الروايات بأعداد أخرى منها لفظ سبعين ، وقد عُهِد عند العرب استعمال لفظ سبعين فى التكثير هذا هو محصول كلامه

---

[1] جامع الأحاديث المؤلف : جلال الدين السيوطي (13 / 151) وكذا في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال - (15 / 366).

[2] انظر كتاب : المختار من كنوز السنة – شرح أربعين حديثا في أصول الدين – تأليف د / محمد عبد الله دراز ص 10

وقال : د / دراز : أقول : نعم رُوىّ بلفظ (خمسة وعشرين) رواه فى الجامع الصغير عن ابن النجار وبجانبه علامة الضعف ، أما رواية السبعين فأخرجها فى الجامع الصغير عن أحمد وأبن ماجه وبجانبهما علامة الصحة ، إلا أنها لا تبلغ مبلغ رواية الستة والأربعين التى رواها الشيخان وغيرهما حتى عدَّها بعضهم متواترة ، فإرادة التكثير وإن كان لها وجه من القبول بحسب إحدى الروايتين الصحيحتين إلا أنها بعيدة عن لفظ الرواية الأخرى التى هى أصح لأن عدد الستة والأربعين لم يُعْهَد فى لسان العرب للتكثير فَحْملُه إذًا على حقيقته أولى ، ولكن لا على الوجه الذى ذكره بعضهم من اختصاص هذا التقدير برؤيا النبى - صلى الله عليه وسلم - ولا على ما ذكره ابن خلدون من عمومه لسائر الخلق ، بل على وجه بين ذلك وهو انه خاص برؤيا الصالحين من المؤمنين التى عبَّر عنها فى الحديث الآخر بأنها من المبشرات ثم الكلام جاء على ضربٍ من التمثيل ، والمعنى أن من أُوتى من المؤمنين حظه من صدق الرؤيا كان كأنما أُوتى حظاً من النبوة كالحظ الذى أوُتيه النبى - صلى الله عليه وسلم - فى جزء من ستة وأربعين جزء من زمان نبوته لم يكن له فى ذلك الجزء نوع غيره من أنواع النبوة

فالمقصود تبشير الصالحين وتطبيب قلوبهم لا بيان أن كل من صدقت رؤياه ولو فاسقاً أو كافراً كان كذلك والله أعلم) انتهى.

هذا وقد اتفقت الروايات على أن الرؤيا بدأت قبل لقاء جبريل- عليه السلام – للمرة الأولى بستة أشهر.

المطلب السادس

الرؤيا وجزء النبوة الذي ذكره النّبي – صلى الله عليه وسلم -

قال الطحاوي [1] : -

لنتأمل قوله - صلى الله عليه وسلم - في هذه الآثار : إن الرؤيا جزء من الأجزاء التي أخبر فيها أنها جزء فيها من النبوة، لنقف على المراد به إن شاء الله - عز وجل - وكان معقولا أن الأجزاء المذكورة في هذه الآثار أنها النبوة إنما يراد بها أنها التي كان يراها دون النبوة، لا أنها كانت النبوة نفسها ؛ لأنّ الذين كانوا يرونها قد كانوا أنبياء قبل ذلك، وإنما كانوا يرونها في خلال نبوتهم، والدليل على أنّ ذلك كذلك ما أخبر به النبي عليه السلام في رؤيا من سواهم من الناس أنها جزء من تلك الأجزاء، فلم يكن ذلك على أنّ من سوى الأنبياء من الناس معهم بما يرونه في منامهم ما يستحقون به جزءا من أجزاء النبوة يكونون بذلك الجزء يستحقون لحصته من النبوة، ولكن معنى ذلك المعنى الذي ذكرناه فيه، والله أعلم، وهو كلام عربي يعقله المخاطبون ممن خاطبهم به، ومما يدل على ما ذكرنا أيضا : أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان خاتم النبيين - صلوات الله عليهم أجمعين - وإذا كان هو خاتمهم استحال أن يكون قد بقي بعده من النبوة شيء، ومما يدل على ما ذكرنا أيضا مما أخبر أنه باق بعده من النبوة مما قد عقله عنه أصحابه الذين خاطبهم به.

---

[1] شرح مشكل الآثار (14/ 461).

المطلب السابع

هل المراد بالرؤيا والنبوة في الروايات خصوص رؤياه ونبوته - صلى الله عليه وسلم - ؟.

هل المراد بالرؤيا في الأحاديث الواردة خصوص رؤيته - صلى الله عليه وسلم - وخصوص نبوته أم المراد عموم رؤيا المؤمن ؟ ذكر الحلبي في سيرته جملة آراء كتاب السير في ذلك فقال [1]: قول : وحينئذ يكون في القول بأن من خصوصياته - صلى الله عليه وسلم - اجتماع أنواع الوحي الثلاثة له وعُد منها الرؤيا في المنام وعُد منها الكلام من غير واسطة وبواسطة جبريل " نظر لما علمت أنّ الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام جميعهم - مشتركون في الرؤيا وموسى - عليه الصلاة والسلام - حصل له كل من الكلام بلا واسطة وبواسطة جبريل ، وذكر بعضهم أن مدة الرؤيا ستة أشهر فيكون ابتداء الرؤيا حصل في شهر ربيع الأول وهو مولده - صلى الله عليه وسلم - ثم أوحى الله إليه في اليقظة أي في رمضان ذكره البيهقي وغيره.

وجاء في الحديث الرؤيا الصادقة وفي البخاري الرؤيا الحسنة أي الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة. قال بعضهم : معناه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - حين بعث أقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين يوحى إليه ومدة الوحي إليه في اليقظة ثلاث وعشرون سنة ومدة الوحي إليه في المنام أي التي هي الرؤيا ستة أشهر ؛ فالمراد خصوص رؤيته وخصوص نبوته - صلى الله عليه وسلم - ، وهذا القيل نقله في الهدى وأقره حيث قال : كانت الرؤيا ستة أشهر ومدة النبوة ثلاثا وعشرين سنة فهذه الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا هذا كلامه ، وحينئذ يكون المعنى : ورؤيتي جزء من ستة وأربعين جزءا من نبوتي، ولا يخفى أن هذا لا يناسب الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح إذ هو

---

[1] السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (1/ 335).

يقتضى أن مطلق الرؤيا الصالحة جزء من مطلق النبوة الشامل لنبوته - صلى الله عليه وسلم - ونبوة غيره فليتأمل ولم أقف في كلام أحد على مشاركة أحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام له - صلى الله عليه وسلم - في هاتين المدتين وحينئذ تحمل الخصوصية التي ادعاها بعضهم على هذا.

ومما يدل على أن المراد مطلق الرؤيا ومطلق النبوة لا خصوص رؤياه ونبوته -صلى الله عليه وسلم - ما جاء في ذلك من الألفاظ التي بلغت خمسة عشر لفظا.

ففي رواية أنها جزء من سبعين جزءا ، وفي رواية من أربعة وأربعين ، وفي رواية أنها جزء من خمسين جزءا من النبوة ، وفي رواية من تسعة وأربعين ، وفي أخرى أنها جزء من ستة وسبعين ، وفي أخرى من خمسة وعشرين جزءا ، وفي أخرى من ستة وعشرين جزءا ، وفي أخرى من أربعة وعشرين جزءا فإن ذلك بإعتبار الأشخاص لتفاوت مراتبهم في الرؤيا.

وذكر الحافظ أبن حجر أن أصح الروايات مطلقا رواية ستة وأربعين ويليها رواية أنها جزء من سبعين جزءا فعلم أن الرؤية المذكورة جزء من مطلق النبوة أي كجزء منها من جهة الإطلاع على بعض الغيب فلا ينافى انقطاع النبوة بموته - صلى الله عليه وسلم - ومن ثم جاء ذهبت النبوة أي لا توجد بعدي وبقيت المبشرات أي المرائى التي كانت مبشرات الأنبياء بالنبوة بدليل ما في رواية لم يبق بعدي من المبشرات أي مبشرات النبوة إلا الرؤيا أي مجرد الرؤيا الخالية عن شي من مبشرات النبوة بدليل ما في لفظ لم يبق إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أي لنفسه أو ترى له.

المطلب الثامن

ما ذُكِرَ أنه جزء من النبوة غير الرؤيا

ذكر النّبي - صلى الله عليه وسلم - صفات أخرى غير الرؤيا الصالحة أنها جزء من النبوة مثل التؤدة والاقتصاد والتثبت والصمت وفي رواية الهدي والسمت الصالح والاقتصاد

ففي مسند الشهاب [1] : عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن كريب عن بن عباس قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " التؤدة والاقتصاد والتثبت والصمت جزء من ستة وعشرين جزءا من النبوة ".

وفي مشكل الآثار للطحاوي [2] : - عن عبد الله بن عباس، عن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن الهدي والسمت الصالح[3] والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة ». قال أبو جعفر : فكان ذلك الهدي المذكور في هذا الحديث من الأعمال الصالحة بالمكان الذي هو به من أجزاء النبوة، والهدي المراد في هذا الحديث هو التقرب إلى الله عز وجل بالأعمال الصالحة، وكان ذلك موجودا في عمار - رضي الله عنه -، فأمر النّبي - صلى الله عليه وسلم - الناس أن يهتدوا به في ذلك، وأن يجعلوه إماما لهم فيه لا على إخراج منه - صلى الله عليه وسلم - سواه من أصحابه - رضوان الله عليهم - أن يكونوا في ذلك كهو

---

[1] مسند الشهاب المؤلف : محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي المصري (المتوفى: 454هـ) (1 / 202)

[2] شرح مشكل الآثار (3/ 262).

[3] الهدي : السيرة والهيئة والطريقة

المطلب التاسع

الحكمة من هذه الرؤى قبيل نزول جبريل - عليه السلام – عليه للمرة الأولى :

قال الحلبي في السيرة [1]: عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أول ما بدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من النبوة حين أراد الله تعالى كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصالحة لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق أي وفي لفظ كفرق الصبح أي كضيائه وإثارته فلا يشك فيها أحد كما لا يشك أحد في وضوح ضياء الصبح ونوره وفي لفظ فكان لا يرى شيئا في المنام إلا كان أي وجد في اليقظة كما رأى فالمراد بالصالحة الصادقة وقد جاءت في رواية البخاري في التفسير أي ولا يخفى أن رؤيا النبي - صلى الله عليه وسلم - كلها صادقة وإن كانت شاقة كما في رؤياه يوم أحد.

قال القاضي وغيره وإنما ابتدئ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالرؤيا لئلا يفجأه الملك الذي هو جبريل - عليه الصلاة والسلام - بالنبوة أي الرسالة فلا تتحملها القوى البشرية أي لأن القوى البشرية لا تتحمل رؤية الملك وإن لم يكن على صورته التي خلقه الله عليها ولا على سماع صوته ولا على ما يخبر به لا سيما الرسالة فكانت الرؤيا تأنيسا له - صلى الله عليه وسلم - والمراد بالملك جبريل لكن ذكر بعضهم أن من لطف الله تعالى بنا عدم رؤيتنا للملائكة أي على الصورة التي خلقوا عليها لأنهم خلقوا على أحسن صورة فلو كنا نراهم لطارت أعيننا وأرواحنا لحسن صورهم.

وعن علقمة بن قيس أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام أي ما يكون في المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحي اه أي في اليقظة لأن رؤيا الأنبياء وحي وصدق وحق لا أضغاث أحلام ولا تخيل من الشيطان إذ لا سبيل له عليهم لأن قلوبهم نورانية فما يرونه في المنام له حكم اليقظة فجميع ما ينطبع في عالم مثالهم لا يكون إلا حقا ومن ثم جاء نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا

---

[1] السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون علي بن برهان الدين الحلبي سنة الولادة 975/ سنة الوفاة 1044 (1 / 377) تحقيق الناشر دار المعرفة سنة النشر 1400 مكان النشر بيروت عدد الأجزاء 3

فالرؤيا الصالحة كانت تمهيداً للوحى وتقدمة للنبوة ، تجعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى تهيئة نفسية لما ينتظره من الكرامة ، وهذه الرؤيا من الصدق والوضوح بحيث تتحقق فى اليقظة كما رآها النوم أو بحيث تعبر وتكون أعلام خير وبشائر هدى وقد بدأت هذه المرحلة قبيل لقاء غار حراء بستة أشهر واستمرت بقية عمره ، ولا نعرف نماذج من الرؤى التى وقعت قبل النبوة ، ولكن جاء القرآن وجاءت السنة الصحيحة بنماذج من الرؤى التى وقعت بعد النبوة.. ... [1])

أشهر الرؤى في حياة النبي – صلى الله عليه وسلم - :

الرؤية أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحي في اليقظة لأن رؤيا الأنبياء وحي وصدق وحق لا أضغاث أحلام ولا تخيل من الشيطان إذ لا سبيل له عليهم لأن قلوبهم نورانية فما يرونه في المنام له حكم اليقظة فجميع ما ينطبع في عالم مثالهم لا يكون إلا حقا.

وقد اتفق كتاب المغازي والسير على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بدا رؤياه التي كانت تظهر كفلق الصبح قبيل مبعثه - صلى الله عليه وسلم - كانت الرؤيا ستة أشهر ، ولكن لم يذكروا بالتحديد هذه الرؤى التي بدأ بها ، إلا ما روي عند البيهقي والأصبهاني وذكرهما السيوطي والصالحي عن بعض ما رأه - صلى الله عليه وسلم - قبيل مبثعه فقيل :

رأى وهو بمكة أن آت أتاه ومعه صاحبان له فنظروا إليه فقالوا: هو هو ولم يأن له بعد. فهاله ذلك وذكره لعمه فقال : يا بن أخي ليس بشيء، حلمت. ثم رجع إليه بعد ذلك فقال: يا عم سطا بي الرجل الذي ذكرت لك فأدخل يده في جوفي حتى أجد بردها. فخرج به عمه إلى رجل من أهل الكتاب يتطيب بمكة فحدثه حديثه وقال عالجه فصوب به وصعد وكشف عن قدميه ونظر بين كتفيه وقال: يا عبد مناف ابنك هذا طيب طيب، للخير فيه علامات، إن ظفرت به يهود قتلته، وليس الرئي من الشيطان ولكنه من النواميس الذين يتحسسون القلوب للنبوة. فرجع به.

---

[1] انظر كتاب فلسفة السيرة الرسول والوحي د / محمد سيد أحمد المسير ط دار ابن كثير – دمشق – بيروت – ص 268

ثم رأى في منامه أن سقف بيته نزعت منه خشبة وأدخل فيه سلم من فضة ثم نزل إليه رجلان، فأراد أن يستغيث فمنع الكلام فقعد أحدهما إليه والآخر إلى جنبه، فأدخل أحدهما يده في جنبه فنزع ضلعين منه، فأدخل يده في جوفه ورسول الله -صلى الله عليه وسلم - يجد بردها فأخرج قلبه فوضعه على كفه فقال لصاحبه: نعم القلب قلب رجل صالح. فطهر قلبه وغسله ثم أدخل القلب مكانه ورد الضلعين، ثم ارتفعا ورفعا سلمهما فإذا السقف كما هو، فذكر لخديجة بنت خويلد فقالت له: أبشر فإن الله لا يصنع بك إلا خيرا هذا خير فأبشر.

وفي حديث عبيد بن عمير أنه - صلى الله عليه وسلم - رأى في منامه أيضاً جبريل ومعه نمط من ديباج فيه كتاب فقال له اقرأ. فقال له: ما أقرأ. فغته به حتى ظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه الموت، ثم أرسله فقال: اقرأ. قال: ما أقرأ. فغته به حتى ظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه الموت، ثم أرسله فقال له اقرأ.

قال : ماذا أقرأ- ما قال ذلك إلا افتداء منه أن يعود إليه بمثل ما صنع- قال : اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ [العلق: 1] فقرأها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم انتهى فانصرف جبريل وهب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من نومه، قال: فكأنما كتب في قلبي كتابا، فذكر ذلك الخديجة فقالت : أبشر فإن الله لا يصنع بك إلا خيرا[1].

هذا وأحداث السيرة العطرة حملت بين جنباتها رؤى كثيرة ومشهورة لا يسع المقام هنا لتفصيلها لذا نتناول أشهرها قدر المستطاع :

[1] سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (2/ 232).

رؤيا النبي - صلى الله عليه وسلم - لمكان الهجرة :

في صحيح البخاري[1] : قَالَتْ عَائِشَةُ قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ فِيهِ عَنْ أَبِي مُوسَى وَأَسْمَاءَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

رؤيا النّبيّ - صلى الله عليه وسلم – أَنَّه هَزَز سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ :

في صحيح البخاري[2] : عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِى بُرْدَةَ عَنْ جَدِّهِ أَبِى بُرْدَةَ عَنْ أَبِى مُوسَى أُرَاهُ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « رَأَيْتُ فِي رُؤْيَا أَنِّى هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَى، فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ، وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ ».

رؤيا صحابية لمصاب أهل سرية الرجيع :

في مسند الإمام أحمد[3] : عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تُعْجِبُهُ الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ، فَرُبَّمَا قَالَ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟» فَإِذَا رَأَى الرَّجُلُ رُؤْيَا سَأَلَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، كَانَ أَعْجَبَ لِرُؤْيَاهُ إِلَيْهِ.

قَالَ: فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْتُ كَأَنِّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَسَمِعْتُ بِهَا وَجْبَةً، ارْتَجَّتْ لَهَا الْجَنَّةُ، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا قَدْ جِيءَ بِفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، وَفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، حَتَّى عَدَّتْ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا وَقَدْ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَرِيَّةً قَبْلَ ذَلِكَ، قَالَتْ: فَجِيءَ بِهِمْ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ طُلْسٌ، تَشْخُبُ أَوْدَاجُهُمْ قَالَتْ: فَقِيلَ: اذْهَبُوا بِهِمْ إِلَى نَهْرِ الْبَيْذَخِ، - أَوْ قَالَ: إِلَى نَهَرِ الْبَيْدَحِ - .

---

[1] صحيح البخاري باب هجرة الحبشة.
[2] صحيح البخاري (9/ 42).
[3] مسند أحمد : مسند أنس بن مالك.

قَالَ: فَغُمِسُوا فِيهِ، فَخَرَجُوا مِنْهُ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ. قَالَتْ: ثُمَّ أَتَوْا بِكَرَاسِيَّ مِنْ ذَهَبٍ فَقَعَدُوا عَلَيْهَا، وَأُتِيَ بِصَحْفَةٍ - أَوْ كَلِمَةٍ نَحْوِهَا - فِيهَا بُسْرَةٌ، فَأَكَلُوا مِنْهَا، فَمَا يُقَلِّبُونَهَا لِشِقٍّ، إِلَّا أَكَلُوا مِنْ فَاكِهَةٍ مَا أَرَادُوا، وَأَكَلْتُ مَعَهُمْ.

قَالَ: فَجَاءَ الْبَشِيرُ مِنْ تِلْكَ السَّرِيَّةِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ مِنْ أَمْرِنَا كَذَا وَكَذَا، وَأُصِيبَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، حَتَّى عَدَّ الِاثْنَيْ عَشَرَ الَّذِينَ عَدَّتْهُمُ الْمَرْأَةُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «عَلَيَّ بِالْمَرْأَةِ» فَجَاءَتْ، قَالَ: «قُصِّي عَلَى هَذَا رُؤْيَاكِ» فَقَصَّتْ، قَالَ: هُوَ كَمَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ".

رُؤْيَا النَّبي رجلين أَخْرَجَاه إِلَى الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ :

في صحيح البخاري [1]: - عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - إِذَا صَلَّى صَلاَةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ « مَنْ رَأَى مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا ». قَالَ فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَسَأَلَنَا يَوْمًا، فَقَالَ « هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا ». قُلْنَا لاَ. قَالَ « لَكِنِّى رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ - قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَى إِنَّهُ - يُدْخِلُ ذَلِكَ الْكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ، حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ. قُلْتُ مَا هَذَا قَالاَ انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ أَوْ صَخْرَةٍ، فَيَشْدَخُ [2]بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ [3]الْحَجَرُ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ، وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ، قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالاَ انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ، أَعْلاَهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ، يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ. فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالاَ انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ، فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى

---

[1] صحيح البخاري (1/ 169).

[2] يشدخ : يكسر الشدق : جانب الفم

[3] تدهده : تدحرج

وَسَطِ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ. فَقُلْتُ مَا هَذَا قَالاَ انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِى أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِبْيَانٌ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا، فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ، وَأَدْخَلاَنِي دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ، وَنِسَاءٌ وَصِبْيَانٌ، ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ فَأَدْخَلاَنِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ، فِيهَا شُيُوخٌ وَشَبَابٌ. قُلْتُ طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ. قَالاَ نَعَمْ، أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالْكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقْبِ فَهُمُ الزُّنَاةُ. وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُو الرِّبَا. وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - وَالصِّبْيَانُ حَوْلَهُ فَأَوْلاَدُ النَّاسِ، وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ. وَالدَّارُ الأُولَى الَّتِي دَخَلْتَ دَارُ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا فَوْقِى مِثْلُ السَّحَابِ. قَالاَ ذَاكَ مَنْزِلُكَ. قُلْتُ دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي.قَالاَ إِنَّهُ بَقِىَ لَكَ عُمْرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ، فَلَوِ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ»

رُؤْيَا النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فِي أَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ :

في صحيح البخاري [1] :حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا مُوسَى عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ رُؤْيَا النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فِي أَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ قَالَ « رَأَيْتُ النَّاسَ اجْتَمَعُوا فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِى نَزْعِهِ ضَعْفٌ وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ قَامَ ابْنُ الْخَطَّابِ، فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا فَمَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ يَفْرِى فَرْيَهُ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ[2] ».

---

[1] صحيح البخاري (4/ 206).

[2] العطن : الضرب بعطن إذا رويت الإبل ثم بركت حول الماء والمراد اتساع الأمصار

رؤيا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لحضور أجله :

في مسند أحمد [1] : - عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِى طَلْحَةَ الْيَعْمُرِيِّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ ذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- وَذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ ثُمَّ قَالَ : رَأَيْتُ رُؤْيَا لاَ أُرَاهَا إِلاَّ لِحُضُورِ أَجَلِى رَأَيْتُ كَأَنَّ دِيكاً نَقَرَنِي نَقْرَتَيْنِ. قَالَ : وَذَكَرَ لِي أَنَّهُ دِيكٌ أَحْمَرُ فَقَصَصْتُهَا عَلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ امْرَأَةِ أَبِى بَكْرٍ فَقَالَتْ : يَقْتُلُكَ رَجُلٌ مِنَ الْعَجَمِ. قَالَ : وَإِنَّ النَّاسَ يَأْمُرُونَنِي أَنْ أَسْتَخْلِفَ وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِيُضَيِّعَ دِينَهُ وَخِلاَفَتَهُ الَّتِي بَعَثَ بِهَا نَبِيَّهُ - صلى الله عليه وسلم- وَإِنْ يَعْجَلْ بِي أَمْرٌ فَإِنَّ الشُّورَى فِي هَؤُلاَءِ السِّتَّةِ الَّذِينَ مَاتَ نَبِيُّ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ فَمَنْ بَايَعْتُمْ مِنْهُمْ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا وَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ أُنَاساً سَيَطْعَنُونَ فِي هَذَا الأَمْرِ أَنَا قَاتَلْتُهُمْ بِيَدِي هَذِهِ عَلَى الإِسْلاَمِ أُولَئِكَ أَعْدَاءُ اللَّهِ الْكُفَّارُ الضُّلاَّلُ وَأَيْمُ اللَّهِ مَا أَتْرُكُ فِيمَا عَهِدَ إِلَىَّ رَبِّى فَاسْتَخْلَفَنِي شَيْئاً أَهَمَّ إِلَىَّ مِنَ الْكَلاَلَةِ[2] وَأَيْمُ اللَّهِ مَا أَغْلَظَ لِي نَبِيُّ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- فِي شَىْءٍ مُنْذُ صَحِبْتُهُ أَشَدَّ مَا أَغْلَظَ لِي فِي شَأْنِ الْكَلاَلَةِ حَتَّى طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ : « تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ ». وَإِنِّي إِنْ أَعِشْ فَسَأَقْضِى فِيهَا بِقَضَاءٍ يَعْلَمُهُ مَنْ يَقْرَأُ وَمَنْ لاَ يَقْرَأُ وَإِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى أُمَرَاءِ الأَمْصَارِ إِنِّي إِنَّمَا بَعَثْتُهُمْ لِيُعَلِّمُوا النَّاسَ دِينَهُمْ وَيُبَيِّنُوا لَهُمْ سُنَّةَ نَبِيِّهِمْ - صلى الله عليه وسلم- وَيَرْفَعُوا إِلَىَّ مَا عُمِّىَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ مِنْ شَجَرَتَيْنِ لاَ أُرَاهُمَا إِلاَّ خَبِيثَتَيْنِ هَذَا الثُّومُ وَالْبَصَلُ وَأَيْمُ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَرَى نَبِيَّ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَجِدُ رِيحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ فَيَأْمُرُ بِهِ فَيُؤْخَذُ بِيَدِهِ فَيُخْرَجُ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى يُؤْتَى بِهِ الْبَقِيعَ فَمَنْ أَكَلَهُمَا لاَ بُدَّ فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخاً. قَالَ فَخَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَأُصِيبَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ.

---

[1] مسند أحمد (1/ 251).

[2] الكلالة : أن يموت الرجل ولا يترك والدا ولا ولدا يرثانه

رؤيا ابن عُمَرَ ملائكة جهنم :

في صحيح البخاري [1] :حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا صَخْرُ بْنُ جُوَيْرِيَةَ حَدَّثَنَا نَافِعٌ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ إِنَّ رِجَالاً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - كَانُوا يَرَوْنَ الرُّؤْيَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَيَقُصُّونَهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَيَقُولُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مَا شَاءَ اللَّهُ، وَأَنَا غُلاَمٌ حَدِيثُ السِّنِّ وَبَيْتِي الْمَسْجِدُ قَبْلَ أَنْ أَنْكِحَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَوْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ لَرَأَيْتَ مِثْلَ مَا يَرَى هَؤُلاَءِ. فَلَمَّا اضْطَجَعْتُ لَيْلَةً قُلْتُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ فِيَّ خَيْرًا فَأَرِنِي رُؤْيَا. فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَنِي مَلَكَانِ فِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، يُقْبِلاَ بِي إِلَى جَهَنَّمَ، وَأَنَا بَيْنَهُمَا أَدْعُو اللَّهَ اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهَنَّمَ. ثُمَّ أُرَانِي لَقِيَنِي مَلَكٌ فِى يَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ فَقَالَ لَنْ تُرَاعَ، نِعْمَ الرَّجُلُ أَنْتَ لَوْ تُكْثِرُ الصَّلاَةَ. فَانْطَلَقُوا بِي حَتَّى وَقَفُوا بِي عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ، لَهُ قُرُونٌ كَقَرْنِ الْبِئْرِ، بَيْنَ كُلِّ قَرْنَيْنِ مَلَكٌ بِيَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، وَأَرَى فِيهَا رِجَالاً مُعَلَّقِينَ بِالسَّلاَسِلِ، رُءُوسُهُمْ أَسْفَلَهُمْ، عَرَفْتُ فِيهَا رِجَالاً مِنْ قُرَيْشٍ، فَانْصَرَفُوا بِي عَنْ ذَاتِ الْيَمِينِ.

رؤيا ابن عُمَرَ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ :

في صحيح البخاري [2] : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - فِي رُؤْيَا النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فِي الْمَدِينَةِ « رَأَيْتُ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ، خَرَجَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ، حَتَّى نَزَلَتْ بِمَهْيَعَةَ، فَتَأَوَّلْتُهَا أَنَّ وَبَاءَ الْمَدِينَةِ نُقِلَ إِلَى مَهْيَعَةَ، وَهْىَ الْجُحْفَةُ ».

---

[1] صحيح البخاري (9/ 40).
[2] صحيح البخاري (9/ 42).

رؤيا أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ :

في مسند أحمد [1]: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِي أَبِى حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ - يَعْنِى ابْنَ زُرَيْعٍ - حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ قَالَ : حَدَّثَنِي بَكْرٌ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَأَى رُؤْيَا أَنَّهُ يَكْتُبُ (ص) فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى سَجْدَتِهَا قَالَ : رَأَى الدَّوَاةَ وَالْقَلَمَ وَكُلَّ شَيْءٍ بِحَضْرَتِهِ انْقَلَبَ سَاجِدًا. قَالَ فَقَصَّهَا عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَلَمْ يَزَلْ يَسْجُدُ بِهَا بَعْدُ

رَأَى رَجُلٌ رُؤْيَا كَأَنَّ ظُلَّةً تَنْطِفُ عَسَلاً وَسَمْناً وَكَأَنَّ النَّاسَ يَأْخُذُونَ مِنْها :

في مسند أحمد [2] : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : رَأَى رَجُلٌ رُؤْيَا فَجَاءَ لِلنَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ ظُلَّةً تَنْطِفُ عَسَلاً وَسَمْناً وَكَأَنَّ النَّاسَ يَأْخُذُونَ مِنْها فَبَيْنَ مُسْتَكْثِرٍ وَبَيْنَ مُسْتَقِلٍّ وَبَيْنَ ذَلِكَ وَكَأَنَّ سَبَباً [3] مُتَّصِلاً إِلَى السَّمَاءِ – وَقَالُ : يَزِيدُ مَرَّةً وَكَأَنَّ سَبَباً دُلِّيَ مِنَ السَّمَاءِ - فَجِئْتَ فَأَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ فَعَلاَّكَ اللَّهُ ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَأَخَذَ بِهِ فَعَلاَ فَعَلاَّهُ اللَّهُ ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكُمَا فَأَخَذَ بِهِ فَعَلاَ فَأَعْلاَهُ اللَّهُ ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكُمْ فَأَخَذَ بِهِ فَقُطِعَ بِهِ ثُمَّ وُصِلَ لَهُ فَعَلاَ فَأَعْلاَهُ اللَّهُ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ : ائْذَنْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَعْبُرَهَا. فَأَذِنَ لَهُ فَقَالَ :" أَمَّا الظُّلَّةُ فَالإِسْلاَمُ ، وَأَمَّا الْعَسَلُ وَالسَّمْنُ فَحَلاَوَةُ الْقُرْآنِ فَبَيْنَ مُسْتَكْثِرٍ وَبَيْنَ مُسْتَقِلٍّ وَبَيْنَ ذَلِكَ ، وَأَمَّا السَّبَبُ فَمَا أَنْتَ عَلَيْهِ تَعْلُو فَيُعْلِيكَ اللَّهُ ثُمَّ يَكُونُ مِنْ بَعْدِكَ رَجُلٌ عَلَى مِنْهَاجِكَ فَيَعْلُو وَيُعْلِيهِ اللَّهُ ثُمَّ يَكُونُ مِنْ بَعْدِكُمَا رَجُلٌ يَأْخُذُ بِأَخْذِكُمَا فَيَعْلُو فَيُعْلِيهِ اللَّهُ ثُمَّ يَكُونُ مِنْ بَعْدِكُمْ رَجُلٌ يُقْطَعُ بِهِ ثُمَّ يُوصَلُ لَهُ فَيَعْلُو فَيُعْلِيهِ اللَّهُ قَالَ : أَصَبْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : « أَصَبْتَ وَأَخْطَأْتَ ». قَالَ : أَقْسَمْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَتُخْبِرَنِّي. فَقَالَ « لاَ تُقْسِمْ ».

---

[1] مسند أحمد (18/ 268).
[2] مسند أحمد (4/ 21).
[3] السبب : الحبل تنطف : تقطر.

لَوْ كَانَ هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا لَكَانَ خَيْراً لَكَ :

في مسند أحمد [1] :- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِي أَبِى حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْرَائِيلَ الْجُشَمِيُّ عَنْ شَيْخٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ جَعْدَةُ أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم- رَأَى لِرَجُلٍ رُؤْيَا - قَالَ - فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَجَاءَ فَجَعَلَ يَقُصُّهَا عَلَيْهِ وَكَانَ الرَّجُلُ عَظِيمَ الْبَطْنِ - قَالَ - فَجَعَلَ يَقُولُ بِأُصْبُعِهِ فِى بَطْنِهِ « لَوْ كَانَ هَذَا فِى غَيْرِ هَذَا لَكَانَ خَيْراً لَكَ ».

رؤيا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ :

في صحيح البخاري [2]:- حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا أَزْهَرُ السَّمَّانُ عَنِ ابْنِ عَوْنٍ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى وَجْهِهِ أَثَرُ الْخُشُوعِ، فَقَالُوا هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ تَجَوَّزَ فِيهِمَا ثُمَّ خَرَجَ، وَتَبِعْتُهُ فَقُلْتُ إِنَّكَ حِينَ دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ قَالُوا : هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. قَالَ : وَاللَّهِ مَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ مَا لاَ يَعْلَمُ وَسَأُحَدِّثُكَ لِمَ ذَاكَ رَأَيْتُ رُؤْيَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ، وَرَأَيْتُ كَأَنِّي فِي رَوْضَةٍ - ذَكَرَ مِنْ سَعَتِهَا وَخُضْرَتِهَا - وَسْطَهَا عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ، أَسْفَلُهُ فِي الأَرْضِ وَأَعْلاَهُ فِي السَّمَاءِ، فِي أَعْلاَهُ عُرْوَةٌ فَقِيلَ لَهُ ارْقَهْ. قُلْتُ لاَ أَسْتَطِيعُ. فَأَتَانِي مِنْصَفٌ[3] فَرَفَعَ ثِيَابِي مِنْ خَلْفِي، فَرَقِيتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَعْلاَهَا، فَأَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ، فَقِيلَ لَهُ اسْتَمْسِكْ. فَاسْتَيْقَظْتُ وَإِنَّهَا لَفِي يَدِي، فَقَصَصْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « تِلْكَ الرَّوْضَةُ الإِسْلاَمُ، وَذَلِكَ الْعَمُودُ عَمُودُ الإِسْلاَمِ، وَتِلْكَ الْعُرْوَةُ عُرْوَةُ الْوُثْقَى، فَأَنْتَ عَلَى الإِسْلاَمِ حَتَّى تَمُوتَ ». وَذَاكَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ.

---

[1] مسند أحمد (31/ 320).
[2] صحيح البخاري (9/ 36).
[3] المِنصف : الخادم.

رؤيا رجل أخر من أهل الجنة :

وفي مسند أحمد [1] : عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ عَنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ عَنْ خَرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ قَالَ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَجَلَسْتُ إِلَى أَشْيَاخَةٍ فِى مَسْجِدِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم- فَجَاءَ شَيْخٌ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصاً لَهُ فَقَالَ الْقَوْمُ : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا. فَقَامَ خَلْفَ سَارِيَةٍ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ : قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ كَذَا وَكَذَا.

فَقَالَ : الْجَنَّةُ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - يُدْخِلُهَا مَنْ يَشَاءُ وَإِنِّي رَأَيْتُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم- رُؤْيَا رَأَيْتُ كَأَنَّ رَجُلاً أَتَانِي فَقَالَ : انْطَلِقْ. فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَسَلَكَ بِي مَنْهَجاً عَظِيماً فَعَرَضَتْ لِي طَرِيقٌ عَنْ يَسَارِي فَأَرَدْتُ أَنْ أَسْلُكَهَا فَقَالَ : إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِهَا ثُمَّ عَرَضَتْ لِي طَرِيقٌ عَنْ يَمِينِي فَسَلَكْتُهَا حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى جَبَلٍ زَلِقٍ فَأَخَذَ بِيَدِي فَزَجَلَ بِي فَإِذَا أَنَا عَلَى ذُرْوَتِهِ فَلَمْ أَتَقَارَّ وَلَمْ أَتَمَاسَكْ فَإِذَا عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ فِي ذُرْوَتِهِ حَلْقَةٌ مِنْ ذَهَبٍ فَأَخَذَ بِيَدِي فَزَجَلَ[2] بِي حَتَّى أَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ فَقَالَ : اسْتَمْسِكْ. فَقُلْتُ : نَعَمْ. فَضَرَبَ الْعَمُودَ بِرِجْلِهِ فَاسْتَمْسَكْتُ بِالْعُرْوَةِ فَقَصَصْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ : « رَأَيْتَ خَيْراً أَمَّا الْمَنْهَجُ الْعَظِيمُ فَالْمَحْشَرُ وَأَمَّا الطَّرِيقُ الَّتِي عَرَضَتْ عَنْ يَسَارِكَ فَطَرِيقُ أَهْلِ النَّارِ وَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهَا وَأَمَّا الطَّرِيقُ الَّتِي عَرَضَتْ عَنْ يَمِينِكَ فَطَرِيقُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَمَّا الْجَبَلُ الزَّلِقُ فَمَنْزِلُ الشُّهَدَاءِ وَأَمَّا الْعُرْوَةُ الَّتِي اسْتَمْسَكْتَ بِهَا فَعُرْوَةُ الإِسْلاَمِ فَاسْتَمْسِكْ بِهَا حَتَّى تَمُوتَ ». قَالَ : فَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. قَالَ : وَإِذَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ.

---

[1] مسند أحمد (39/ 207).

[2] زجل : رمى

رؤيا صحابية كأَنَّها دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ بِهَا وَجْبَةً ارْتَجَّتْ لَهَا الْجَنَّةُ :

في مسند أحمد [1] : عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- تُعْجِبُهُ الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ فَرُبَّمَا قَالَ : « هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا ». فَإِذَا رَأَى الرَّجُلُ رُؤْيَا سَأَلَ عَنْهُ فَإِنْ كَانَ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ كَانَ أَعْجَبَ لِرُؤْيَاهُ إِلَيْهِ. قَالَ : فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُ كَأَنِّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ بِهَا وَجْبَةً ارْتَجَّتْ لَهَا الْجَنَّةُ فَنَظَرْتُ فَإِذَا قَدْ جِىءَ بِفُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ وَفُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ حَتَّى عَدَّتِ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً - وَقَدْ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- سَرِيَّةً قَبْلَ ذَلِكَ - قَالَتْ فَجِيءَ بِهِمْ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ طُلْسٌ[2] تَشْخُبُ[3] أَوْدَاجُهُمْ [4]قَالَ : فَقِيلَ اذْهَبُوا بِهِمْ إِلَى نَهْرِ السدَخِ - أَوْ قَالَ : إِلَى نَهْرِ الْبَيْدَجِ – قَالَ : فَغُمِسُوا فِيهِ فَخَرَجُوا مِنْهُ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ قَالَ : ثُمَّ أَتَوْا بِكَرَاسِيَّ مِنْ ذَهَبٍ فَقَعَدُوا عَلَيْهَا وَأُتِىَ بِصَحْفَةٍ - أَوْ كَلِمَةٍ نَحْوِهَا - فِيهَا بُسْرَةٌ[5] فَأَكَلُوا مِنْهَا فَمَا يَقْلِبُونَهَا لِشِقٍّ إِلاَّ أَكَلُوا مِنْ فَاكِهَةٍ مَا أَرَادُوا وَأَكَلْتُ مَعَهُمْ. قَالَ فَجَاءَ الْبَشِيرُ مِنْ تِلْكَ السَّرِيَّةِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ مِنْ أَمْرِنَا كَذَا وَكَذَا وَأُصِيبَ فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ. حَتَّى عَدَّ الاثْنَيْ عَشَرَ الَّذِينَ عَدَّتْهُمُ الْمَرْأَةُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : « عَلَىَّ بِالْمَرْأَةِ ». فَجَاءَتْ. قَالَ : « قُصِّى عَلَى هَذَا رُؤْيَاكِ ». فَقَصَّتْ. قَالَ : هُوَ كَمَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -.

---

[1] مسند أحمد (19/ 379).

[2] الطلس : جمع أطلس وهو الأسود الوسخ

[3] تشخب : تسيل.

[4] الودج : العروق المحيطة بالعنق التى تقطع حالة الذبح واحدها الودج.

[5] البسرة : ثمر النخل قبل أن يرطب ز

رؤيا صحابيا كَأَنَّ مِيزَاناً دُلِّىَ مِنَ السَّمَاءِ :

في مسند أحمد[1] : عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى بَكْرَةَ قَالَ وَفَدْتُ مَعَ أَبِى إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِى سُفْيَانَ فَأُدْخِلْنَا عَلَيْهِ فَقَالَ يَا أَبَا بَكْرَةَ حَدِّثْنِى بِشَىْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-. فَقَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- يُعْجِبُهُ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ وَيَسْأَلُ عَنْهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- ذَاتَ يَوْمٍ « أَيُّكُمْ رَأَى رُؤْيَا ». فَقَالَ رَجُلٌ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَاناً دُلِّىَ مِنَ السَّمَاءِ فَوُزِنْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ فَرَجَحْتَ بِأَبِي بَكْرٍ ثُمَّ وُزِنَ أَبُو بَكْرٍ بِعُمَرَ فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ بِعُمَرَ ثُمَّ وُزِنَ عُمَرُ بِعُثْمَانَ فَرَجَحَ عُمَرُ بِعُثْمَانَ ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ. فَاسْتَاءَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ « خِلاَفَةُ نُبُوَّةٍ ثُمَّ يُؤْتِى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ». قَالَ أَبِى قَالَ عَفَّانُ فِيهِ فَاسْتَاءَ لَهَا. قَالَ وَقَالَ حَمَّادٌ فَسَاءَهُ ذَلِكَ.

المطلب العاشر

من رؤى الصحابة بعد النّبي والتي تحققت

رؤيا النَّبي – صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ وُضِعَ فِي يَدَيَّه سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ

في صحيح البخاري [2] :- قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ عَنْ رُؤْيَا رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - الَّتِي ذَكَرَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ذُكِرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « بَيْنَما أَنَا نَائِمٌ أُرِيتُ أَنَّهُ وُضِعَ فِى يَدَيَّ سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ، فَفُظِعْتُهُمَا وَكَرِهْتُهُمَا، فَأُذِنَ لِى فَنَفَخْتُهُمَا[3] فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ ». فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيُّ الَّذِي قَتَلَهُ فَيْرُوزُ بِالْيَمَنِ، وَالآخَرُ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ.

---

[1] مسند أحمد (34/ 95).
[2] صحيح البخاري (9/ 41).
[3] الفطع : أكبر وخاف

في نوادر المخطوطات [1]:

عن أبي مقرر، عن محمد بن عمرو، أنّ ابن أمية بن خلف رأى رؤيا لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في خلافة أبي بكر فقصها فقال: رأيت أن هذا الرجل قد هلك، وأنت مكانه، فبثت إلى هذه المرأة فتزوجها يعني عاتكة بنت زيد فدخلت عليك وأنت عروس وعلى باب بيتك ستر. فقال عمر : بل يبقى الله خليفة رسول الله. فلما توفي أبو بكر أرسل إليها فخطبها.

وفيها أيضا :

وكان علي - رضي الله عنه - رأى في تلك الليلة رؤيا فخبر بها أبا عبد الرحمن السلمي وهو مجروح فذكر أبو عبد الرحمن وكان مؤدب الحسن والحسين رضي الله عنهما، قال : دخلت عليه وهو مجروح فقال : ادن مني يا أبا عبد الرحمن والنساء يبكين فدنوت منه فقال لي : بت الليلة أوقظ أهلي، فملكتني عيني وأنا جالس، فسنح لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم – فقلت : يا رسول الله، ما لقيت من أمتك من الأود واللدد ؟! فقال : ادع عليه. فقلت : اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم، وأبدلهم بي من هو شر مني ! ودخل ابن التياح المؤذن على ذلك، فقال : الصلاة. فأخذت بيده، فمشى ابن التياح بين يدي وأنا خلفه.

---

[1] نوادر المخطوطات (1/ 64).

المطلب الحادي عشر

هل يرى الكافر الرؤيا الصادقة ؟ وهل تكون دائما مبشرة بخير ؟

قال الحلبي [1]: لا يقال الرؤيا الصادقة تكون من الكافر أو ترى له ، وهو خارج بالرجل الصالح وبالمسلم. لأنا نقول لو فرض وقوع ذلك كان استدراجا وفيه أنها واقعة وظاهر سياق الحديث الحصر وكما تكون الرؤيا مبشرة بخير عاجل أو آجل تكون منذرة بشر كذلك قال بعضهم وقد تطلق البشارة التي هي الخبر السار على ما يشمل النذارة التي هي الخبر الضار بعموم المجاز بأن يراد بالبشارة ما يعود إلى الخير لأن النذارة ربما قادت إلى الخير.

وفي الإتقان : ومن المجاز تسمية الشيء بإسم ضده نحو { فبشرهم بعذاب أليم } اه أي وهي في هذه الآية للتهكم وجاء رجل أي وهو أبو قتادة الأنصاري إلى النّبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله إني أرى في المنام الرؤيا تمرضني فقال له النّبي - صلى الله عليه وسلم - الرؤيا الحسنة من الله والسيئة من الشيطان فإذا رأيت الرؤيا تكرهها فاستعذ بالله من الشيطان واتفل عن يسارك ثلاث مرات فإنها لا تضرك أي وحكمة التفل احتقار الشيطان واستقذاره.

وفي رواية : إذا رأى أحدكم ما يكره فليعذ بالله من شرها ومن الشيطان كأن يقول أعوذ بالله من شر ما رأيت ومن شر الشيطان وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها أحدا فإنها لا تضره زاد في رواية وأن يتحول عن جنبه الذي كان عليه زاد في أخرى وليقم فليصل أي ليكون فعل ذلك سببا للسلامة من المكروه الذي رآه.

---

[1] السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (1/ 336).

وفي البخاري : إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها وليتحدث بها أي ولا يخبر بها إلا من يحب وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان أي لا حقيقة لها وإنما هي تخيل يقصد به تخويف الإنسان والتهويل عليه فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره وفي الأذكار ثم ليقل اللهم إني أعوذ بك من عمل الشيطان وسيئات الأحلام وفي الحديث الرؤيا من الله والحلم من الشيطان

قيل في معناه : لأن صاحب الرؤيا يرى الشيء على ما هو عليه بخلاف صاحب الحلم فإنه يراه على خلاف ماهو عليه فإن الحلم مأخوذ من حَلِمَ الجلد إذا فسد والرؤيا قيل إنها أمثلة يدركها الرائي بجزء من القلب لم تستول عليه آفة النوم وإذا ذهب النوم عن أكثر القلب كانت الرؤيا أصفى وذكر الفخر الرازي أن الرؤيا الرديئة يظهر تعبيرها أي أثرها عن قرب والرؤيا الجيدة إنما يظهر تعبيرها بعد حين والسبب فيه أنّ حكمة الله تعالى تقتضى أن لا يحصل الإعلام بوصول الشر إلا عند قرب وصوله حتى يكون الحزن والغم أقل.

وأما الإعلام بالخير فإن يحصل متقدما على ظهوره بزمان طويل حتى تكون البهجة الحاصلة بسبب توقع حصول ذلك الخير أكثر وهذا جرى على ما هو الغالب وإلا فقد قيل لجعفر الصادق كم تتأخر الرؤيا فقال رأى النّبي - صلى الله عليه وسلم - في منامه كأن كلبا أبقع يلغ في دمه فكان أي ذلك الكلب الأبقع شمرا قاتل الحسين وكان أبرص فكان تأخير الرؤيا بعد خمسين سنة

المطلب الثاني عشر

تفسير الرؤى أو الأحلام على مر العصور

كأي تفسير إنساني لأي ظاهرة في الحياة دائما ما تنعكس الثقافة أو العلوم المسيطرة على الشخص أو الجماعة في تفسير هذه الظاهرة ، والإنسان منذ ميلاده وهو يحلم أو يرى الرؤيا في مناماته ، وكل فرد أو جماعة تفسر هذه الأحلام بمنظور ثقافتها الخاصة.

ويذكر التاريخ أنّه كان هناك من البشر قديما من كان ينظر إلى الأحلام على أنها رسائل إلاهية ، فكانت بعض قبائل الإسكيمو تعتقد أنّ الروح تترك الجسم أثناء النوم وتعيش في عالم آخر خاص بها ، وأنّ إيقاظ الحالم من نومه يسبب خطراً كبيراً يهدد بضياع روحه وعدم قدرتها على العودة إلى جسده مرة أخرى، حتى وصل الأمر أنّ بعض القبائل الهندية القديمة التي لديها نفس الاعتقاد كانت تعاقب بشدة كل من يوقظ نائما. وكان المصريون القدماء يعتقدون بأنّ الأحلام إيحاء مقدس وكانوا يسمونها الرسل الغامضة إلى النائم للإنذار بالعقاب أو المواساة والتعزية والتبصير، وقد وجدت بعض البرديات منها بردية شستر بيتي - نسبة إلى مكتشفها - من عهد الأسرة الثانية عشرة قبل الميلاد وبها تفسيرات للأحلام ومعناها، ويعتبرها العلماء أول محاولة من نوعها في التاريخ.

ويذكر هيرودوت أنّ اليونان وبلاد الإغريق كانت تحتوي في وقت من الأوقات على حوالي 600 معبد مخصص للأحلام وتلمس الشفاء عن طريقها. ثم انتقلت الأحلام من معابد الإغريق إلى اهتمام علماء النفس والأطباء والفلاسفة.

ونحن كأصحاب ديانة سماوية نثق في أنبياء الله - عليهم السلام - وقد فسروا لنا الرؤيا من زاوية أنّ الإنسان له روح وجسد وأنّ الرؤيا - خاصة رؤيا الصالحين - لها مدلولاتها ومعانيها التي قد تنبهنا إلى كثير مما قد يغيب عنا.

ورؤيا الأنبياء حق ووحي وأنهم - عليهم السلام - لا يختلط في رؤياهم الأضغاث ، وقد ذكر القرآن الكريم ما يؤيد ذلك منها :

ما ذكره القرآن الكريم من رؤيا سيدنا - ابراهيم عليه السلام - قال الله تعالى :" فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ " [الصافات : 102].

وما ذكره من رؤيا سيدنا يوسف- عليه السلام - : قال الله تعالى : " إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ " [يوسف : 4].

بل جعل الله - عز وجل - من معجزات نبي الله يوسف تفسير الرؤيا قال تعالى : " وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيم " [يوسف : 6].

وليوسف - عليه السلام - تفسيره المشهور للملك وهو التفسير الذي أخرجه به ربه من سجنه وجعله الملك من المقربين قال الله تعالى : " وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (43) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (44) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (45) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (46) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (48) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (49) " [يوسف].

وقد حدثنا الصادق المصدوق - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالقول الصدوق الفصل في أنواع الرؤيا فقال فيما رواه الترمذي [1]: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : " الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ فَبُشْرَى مِنْ اللَّهِ وَحَدِيثُ النَّفْسِ وَتَخْوِيفٌ مِنْ الشَّيْطَانِ فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا تُعْجِبُهُ فَلْيَقُصَّ إِنْ شَاءَ وَإِنْ رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلَا يَقُصَّهُ عَلَى أَحَدٍ وَلْيَقُمْ يُصَلِّي "

وكان- صلى الله عليه وسلم- يصلي الفجر ويجلس يستمع لمن رأى رؤيا ليفسرها له. واشتهر بعد النّبي - صلى الله عليه وسلم - من مفسري الرؤى جماعة عُرِفوا عبر تاريخ الأمة ولهم مؤلفاتهم كابن اسحق وابن سيرين.

سيطرة المادية وتفسير الأحلام :

ولما سيطرت المادة فقط على العقول ورفض أصحاب العصر الحديث ما سوى المادة المحسوسة ونظروا للبشر كمادة وتفاعلات كيميائية فقط فسروا الأحلام بمنطقهم – منطق المادة فقط – ولم يقبلوا غير ما عاينته تجاربهم في معامل الكيمياء وغيرها فكيف فسروا الأحلام ؟

أصبحت الأحلام في القرن العشرين، حسب نظرية التحليل النفسي التي وضعها سيجموند فريد[2]، من اختصاص أطباء العلم النفسي وأطباء الأمراض العقلية.

وقد فسروا الأحلام بعدة تفسيرات منها :

قالوا : الحلم هو سلسلة من التخيلات التى تحدث أثناء النوم ، و تختلف الأحلام في مدى تماسكها ومنطقيتها ، وتوجد كثير من النظريات التي تفسر حدوث الأحلام، فسيجموند فرويد يقول : أن الأحلام هي وسيلة تلجأ إليها النفس لأشباع رغباتها ودوافعها المكبوتة خاصة التى يكون أشباعها صعبا في الواقع ففى الأحلام يري الفرد دوافعة قد تحققت في صوره حدث او موقف.

---

[1] سنن ابن ماجه (2/ 1285).

[2] فرويد : طبيب نمساوي من أصل يهودي يعتبرونه مؤسس علم التحليل النفسي ولد في تشيكا عام 1856 ومات عام 1939م

ولكن غالباً ما تكون الرغبات في الحلم مموهة أو مخفية بحيث لا يعى الحالم نفسه معناها، و لذلك فإنّ كثير من الأحلام تبدو خالية من المعنى و المنطق شبيهة بتفكير المجانين على عكس أحلام اليقظة التى تكون منطقية جدا

والبعض قال : أنّ هناك فكرة تقول إنّ الأحلام ما هي إلا حطام ترسبات نفسانية يجب أن يتخلص منها الدماغ. تقول هذه الفكرة أيضا إنه ليس هناك من وظيفة للأحلام تؤديها، فلو كانت الأحلام مفيدة لماذا لا نتذكر المزيد منها ؟

باحثون آخرون لهم نظرية أخرى تقول إنّ الأحلام رواسب أيام الحياة الفطرية عندما كان للرعب وللتهديدات التي تميّز الأحلام فائدة في إعداد الإنسان البدائي لمصارعة الحيوانات المتوحشة وما شابهها.

وقال آخرون : الحقيقة أنّ الأحلام من وجهة النظر العلمية والنفسية هي من الظواهر الصحية الهامة لاحتفاظ عقلنا بلياقته أثناء النوم حتى لا يتكاسل حين نعود إلى اليقظة. وقد فسّر الطب النفسي بعض أسباب الأحلام وقسمها إلى نوعين :

الأول هو استدعاء بعض الأحداث التي مرت بنا خلال اليوم، أو الأشياء التي تشغل بالنا قبل النوم مباشرة، والثاني فإنه أعمق ويتضمن الأفكار والرغبات والصراعات الكامنة في العقل الباطن.

وقال آخرون : أنّ ما نعلمه بشكل يقيني عن الاحلام الأن هو أنها تعمل وفق النظرة الطموحة المكبوتة للفرد وهي كذلك ليست أفكار عادية لكنها رغبات داخلية ملحة وقد تعطينا بعض المفاتيح لمعاني بعض الاحلام خاصة فيما يتعلق بتاريخ الشخص لكن من الصعب تعميم ذلك وايضا قد تكون مؤشرا جيدا لنوع أو وضع الحالة الذهنية وهذه تسهل علينا تشخيص بعض الأمراض العقلية..

وتقول بعض الدراسات : نستطيع أن نقول أن الاحلام هي في الواقع تتولد نتيجة محفزات داخلية يترجمها الدماغ إلى صورا ربما غير واضحة يتم ذلك من خلال تفعيل مادة الدوبمين الضرورية للحلم. ولذلك فإنّ الأحلام هي في الواقع تصورات شخصية يقوم بصناعتها الدماغ بموجب الخبرات والتجارب السابقة والراهنة ولا يمكن بأي حال أن تشرح أو تفسر الأحداث المستقبلية بعبارة أخرى أنّ ما يحلم به زيد من الناس لن يستطيع أحدا تفسيره إلا زيدا نفسه اذا استطاع أن يتذكر بشكل جيد تاريخ حياته بكل تفاصيلها وهذا يستحيل طبعا.

تفسير العلماء المعاصرين لكيفية حدوث الأحلام :

كيفية حدوث الأحلام :

1 - يتكون الجهاز العصبي في جسم الإنسان من جزأين (الجهاز العصبي المركزي، والجهاز العصبي الطرفي: (الجهاز العصبي المركزي هو/ الدماغ بأقسامه (المخ والمخيخ والنخاع المستطيل (، ثم الحبل الشوكي الذي يتمتد من نهاية النخاع المستطيل على امتداد الرقبة والظهر داخل فقرات العمود الفقري في الجسم .

الجهاز العصبي الطرفي / وهو يشمل كل الأعصاب المنتشرة في الأطراف وبقية أعضاء وأجهزة وأنسجة الجسم.

2 - الخلية العصبية : تتكون من ثلاث أقسام : (الشعيرات الشجرية - نواة الخلية أو جسم الخلية، ثم المحور العصبي) ثم تلتقي مع الخلية التي تليها عن طريق شعيراتها الشجرية، وتنقل الكهرباء (السيالات العصبية) في اتجاه واحد من الشعيرات الشجرية باتجاه النواة، ثم المحور، ثم الخلية التي تليها، ولا تتنقل بالاتجاه المعاكس أبدا، كما أن الخلايا العصبية في الغالب لا تكون ملتصقة تمام الالتصاق ومع ذلك فالسيالات في الوضع السليم تنتقل بشكل طبيعي.

3 - يصدر الجهاز العصبي المركزي دوما أوامره للأعضاء والأطراف كي تقوم بعملها الطبيعي اليومي، و يكون انتقال هذه الأوامر على شكل كهرباء يسمونها السيالات العصبية، فترفع يدك، أو تحك رأسك أو تنتقل من مكان لآخر، أن تؤدي أطرافك عملا محددًا ماهو إلا أن الدماغ أراد أن تفعل ذلك، فأرسل كهرباء للأطراف كيف تنفذ هذا الأمر، وعندما يحدث طارئ ما، كوخز أو شعور بحرارة عالية، أو ضربة ما، أو أي مؤثر خارجي فإن الأعصاب تطلب من الجهاز العصبي المركزي أن يتخذ قرارًا ما حيال هذا المؤثر، وعندما يقوم الدماغ بذلك، يبقى في الجهاز العصبي المركزي في الدماغ بالتحديد، مكان يسمى) الذاكرة المستديمة) / وهي خلايا عصبية تكوّن فكرة عن أي شيء يحدث للجسم فالطفل الذي وضع يده على كأس شاي ساخن، سيرسخ في ذاكرته أن لا يعاوعد فعل ذلك مرة أخرى لأن هذه المعلومة تم حفظها بشكل مستدام.

4 - هناك ذاكرة مؤقتة، وهي التي قد يتم فقدها أحيانا عند مرضى فقدان الذاكرة، فترى شخصا فقد ذاكرته لا يعرف اسمه ولا يدري من هو ؟ ولكنه يعرف كيف يحمي نفسه وكيف يتصرف، ويفهم العالم من حوله جيّدا ولكن الذاكرة المؤقتة التي تُعنى بالتخزين السلوكي الفردي، الذي لا يتعلق باستجابات الأطراف وأعضاء الجسم، قد أصابها عطب أو تلاشت أو تعرضت للقصور.

هذه الذاكرة هي أيضا التي يتم فيها تخزين المشاهد والأحداث والذكريات، وهي التي يتم استرخآئها من وقت لآخر أثناء النوم، من أجل أن تستريح الأعضاء، وقت النوم، ومن هنا فإنها هي المنبع الحقيقي لحدوث الأحلام، بعد أن يقوم المخ بتفريغها مؤقتا وعودتها بعد اليقظة كنوع من ترتيب الأوراق، وإراحة الجسم و هي فلترة جزئية يتم من خلالها نقل الكثير من المشاهد إلى الذاكرة المستدامة، وبعضها الآخر يتم شطبه نهائيا، حسب دقة التركيز أثناء الحفظ، وبعض المعلومات تبقى محفوظة، حتى إذا جاء ما يستحثها ويذكّر بها ظهرت أمام الشخص مهما كانت بعيدة.

5 - أثناء عملية تفريغ الذاكرة، يكون التفريغ أثناء النوم بشكل عشوائي، لأن الجسم لن يتحرك فهو يغط في نوم عميق، ولا يوجد هناك خوف من أي استجابة قد تقوم لها أطراف الجسم، فأثناء النوم تعمل آلية محددة في الجسم لحمايتنا من تنفيذ أحلامنا، وهي آلية (ارتخاء جميع العضلات) أي أنها تكون مشلولة أثناء المرحلة الثانية من النوم، ما عدا عضلتي الحجاب الحاجز من أجل التنفس، وعضلة حاجب العين، في هذه المرحلة تبدأ عمليه تفريغ السيالات باتجاه الأطراف بشكل شمولي، وعندها تختلط المشاهد القديمة بالجديدة، التي قبل يومين بالتي قبل 10 سنوات، تختلط الأشكال والأحداث، وعندها يظهر لنا في نومنا مشاهد مركّبة تركيبا غريباً، تختلط فيها الأماكن والوجوه والأشياء، هذه الظاهر تسمى (الأحلام)

6- إذا حدث واستجابت الأطراف لأي سيالات عشوائية من الدماغ، لأي خلل عصبي أو عضوي، فإن عضلات الأطراف تستجيب أيضا دون إدارك من النائم!..

فتسمع أحيانا بعض النائمين يتحدثون، وبعضهم ينهض ويمشي، وقد يخرج من بيته، وقد يقوم ويفتش في ثيابه، وهذه مشاهد تتكرر، ونلاحظها دائما على بعض النائمين، في مرحلة النوم العميق.

7 - شلل النوم، أو ما يسمى بالجاثوم، أيضا هو يحدث عند الانتقال من مرحل النعاس إلى المرحلة الثانية من النوم، أو عند قرب الاستيقاظ وفي هذه اللحظة تبدأ آلية (الشلل المؤقت لعضلات الأطراف، بالعمل)، الشخص وقتها يكون بين النوم واليقظه في أول النوم أو في آخره، ويعي ما حوله، ولكنه لا يستطيع الحركة، وبمجرد ما تبدأ آلية ارتخاء العضلات في العمل، يبدأ تفريغ الذاكرة، وتصل السيالات العصبية للأطراف، وحينها يرى النائم مشاهد مخيفة، كأن شخصًا يضربه أو يسقط من مكان عالٍ، ويتوقع أنه يستغيث ويصرخ، وهو في الحقيقة لم يفعل، و قد يحاول المقاومة ولا يستطيع، تنتهي هذه الأعراض لمجرد أن

تتحرك (فعليا) أي عضلة طرفية في جسمه، لتنتهي مرحلة الارتخاء، ويتلاشى كل شيء، وتتوقف الذاكرة المؤقتة عن بث سيلاتها، واستقبال السيالات من أعضاء الحركة.

في بعض الحالات لا يرى النائم أي مشاهد ولكنه يتعرض لضغط ما، وذلك لأن العضلات بدأت بالارتخاء (الشلل المؤقت) و لم يبدأ التفريغ الكهربائي بعد.

وأخيرا هناك نقطة مهمة :

تفريغ الذاكرة، يحدث بشكل غير منتظم، ليس بالضرورة أن يكون كل يوم بنفس القدر، وليس بالضرورة أن يكون بنفس الدرجة والحدّة، أومتشآبها من شخص لآخر، يخضع طبعا لطبيعية الحياة، ومدى الإجهاد الذي يتعرض له الجسم، وكمية المعلومات التي يتم تخزينها، ووجود مرض نفسي أو عصبي أو حتى عضوي من عدمهم، ومن ضمن ذلك أيضا الرغبات العاطفية والجنسية التي تؤثر في نسج المشاهد و تداخلها عند تفريغها (لذلك تختلف الأحلام، و ما يتعرض له الشخص أثناء النوم حسب كفآءة جهازه العصبي، وحسب التفاعلات الكيميائية التي تحدث في جسمه، ومفرزات محيطه)، ما ينطبق على الأحلام ينطبق أيضا على شلل النوم.

أخيرا هكذا نرى تفسير المعاصرين للأحلام ونظرتهم القاصرة على ناحية واحدة من نواحي الكيان الإنساني – الناحية المادية فقط

ولنا لهؤلاء سؤال واحد فقط : بما نفسر الرؤيا أو كما يقولون الأحلام التي تعبر عن مستقبل يحدث تماما ؟. وقد حدثت للكثيرين من البشر وأخبارها لا تخفى على أحد.

المبحث الثالث

الخلوة والتحنث فى غار حراء

ويشمل عدة مطالب :

المطلب الأول : التحنث والتحنف في اللغة.

المطلب الثاني : الحكمة في أنّ الله - عز وجل - حببَ إليه - صلى الله عليه وسلم - الخلاء :

المطلب الثالث : غار حراء وصفه قديما وحديثا.

المطلب الرابع : كيف كان يتعبد - صلى الله عليه وسلم - فى الغار ؟!

المطلب الخامس : الوقت الذي كان يقضيه - صلى الله عليه وسلم - في الغار.

المطلب السادس : حب النبي - صلى الله عليه وسلم - للخلوة والتفكر منذ صغره.

المطلب السابع : زاده - صلى الله عليه وسلم - فى الخلوة.

المطلب الثامن : هل كان - صلى الله عليه وسلم - أول من تحنث فى قومه؟

المطلب التاسع : الخلوة في شريعة الإسلام كما ذكرها الغزالي.

المطلب الأول

التحنث والتحنف في اللغة

الخلوة والتحنث فى غار حراء

أخذ النّبي – صلى الله عليه وسلم – يقترب سنه من الأربعين وحُبب إليه الاختلاء ، فكان يخلو فى غار حراء الليالى ذوات العدد.

تقول السيدة عائشة - رضى الله عنها – فى حديثها عن بدء الوحى : ثم حُبِبَ إليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحقُّ وهو فى غار حراء.. ....)

التحنث والتحنف في اللغة

" الحِنْثُ بالكَسْرِ " : الذَّنْبُ العَظِيمُ و " الإِثْمُ " وفي التَّنْزِيل العزيز " وكَانُوا يُصِرُّونَ على الحِنْثِ العَظِيمِ " وقيل : هو الشِّرْكُ وقد فُسِّر به هذه الآيَةُ أَيضاً.

الحِنْثُ " : الخُلْفُ في اليَمِينِ ". وفي الحَدِيث : " اليَمِين حِنْثٌ أَو مَنْدَمةٌ " الحِنْثُ في اليَمِينُ : نَقْضُها والنَّكْثُ فيها.

وهو من الحِنْثِ : الإِثمِ يقول : إِمّا أَنْ يَنْدَمَ على ما حَلَفَ عليه أَو يَحْنَثَ فيَلْزَمَه الكَفّارةُ. وحَنِثَ في يَمِينِه : أَثِمَ. وقال ابنُ شُمَيْل : على فُلانٍ يَمِينٌ قد حَنِثَ فيها وعليه أَحْنَاثٌ كثيرةٌ. وقال : فإِنَّمَا اليَمْينُ حِنْثٌ أَوْ نَدَمٌ.

والحِنْثُ حِنْثُ اليَمِينِ إِذا لَمْ تَبَرّ الحِنْثُ " : المَيْلُ من باطِلٍ إِلى حَقٍّ أَو عَكْسُه " قال خالدُ بنُ جَنْبَةَ : الحِنْثُ : أَن يَقُولَ الإِنْسَانُ غيرَ الحَقِّ. " وقد حَنِثَ " الرَّجُلُ في يَمِينِه " كعَلِمَ " حِنْثاً وحَنَثاً " وأَحْنَثْتُه أَنا " في يمينِه فحَنِثَ إِذا لمْ يَبَرَّ فِيها.

" والمَحَانِثُ : مَوَاقِعُ " الحِنْثِ " الإِثْمِ " قيل : لا واحِدَ لهُ وقيل : واحِدُه مَحْنَثٌ كمَقْعَدٍ وهو الظّاهِر والقِيَاس يَقْتَضِيه قاله شيخنا. ومن المَجَاز : هو يَتَحَنَّثُ من القَبِيحِ أَي يَتَحَرَّجُ ويَتَأَثَّمُ.

" وتَحَنَّثَ " إذا " تَعَبَّدَ " مثل تَحَنَّفَ وفي الحديث : " كانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فيَتَحَنَّثُ فيهِ اللَّيَالِيَ " أَي يَتَعَبَّد وفي روايَة " كَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فيَتَحَنَّثُ فيهِ - وهو التَّعَبُّدُ - اللّيَالِيَ " ذَوَاتِ العَدَدِ " قال ابن سِيدَه : وهذا عندِي على السَّلْبِ كأَنَّه يَنفِي بذلك الحِنْثَ الذِي هو الإِثْمُ عن نفْسه كقوله تعالى " ومنَ اللَّيْلِ فتَهَجَّدْ بِه نَافِلَةً لَكَ " أَي انْفِ الهُجُودَ عن عيْنِك ونَظِيرُه تَأَثَّمَ وتَحَوَّبَ أَي نَفَي الإِثْمَ والحُوبَ[1].

قال ابن كثير [2] :

وقوله في الحديث : [والتحنث : التعبد] تفسير بالمعنى وإلا فحقيقة التحنث من حيث البنية فيما قاله السهيلي : الدخول في الحنث و لكن سمعت ألفاظ قليلة في اللغة معناها الخروج من ذلك الشيء كتحنث أي خرج من الحنث و تحوب و تحرج وتأثم وتهجد هو ترك الهجود وهو النوم للصلاة وتنجس وتقذر أوردها أبو شامة.

قال ابن هشام [3] : وتقول العرب : النحنث والتحنف يريدون الحنيفية فيبدلون الفاء مكان الثاء وقال ايضا التحنث التبرر.

---

[1] بتصرف من تاج العروس من جواهر القاموس - ث (5/ 223).
[2] السيرة النبوية لابن كثير (1/ 391).
[3] السيرة النبوية لابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (2/ 68).

معنى الخلوة لغة :

خَلا : المَكَانُ خُلُوّاً وخَلاءً وأَخْلَى واسْتَخْلَى : فَرَغَ. ومكانٌ خَلاءٌ : ما فيه أحَدٌ. وأخْلاهُ : جَعَلَهُ أو وَجَدَهُ خالِياً. وخَلاَ : وَقَعَ في مَوْضِعٍ خالٍ لا يُزاحَمُ فيه كأَخْلَى وعلى بَعْضِ الطَّعامِ : اقْتَصَرَ. واسْتَخْلَى المَلِكَ فأخْلاهُ و به واسْتَخْلَىْ به وخَلا به وإليه و معه خَلْواً وخَلاءً وخَلْوَةً سألَه أن يَجْتَمِعَ به في خَلْوَةٍ فَفَعَلَ وأخْلاهُ معه [1]

المطلب الثاني :

الحكمة في أنّ الله - عز وجل - حببَ إليه – صلى الله عليه وسلم – الخلاء :

تقول السيدة عائشة - رضى الله عنها – : " حُبب إليه الخلاء ". أي أنّه - تبارك وتعالى - حبب إليه الخلاء ، فهو إذن أمر إلاهي دُفع اليه النّبى – صلى الله عليه وسلم – من ربه – عز وجل – لينقطع ولو لفترات عن الخلق فَيفْرُغُ القلب عن اشغال الدنيا ، وتصفوا نفسه وتشرف على أنوار المعرفة ، ويتأهب لما أُعِدَ له ، وكأن الله – عز وجل – قد هيأ فى هذا الكهف ما يساعده على ذلك.

وهذه الأمور التي كان النّبي - صلى الله عليه وآله - قد بدئ بها من صدق الرؤيا وحب العزلة عن الناس والخلوة في غار حراء والتعبد فيه ومواظبته عليه الليالي ذوات العدد إنما هي أسباب ومقدمات أرهصت لنبوته وجعلت مبادئ لظهورها، والخلوة يكون معها فراغ القلب وهي معينة على الفكر ومقطع لدعاوى الشغل، والبشر لا ينفك عن طباعه ولا يترك مألوفه من عاداته إلا بالرياضة البليغة والمعالجة الشديدة، فلطف الله تعالى بنبيه محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - في بادية أمره فحبب إليه الخلوة وقطعه عن مخالطة البشر، ليتناسى المألوف من عاداتهم ويستمر على هجران ما لا

---

[1] القاموس المحيط(1 / 1652).

يحمد من أخلاقهم وألزمه شعار التقوى وأقامه في مقام التعبد بين يديه ليخشع قلبه وتليل عريكته لورود الوحي فيجد منه مرادا سهلا ولا يصادفه حزنا وعرا، فجعلت هذه الأسباب مقدمات لما أرصد له من هذا الشأن ليرتاض بها ويستعد لما ندب إليه، ثم جاءه التوفيق والتبشير وأخذه بالقوة الإلهية، فجبرت منه النقائص البشرية وجمعت له الفضائل النبوية.

وقيل : من فوائد خلوة نفسه ما ألهمه الله تعالى قبل ظهور الملك له ومخاطبته لما أراده الله تعالى من صدوفه عن متعبدات قريش وعزوب نفسه الشريفة عن قرب أرجاس الأصنام وتبريه منه وبغضه لها وإقباله على التحنث وهو فعل البر والقرب.

قال ابن أبي جمرة - رحمه الله تعالى - : الحكمة في تخصيصه - صلى الله عليه وآله وسلم - التخلي بغار حراء أن المقيم فيه كان يمكنه رؤية الكعبة فيجتمع لمن يخلوا فيه ثلاث عبادات : الخلوة والتعبد والنظر إلى البيت[1].

قال الحلبي [2] : - وبعد ذلك حبب الله إليه - صلى الله عليه وسلم - الخلوة التي يكون بها فراغ القلب والإنقطاع عن الخلق فهي تفرغ القلب عن أشغال الدنيا لدوام ذكر الله تعالى فيصفوا وتشرق عليه أنوار المعرفة فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده وكان يخلو بغار حراء بالمد والقصر وهذا الجبل هو الذي نادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله إلى يا رسول الله لما قال له ثبير وهو على ظهره : أهبط عني فإني أخاف أن تقتل على ظهري.

يقول الشيخ الطيب النجار [3] : وقد تَطَلَعَ محمد – صلى الله عليه وسلم – قبيل البعثة الى هذه القمة العالية حينما رأى قريشا قد هوت الى الحضيض وانحدرت فى عبادتها الى الدرك الاسفل.

---

[1] سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (2/ 238).
[2] السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون علي بن برهان الدين الحلبي (1 / 381)
[3] السيرة النبوية د/محمد الطيب النجار، د/عبد المقصود نصار ط المعاهد الأزهرية ج1 ص 76

المطلب الثالث

غار حراء وصفه قديما وحديثا.

وصف الغار قديما وحديثا :

قال الحموي [1] : حراء بالكسر والتخفيف والمد جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال وهو معروف ومنهم من يونثه فلا يصرفه. قال جرير :

ألسنا أكرم الثقلين طرا وأعظمهم ببطن حراء نارا.

فلا يصرفه لأنه ذهب به إلى البلدة التي حراء بها.

وقال بعضهم : للناس فيه ثلاث لغات يفتحون حاءه وهي مكسورة ويقصرون ألفه وهي ممدودة ويميلونها وهي لا تسوغ فيها الإمالة لأن الراء سبقت الألف ممدودة مفتوحة وهي حرف مكرر فقامت مقام الحرف المستعلى مثل راشد ورافع فلا تمال.

وكان النّبي - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يأتيه الوحي يتعبد في غار من هذا الجبل وفيه أتاه جبرائيل - عليه السلام -.

وقال عرام بن الأصبغ : ومن جبال مكة ثبير وهو جبل شامخ يقابل حراء وهو جبل شامخ أرفع من ثبير في أعلاه قلة شامخة زلوج ذكروا أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ارتقى ذروته ومعه نفر من أصحابه فتحرك فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اسكن يا حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد.

وليس بهما نبات ولا في جميع جبال مكة إلا شيء يسير من الضهياء يكون في الجبل الشامخ وليس في شيء منها ماء ويليها جبال عرفات ويتصل بها جبال الطائف وفيها مياه كثيرة.

---

[1] [معجم البلدان - ياقوت الحموي] (2 / 233)

قال ابن كثير[1] : أما حراء فهو جبل – ويسمى أيضا جبل النور – بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها عن يسار المار إلى منى ، له قُلَّة [2] مشرفة على الكعبة منحنية ، والغار فى تلك الحنية.

وصف الغار حديثا :

يشق الزوار طريقهم على الأقدام ويتخطون 1045 درجة تصعد بهم إلى سفح جبل النور حيث غار حرا..

ويقف جبل النور كاشفاً مكة ومنازلها وشاهداً على تاريخٍ ظل ، ولا يزال محفوراً في ذاكرة المسلمين يحكي قصة نبي كريم أطلق الرسالة الإسلامية الخالدة من فجوة غار لا يتجاوز طولها أربعة أذرع وبعرض ذراع وثلاثة أرباع.

ويقع غار حراء أعلى قمة جبل حراء الذى يقع شمال شرق مكة المكرمة على يسار الذاهب إلى عرفات ويبعد غار حراء عن مكة المكرمة حوالى اربعة كيلو مترات ويبلغ ارتفاع جبل حراء إلى 642 متر وهو شاق جدا على من يصعده والجبل يوجد به انحدارات شديدة جدا ، وتبلغ مساحة جبل حراء الذى يوجد به غار حراء الى 5 كيلو متر مربع ، والذى يميز جبل حراء أنّ كل الحجارة التى بنيت بها الكعبة المشرفة مأ خوذة من الجبل والذى يطلع على جبل حراء يرى مكة جميعها بأبنياتها وأسواقها.

واشارت مصادر تاريخية أنه لا يوجد فى أى مكان بالعالم جبل يشبه جبل حراء فى تكوينة وانحداره ومساحته فهو يشبه الطربوش الذى يلبس على الرأس.

---

[1] السيرة النبوية لإبن كثير ط دار المعرفة ج 1 ص 390

[2] القُلّة : النُّقرة في الجبل

يقول الشيخ الطيب النجار فى وصف الغار : وهو كهف غريب جعله الله على وضع عجيب يأخذ فيه الانسان راحته الكاملة وتنطلق فيه الروح من أسر المادة وعقال الشهوة الى حيث تسمو الى العلياء وتسبح فى ملكوت السماوات والارض.

أما باب الغار[1] فإنه يتسع لدخول الشخص الواحد وهو قائم ، وقد غطى سقفه بصخور مائلة ، لذا كان وسطه أعلى من جانبه وبالغار فتحة مستديرة ضيقة مقابلة للباب تطل على مكة وعلى الكعبة ، وكان – صلى الله عليه وسلم – يطالع عظمة الكون ونظامه ودقته وإحكامه من خلالها ، ثم ينظر الى أهل مكة وما حولها فيراهم فى الغي سادرين فيستولى على نفسه الضيق والألم.

أما مساحة الغار من الداخل فهى تسمح بصلاة اثنين متجاورين فيه براحة كاملة ، كما تسمح بنوم ثلاثة من الرجال متجاورين.

ويقول الشيخ الغزالى [2] : وكأن محمد – صلى الله عليه وسلم – يهجر مكة كل عام ليقضى شهر رمضان فى غار حراء وهو فى غار على مسافة بضعة أميال من القرية الصاخبة ، فى رأس جبل من هذه الجبال المشرفة على مكة ، والتى ينقطع عندها لغو الناس وحديثهم الباطل ، ويبدأ السكون الشامل المستغرق فى هذه القمة السامقة المنزوية كان محمد – صلى الله عليه وسلم – يأخذ زاد الليالى الطوال ثم ينقطع عن العالمين متجهاً بفؤاده المشوق الى رب العالمين.. ... فى هذا الغار المهيب المحجب كانت نفس كبيرة تطل من عليائها على ما تموج به الدنيا من فتن ومغارم واعتداء وانكسار ثم تتلوى حسرة وحيرة لأنها لا تدرى من ذلك مخرجاً ولا تعرف له علاجاً.

---

(1) السيرة النبوية د محمد الطيب النجار ، د عبد المقصود نصار

(2) انظر كتاب : فقه السيرة للشيخ الغزالي ط دار الريان للتراث ط الأولى 1407هـ - 1987م ص 90.

وفى هذا الغار النائى كانت عين نفاذة محصية تستعرض تراث الهداة الأولين من رسل الله فتجده كالمنجم المُعتم لا يستخلص منه المعدن النفيس إلا بعد جهد جهيد وقد يختلط التراب بالتبر فما يستطيع بشر فصله عنه فى غار حراء كان محمد – صلى الله عليه وسلم – يتعبد ويصقل قلبه ، وينقى روحه ويقترب من الحق جهده ويبتعد عن الباطل وسعة ، حتى وصل من الصفاء الى مرتبة عالية انعكست يها اشعة الغيوب على صفحته المجلوة ، فأمسى لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح فى هذا الغار اتصل محمد– صلى الله عليه وسلم – بالملأ الأعلى.. ...

المطلب الرابع :

كيف كان يتعبد – صلى الله عليه وسلم – فى الغار ؟!

قيل كانت عبادته بالتفكر،كما نقله الحافظ ابن حجر عن بعض مشايخه وقيل الذكر، واختلفوا بأى الشرائع كان يدين تلك الأيام ، فقيل بشريعة نوح – عليه السلام – لكونه أول أولى العزم وقيل ابراهيم – عليه السلام – يؤيده ما فى سيرة ابن هشام (فيتحنف) بالفاء بدل الثاء أي يتبع الحنيفية وهى دين ابراهيم – عليه السلام –.

وقيل بشريعة موسى - عليه السلام - ، وقيل كل ما ثبت أنه شرع عنده اتبعه وعمل به ، وقيل غير ملتزم شريعة أحد لظاهر قوله تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان) ولخلوه من دلائل العقل والنقلهذا وقد رجَّح البعض تعبده بالذكر كما رجح البعض الآخر تعبده بدين ابراهيم – عليه السلام –.

قال الصالحي[1] : في تعبده قبل البعثة يذكر أهل السير أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يتعبد قبل البعثة على دين الحنيفية ، وذلك في غار حراء.

[1] سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (المقدمة/ 13).

قال ابن كثير: وإنما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحب الخلاء والانفراد عن قومه، لما يراهم عليه من الضلال المبين عن عبادة الأوثان والسجود للأصنام، وقويت محبته للخلوة عند مقاربة إيحاء الله إليه صلوات الله عليه وسلامه عليه.

وقد ذكر محمد بن إسحاق عن عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن حارثة - قال: وكان واعية - عن بعض أهل العلم قال: وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخرج إلى حراء في كل عام شهرا من السنة يتنسك فيه وكان من نسك قريش في الجاهلية، يطعم من جاءه من المساكين حتى إذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة.

وهذا يدل على أن هذا من عادة المتعبدين في قريش أنهم يجاورون في حراء للعبادة ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المشهورة:

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه * * وراق ليرقى في حراء ونازل

وفي أعلام النبوة [1] : واختلف أهل العلم هل كان قبل مبعثه بشريعة من تقدم من الأنبياء ؟ فذهب أكثر المتكلمين وبعض الفقهاء من أصحاب الشافعي و أبي حنيفة إلى أنه لم يكن متعبدا بشريعة من تقدمه من الأنبياء لأنه لو تعبد بها لتعلمها و لعمل بها و لو عمل بها لظهرت منه و لو ظهرت لاتبعه فيها الموافق و نازعه فيها المخالف.

وذهب بعض المتكلمين و أكثر الفقهاء من أصحاب الشافعي وأبي حنيفة إلى أنه كان متعبدا بشريعة من تقدمه من الأنبياء لأنهم دعوا إلى شرائعهم من عاصرهم ومن يأتي بعدهم ما لم تنسخ بنبوة حادثة فدخل الرسول - صلى الله تعالى عليه وسلم - في عموم الدعاء قبل مبعثه لأن الله تعالى لا يخلي زمانا من شرع متبوع ولا متدينا من تعبد مسموع.

---

[1] أعلام النبوة المؤلف : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (1 / 275)

واختلف من قال بهذا فيما كان متعبدا به من الشرائع المتقدمة فذهب بعضهم إلى أنه كان متعبدا بشريعة جده إبراهيم عليهما السلام لقوله تعالى : { {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ } [البقرة: 130] } لأنه كان في الحج والعمرة على مناسكه.

وذهب آخرون إلى أنه كان متعبدا بشريعة موسى فيما لم تنسخه شريعة عيسى عليهم السلام لظهور شريعته في التوراة و دروس ما تقدمها من الشرائع مع قول الله تعالى : { {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ } [المائدة: 44] }.

وذهب آخرون إلى أنه كان متعبدا بشريعة عيسى عليه السلام لأنها كانت ناسخة لشريعة موسى فسلم قبل مبعثه من حرج في دينه وقدح في يقينه وهذا من أمارات الاصطفاء و مقدمات الاجتباء.

المطلب الخامس

الوقت الذي كان يقضيه – صلى اله عليه وسلم - في الغار

ذُكِرَ أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يجاور فى حراء من كل سنة شهراً[1].

قال الحلبى [2] : وفى كلام بعضهم ما قد يدل على أنه لم يختلِ – صلى الله عليه وسلم – أقل من شهر وحينئذ يكون قوله فى الحديث الليالى ذوات العدد محمول على القدر الذى كان يتزود له فإذا فرغ زاده رجع إلى مكة وتزود إلى غيرها إلى أن يتم الشهر وكذا كان قول بعضهم : اختاره ثلاث ليال ، وتارة سبع ليال وتارة شهرا، ولم يصح أنه - صلى الله عليه وسلم اختلى أكثر من شهر.

---

[1] رواه ابن هشام ج 1 ص 122 عن عبيد ، وابن كثير في سيرته ج1 ص 390 ط دار الفكر عن عبد الله بن ابي سفيان بن العلاء بن حارثة

[2] السيرة الحلبية توزيع مكتبة الإيمان بالمنصورة ج 1 ص 381

المطلب السادس

حب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للخلوة والتفكر منذ صغره

كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثيرا ما يحب الخلوة بنفسه حتى وهو صغير قال الحلبي تعليقا على كلام صاحب الهمزية [1] :

ولعل الخلوة في كلام صاحب الهمزية المراد بها مطلق اعتزاله للناس وأراد بطفلا زمن رضاعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند حليمة فقد تقدم عنها ـ رضي الله تعالى عنها ـ أنها قالت لما ترعرع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يخرج إلى الصبيان وهم يلعبون فيتجنبهم لا خصوص اعتزاله الناس في غار حراء فلا ينافى قوله طفلا ظاهر ما تقدم من أن خلوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بغار حراء كانت في زمن تزوجه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بخديجة ـ رضي الله تعالى عنها ـ فكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجاور ذلك الشهر يطعم من جاءه من المساكين لأنه كان من نسك قريش في الجاهلية في ذلك المحل أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين.

المطلب السابع

زاده – صلى الله عليه وسلم – فى الخلوة

كان زاده الكعك والزيت فهما يبقيان لمدة طويلة ، ثم إنه ربما كان يتزود لشهر ولا يكفيه الزاد لكونه كان يعطى مَنْ أقبل عليه من الفقراء واختار ـ صلى الله عليه وسلم ـ الزيت لأن دسومته لا ينفر منها الطبع بخلاف اللبن واللحم.

---

[1] السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون علي بن برهان الدين الحلبي سنة الولادة 975/ سنة الوفاة 1044 تحقيق الناشر دار المعرفة (1/ 382) سنة النشر 1400 مكان النشر بيروت عدد الأجزاء 3

المطلب الثامن

هل كان – صلى الله عليه وسلم – أول من تحنث فى قومه ؟

كان التحنث عادة المتألهين[1] من قريش ، فقد ذكر محمد بن اسحاق [2] عن عبد الملك بن عبد الله بن أبى سفيان عن بعض أهل العلم قال :

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخرج إلى حراء فى كل عام شهرا من السنة يتنسك فيه ، وكان من نُسك قريش فى الجاهلية يُطعِم من جاءه من المساكين.

وقال الحلبى : وكان أول من تحنث فيه من قريش جده عبد المطلب ، فقد قال ابن الأثير : أول من تحنث بحراء عبد المطلب ، كان إذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين ثم تبعه على ذلك من كان يتأله ، أى يتعبد كورقة بن نوفل ، وأبى أمية بن المغيرة.

المطلب التاسع

الخلوة فى شريعة الإسلام

بقى لنا بعد أن سردنا أحداث خلوته - صلى الله عليه وسلم - أن نتحدث عن مكانة الخلوة فى شريعة الإسلام وما قيل فى التفكر والتأمل وموقف الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام منها.

ولا أجمل فى هذا المقام من أن نوجز ما ذكره الإمام الغزالى- رحمه الله- فى هذا الموضوع فقد أفرد كتابين فى موسوعته الإحياء أحدهما عن التفكر والآخر عن الخلوة والمخالطة ، ووجدتنى من الواجب علىَّ أن ألخص ما ذكره هذا الحبر الجليل كى تعم الفائدة ثم أَعرِضُ تعليقاً على ما قاله :

---

(1) تأله : تنسك وتعبد

(2) السيرة النبوية لإبن كثير ج 1ص 390 ط دار المعرفة

قال الإمام الغزالى [1] :

أمر الله - تعالى – بالتفكر والتدبر فى كتابه العزيز فى مواضع لا تُحصى ، وأثنى على المتفكرين فقال تعالى : " الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191) " [آل عمران : 191، 192]

وعن عطاء بن أبي رباح قال [2]: « دخلت مع عبد الله بن عمر وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنهم وهي في خدرها [3]، فقالت : من هؤلاء ؟ قلنا : عبد الله بن عمر، وعبيد بن عمير، فقالت : يا عبيد بن عمير، أنت كما قال الأول : زر غبا[4] تزدد حبا، فقال ابن عمر : دعونا من باطلكم هذا، حدثينا بأعجب ما رأيت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فبكت بكاء شديدا، ثم قالت : كل أمره كان عجبا، أتاني ذات ليلة، وقد دخلت فراشي، فدخل معي حتى لصق جلده بجلدي، ثم قال: ياعائشة ائذني لي أتعبد لربي- عز وجل - قالت : قلت : يا رسول الله، إني لأحب قربك وأحب هواك، قالت : فقام إلى قربة في البيت، فتوضأ منها، ثم قرأ القرآن، ثم بكى حتى ظننت أن دموعه بلغت حبوته، ثم جلس، فدعا وبكى حتى ظننت أن دموعه بلغت حجزته، ثم اضطجع على يمينه، وجعل يده اليمنى تحت خده الأيمن، ثم بكى حتى ظننت أن دموعه قد بلغت الأرض، ثم جاءه بلال بعدما أذن، فسلم، فلما رآه يبكي قال :

---

(1) احياء علوم الدين للإمام الغزالي ج 2 ص 362 وما بعدها كتاب التفكر – بتصرف – ط عالم الكتب – مكتبة عبد الوكيل الدروبي – دمشق – دَرويشية.

(2) شرح مشكل الآثار (12/ 33).

(3) الخدْر : ناحية في البيت يُتْرك عليها سِتْرٌ فتكون فيه الجارية البكر، وقد يراد به الستر مطلقا

(4) الغِبُّ مِن أوْرَاد الإبِل : أنْ تَرِدَ الماء يَوماً وتَدَعَه يوما ثم تَعُودَ، فَنقَله إلى الزِّيارة وإنْ جاء بعد أيام، والغب فعل الأمر والقيام به حينا بعد حين.

يا رسول الله، تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال : وما لي لا أبكي، وقد أنزلت علي الليلة :" إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.. . "[1] الآية، ويل لمن قرأها، ثم لم يتفكر فيها، ويحك يا بلال ألا أكون عبدا شكورا »

ومن علامات غضب الله -عز وجل - على الناس صرفهم عن التفكر فى آياته قال تعالى : " سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ. . . "[2] أي أمنع قلوبهم عن التفكر فى أمري.

وقديماً كان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول : يا لقمان إنك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك. فيقول لقمان : إنّ طول الوحدة أفهم للفكر وطول للفكر ودليل على طريق الجنة.

وبينما أبو شريح يمشى إذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكى فقيل ما يبكيك قال : تفكرت فى ذهاب عمرى وقلة عملى واقتراب أجلى.

وفى حدود التفكر ذكر الغزالى لذلك قولين :

الأول : ما قاله ابن عباس - رضى الله عنهما - إنّ قوماً تفكروا فى الله - عز وجل - فقال النّبى - صلى الله عليه وسلم - تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى الله فإنكم لن تُقَدِروا قدره [3]}

الثاني : قال أبو سليمان : الفكر فى الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية ، والفكر فى الآخرة يورث الحكمة ويحيى القلوب ". [4]

---

[1] [البقرة : 164]

[2] [الأعراف : 146]

[3] في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال - (3 / 106) برقم 5705- تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله فتهلكوا. "أبو الشيخ عن أبي ذر". وفيه برقم 5706- تفكروا في الخلق، ولا تفكروا في الخالق، فإنكم لا تقدرون قدره. "أبو الشيخ عن ابن عباس".

[4] في سلسلة أعمال القلوب.. للمنجد - (3 / 21) قال أبو سليمان: "عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر". وقال:" الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة و عقوبة لأهل الولاية، والفكر في الآخرة يورث الحكمة ويحي القلوب. ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف". الكتاب : سلسلة أعمال القلوب المؤلف : الشيخ محمد صالح المنجد

ثم تطرق الإمام الغزالي إلى بيان كيفية التفكر فى خلق الله فقال :

اعلم أنّ كل ما فى الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب تَظْهَرُ بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته وإحصاء ذلك غير ممكن لأنه لو كان البحر مدادا لذلك لنفد البحر قبل أن ينفد عشر عشيرة ، ولكنا نشير إلى جمل منه ليكون ذلك كالمثال لما عداه :

ومما قاله : فلا تتحرك ذرة فى السماوات والأرض من جماد ولا نبات ولا حيوان ولا فلك ولا كوكب إلا والله تعالى هو محركها ، وفى حركتها حكمة أو حكمتان أو عشر أو ألف حكمة. كل ذلك شاهد لله – تعالى – بالوحدانية ودال على جلاله وكبريائه وهى الآيات الدالة عليه

ومما قال الغزالى [1]:

والعجب كل العجب ممن يرى خطا حسنا أو نقشاً حسناً على حائط فيستحسنه فَيصْرِف همه إلى التفكر فى النقَّاش والخطَّاط وانه كيف اقتدر عليه ، ولا يزال يستعظمه فى فسه ويقول ما أحذقه ، وما أكمل صنعته ، وأحسن قدرته ، ثم ينظر إلى هذه العجائب فى نفسه وفى غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره ، فلا تدهشه عظمته ، ولا يحيره جلاله وحكمته.

ثم تناول الغزالى موقف التابعين من العزلة والمخالطة فقال : اختلف التابعون فى اختيار العزلة او تركها ، فذهب إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثورى وإبراهيم بن أدهم وداود الطائى وفضيل بن عياض ويوسف ابن أسباط.

---

[1] الإحياء ج 4 ص 371

وأما من ذهب إلى استحباب المخالطة واستكثار المعارف والإخوان والتآلف والتحبب إلى المؤمنين والاستعانة بهم فى الدين فمنهم سعيد بن المسيب والشعبى وابن ليلى وهشام ابن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك بن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعى وابن حنبل،

ومن أقوال هؤلاء:

قال إبراهيم النخعى[1] : تفقه ثم اعتزل ، وقال ابن عباس : أفضل المجالس مجلس فى قعر بيتك لا ترى ولا تُرى. ثم ساق الغزالى بعدها حجج كل من المائلين إلى المخالطة والمائلين إلى العزلة ورد على كل منهما فمما قاله : فى حجج المائلين إلى المخالطة :

احتجوا بالآتى :

1. قوله تعالى { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ } [2]

ورد عليهم : إنّ المراد به تفرق الآراء واختلاف المذاهب فى معانى القرآن وأصول الشريعة

2. قوله - صلى الله عليه وسلم - (من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية) [3] ورد عليهم بأن المراد به الجماعة التى اتفقت آراؤهم على إمام بعقد البيعة فالخروج عليهم بغى.

---

[1] في تذكرة الحفاظ وذيوله - (1 / 59) إبراهيم النخعي فقيه العراق أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود الكوفي الفقيه مات إبراهيم في آخر سنة خمس وتسعين كهلا قبل الشيخوخة رحمه الله تعالى.

[2] [آل عمران : 105]

[3] في مسند أحمد (13/ 424) : عَنْ زِيَادِ بْنِ رِيَاحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَخَرَجَ مِنْ الطَّاعَةِ فَمَاتَ فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا لَا يُحَاشِي مُؤْمِنًا لِإِيمَانِهِ وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ بِعَهْدِهِ فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِلْعَصَبِيَّةِ أَوْ يُقَاتِلُ لِلْعَصَبِيَّةِ أَوْ يَدْعُو إِلَى الْعَصَبِيَّةِ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ " الكتاب : مسند أحمد المؤلف : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى : 241هـ).

3. وقوله - صلى الله عليه وسلم - (المؤمن ألف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف)[1] ورد عليهم بأنه أشارة إلى مذمة سوء الخلق الذى تُمتَنَعْ بسببه المؤالفة ولا يدخل تحته الحَسنْ الخُلُق الذى إن خالط أُلِف وأَلِفَ ولكنه تَرَك المخالطة اشتغالاً بنفسه وطلباً للسلامة من غيره
4. وقوله - صلى الله عليه وسلم - لا يحل لأمرىء مسلم أن يهجر آخاه فوق ثلاث والسابق يدخل الجنة)[2]

ورد عليهم : المراد به الغضب على الناس واللجاج فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة فلا يدخل فيه ترك المخالطة أصلا من غير غضب.

حجج المائلين إلى تفضيل العزلة :

احتجوا بالآتى :

1. قوله تعالى حكاية عن إبراهيم – عليه السلام – وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي [مريم : 48].. ..)

ثم قال تعالى : " فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49) [مريم : 49].. إشارة إلى ذلك ببركة العُزلة.

---

[1] في مسند الشهاب - (1 / 108) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : المؤمن إلف مألوف ولا خير في من لا يألف وخير الناس أنفعهم للناس [مسند الشهاب - القضاعي] الكتاب : مسند الشهاب المؤلف : محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثانية، 1407 – 1986 تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي عدد الأجزاء :2

[2] في جامع الأحاديث - (17 / 73) برقم 17596- لا يحل لرجل مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام والسابق يسبق إلى الجنة (ابن النجار عن أبى هريرة) اسم الكتاب : جامع الأحاديث المؤلف : جلال الدين السيوطي المصدر : المكتبة الشاملة وفي صحيح البخاري - (19 / 21) 5612 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ وفيه : (19 / 22) عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ الكتاب : الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)

وردَّ عليهم بأن هذا ضعيف لأن مخالطة الكفار لافائدة فيها إلا دعوتهم الى الدين وعند اليأس من اجابتهم فلا وجه إلا هَجرهم وإنما لاكلام فى مخالطة المسلمين وما فيها من البركة

2 قوله تعالى فى سورة الكهف : " وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ.. ..". [الكهف : 16]

أمرهم بالعزلة ، وقد اعتزل نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة إلى أرض الحبشة ثم تلاحقوا به فى المدينة بعد أن أعلى الله كلمته.

وهذا ايضا اعتزال عن الكفار بعد اليأس منهم فإنه لم يعتزل المسالمين ولا من تَوَقَّعَ إسلامه من الكفار وأهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون وإنما اعتزلوا الكفار وإنما النظر فى العزلة من المسلمين

واحتجوا بقول النّبى- صلى الله عليه وسلم - لعبد الله بن عامر الجهمى لما قال :

يا رسول الله ما النجاة ؟ قال ليسعك بيتك وأمسك عليك لسانك وأبكِ على خطيئتك " [1].

---

[1] في شعب الإيمان - البيهقي - (6 / 260) عن عقبة بن عامر الجهني قال : كنت أمشي ذات يوم مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يا عقبة بن عامر صل من قطعك و اعط من حرمك و اعف عمن ظلمك ثم قال لي رسول الله يا عقبة بن عامر أمسك لسانك و أبك على خطيئتك و ليسعك بيتك وفيه عن عقبة بن عامر الجهني قال : كنت أمشي ذات يوم مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يا عقبة بن عامر صل من قطعك و اعط من حرمك و اعف عمن ظلمك ثم قال لي رسول الله يا عقبة بن عامر أمسك لسانك و أبك على خطيئتك و ليسعك بيتك و في رواية ابن أبي مريم قال : لقيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يوما فقلت ما النجاة ؟ فقال : يا عقبة املك عليك لسانك و ليسعك بيتك و ابك على خطيئتك

ورُدَّ عليهم بأن الحديث فيه نظر فلا يمكن تنزيله إلا على ما عَرِفَهُ - صلى الله عليه وسلم - بنور النبوة من حاله وإن لزوم البيت كان أليق به وأسلم له من المخالطة ؛ فإنه لم يأمر جميع الصحابة بذلك ، ورُب شخص تكون سلامته فى العُزلة لا فى المخالطة كما قد تكون سلامته فى القعود فى البيت وأن يخرج إلى الجهاد وذلك لا يدل على أن ترك الجهاد أفضل.

واحتجوا بقوله - صلى الله عليه وسلم - الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ.)[1] وقال ذلك لأنه فى مخالطة الاس مجاهدة ومقاساة.

ولمَّا لم يقطع بالعزلة أو المخالطة طريقا أفرد فوائد كل منها ومما قاله فى فوائد العزلة :

الفائدة الأولى :

التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله -عز وجل - عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى - فى أمر الدنيا والآخرة وملكوت السماوات والأرض فإن ذلك يستدعى فراغا ولا فراغ مع المخالطة ولذلك كان - صلى الله عليه وسلم - يتبتل فى جبل حراء ، وينعزل إليه حتى قوى فيه نور النبوة فكان الخلق لا يحجبونه عن الله فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مع الخالق.

---

[1] في مسند أحمد - (47 / 72) عَنْ يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَظُنُّهُ ابْنَ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ وفي السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي - (10 / 89) عَنْ يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم- قَالَ :« الْمُؤْمِنُ الَّذِى يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَفْضَلُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِى لاَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ ».

قيل للحسن : يا أبا سعيد ههنا رجل لم نره قط جالساً إلا وحده خلف سارية. فقال الحسن : إذارأيتموه فأخبرونى به. فنظروا إليه ذات يوم فقالوا للحسن : كهذا الرجل الذى أخبرناك به واشاروا إليه. فمضى إليه قال : ما يمنعك من مجالسة الناس ؟ فقال : أمر شغلنى عن الناس.

قال : فما يمنعك أن تأتى هذا الرجل الذى يقال له الحسن فتجلس إليه ؟ فقال : أمر يشغلنى عن الناس وعن الحسن. فقال له الحسن : وما ذاك الشغل يرحمك الله ؟ فقال : إنى أصبح وأمسى بين نعمة وذنب فرأيت أن أشغل نفسى بشكر الله- تعالى - على النعمة والاستغفار من الذنب. فقال الحسن : أنت يا عبد الله أفقه عندى من الحسن فالزم ما أنت عليه

الفائدة الثانية :

التخلص بالعزلة من المعاصى التى يتعرض الإنسان لها غالباً بالمخالطة ويَسلم منها فى الخُلوة ، وهى أربعة : الغيبة والنميمة والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة التى يوجبها الحرص على الدنيا.

الفائدة الثالثة :

الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها ، وقلما تخلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات فالمعتزل عنهم فى سلامة منها.

قال عبد الله بن عمرو بن العاص : لمَّا ذَكَرَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الفتن ووصفها وقال[1] : إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخَفَّت أمنتهم وكانوا هكذا وشبَّك بين أصابعه قلت : فما تأمرنى ؟ قال : إلزم بيتك وأملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر الخاصة ودع عنك العامة.

وقال - صلى الله عليه وسلم - [2]: يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن من شاهق إلى شاهق ومن حجر إلى حجر كالثعلب الذى يروغ. قيل له : ومتى ذلك يا رسول الله ؟ قال : إذا لم تُنَل المعيشة إلا بمعاصى الله - تعالى - فإذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه ، فإن لم يكن له أبوان فعلى يدى زوجته وولده ، فإن لم يكن فعل يدى قرابته. قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟! قال : يعيرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة.

وهذا الحديث وإن كان فى العزوبة فالعزلة مفهومة منه إذ لا يَستغنى المتأمل عن المعيشة والمخالطة ثم لا ينال المعيشة إلا بمعصية الله تعالى.

ثم ينتقل الإمام الغزالى إلى سرد آفات العزلة والتى هى فى نفس الوقت فوائد المخالطة ومما ذكر فى ذلك :

---

[1] في مصنف ابن أبي شيبة - (15 / 9) عن عَبْدِ اللهِ بْن عَمْرٍو، قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ ذَكَرَ الْفِتْنَةَ، أَوْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ، قَالَ : فَقَالَ : إِذَا رَأَيْت النَّاسَ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالَ : فَقُمْت إلَيْهِ، فَقُلْتُ : كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَك، قَالَ : فَقَالَ لِي : الْزَمْ بَيْتَكَ ، وَأَمْسِكْ عَلَيْك لِسَانَك ، وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ ، وَذَرْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْك بِخَاصَّةِ نَفْسِك، وَذَرْ عَنْك أَمْرَ الْعَامَّةِ.

[2] في صحيح البخاري - (1 / 31) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ.

◄ الفائدة الأولى للمخالطة :

التعليم والتعلم وهما أعظم العبادات فى الدنيا ولا يتصور ذلك إلا بالمخالطة ، فالعزلة قبل التعلم غاية الخسران ولهذا قال النخعى وغيره : تفقه ثم اعتزل

ومن اعتزل قبل التعلم فهو فى الأكثر مضيع أوقاته بنوم أو فكر فى هوس ، وغايته أن يستغرق الأوقات بأوراد يستوعبها ولا ينفك فى أعماله بالبدن والقلب عن أنواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله بحيث لا يدرى.

ولا ينفك اعتقاده فى الله - عز وجل - وصفاته عن أوهام يتوهمها ويأنس بها ، وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون فى أكثر أحواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العُبَّاد.

وكذا العَالِم المعتزل إذا صادف طالب لله ومتغرب بالعلم الى الله فأكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتمان العلم عنه.

◄ الفائدة الثانية النفع والانتفاع :

أما الانتفاع بالناس فبالكسب والمعاملة وذلك لا يتأتى إلا بالمخالطة والمحتاج إليه مضطر إلى ترك العزلة فيقع في جهاد من المخالطة أن طلب موافقة الشرع فيه كما ذكرناه في كتاب الكسب فإن كان معه مال لو اكتفى به قانعا لأقنعه فالعزلة أفضل له إذا انسدت طرق المكاسب في الأكثر إلى من المعاصي إلا أن يكون غرضه الكسب للصدقة

فإذا اكتسب من وجهه وتصدق به فهو أفضل من العزلة للاشتغال بالنافلة وليس بأفضل من العزلة للاشتغال بالتحقق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ولا من الإقبال بكنه الهمة على الله تعالى والتجرد بها لذكر الله أعني من حصل له أنس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة لا عن أوهام وخيالات فاسدة.

وأما النفع فهو أن ينفع الناس إما بماله أو ببدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة ففي النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لا ينال إلا بالمخالطة.

ومن قدر عليها مع القيام بحدود الشرع فهي أفضل له من العزلة إن كان لا يشتغل في عزلته إلا بنوافل الصلوات والأعمال البدنية وإن كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر أو فكر فذلك لا يعدل به غيره ألبتة

◄ الفائدة الثالثة من فوائد المخالطة : التأديب والتأدب :

التأدب ونعنى به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة فى تحمل آذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات وهى من الفوائد التى تُستفاد بالمخالطة وهى أفضل من العزلة فى حق من لم تتهذب أخلاقه ولم تذعن لحدود شهواته.

وأما التأديب فإنما نعني به أن يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم فإنه لا يقدر على تهذيبهم إلا بمخالطتهم وحاله حال المعلم وحكمه ويتطرق إليه من دقائق الآفات والرياء ما يتطرق إلى نشر العلم إلا أن مخايل طلب الدنيا من المريدين الطالبين للارتياض أبعد منها من طلبه العلم ولذلك يرى فيهم قلة وفي طلبة العلم كثرة

فينبغي أن يقيس ما تيسر له من الخلوة بما تيسر له من المخالطة وتهذيب القوم وليقابل أحدهما بالآخر وليؤثر الأفضل وذلك يدرك بدقيق الاجتهاد ويختلف بالأحوال والأشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفي ولا إثبات

◄الفائدة الرابعة : الاستئناس والإيناس :

وهو غَرَضُ من يحضر الولائم والدعوات ومواضع المعاشرة والأنس ، وهذا يرجع إلى حظ النفس فى الحال ، وقد يكون ذلك على وجهٍ حرام بمؤانسة من لا تجوز مؤانسته أو على وجهٍ مباح.

وقد يستحب ذلك لأمر الدين ، وذلك فيمن يستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله فى الدين كالأنس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى ، وقد يتعلق بحظ النفس ويُستَحب إذا كان الغرض منه ترويح القلب ولتهييج دواعى النشاط فى العبادة فإن القلوب إذا أُكرِهَتْ عَميت.

وقد يتعلق بحظ النفس ويستحب إذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط في العبادة فإن القلوب إذا أكرهت عميت ومهما كان في الوحدة وحشة وفي المجالسة أنس يروح القلب فهي أولى إذ الوفق في العبادة من حزم العبادة ولذلك قال - صلى الله عليه وسلم – " إن الله لا يمل حتى تملوا " [1].

وهذا أمر لا يستغنى عنه فإن النفس لا تألف الحق على الدوام ما لم تروح وفي تكليفها الملازمة داعية للفترة وهذا عني بقوله - صلى الله عليه وسلم -: " إنّ هذا الدين متين فأوغل فيه برفق "[2] والإيغال فيه برفق دأب المستبصرين ولذلك قال ابن عباس لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس

---

[1] في صحيح البخاري - (18 / 200) برقم 5413 عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَحْتَجِرُ حَصِيرًا بِاللَّيْلِ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ وَيَبْسُطُهُ بِالنَّهَارِ فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ فَجَعَلَ النَّاسُ يَثُوبُونَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ حَتَّى كَثُرُوا فَأَقْبَلَ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ. وفي مسند أحمد - (50 / 421) عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ نَاسًا كَانُوا يَتَعَبَّدُونَ عِبَادَةً شَدِيدَةً فَنَهَاهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ وَكَانَ يَقُولُ عَلَيْكُمْ مِنْ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا

[2] في مسند أحمد (20/ 346) : حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ » وفي السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي - (3 / 19) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قَالَ :« إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلاَ تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ رَبِّكَ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لاَ سَفَرًا قَطَعَ، وَلاَ ظَهْرًا أَبْقَى، فَاعْمَلْ عَمَلَ امْرِئٍ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَمُوتَ أَبَدًا، وَاحْذَرْ حَذَرًا تَخْشَى أَنْ تَمُوتَ غَدًا ».

◄الفائدة الخامسة :

في نيل الثواب و إنالته ، أما النيل فبحضور الجنائز وعيادة المريض وحضور العيدين وما إلى ذلك ، وأما إنالته فهو أن يفتح الباب لتعوده الناس أو ليعزوه فى المصائب أو يهنوه على النِعم ْفإنهم ينالون بذلك ثوابا

◄الفائدة السادسة :

التواضع فإنه أفضل المقامات ولا يقدر عليه فى الوحدة فكم من معتزل في بيته وباعثه الكبر ومانعه عن المحافل أن لا يوقر أو لا يقدم أو يرى الترفع عن مخالطتهم أرفع لمحله وأتقى لطراوة ذكره بين الناس وقد يعتزل خيفة من أن تظهر مقابحه لو خالط فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ البيت سترا على مقابحه إبقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير استغراق وقت الخلوة بذكر أو فكر وعلامة هؤلاء أنهم يحبون أن يزاروا ولا يحبون أن يزوروا ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين إليهم واجتماعهم على بابهم وطرقهم وتقبيلهم أيديهم على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي يبغض إليه المخالطة وزيارة الناس لبغض إليه زياراتهم له كما حكيناه عن الفضيل حيث قال وهل جئتني إلا لأتزين لك وتتزين لي

وعن حاتم الأصم أنه قال للأمير الذي زاره : حاجتي أن لا أراك ولا تراني. فمن ليس مشغولا مع نفسه بذكر الله فاعتزاله عن الناس سببه شدة اشتغاله بالناس لأن قلبه متجرد للالتفات إلى نظرهم إليه بعين الوقار والاحترام.

والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه أحدها أن التواضع والمخالطة لا تنقص من منصب من هو متكبر بعلمه أو دينه إذ كان علي - رضي الله عنه - يحمل التمر والملح في ثوبه ويده ويقول :

لا ينقص الكامل من كماله.. . ما جر من نفع إلى عياله

كان أبو هريرة وحذيفة وأُبى وأبن مسعود - رضى الله عنهم - يحملون الحطب وجرب الدقيق على أكتافهم ، وكان أبو هريرة يقول وهو والى المدينة والحطب على رأسه : طرقوا لأميركم. وكان سيد الخلق - صلى الله عليه وسلم - يشترى الشيء فيحمله إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه أعطني أحمله ، فيقول : " صاحب الشيء أحق بحمله "[1].

الوجه الثاني : أنَّ الذي شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لأنه لو عرف الله حق المعرفة علم أن الخلق لا يغنون عنه من الله شيئا وأن ضرره ونفعه بيد الله ولا نافع ولا ضار سواه وأن من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس بل رضا الناس غاية لا تنال فرضا الله أولى بالطلب.

ولذلك قال الشافعي ليونس بن عبد الأعلى : والله ما أقول لك إلا نصحا إنه ليس إلى السلامة من الناس من سبيل فانظر ماذا يصلحك فافعله وقيل للحسن : يا أبا سعيد إنَّ قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم إلا تتبع سقطات كلامك وتعنيتك بالسؤال. فتبسم وقال للقائل : هون على نفسك فإني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس لأني قد علمت أن خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم.

وقال موسى عليه السلام : يا رب احبس عني ألسنة الناس ؛ فقال : يا موسى هذا شيء لم أصطفه نفسي فكيف أفعله بك. وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى عزير إن لم تطب نفسا بأني أجعلك علكا في أفواه الماضغين لم أكتبك عندي من المتواضعين.

---

[1] في جامع الأحاديث 13/ 460: " صاحب الشيء أحق بحمله إلا أن يكون ضعيفا يعجز عنه فيعينه عليه أخوه المسلم (ابن عساكر عن أبى هريرة) أخرجه ابن عساكر

فإذن من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس وأقوالهم فيه فهو في عناء حاضر في الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ؛ فإذن لا تستحب العزلة إلا لمستغرق الأوقات بربه ذكرا وفكرا وعبادة وعلما بحيث لو خالطه الناس لضاعت أوقاته وكثرت آفاته ولتشوشت عليه عباداته

فهذه غوائل خفية في اختيار العزلة ينبغي أن تتقى فإنها مهلكات في صور منجيات

◄الفائدة السابعة :

التجارب فإنها تستفاد من المخالطة للخلق ومجاري أحوالهم

والعقل الغريزي ليس كافيا في تفهم مصالح الدين والدنيا

وإنما تفيدها التجربة والممارسة ولا خير في عزلة من لم تحنكه التجارب فالصبي إذا اعتزل بقي غمرا جاهلا بل ينبغي أن يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج إليه من التجارب ويكفيه ذلك ويحصل بقية التجارب بسماع الأحوال ولا يحتاج إلى المخالطة

ومن أهم التجارب أن يجرب نفسه وأخلاقه وصفات باطنه وذلك لا يقدر عليه في الخلوة فإن كل مجرب في الخلاء يسر وكل غضوب أو حقود أو حسود إذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات في أنفسها يجب إماطتها وقهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها.

فمثال القلب المشحون بهذه الخبائث مثال دمل ممتلىء بالصديد والمدة وقد لا يحس صاحبه بألمه ما لم يتحرك أو يمسه غيره فإن لم يكن له يد تمسه أو عين تبصر صورته ولم يكن من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل في نفسه وأعتقد فقده ولكن لو حركه محرك أو أصابه مشرط حجام لانفجر منه الصديد وفار فوران الشيء المختنق إذا حبس عن الاسترسال فكذلك القلب المشحون بالحقد والبخل والحسد والغضب وسائر الأخلاق الذميمة إنما تتفجر منه خبائثه إذا حرك

وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون لتزكيه القلوب يجربون أنفسهم

فمن كان يستشعر في نفسه كبرا سعى في إماطته حتى كان بعضهم يحمل قربة ماء على ظهره بين الناس أو حزمة حطب على رأسه ويتردد في الأسواق ليجرب نفسه بذلك فإن غوائل النفس ومكايد الشيطان خفية قل من يتفطن لها ولذلك حكي عن بعضهم انه قال اعدت صلاة ثلاثين سنة مع أني كنت أصليها في الصف الأول ولكن تخلفت يوما بعذر فما وجدت موضعا في الصف الأول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسي تستشعر خجلة من نظر الناس إلي وقد سبقت إلى الصف الأول فعلمت أن جميع صلواتي التي كنت أصليها كانت مشوبة بالرياء ممزوجة بلذة نظر الناس إلى ورؤيتهم إياي في زمرة السابقين إلى الخير

فالمخالطة لها فائدة ظاهرة عظيمة في استخراج الخبائث وإظهارها.

بقى أن نستخلص مما سبق أموراً :

الأمر الأول :

مقصود الخلوة فى الإسلام إنفراد العبد بنفسه فى رحاب الله - عز وجل - مستغفراً متضرعاً آملاً فى أن يفوز برضاه ساعياً إلى سمو النفس وارتقائها عن الدنايا.

فهى إذن تنقيه النفس مما علق بها من آثار المخالطة التى لاتخلو من خبيث مع طيب ، وهى إذن عودة إلى الله أولاً بأول خشية أن يُختم الأجل على غير ما تحمد عقباه ومحاسبة الانسان لنفسه واسترجاعه لرشده ، فإن كان حَمِدَ الله - عز وجل - الذى أعانه عليه ، وإن كان غير ذلك تاب وآناب فرد المظالم واستسمح أهلها ووجه نفسه إلى الصواب.

الأمر الثاني :

أنّ الخلوة والعزلة ليست بالشيء المستحدث فى الإسلام وإنما هى مسلك إنسانى هدى الله إليه الإنسان منذ خلقه كي يقف بين الحين والحين على ما آلت إليه نفسه فَيُقَوِم اعوجاجه ويصحح خطأه حتى يستمر المسار الانسانى على استقامة واحدة ويضمن لنفسه استمرار مسيرته على الأرض ، وفى ذلك تمام ما أراده الله – سبحانه – للبشرية فى إعمار الأرض.

وقد سلكت الصوفية فى دنيا الخلوة دروباً الله أعلم بها ونظموا لأنفسهم ألواناً من الأوراد والأذكار ، وجعلوا للخلوة قواعد ونظم جعلت منهم مراتب ودرجات ولم تكن الخلوة مقتصرة على أهل الصوفية فقط بل إنَّ أرباب السحر ، وأصحاب الفلسفات القديمة الذين ما زال البعض منهم يعيش فى بلاد الحضارات القديمة كالهند مثلاً ما زالوا يحتفظون لأنفسهم بألوان من الخلوة والرياضات الروحية التى جعلت منهم

اصحاب خوارق مقارنة بأندادهم من بنى البشر ، كأن[1] يقف أحدهم على الهواء أو يتحكم الآخر فى ضربات قلبه أو يعيش ثالث تحت الماء دون تنفس وما إلى ذلك.

وقد ينخدع الجهال بهؤلاء ويظنون أنهم أصحاب معجزات وهم لا يُفرِقُونَ بين معجزة الانبياء وخوارق هؤلاء. حتى أن أحدهم قال عن أحد الأنبياء أنه ركب سفينة فضاء [2] ، والذى يلفت النظر إليه أن الروح لها رياضاتها كما للبدن رياضته ، فأما البدن فرياضته مسلك واحد نمو العضلات ، وأما الروح فلها مسلكان ، مسلك يتصل بالمخلوقات فقط وهو طريق السحر والشعوذة أو عمل الخوارق التى لا عائد منها للبشرية وهو طريق لا يرجى فيه خير.

ومسلك يتصل بالله فقط وهو طريق الإخلاص والمحبة للخالق- عز وجل - وكل ما فيه خير.

ويأتى سؤال العامة فى هذا الموطن : أين أجد نفسى بين هؤلاء ؟

---

[1] ذكر ذلك د/ مصطفى محمود في كتابة : الخروج من التابوت وقد سجل فيه رحلته وملاحظاته في بلاد الهند

[2] قال ذلك يوسف ادريس في مؤلفه : " الذين صعدوا إلى السماء " عن نبي الله ادريس عليه السلام

إنك يا أخى لا شك لك مكانة ، فكما ذكرت أن الخلوة مسلك إنسانى لا يستغنى عنه عاقل ، ولكن هذا المسلك يختلف فى الكيفية والزمن باختلاف طبائع البشر والمسلم مسلكه واحد وطريقه معروف. لكن كما أن تقوية الأبدان لا تكون دفعة واحدة ، كذا تقوية الأرواح فهى تحتاج أولاً لنقطة البداية وهى الإخلاص ، ثم تحتاج إلى الصبر ، ونقطة البداية بأن تعطى النفس قدر طاقتها من الطاعات مع حملها على الاستزادة شيئاً فشيء،حتى إذا ذقت حلاوة الرضا عرفت وعرفت، فإذا عرفت فالزم ، ولا تطلب إلا رضى الله عنك. فإنه - سبحانه وتعالى - إن رضى عنك كنت يده التى يبطش بها وبصره الذي يبصر به[1].

بعدها لن تكون بحاجة لأحد من خلقه، لذا كان رجاء الرضا خير رجاء بل الرجاء الأوحد.

أما المسلك العملى فإننا نلحظ من توجيهات ما ورد من روايات عنه - صلى الله عليه وسلم - وعن صحابته الكرام وعن التابعين أنَّ العزلة وحدها ليست مطلوبة، وكذا المخالطة وحدها ليست مطلوبة ،وأنما أنت أحد عناصر الأسرة الإسلامية. والأسرة الإسلامية أحد عناصر المجتمع الإسلامى الذى هو أحد عناصر الأمة الإسلامية.

كلها حلقات كى تقوى لا بد أن تكون مترابطة قوية ، فالمخالطة مطلوبة لضمان ترابط الأسرة والمجتمع والأمة على أن تكون فى حدودها الشرعية فلا مخالطة فى محذور شرعى.

---

[1] في صحيح البخاري ت (16/ 339) : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ.

والخلوة مطلوبة بين الحين والحين تخلو فيها بنفسك مع الله - عز جل - على أن تأنس بوجوده - سبحانه - معك تقف بين يديه راجياً مستغفرا لا يراك أحداً سواه ولا تذل نفسك إلا أمامه ولا تدمع لك عين أو يتزلزل لك وجدان إلا فى حضرته.

حتى إذا فرغت منها فأنت نشاط وحركة وعمل دءوب واستعمار للأرض وليبقى سرك مع الله.. .. الله فقط.

واياك وازدواج الأمر فتفصل بين عمل الدنيا وعمل الآخرة بل ما فيك لله (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163) [الأنعام]) فلا تكن مع الله فى خلوتك فقط لكن كن معه فى مخالطتك وفى خلوتك فهو نور الوجدان وبهاء الكيان الإنساني الذى تسلكُ به الدرب الصحيح.

ثم تبقى لفته تدل على صدق ما ذكرت ، فإنك تقرأ فى جميع ما رُوى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - عن خلوته انه كان ينزع إلى أهله وكان يتزود لتلك الخلوة.

أما النزوع وهو الحنين ، فهو حنين إلى الأهل وبذل حقهم عليه فقد بينت الشريعة الغراء أنَّ لله - تعالى - حقاً ، وللنفس حقاً وللأهل حقاً وأمرت بأن تعطى كل ذى حق حقه.

وأما التزود فهو الأخذ بأسباب استمرار المعيشة مع العبادة أيضا ، فإن التوكل على الله ليس فى ترك الأسباب التى وضعها الله - عز وجل- ، بل التوكل هو تفويض الأمر إلى الله - سبحانه - فى إنجاح هذه الأسباب لأنه لا نجاح لها من طبيعتها ، وإنما نجاحها بتوفيقه وتيسيره لاربَّ غيره.

واختتم الإمام الغزالي الكلام في هذا الباب بقوله : إذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها تحققت أن الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيا وإثباتا خطأ بل ينبغي أن ينظر إلى الشخص وحاله وإلى الخليط وحاله وإلى الباعث على مخالطته وإلى الفائت بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة ويقاس الفائت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الأفضل.

وكلام الشافعي رحمه الله هو فصل الخطاب إذ قال : يا يونس الإنقباض عن الناس مكسبة للعداوة والإنبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط ؛ فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالأحوال. وبملاحظة الفوائد والآفات يتبين الأفضل هذا هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر ، وإنما هو إخبار كل واحد عن حالة خاصة هو فيها ولا يجوز أن يحكم بها على غيره والمخالف له في الحال

المبحث الرابع

بدء الوحي

وفيه عدة مطالب :

المطلب الأول : ما ورد من روايات عن بدء الوحى

المطلب الثاني : توضيح بعض الكلمات التى وردت بهذه الروايات

المطلب الثالث : هل غَدَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ.

المطلب الرابع : ما اشتملت عليه روايات الوحي.

المطلب الخامس : تحليل بعض المواقف من الروايات

المطلب السادس : مقصود الوحي وحالاته.

المطلب السابع : حامل الوحي

المطلب الثامن : اساليب حامل الوحي.

المطلب التاسع : ما الذي كان ينزل به جبريل - عليه السلام -.

المطلب العاشر : هل قُرِنَ اسرافيل بالنبي قبل جبريل.

المطلب الحادي عشر : هل شُقَّ صدر النّبي – صلى الله عليه وسلم – قبيل مبعث ؟

المطلب الثاني عشر : من دروس وعبر مجيء الوحي.

المطلب الثالث عشر : من دروس وعبر روايات الوحي.

المطلب الأول

ما ورد من روايات عن بدء الوحى

تمهيد

لا شك انّ موضوع بدء الوحى هو الأساس الأول والقاعدة الأساسية التى يرتكز عليها ، ليس فقط سيرة صاحب الرسالة - صلى الله عليه وسلم - وإنما جميع حقائق الدين عقائده وتشريعاته ، وإنما كانت الأهمية لأمرين هامين :

أولهما :

أنّ الإيمان بوحى السماء إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - هو المدخل الذى لا بد منه إلى اليقين بسائر ما جاء به من إخبارات غيبية وأوامر تشريعية.

فالوحى الإلهى هو الفيصل الوحيد بين الإنسان الذى يفكر من عنده ويُشرع من هواه وعقله ، والإنسان الذى يبلغ عن ربه دون أن يُغير أو ينقص أو يزيد ، والإيمان بأن ما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - هو من عند الله أساس الإسلام وإلا فلا صلاة ولا صيام ولا أى عبادة تقبل دون هذا الإيمان

الأمر الثاني :

تلك القضايا التى ابتدعها محترفى التشكيك ومبدعى التلبيس ، والتى بذلوا فيها قصارى جهدهم فى معالجة أمر الوحى قاصدين ازاحته عن كونه وحياً من السماء محاولين بذلك التشكيك فى أمر هذه الرسالة برمتها ، آملين أن ينقض أمر الإسلام.

ولهذين الأمرين كان لابد أن نتناول هذا الموضوع - قدر المستطاع - دراسة وتحليلاً ، ونعرض ما فيه من القضايا التشريعية والدروس والعبر ، ثم نلتفت إلى ما حاوله المشككين فى الوحى لنسد عليهم باب الحقد والجهل الذى يحاولون من خلاله النيل من الإسلام ورسوله ، ونزيح أيضا ستائر الظلمة التى أمام أعين الكثيرين التى أسدلتها موجات الجهل المتلاحقة جيلاً بعد جيل ، حتى بَعِدوا عن حقائق الأمور وتكاسلوا عن البحث عنها بعد أن فقدوها رغم كونها لا تزال أمامهم ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور.

وحديث الوحى كما مر بنا وذاكرناه بين القوم وعرفناه لكنا لم ندرك منه إلا بعض ظواهره ، فهو يتلخص عند عامتنا فى تعبد النبى - صلى الله عليه وسلم - فى غار حراء الليالى ذوات العدد ثم مجيء المَلَك إليه وهو بالغار فضمه وطلب منه أن يقرأ.. . كرر طلبه هذا ثلاثاً حتى قال له :اقرأ باسم ربك الذى خلق.. ...) وهكذا بدأت الرسالة الخاتمة وبدأ وحى السماء على محمد - صلى الله عليه وسلم -.

هذا كل ما عند أغالب الناس عن بدء الوحى ، ولا تقل لى عند صنف معين من الناس بل هو الغالب عند جهالهم ومتعلميهم.

وتحت تأثير التقاعد والتكاسل أودعنا حقائق هذا الموقف جانباً ، وتركنا لغيرنا التأويل والتفسير والتحليل ، وما يتأولون ويفسرون ويحللون إلا بأدوات الحقد ومعايير الكراهية إلا من شاء الله أن يشرح صدره لنور الحق.

أَوَّل هؤلاء وفسروا وحللوا وجابوا فى عقولهم وأرهقوا تفكيرهم كي يجدوا ثغرة تُزيح هذه الرسالة الخاتمة من مقام الرسالات السماوية فلما لم يجدوا فى واقعهم قلَّبوا فى خيالهم ليجدوا الثغرات والثغرات التى بنوها على المغالطات وسوء النية ، وبينما هم كذلك ونحن على تقاعدنا وتكاسلنا إذ وكِّل الله لهذه الأمة - كما فى كل عصر - من يَزُودُ عنها ويُجدد أمرها فكانت الدراسات المتعددة في كل عصر ترد على هذه الأباطيل وتلك الشبهات والتي بات من المهم تعريفها لأهل الإسلام قبل غيرهم تحصينا لهم من الزلل وتوهم أن ما يُفتري له بعض الصحة أو حتى يستحق أن تفرد له المؤلفات.

وفى محاولتى لتحقيق الهدف من تحليل هذا الموضوع وكشف ما فيه وجدت نفسى أمام موضوعات لا بد من طرحها ومناقشتها وهى كثيرة حتى نصل إلى درجة مرضية من الفهم الصحيح لهذه القضية.

ومن هذه الموضوعات الروايات التى وردت فى هذا الموضوع ، وما ورد فيها من ألفاظ وموضوعات ، ومقصود الوحى لغة وشرعاً وحالاته ومكانة جبريل - عليه السلام - أمين الوحى وهل تكفَّل بالنّبى - صلى الله عليه وسلم - غير جبريل من الملائكة ، والوحي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ثم الافتراءات التى رسمها بعض أدعياء البحث الحاقدين على الإسلام ورسوله ، والتى حاولوا من خلالها معالجة موضوع الوحى فى حياته - صلى الله عليه وسلم - بعد جهد فكرى شاق على أنها قد تكون إلهاماً أو حديث نفس أو نتاج جهد فكرى طويل ، بل إنَّ بعضهم قد ظن أنَّ ما يأتى محمد - صلى الله عليه وسلم - إنما هو حالة صرع اعترته ولازمته طوال حياته ولضمان عرض كامل للموضوع وجب علىَّ أن أعرض ما روته كتب السيرة من روايات حول هذا الموضوع ثم نوجز مضمونها ونتطرق بعد ذلك لعرض القضايا التى يحويها الموضوع ولنبدأ أولاً بسرد ما جاء من روايات تخص أمر اللقاء الأول وبداية الوحى.

ما ورد من روايات عن بدء الوحى

روى البخاري في صحيحه حديث بدء الوحي في كتاب بدء الوحي وفي كتاب التعبير

أما مارواه البخارى فى كتاب بدء الوحي [1] :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ [2]: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ[3] رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ[4] فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ[5] فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ[6] وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ [7] قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ[8] وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ : اقْرَأْ. قَالَ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ. قَالَ : فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : اقْرَأْ. قُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:اقْرَأْ. فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:{ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ [9] }

---

[1] صحيح البخاري (1/ 7).

[2] روى مسلم في صحيحه هذا الحديث - وسنده : حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ

[3] في صحيح مسلم : كان أول ما بدئ

[4] في صحيح مسلم : الرؤيا الصادقة في النوم

[5] في صحيح مسلم : فكان يخلو

[6] في صحيح مسلم : يتحنث فيه.

[7] في صحيح مسلم : الليالي أولات العدد.

[8] في صحيح مسلم : حتى فَجِئه الوحي.

[9] في صحيح مسلم إلى قوله تعالى : علم الإنسان ما لم يعلم.

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَرْجُفُ فُؤَادُهُ [1] فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – فَقَالَ : زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ [2] : لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي. فَقَالَتْ خَدِيجَةُ : كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا [3] إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ [4] وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ [5] وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ[6] فَيَكْتُبُ مِنْ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ : يَا ابْنَ عَمِّ [7] اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ[8] : يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى ؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَبَرَ مَا رَأَى. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي[9] فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ.

فَقَالَ[10] رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ ؟ قَالَ : نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا [ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ] [11].

---

[1] في صحيح مسلم : : ترجف بوادره حتى دخل على خديجة.
[2] في صحيح مسلم : ثم قال لخديجة : أي خديجة مالي وأخبرها الخبر.
[3] في صحيح مسلم : قالت له خديجة : كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا ، وفي رواية البخاري عن الزهري عن عائشة قالت : فوالله لا يُخزيك الله أبدا.
[4] في صحيح مسلم : والله إنك لتصل الرحم.
[5] في صحيح مسلم : وهو ابن عم خديجة أخي أبيها.
[6] في صحيح مسلم : وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الأنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب.
[7] في صحيح مسلم : قالت خديجة : أي عم.
[8] في صحيح مسلم : قال له ورقة بن نوفل.
[9] في صحيح مسلم : ياليتني أكون حيا.
[10] في صحيح مسلم : قال – بدون فاء -
[11] ما بين القوسين زيادة في البخاري فقط

أما ما رواه في كتاب التعبير ففيه زيادة الزُّهْرِيُّ وهو[1] :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ح و حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ قَالَ الزُّهْرِيُّ فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّهَا قَالَتْ :

أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءً فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ فَقَالَ اقْرَأْ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : اقْرَأْ. فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } حَتَّى بَلَغَ{ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ يَا خَدِيجَةُ مَا لِي وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ وَقَالَ قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ لَهُ كَلَّا أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخُو أَبِيهَا وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ فَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنْ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ أَيْ ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ وَرَقَةُ ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا رَأَى فَقَالَ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ فَقَالَ وَرَقَةُ نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ

[1] صحيح البخاري (9/ 30).

نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا بَلَغَنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ وَتَقِرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ { فَالِقُ الْإِصْبَاحِ } ضَوْءُ الشَّمْسِ بِالنَّهَارِ وَضَوْءُ الْقَمَرِ بِاللَّيْلِ

وروى مسلم فى صحيحه [1]:

وحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ حَدَّثَنِي يُونُسُ قَالَ : قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يُحَدِّثُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ قَالَ فِي حَدِيثِهِ : فَبَيْنَما أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَجُئِثْتُ[2] مِنْهُ فَرَقًا فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ : زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي. فَدَثَّرُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ } وَهِيَ الْأَوْثَانُ قَالَ ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ.

---

[1] صحيح مسلم (1/ 98).

[2] في رواية خالد عن ابن شهاب عن ابا سلمة : فجئثت منه فرقا حتى هويت.

وفي الدلائل [1]: عن سعيد بن المسيب وكان فيما بلغنا أول ما رأى أن الله -عز وجل - أراه رؤيا في المنام، فشق ذلك عليه، فذكرها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لامرأته خديجة بنت خويلد بن أسد فعصمها الله -عز وجل - من التكذيب، وشرح صدرها بالتصديق، فقالت : أبشر فإن الله - عز وجل - لن يصنع بك إلا خيرا، ثم إنه خرج من عندها، ثم رجع إليها فأخبرها أنه رأى بطنه شق، ثم طهر وغسل، ثم أعيد كما كان. قالت : هذا والله خير فأبشر، ثم استعلن له جبريل -عليه السلام - وهو بأعلى مكة فأجلسه على مجلس كريم معجب كان النّبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : » أجلسني على بساط كهيئة الدرنوك [2] فيه الياقوت واللؤلؤ « فبشره برسالة الله عز وجل حتى اطمأن النّبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال له جبريل - عليه السلام -، اقرأ. فقال » كيف أقرأ « قال : اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - ويزعم ناس أن يا أيها المدثر أول سورة أنزلت عليه، والله أعلم.

قال البيهقى : قال ابن شهاب :

وكانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن تفرض الصلاة ، قال : وقَبِلَ الرسول - صلى الله عليه وسلم - رسالة ربه - عز وجل - واتبع الذى جاء به جبريل - عليه السلام - من عند الله فلما قبل الذى جاءه من عند الله - تعالى - وانصرف منقلباً الى بيته جعل لا يمر على شجرة ولا صخر إلا سَلَّم عليه ، فرجع مسرورا الى أهله موقناً ، قد رأى امراً عظيماً ، فلما دخل على خديجة قال : أرايتُكِ الذى كنت أُحدثَكِ أنى رأيته فى المنام فإنه جبريل - عليه السلام - استعلن لى، أرسله إليّ ربى، وأخبرها بالذى جاءه من الله - عز وجل - وما سمع منه فقالت :

---

[1] دلائل النبوة للبيهقي (2/ 142). .

[2] الدرنوك : ستر له حمل وجمعه درانك.

أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيرا فاقبل الذى جاءك من عند الله - عز وجل - فإنه حق وأبشر فإنك رسول الله حقاً. ثم انطلقت مكانها حتى أتت غلاماً لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس نصرانياً من أهل نينوى يقال له عداس فقالت له : ياعداس أذكرك بالله إلا ما اخبرتنى هل عندك علم من جبريل ؟

فقال عداس : قدوس قدوس ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التى أهلها أهل الأوثان ! اخبرني بعلمك فيه. قال : فإنه أمين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام.

فرجعت خديجة من عنده فجاءت ورقة بن نوفل وكان ورقة قد كره عبادة الأوثان هو وزيد بن عمرو بن نفيل وكان زيد قد حرَّم كل شيء حرمه الله - عز وجل - من الدم والذبيحة على النُصب ، ومن أبواب الظلم فى الجاهلية فعمد هو وورقة بن نوفل يلتمسان العلم حتى وقفا بالشام فَعَرَضتْ اليهود عليهما دينهم فكرهاه وسألا رهبان النصرانية ، فأما ورقة فتنصر وأما زيد فكره النصرانية ، فقال له قائل من الرهبان : إنك تلتمس ديناً ليس يوجد اليوم فى الأرض فقال له زيد : أى دين ذلك ؟

قال القائل : دين القيم دين إبراهيم خليل الرحمن. قال : وما كان دينه ، قال: كان حنيفاً مسلما ، فلما وصف له دين إبراهيم - عليه السلام - قال زيد أنا على دين إبراهيم ، فسجد نحو الكعبة فى الجاهلية. فقال لما تبين له الهدى : أسلمت وجهى لمن أسلمت له المزن يحملن عذباً زلالا ثم توفى زيد وبقى ورقة بعده كما يزعمون سنتين فقال ورقة بن نوفل وهو يبكى زيد بن عمرو بن نفيل :

رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما تجنبت تنورا من النار حاميا

بدينك ربا ليس رب كمثله وتركك جنان الجبال كما هى

تقول إذا جاوزت أرضاً مخوفة باسم الإله بالغدوة وساريا

تقول إذا صليت فى كل مسجد حنانيك لا تظهر على الأعاديا

فلما وصفت خديجة لورقة حين جاءته شأن محمد وذكرت له جبريل - عليه السلام - وما جاء به إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من عند الله - عز وجل - قال لها ورقة : يا بنية آخر ما أدرى لعل صاحبك النبى الذى ينتظرُ أهل الكتاب الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل واقسم بالله لئن كان إياه ثم أظهر دعاءه وأنا حىَّ لأبلين فى طاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وحسن مؤازرته الصبر والنصر ، فمات ورقة.

وفى رواية ابن هشام عن ابن إسحاق[1] :

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ قَالَ قَالَ عُبَيْدٌ : فَكَانَ رَسُولُ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - يُجَاوِرُ ذَلِكَ الشّهْرَ مِنْ كُلّ سَنَةٍ يُطْعِمُ مَنْ جَاءَهُ مِنْ الْمَسَاكِينِ فَإِذَا قَضَى رَسُولُ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - جِوَارَهُ مِنْ شَهْرِهِ ذَلِكَ كَانَ أَوّلُ مَا يَبْدَأُ بِهِ إذَا انْصَرَفَ مِنْ جِوَارِهِ الْكَعْبَةَ، قَبْل أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ فَيَطُوفُ بِهَا سَبْعًا أَوْ مَا شَاءَ اللهُ مِنْ ذَلِكَ ثُمّ يَرْجِعُ إلَى بَيْتِهِ حَتّى إذَا كَانَ الشّهْرُ الّذِي أَرَادَ اللهُ تَعَالَى بِهِ فِيهِ مَا أَرَادَ مِنْ كَرَامَتِهِ مِنْ السّنَةِ الّتِي بَعَثَ اللهُ تَعَالَى فِيهَا ؛ وَذَلِكَ الشّهْرُ (شَهْرُ) رَمَضَانَ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - إلَى حِرَاءٍ، كَمَا كَانَ يَخْرُجُ لِجِوَارِهِ وَمَعَهُ أَهْلُهُ حَتّى إذَا كَانَتْ اللّيْلَةُ الّتِي أَكْرَمَهُ اللهُ فِيهَا بِرِسَالَتِهِ وَرَحِمَ الْعِبَادَ بِهَا، جَاءَهُ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السّلَامُ - بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى. قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - : فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ وَأَنَا نَائِمٌ بِنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ فَقَالَ : اقْرَأْ.

قَالَ : قُلْت : مَا أَقْرَأُ ؟ قَالَ : فَغَتّنِي بِهِ حَتّى ظَنَنْتُ أَنّهُ الْمَوْتُ ثُمّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ.

قَالَ : قُلْت : مَا أَقْرَأُ ؟ قَالَ فَغَتّنِي بِهِ حَتّى ظَنَنْت أَنّهُ الْمَوْتُ ثُمّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ : قُلْت : مَاذَا أَقْرَأُ ؟ قَالَ فَغَتّنِي بِهِ حَتّى ظَنَنْتُ أَنّهُ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ.

قَالَ : فَقُلْت : مَاذَا أَقْرَأُ ؟ مَا أَقُولُ ذَلِكَ إلّا افْتِدَاءً مِنْهُ أَنْ يَعُودَ لِي بِمِثْلِ مَا صَنَعَ بِي، فَقَالَ : { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبّكَ الّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبّكَ الْأَكْرَمُ الّذِي عَلّمَ بِالْقَلَمِ عَلّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } قَالَ : فَقَرَأْتهَا ثُمّ انْتَهَى فَانْصَرَفَ عَنّي وَهَبَبْتُ مِنْ نَوْمِي، فَكَأَنّمَا كَتَبْتُ فِي قَلْبِي كِتَابًا. قَالَ :

---

[1] السيرة النبوية لابن هشام (2/ 69).

فَخَرَجْتُ حَتّى إذَا كُنْتُ فِي وَسَطٍ مِنْ الْجَبَلِ سَمِعْت صَوْتًا مِنْ السّمَاءِ يَقُولُ : يَا مُحَمّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ قَالَ فَرَفَعْت رَأْسِي إلَى السّمَاءِ أَنْظُرُ فَإِذَا جِبْرِيلُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ صَافّ قَدَمَيْهِ فِي أُفُقِ السّمَاءِ يَقُولُ : يَا مُحَمّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ.

قَالَ : فَوَقَفْت أَنْظُرُ إلَيْهِ فَمَا أَتَقَدّمُ وَمَا أَتَأَخّرُ وَجَعَلْت أَصْرِفُ وَجْهِي عَنْهُ فِي آفَاقِ السّمَاءِ قَالَ : فَلَا أَنْظُرُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا إلّا رَأَيْتُهُ كَذَلِكَ فَمَا زِلْتُ وَاقِفًا مَا أَتَقَدّمُ أَمَامِي وَمَا أَرْجِعُ وَرَائِي حَتّى بَعَثَتْ خَدِيجَةُ رُسُلَهَا فِي طَلَبِي، فَبَلَغُوا أَعْلَى مَكّةَ وَرَجَعُوا إلَيْهَا وَأَنَا وَاقِفٌ فِي مَكَانِي ذَلِكَ ثُمّ انْصَرَفَ عَنّي وَانْصَرَفْتُ رَاجِعًا إلَى أَهْلِي حَتّى أَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَجَلَسْت إلَى فَخِذِهَا مُضِيفًا إلَيْهَا : فَقَالَتْ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَيْنَ كُنْتَ ؟ فَوَاَللهِ لَقَدْ بَعَثْتُ رُسُلِي فِي طَلَبِك حَتّى بَلَغُوا مَكّةَ فَقَالَتْ : أَبْشِرْ يَا ابْنَ عَمّ وَاثْبُتْ فَوَاَلّذِي نَفْسُ خَدِيجَةَ بِيَدِهِ إنّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ نَبِيّ هَذِهِ الْأُمّةِ ثُمّ قَامَتْ فَجَمَعْت عَلَيْهَا ثِيَابَهَا، ثُمّ انْطَلَقْت إلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى بْنِ قُصَيّ، وَهُوَ ابْنُ عَمّهَا، وَكَانَ وَرَقَةُ قَدْ تَنَصّرَ وَقَرَأَ الْكُتُبَ وَسَمِعَ مِنْ أَهْلِ التّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، فَأَخْبَرْته بِمَا أَخْبَرَهَا بِهِ رَسُولُ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - أَنّهُ رَأَى وَسَمِعَ فَقَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ : قُدّوسٌ قُدّوسٌ وَاَلّذِي نَفْسُ وَرَقَةَ بِيَدِهِ لَئِنْ كُنْتِ صَدّقْتِينِي يَا خَدِيجَةُ لَقَدْ جَاءَهُ النّامُوسُ الْأَكْبَرُ الّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى، وَإِنّهُ لَنَبِيّ هَذِهِ الْأُمّةِ فَقُولِي لَهُ فَلْيَثْبُتْ. فَرَجَعَتْ خَدِيجَةُ إلَى رَسُولِ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - فَأَخْبَرْته بِقَوْلِ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، فَلَمّا قَضَى رَسُولُ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - جِوَارَهُ وَانْصَرَفَ صَنَعَ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ بَدَأَ بِالْكَعْبَةِ فَطَافَ بِهَا، فَلَقِيَهُ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي أَخْبِرْنِي بِمَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : وَاَلّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنّك لَنَبِيّ هَذِهِ الْأُمّةِ وَلَقَدْ جَاءَك النّامُوسُ[1] الْأَكْبَرُ الّذِي جَاءَ مُوسَى وَلَتُكَذّبَنّهُ وَلَتُؤْذَيَنّهُ وَلَتُخْرَجَنّهُ وَلَتُقَاتَلَنّهُ وَلَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَأَنْصُرَنّ اللهَ نَصْرًا يَعْلَمُهُ ثُمّ أَدْنَى رَأْسَهُ مِنْهُ فَقَبّلَ يَافُوخَهُ [2] ثُمّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - إلَى مَنْزِلِهِ.

---

[1] في القاموس المحيط - (1 / 746) الناموسُ : صاحِبُ السّرّ المُطَّلِعُ على باطِنِ أمرِكَ أو صاحِبُ سِرّ الخيرِ وجِبريلُ والحاذِقُ ومن يَلْطُفُ مَدْخَلُهُ وقُتْرَةُ الصائِدِ. وفي التعاريف - (1 / 689) الناموس الشرع الذي شرعه الله

[2] قال في القاموس المحيط - (1 / 317) أفَخَهُ : ضَرَبَ يافُوخَهُ وهو : حَيْثُ الْتَقَى عَظْمُ مُقَدَّمِ الرَّأسِ ومُؤَخَّرِهِ و من اللَّيْلِ : مُعْظَمُهُ ج : يَوافِيخُ وهذا يَدُلّ على أنَّ أصْلَهُ : يَفَخَ ووهِمَ الجوهريُّ في

وروى الحافظان[1] : البيهقى وابن كثير فى كتابيهما (دلائل النبوة) والبداية والنهاية من حديث يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن أبيه عن عمرو بن شَرَحْبيل أنَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لخديجة : إنى إذا خلوت وحدى سمعت نداءً ، وقد خشيت والله أن يكون لهذا أمر).

قالت : معاذ الله ، ما كان ليفعل ذلك بك ، فوالله إنك لتؤدى الأمانة ، وتصل الرحم ، وتصدُق الحديث ، فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم ذكرت له خديجة ، فقالت : يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة.

فلما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذ بيده أبو بكر فقال : انطلق بنا إلى ورقة. قال : ومن أخبرك ؟ قال : خديجة ، فانطلقا إليه فقصا عليه فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنى إذا خلوت وحدى سمعت نداء خلفى : يا محمد يا محمد ، فانطلق هارباً فى الأرض. فقال له : لا تفعل إذا آتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول لك ، ثم ائتني فاخبرني.

فلما خلا ناداه : يا محمد ، قل بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين.. . حتى بلغ (ولا الضالين) قل لا إله إلا الله ، فأتى ورقة فذكر له ذلك ، فقال له ورقة : أبشر ثم أبشر فأنا أشهد أنك الذى بشر بك ابن مريم ، وأنك على مثل ناموس موسى ، وأنك نبى مرسل ، وأنك ستؤُمر بالجهاد بعد يومك هذا ، ولئن أدركنى ذلك لأجاهدن معك.

فلما توفى قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لقد رأيت القس فى الجنة عليه ثياب الحرير ، لأنه آمن بى وصدقنى) يعنى ورقة[2].

ذِكْرِهِ هناوفي الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - دار العلم للملايين (1 / 418) ليأفوخ: الموضع الذى يتحرك من رأس الطفل، وهو يفعول، والجمع اليآفيخ. وأفخته: ضربت يأفوخه. ويافوخ الليل: معظمه.

[1] البداية والنهاية لإبن كثير ج 2 ص 398 وما بعدها ودلائل النبوة ج2 ص 158.

[2] هذا لفظ البيهقي وهو حديث مرسل وفيه غرابة وهو كون الفاتحة أول ما نزل

وقال ابن كثير [1]: وقد ذكر الحافظ بن عساكر فى ترجمة ورقة بإسناده إلى سليمان بن طرخان التيمى قال :

بلغنا أنّ الله - تعالى - بعث محمداً رسولا على رأس خمسين سنة من بناء الكعبة ، وكان أول شيء اختصه به من النبوة والكرامة رؤيا كان يراها ، فقصَّ ذلك على زوجته خديجة بنت خويلد ،فقالت له : أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً ، فبينما هو ذات يوم فى حراء ، وكان يفرُّ إليه من قومه إذ نزل عليه جبريل فدنا منه ، فخافه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مخافة شديدة فوضع جبريل يده على صدره ومِنْ خلفه بين كتفيه ، فقال : احطُطْ وِزرَهُ واشرح صدره ، وطهر قلبه ،

يا محمد أبشر فإنك نبى هذه الأمة اقرأ، فقال له نبى الله وهو خائف يُرعِد :ما قرأت كتابا قط ولا أحسنه ، وما أكتب وما اقرأ فأخذه جبريل – عليه السلام – فغته غتاً شديداً ثم تركه ، ثم قال له : اقرأ. فأعاد عليه مثله فأجلسه على بساط كهيئة الدرنوك فرأى فيه من صفاته وحسنه كهيئة اللؤلؤ والياقوت وقال له اقرأ باسم ربك الذى خلق) الآيات ثم قال له : لا تخف يا محمد إنك رسول الله ، ثم انصرف ، وأقبل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - همُّه ، فقال : كيف اصنع وكيف أقول لقومى ؟!

ثم قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو خائف فأتاه جبريل من أمامه وهو فى صعرته[2] فرأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمراً عظيماً ملأ صدره فقال له جبريل : لا تخف يا محمد ، جبريل رسول الله ، جبريل رسول الله إلى أنبيائه ورسله ، فأَيقِنْ بكرامة الله فإنك رسول الله.

---

[1] السيرة النبوية لإبن كثير ج1 ص 406 – 410 تحقيق مصطفى عبد الواحد.

[2] صعرته : اي عظمته

فرجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يمر على شجر ولا حجر إلا وهو ساجد يقول : السلام عليك يا رسول الله ، فاطمأنت نفسه وعرف كرامة الله إياه ، فلما انتهى إلى زوجته خديجة أبصرت ما بوجهه من تغير لونه ، فأفزعها لبعض ما ترى وتسمع بعد اليوم.

فقال : يا خديجة أرأيت الذى كنت أرى فى المنام والصوت الذى كنت اسمع فى اليقظة وأهال منه ؟ فإنه جبريل قد استعلن لى وكلمنى واقرأنى كلاماً فزعت منه ، ثم عاد إلىَّ فاخبرني أنى نبىَّ هذه الأمة ، فأقبلت راجعا فأقبلت على شجر وحجارة فقلن : السلام عليك يا رسول الله.

فقالت خديجة : أبشر فوالله لقد كنت أعلم أنّ الله لن يفعل بك إلا خيرا ، وأشهد أنك نبى هذه الأمة الذى تنتظره اليهود ، وقد أخبرني به ناصح غلامى وبحيرى الراهب وأمرنى أن أتزوجك منذ أكثر من عشرين سنة ، فلم تزل برسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى طعم وشرب وضحك ثم خرجت إلى الراهب وكان قريبا من مكة فلما دنت منه وعرفها قال : مالك يا سيدة نساء قريش ؟

فقالت : أقبلت اليك لتخبرنى عن جبريل ، فقال سبحان الله ربنا القدوس ما بال جبريل يُذكر فى هذه البلاد التى يَعْبد أهلها الأوثان ؟! جبريل أمين الله ورسوله إلى أنبيائه ورسله وهو صاحب موسى وعيسى فعرفت كرامة الله لمحمد ، ثم أتت عَبدْا لعتبة ابن ربيعة يقال له : عداس فسألته فأخبرها بمثل ما أخبرها به الراهب وأزيد قال : جبريل كان مع موسى حين أغرقَ فرعون وقومه ، وكان معه حين كلمه الله على الطور ، وهو صاحب عيسى بن مريم الذى أيده الله به ثم قامت من عنده فأتت ورقة بن نوفل فسألته عن جبريل فقال لها مثل ذلك ثم سألها ما الخبر ؟ فأحلفته أن يكتم ما تقول له ، فحلف لها ؛ فقالت له : إن ابن عبد الله ذكر لى وهو صادق أحلف بالله ما كذب ولا كُذِّب ، أنه نزل عليه جبريل بحراء ، وأنه أخبره أنه نبىُّ هذه الأمة وأقرأه آيات أُرسِلَ بها.

قال : فَذُعِرَ ورقة لذلك وقال : لئن كان جبريل قد استقرت قدماه على الأرض لقد نزل على خير أهل الأرض ، وما نزل إلا على نبى ، وهو صاحب الأنبياء والرسل يرسله الله إليهم وقد صَدقْتُك عنه ، فارسلى إلىَّ ابن عبد الله واسمع من قوله وأحدثه فإنى أخاف أن يكون غير جبريل ، فإن بعض الشياطين يتشبه به ليضل به بعض بنى آدم ويفسدهم ، حتى يصير الرجل بعد العقل الرَضىِّ مُدَلَّها مجنوناً ، فقامت من عنده وهى واثقة بالله أن لا يفعل بصاحبها إلا خيراً ، فرجعت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته بما قال ورقة فأنزل الله تعالى (ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون.. ..) الآيات.

فقال لها :كلا والله إنه لجبريل فقالت له : أحب أن تأتيه فتخبره لعل الله أن يهديه ، فجاءه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له ورقة : هذا الذى جاءك فى نور أو ظلمة ؟ فأخبره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن صفة جبريل وما رآه من عظمته وما أوحاه إليه. فقال ورقة أشهد أن ذا جبريل وأنّ هذا كلام الله فقد أمرك بشيء تبلغه قومك ، وإنه لأمر نُبوته فإن أُدْرك زمانك أتَّبعك. ثم قال : أبشر ابن عبد المطلب بما بَشَّرك الله به.

قال : وذاع قول ورقة وتصديقه لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فشق ذلك على الملأ من قومه. قال : وفتر الوحى فقالوا : لو كان من عند الله لتتابع ولكن الله قَلَاه ، فأنزل الله (والضحى) و(ألم نشرح) بكمالهما.

هذه هى الروايات التى جمعناها فيما يختص بأمر نزول الوحى على محمد - صلى الله عليه وسلم - لأول مرة ، ويجب علينا بعدها أن نستعرض - قبل الخوض فى قضاياها وموضوعاتها - ما جاء فى هذه الروايات من ألفاظ ، ثم نستعرض مقارنة الأحداث التى وردت بهذه الروايات على وجه الإختصار.

المطلب الثاني

توضيح بعض الكلمات التى وردت بهذه الروايات

- حتى جاءه الحق :

كلمة حتى تدل على استمرار ما قبلها ، وتكرره إلى هذه الغاية ، كأنه قيل : ومازال يجيء للتزود ويذهب للتعبد ويقيم عند أهله طورًا ، وفى الغار طورًا حتى جاءه الحق وهو فى الغار.

والحق : صفة لمحذوف اى الشيء الحق وهو إشارة إلى وحى النبوة ،والقرآن الذى هو حق ثابت من عند الله لا خيال باطل من الأوهام.

- فجاءه المَلَك :

الفاء تفصيلية [1] لبيان كيفية مجيء ذلك الوحى والمَلَك بفتح اللام و(ال) فيه للعهد والمعهود وهو جبريل - عليه السلام -.

وفى رواية مسلم (حتى فَجِئَهُ الحَقُّ)

قال النووى : اى جاءه الوحى بغته فإنه - صلى الله عليه وسلم - لم يكن متوقعاً للوحى ، ويقال فجِئه – بكسر الجيم وبعدها همزة مفتوحة ويقال فجأة بفتح الجيم والهمزة لغتان مشهورتان حكاهما الجوهرى وغيره.

- فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ :

قال ابن كثير[2] فى مقصود ما أنا بقارئ : الصحيح أنّ قوله - صلى الله عليه وسلم - ما أنا بقارئ نفى ،أى لست ممن يحسن القراءة ، ، ومن قال إنها استفهامية فقوله بعيد ويؤيد ذلك رواية أبى نعيم من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو خائف يرتعد (ما قرأت كتاباً قط ولا أحسنه وما أكتب وما أقرأ فأخذه جبريل - عليه السلام - فغته غتاً شديداً ثم تركه فقال له اقرأ فقال - صلى الله عليه وسلم - ما أرى شيئا اقرأه ، وما اقرأ وما اكتب [3].

---

[1] انظر كتاب المختار من كنوز السنة د محمد عبد الله دراز ص 17

[2] السيرة النبوية لإبن كثير ج 1 ص 393

[3] نهاية قول ابن كثير

وقال ابن حجر فى شرح صحيح البخارى [1] :

قوله ما أنا بقارئ ثلاثاً : ما نافية إذ لو كانت استفهامية لم يصلح دخول الباء ، وإن حكى عن الأخفش جوازه فهو شاذ ، والباء زائدة لتأكيد النفى ، أى ما أحسن القراءة فلما قال ذلك ثلاثاً قيل له (اقرأ باسم ربك) أى لا تقرؤه بقوتك ولا بمعرفتك لكن بحول ربك وإعانته فهو يعلمك كما خلقك وكما نزع عنك علق الدم وغمز الشيطان فى الصغر وعلم أمَّتك حتى صارت تكتب بالقلم بعد أن كانت أمية ذكره السهيلى ، وقال غيره : إن هذا التركيب – وهو قوله ما أنا بقارئ- يفيد الاختصاص ورده الطيبى بأنه إنما يفيد التقوية والتأكيد.

وتقديره لست بقارئ البتة. فإن قيل : لم كرر ذلك ثلاثاً؟ أجاب أبو شامة بأن يُحمل قوله أولاً " ما أنا بقارئ " على الامتناع ، وثانياً على الإخبار بالنفى المحض وثالثاً على الاستفهام ويؤيده أن فى رواية أبى الأسود فى مغازية عن عروة انه قال : كيف اقرأ ؟ وفى رواية عبيد عن عمير عن ابن إسحاق : ماذا اقرأ ؟ وفى مرسل الزهرى فى دلائل البيهقى : كيف اقرأ وكل ذلك يؤيد أنها استفهامية والله أعلم [2].

وقال النووى [3] : قوله : ما أنا بقارئ معناه لا أحسن القراءة فما نافيه هذا هو الصواب.

وقال : قال القاضى : ويصحح قول من قال : استفهامية رواية من روى (ما اقرأ) ويصح أن تكون (ما) فى هذه الرواية نافية والله أعلم [4].

وما أجمل ما ذكره الدكتور / عبد الله دراز هنا حيث قال [5]:

---

[1] كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج 1 ص 32 ،33 ط دار الريان للتراث

[2] نهاية قول ابن حجر

[3] كتاب صحيح مسلم بشرح النووي ج 1 ص479 دار الحديث القاهرة ط الثالثة 1419 هـ / 1998م

[4] نهاية قول النووي

[5] انظر المختار من كنوز السنة المرجع السابق ص 19 -20 بتصرف

ودخول الباء فى خبر (ما) يدل على إنها نافية لأنها إنما تزاد لتأكيد النفى لا الاستفهام ، وأما ما جاء فى رواية ابن إسحاق (ماذا اقرأ) وفى رواية البيهقى فى الدلائل :

(كيف اقرأ) فإنه لا يدل على إنها استفهامية فى رواية البخارى ومسلم ، بل الجمع بين هذه الروايات ممكن بتوزيع الصيغ الثلاثة ـ كأنه ـ والله أعلم ـ لمَّا أمره أولاً بالقراءة مبهمة قال : ماذا أقرأ ؟ ! فقال له : اقرأ هذا الكتاب مثلاً ، فقال : لست بقارئ. أى لم يسبق لى تعلمُّ القراءة فلما أعاد عليه الأمر قال : كيف اقرأ وقد أوضحت لك العذر ؟ فقال(اقرأ باسم ربك الذى خلق.. ..)

فتستقيم الروايات الثلاث ولا تتعارض. والملاحظ أن مجيء الأمر بالقراءة هنا جاء مُبْهما غير مذكور المفعول وهو يحمل ثلاث معاني :

الأول : إما لقصد الفعل كأنه قال :كن قارئاً وهو أمر تكويني ٌ إلهىٌّ على لسان جبريل ـ عليه السلام ـ

الثاني : أن يكون الأمر دعائى من جبريل ـ عليه السلام ـ ومعناه اقرأ ليعلمك الله القراءة.

الثالث : أن يكون له مفعول قد حُذِفَ للتشويق إلي ذكره أي اقرأ ما سيلقى عليك ، كما تقول لمُخَاطِبكَ (اسْمَعْ) قبل أن تُحَدثَهُ بما تريد ، ويصحُّ أن يكون حذفُ المفعول للعلم به علماً حضورياً. يدل على هذا ما رواه ابن إسحاق مرسلاً عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : أتانى جبريل بنمط من ديباج فقال اقرأ.. .. الخ

قال الدكتور / عبد الله دراز :

أقول : إن كان هذا الكتاب المرقوم إنما أتى به جبريل ليستملي منه ويُلَقَّنَ النّبى ما فيه فواضح وإن كان ليُطالِعَهُ النّبى - صلى الله عليه وسلم - ويقرا نقوشه فللبحث فيه مجال ، ولكن تكليفه بقراءة الكتاب من الصحيفة وهو لا يقرأ ولا يكتب من قبيل تكليف ما لا يُطاق ،فإن ادعى مدع أن الله علمه حين ذاك قراءة النقوش مستندا إلى ظاهر قوله تعالى (عَلمَ بالقلم) لزم عليه حين ذاك قراءة النقوش بهذا التعليم عن الأمية التى هى من دعائم الإعجاز ولا يخفى بطلانه إلا أن يقال : أنّه علمه قراءة تلك الصحيفة المكتوبة بقلم القدرة ولا يلزم من ذلك تعلمه قراءة الصحف المكتوبة بأقلام الناس.

لكن هذا وإن دفع الإشكال ، بعيد غاية البعد لأن وقوع هذا الحادث فى باكورة الوحى القرآنى والامتنان عليه بأنه سينتقل بذلك إلى عهد جديد من العلم اللدُنى ، كلُ ذلك يلوح منه أنّ الذى وقع له إذ ذاك نموذج لما بعده ، فإذا كان تعلمه الآن على منهاج إقرائه من الصحيفة فالظاهر أنه لا يفتح عليه هذا الباب لمسألة واحدة من العلم ثم يُغلق دونه بل ينبغى أن يكون أمره عند الوحى القرآنى كذلك وهذا يحتاج إلى توفيق ونقل صحيح.

ثم قال الدكتور / دراز : فالذى نذهب إليه فى فهم هذه الرواية إنما نظير قوله تعالى (رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (2) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (3))

ولم يكن النّبى - صلى الله عليه وسلم - يوما ما يتلو القرآن فى صحيفة فإذا ليس بمعنى تلاوة المكتوب أخذه من الكتابة بالمطالعة ، بل الأخذ بالسماع والتلقين لشيء هو مدون ومسجل فى كتاب مرقوم لعل الحكمة فى عرض الصحيفة عليه حين الأمر بالقراءة الإشارة إلى أن ما سيجيئه على لسان جبريل ليس من جبريل وإنما هو عبد مأمور وسفير أمين يحمل إليه بريدا من عند الله كما قال تعالى : " كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (11) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (12) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (13) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (14) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (15) كِرَامٍ بَرَرَةٍ(16) "

وفيه أيضا أنّ ما يوحيه إليه من قبيل العلوم التى لا يُعَلَّمُ مثلها الأميون وإنما يُعَلَّمُها القارئون الكاتبون غير أنه لما اقترن عرض الصحيفة بالأمر بالقراءة وكان ظاهر هذا الاقتران أنه يأمره بالقراءة من الصحيفة نفسها حمله النّبى - صلى الله عليه وسلم - على ظاهره فقال : ما أنا بقارئ أي لست من القارئين ، بل أنا من الأميين الذين لا يحسنون قراءة الصحف وتعجَّب من هذا الطلب العجيب حتى علم أخيرا أنها قراءة عن ظهر الغيب لشيء لم يسبق له حفظه بل يتعلمه الآن بإذن الله – تعالى – الذى (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم).

- فى مقصود فغطنى :

يروى فغطنى كما فى الصحيحين وغتنى كما فى رواية أبى نعيم [1] من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه ، وغتنى أيضا فى رواية الطبري ، والغط حبسٌ للنفس بالخنق أو الضمر الشديد ، وأصل الغط فى الماء غمس الشيء وتغويصه فيه ، والغطيط : صوت من احتبس نفَسَهُ كصوت النائم والمخنوق.

قال ابن حجر[2] : وفى رواية الطبرى (فغتنى) كأنه أراد ضمنى وعصرنى والغط حبس النَفَس ،ومنه غطه فى الماء أو أراد غمنى ومنه الخنق ، ولأبى داود الطيالسى فى مسنده بسند حسن "فأخذ بحلقى".

وقال النووى [3] :

غطنى : معناه عصرنى وضمنى يقال : غطه وغته وعسره وخنقه وغمزه كله بمعنى واحد.

---

[1] السيرة النبوية لإبن كثير ج 1 ص 393

[2] فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج 1ص 33 ط دار الريان للتراث

[3] صحيح مسلم بشرح النووي ج 1 ص 479.

والملاحظ أنّ أسلوب الحديث قد تحول بجعله على لسان الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد أن كان فى أول الحديث على لسان السيدة عائشة - رضى الله عنها - يَنُمُّ على أنّه من أوله مسند إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإن لم تبين السيدة عائشة طريق الإسناد ، فإما أن تكون سمعته منه مباشرة أو سمعته من بعض الصحابة الذين شهدوا هذه القصة أو سمعوها من الرسول - صلى الله عليه وسلم - فلا أقل من أن يكون الحديث من مراسيل الصحابة ومرسل الصحابى حجة لا خلاف يُعْتَدُ به فى ذلك.

- قوله : حتى بلغ منى الجهد : يروى بضم الجيم وفتحها بالنصب والرفع.

قال النووى [1]: أما الجهد فيجوز فتح الجيم وضمها لغتان وهو الغاية والمشقة ويجوز نصب الدال ورفعها فعلى النصب (بلغ جبريل منى الجهد) وعلى الرفع (بلغ الجهد منى مبلغه وغايته)[2].

والحكمة فى هذا الإجهاد[3] تمرينه - صلى الله عليه وسلم - على ما سيلاقيه من ثقل الوحى وشدائد النبوة ، والمبالغة فى غرس المعانى الآتية فى نفسه حتى لا ينساها ، لأنها اقترنت بظروف لها أثر عميق فى الوجدان ، وهذه أيضا هى الحكمة فى تكرار هذا القول والفعل ثلاثاً فإنه بالتكرار يزداد روحه تيقظاً وانتباها ، وتزداد المعلومات ثباتا. ومن هنا ينبغى للمعلمين إعادة الكلام إلى ثلاث حتى يُفهم عنهم مرادهم ولذلك صح أنّ النّبى - صلى الله عليه وسلم - كان اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تُفهم عنه ، واستنبط القاضى شُريح من هنا ألا يُضْرَبَ الصبى على القرآن اكثر من ثلاث.

- قوله : ثم أرسلنى : أى أطلقنى
- فقال (اقرأ باسم ربك الذى خلق.. ..) وهذا دليل لمن قالوا أن أول ما نزل من القرآن (اقرأ) ولنا فيه بحث.

---

[1] صحيح مسلم بشرح النووي ج 1 ص 479
[2] نهاية كلام النووي
[3] انظر كتاب المختار من كنوز السنة ص 32

- وقوله فرجع بها : أى بالآيات أو بالقصة
- قوله : زملونى : أى غطونى بالثياب ولفونى
- قوله الروع : الفزع
- قوله : يرجف فؤاده : أى يضرب قلبه ، وأصله شدة الحركة
- قوله : لقد خشيت على نفسى :

والخشية مع الرجفة دل على انفعال حصل له من مجيء المَلَك.

قال ابن حجر[1]: والخشية المذكورة اختلف العلماء فى المراد بها على أثنى عشر قولا:

أولها : الخشية من الجنون ، وأن يكون مارآه من جنس الكهانة جاء مصرحاً به فى عدة طرق ، وأبطله أبو بكر بن العربى وحُقَّ له أن يُبطل ، لكن حمله الإسماعيلى على أنّ ذلك حصل له قبل حصول العلم الضرورى له أن الذى جاءه مَلَك ، وأنه من عند الله تعالى.

ثانيها : الهاجس، وهو باطل أيضا لأنه لا يستقر وهذا استقر وحصلت بينهما المراجعة.

ثالثها : الموت من شدة الرعب.

رابعها : المرض وقد جزم به ابن أبى جمرة.

خامسها : دوام المرض.

سادسها : العجز عن حمل أعباء النبوة.

سابعها : العجزعن النظر إلى المَلَك من الرعب.

ثامنها : عدم الصبر على أذى قومه.

تاسعها : أن يقتلوه.

---

[1] فتح الباري ج 1 ص 33

عاشرها : مفارقة الوطن.

حادى عشرها : تكذيبهم إياه.

ثانى عشرها : تعييرهم إياه.

قال ابن حجر بعد ذلك :

وأولى هذه الأقوال بالصواب وأسلمها من الارتياب الثالث واللذان بعده ، وما عداها فهو معترض والله الموفق[1].

أى أنّه يرجح أنّه - صلى الله عليه وسلم - خشى الموت من شدة مارأى ، أو خشى المرض وقتها أو دوام المرض.

أما الإمام النووى[2] فقد رد على من قالوا أنّ الخشية هنا شك فيما أتاه من الله تعالى يقول القاضى عياض : ليس هو بمعنى الشك فيما أتاه الله تعالى ، لكنه ربما خشى أن لا يقوى على مقاومة هذا الأمر ولا يقدر على حمل أعباء الوحى فتُزهق نفسه أو يكون هذا لأول ما رأى التباشير فى النوم واليقظة ، وسمع الصوت قبل لقاء المَلَك وتحققه رسالة ربه فيكون خاف أن يكون من الشيطان الرجيم ، فأما منذ جاءه المَلَك برسالة ربه - سبحانه وتعالى - فلا يجوز عليه الشك فيه ، ولا يخشى من تسليط الشيطان عليه ، وعلى هذا الطريق يحمل جميع ما ورد من مثل هذا فى حديث البعث.

---

[1] نهابة كلام ابن حجر.

[2] صحيح مسلم بشرح النووي ج 1 ص 480.

وقد أيد هذا القول د / عبد الله دراز حيث قال [1]:

أما الخشية فليست من الشك بسبيل ، وإنما هى خشية الموت لضعف احتمال قوتَّه البشرية لتلك القوة المَلَكية التى كان من آثار مُلاقاتها احتباسُ نفسه وبلوغ حدِّ طاقته ، ويدل على أن الخشية من هذه الناحية أنه عبَّر عنها بصيغة الماضى المنقطع لا بصيغة المضارع الدّال على بقاء الخشية إلى زمن التَّكلُّم.

ويحتمل أن تكون الخشية خشية إشفاق من أعباء الرَّسالة وأنّه عسى أن يكون هذا الابتلاء الالهىُّ كاشفاً عن ضعف عزيمته أو تقصير فى التبليغ ، وهذا وجهٌ بعيدٌ من الصِّيغة ، وأبعد منه حَملُها على خشية أن يكون هذا إخبارا عن اللحظة الأولى عند أول ملاقاة المَلَك له وضمَّه إليه ذلك الضَّم الشديد قبل أن يتلو عليه ذلك الوحى القرآنى بقوله (اقرأ باسم ربك.. ..) أما عند تنزيل هذا الوحى فقد علم علما ضروريا بأنه مَلَكٌ من عند الله ـ تبارك وتعالى ـ

قول خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبداً :

وفى رواية مسلم : كلا أبشر فوالله ما يخزيك الله أبداً :

وفى رواية البيهقى : أبشر فإن الله – عز وجل – لا يصنع بك إلا خيرا.

وفى رواية ابن هشام قالت : أبشر يا بن عم واثبت فوالذى نفس خديجة بيده أنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة.

كلا : بمعنى النفى والإبعاد [2] وقد تأتى بمعنى حقا وبمعنى (ألا) التى للتنبيه يستفتح بها الكلام ، وقد جاءت فى القرآن العزيز على أقسام ، وقد جمع الإمام ابو بكر بن الانبارى أقسامها ومواضعها فى باب من كتابه الوقف والابتداء و(كلا)[3] هنا نفى للشيء بأسلوب جازم أو نهى و(زجر) كذلك.

---

[1] المختار من كنوز السنة ص 26.
[2] انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج 1 ص 480.
[3] المختار من كنوز السنة ص 28 -29.

فالمعنى الأول : أنه ليس هناك ما يوجب هذا الخوف والفزع.

وعلى الثاني :لا تخف ، بل أبشر وهذا النَّهى ليس عن خوف حاصل بالفعل، إذ قد عرفت أنّ الخشية قد زايلتهُ وذهب عنه الرَّوعُ قبل أن يتحدث إلى خديجة بل إما أن يكون نهياً عن الفزع الماضى ، واستحضاراً لصورته الماضية كأنه واقع بالفعل.

قولها : والله ما يخزيك الله أبداً :

الإخزاء الإيقاع فى الخزى ، وهو الذُّل والهوان والفضيحة وقد أقسمت السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ على ذلك استنادا إلى ما عرفته من شريف خصاله التى يجمعها

- قوله : إنك لتصل الرحم
الرحمُ : القرابة ، وصلة الرحم تكون على حسب حال الواصل والموصول ،فتارة تكون بالمال وتارة تكون بالخدمة وتارة بالزيارة والسلام وغير ذلك.

- وتحمل الكَلَّ:
- قال ابن حجر : هو مَنْ لا يستقل بأمره كما قال الله تعالى (وهو كَلَّ على مولاه) وقال النووى : الكَلَّ بفتح الكاف واصله الثقل ، ومنه قوله تعالى ((وهو كَلَّ على مولاه) ويدخل فى حمل الكَلَّ الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك. وهو من الكلال وهو الإعياء
وفى التعبير بالحمل عن المعونة لطفٌ لا يُخفى

- قولها وتَكسِب المعدوم :
فى رواية البخارى ومسلم بفتح أوله، وقال ابن حجر : فى رواية الكُشْمَيهَنى[1] (وتُكسب) بضم أوله.

---

[1] في مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار (3/ 445) الكشميهنى : بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وكسر الميم وسكون الياء آخر الحروف وفتح الهاء وفى آخرها نون: نسبة إلى كشميهن، قرية من قرى مرو القديمة وقد خرجت، خرج منها جماعة من العلماء قديما وحديثا منهم. وفي الإكمال - (3 / 385) أبو الهيثم محمد بن مكي بن زراع الكشميهني أحد شيوخ أبي ذر الذين روى عنهم الجامع الصحيح للبخاري روى عن محمد بن يوسف بن مطر ابن صالح بن بشر الفربري وغيره)

قال النووى : فمن رواه بالضم فمعناه تُكسب غيرك المال المعدوم أى تعطيه إياه تبرعا فحذف أحد المفعولين وقيل معناه تعطى الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق.

وأما رواية الفتح فقيل : معناه كمعنى الضم ، قيل معناه تَكسَبُ المال المعدوم ، وتصيب منه ما يعجز غيرك عن تحصيله ، وكانت العرب تتمادح بكسب المال المعدوم وكان النّبى - صلى الله عليه وسلم - محظوظا فى تجارته ، وهذا القول حكاه القاضى عن ثابت صاحب الدلائل وهو ضعيف أوغلط وأي معنى لهذا القول فى هذا الموطن إلا أنه يمكن تصحيحه بأن يضم إليه زيادة فيكون معناه : تَكسب المال العظيم الذى يعجز عنه غيرك ، ثم تجود به فى وجوه الخير وأبواب المكارم كما ذَكَرَتْ من حَمل الكَلّ وصلة الرحم وقرى الضيف والإعانة على نوائب الحق فهذا هو الصواب فى هذا الحرف.

أما صاحب التحرير فجعل المعدوم عبارة عن الرجل المحتاج المُعدم العاجز عن الكسب ، وسماه معدوما لكونه كالمعدوم الميت حيث لم يتصرف فى المعيشة كتصرف غيره. قال وذكر الخطابى إن صوابه (المُعدم) بحذف الواو وليس كما قال الخطابى ، بل ما رواه الرواة صواب قال : وقيل معنى (تكسب المعدوم) أى تسعى فى طلب عاجز تنعشه. والكسب هو الاستفادة وهو الذى قاله صاحب التحرير وإن كان له بعض الاتجاه كما حررت لفظه فالصحيح المختار ما قدمته والله أعلم [1].

وقد عبَّر ابن كثير عن العبارة بما يقارب قول النووى حيث قال [2] : تَكسب المعدوم أى تسبق إلى فعل الخير فتبادر إلى إعطاء حسنة قبل غيرك ، ويسمى الفقير معدوما لان حياته ناقصة فوجوده وعدمه سواء كما قال بعضهم : ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميتُ الأحياء .

---

[1] نهاية كلام النووي ص 481.
[2] السيرة النبوية لإبن كثير ج 1 ص395

وقال ابو الحسن التهامى :

عُدَّ ذا الفقير ميتاً وكِساه كفنا باليا ومأواه قَبْرَاً

وقال ابن كثير : واختار شيخنا الحافظ أبو الحجاج المِزَّى أنّ المراد بالمعدوم ههنا المال المُعطى ، أى يُعطِي المال لمن هو عادمه. ثم قال : ومن قال : إنّ المراد أنّك تَكسب باتجارك المالَ المعدوم او النفيس القليل النظير فقد أبعد النجعة وأغرق فى النَّزع وتكلف ما ليس له علم.

وقد أوجز د /عبد الله دراز هذا المعنى فقال :

تَكسِبُ المعدوم ـ بفتح التاء ـ أى تنال من المكارم ومعالى الأمور ما لا يناله غيرك ، لأنك سبَّاق إلى المكُرماتِ منقطعُ النظير فيها ، أو تنال من الحظوظ فى الأرزاق بالتجارة وسداد الرأى فيها ما لا ينالُه غيرُك ، لأنك ميمونُ الطَّلعةِ ، مباركُ الغُدوة والرَّوحة ، وهذا المعنى الثاني ، وإن لم يكن على طريقة سابقة ولاحقة لأن السيّاق فى الأعمال لا فى الحظوظ إلا أنَّه على الجملة مرشِّحٌ للمقصود ، فإنّ مآله إلى الله الذى عوَّدَكَ الجميل لم يكن ليقطع عنك كرامته أو ليبدلك منها الخزى والهوان.

- قولها وتقرى الضيف :

قال النووى : تقرى الضيف ـ بفتح التاء ـ قال أهل اللغة : يقال : قريت الضيف أقِريه ـ بكسر القاف مقصور وقرى- بفتح القاف والمد ويقال للطعام الذى يضيفه به : قِرى – بكسر القاف مقصور – ويقال لفاعله : قارٍ مثل قَضى قاضٍ.

والمعنى هنا : أى تُقدم قِراه – بالكسر – وهو ما يلزم لضيافته

- قولها : وتُعين على نوائب الحقِّ

قال النووى : فالنوائب جمع نائبة وهى الحادثة ، وإنما قالت : (نوائب الحق) لأن النائبة قد تكون فى الخير وقد تكون فى الشر.

قال لُبيد :

نوائب من خير وشر كلاهما فلا الخير ممدود ولا الشر لازب

قال العلماء : معنى كلام خديجة – رضى الله عنها – أنك لا يصيبك مكروه لِمَا جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم الشمائل وذكرت ضروبا من ذلك ، وهذا دلالة على أن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء وقيل : مقصود (تُعين على نوائب الحق) : أى تساعد من نابته نائبة تستحق المعاونة أى يُقضى الحقُ بمعونته فيها.

قال د / دراز :

ثم لا يَخفى وجهُ التقييد بالحق ففيه احتراز من عصبية الجاهلية التى لا يبالى المرءُ فيها بممالأة المستجير ظالما أو مظلوما ، محقًّاً أو مُبطلا وهذا ليس من صفات المدح عند العقلاء (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)[المائدة : 2].

- قوله فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى - ابن عم خديجة - : وهو لفظ البخارى
والمعنى : أى ذهبت معه على إثر ذلك. وفى نسخة التيسير (ثم انطلقت به) فإن صحت كانت تأييداً لما رُوى من أنها ذهبت إلى ورقة وحدها قبل أن تنطلق مع الرسول- صلى الله عليه وسلم - وورقة ابن عمها لأنها بنت خويلد بن أسد وهو ابن نوفل بن أسد.

قول الراوى : وكان امرَءًا تَنَصَّرَ فى الجَاهِلِيَّة : معناه صار نصرانياً ، والجاهلية ما قبل رسالة النّبى - صلى الله عليه وسلم - سُموا بذلك لما كانوا عليه من فاحش الجهالة.

وهى تعنى بهذا القول أنّه على دين سماوى حين كان عامة الناس فى ضلالةٍ وجهالةٍ ، فيؤخذُ من ذلك خِبْرَتُه وصحَّة رأيه فيما يتَّصِلُ بالدين .

- قوله : وكان يكتب الكتاب العبرانَّى ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب.

وهو لفظ البخارى ، وفى لفظ مسلم : يكتب الكتاب العربى فيكتب من الإنجيل بالعربية.. الخ

قال ابن حجر : والجميع صحيح ، لأنّ ورقة تعلم اللسان العبرانى والكتابة العبرانية فكان يكتب الكتاب العبرانى ، كما كان يكتب الكتاب العربى لتمكنه من الكتابين واللسانين.

وقال : وإنما وصفته بكتابة الإنجيل دون حفظه لأن حفظ التوراة والإنجيل لم يكن متيسرا كتيسر حفظ القرآن الكريم الذى خُصت به هذه الأمة فلهذا جاء فى صفتها (أناجيلها صدورها)

- قوله : كان شيخا كبيراً قد عمى :

أى كان رجلاً مُسناً بلغ كِبَرَ سنه أن أُصيبَ فى بصره ، فيكون إذاً من أهل التجارب المحنَّكين.

قوله : فقالت له خديجة : يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك : وهو لفظ البخارى وهو يوافق الرواية الأولى لمسلم ، وفى رواية أخرى له : قالت :أى عم اسمع من ابن أخيك.

قال النووى : كلاهما صحيح أما الثاني فلأنه ابن عمها حقيقة كما ذكره أولاً فى الحديث فإنه ورقة بن نوفل بن أسد وهى خديجة بنت خويلد بن أسد

وأما الأول فسمته عَمَّاً مجازاً للاحترام وهذه عادة العرب فى آداب خطابهم يخاطب الصغير الكبير بيا عم احتراماً ورفعاً لمرتبته ، ولا يحصل هذا الغرض بقولها يا ابن عم والله أعلم.

أما ابن حجر[1] فلم يوافق النووى على ذلك وقال : ووقع فى مسلم (يا عم) وهو وهم لأنه وإن كان صحيحاً بجواز إرادة التوقير لكن القصة لم تتعدد

[1] فتح الباري ج 1 ص34.

ومخرجها متحد فلا يحمل على أنها قالت ذلك مرتين فَتَعيَّن الحمل على الحقيقة.

ثم أجاب ابن حجر عن كونه جَوَّزَ المُجاز فى العبرانى والعربى بقوله : لأنه من كلام الراوى فى وصف ورقة واختلفت المخارج فأمكن التعداد ، هذا الحكم يطَّرد فى جميع ما أشبهه.

ثم قالت لورقة : اسمع من ابن أخيك

لأنّ والده عبد الله يلتقى مع ورقة فى الجد قصى فوالده عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى ، وورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى فهما يجتمعان فى الأب الخامس.

وكان عبد الله فى درجة الإخوة مع ورقة، أو قالته على سبيل التوقير لسنه.

- قال له ورقة : هذا الناموس.

والناموس فى اللغة هو صاحب سر الخير ، والجاسوس صاحب سر الشر ، ويقال نَمَست السر - بفتح النون والميم - أنمِسه - بكسر الميم - نمسا أى : كتمته ، ونمست الرجل ونامسته اى ساررته.

قال النووى [1] :

واتفقوا على أنّ جبريل - عليه السلام - يسمى الناموس، واتفقوا على أنّه المراد هنا. قال الهروى : سمى بذلك لأنَّ الله تعالى خصه بالغيب والوحى.

أما ابن حجر فقد قال : والناموس صاحب السر وزعم ابن ظفر أنّ الناموس صاحب سر الخير والجاسوس صاحب سر الشر ، والأول الصحيح الذى عليه الجمهور.

- الذى نَزَّل على موسى : وهو لفظ البخارى، ولفظ مسلم: الذى انزل الله على موسى.

---

[1] المرجع السابق ج 1 ص 482.

وورد عن عبد الله بن معاذ عن الزهرى قول ورقة (ناموس عيسى).

قال ابن حجر :

وقوله على موسى ولم يقل على عيسى بحسب روايته - مع كونه نصرانياً - لان كتاب موسى - عليه السلام - مشتمل على اكثر الأحكام بخلاف عيسى ، وكذلك النبى - صلى الله عليه وسلم - أو لأن موسى بعث بالنقمة على فرعون ومَنْ معه بخلاف عيسى ، كذلك وقعت النقمة على يد النبى - صلى الله عليه وسلم - بفرعون هذه الأمة أبو جهل ومن معه ببدر ، أو قاله تحقيقاً للرسالة ، لأنّ نزول جبريل على عيسى فإن كثيرا من اليهود ينكرون نبوته ، وأما تمحل[1] السهيلى مِنْ أنّ ورقة كان على اعتقاد النصارى فى عدم نبوة عيسى ودعواهم أنّه أحد الأقانيم[2] فهو محال لا يعرج عليه فى حق ورقة أشباهه ممن لم يدخل فى التبديل ولم يأخذ عمن بدل ، على أنّه قد ورد عن الزبير بن بكار من طريق عبد الله بن معاذ عن الزهرى فى هذه القصة أنّ ورقة قال :

ناموس عيسى ، والأصح ما تقدم ، وعبد الله بن معاذ ضعيف نعم فى دلائل النبوة لأبى نعيم بإسناد حسن إلى هشام بن عروة عن أبيه فى هذه القصة أنّ خديجة أولا أتت ابن عمها ورقة فأخبرته الخبر فقال : لئن كنتِ صدقتى أنّه ليأتيه ناموس عيسى الذى لا يُعَلِّمه بنو إسرائيل أبناءهم ، فعلى هذا يكون ورقة تارة يقول ناموس عيسى وتارة ناموس موسى ، فعند إخبار خديجة له بالقصة قال لها : ناموس عيسى بحسب ما هو فيه من النصرانية وعند إخبار النّبى - صلى الله عليه وسلم - له قال له : ناموس موسى للمناسبة التى قدمناها وكل صحيح.

---

[1] في المعجم الوسيط - (2 / 856) (تمحل) احتال يقال تمحل لي خيرا اطلبه

[2] في الصحاح في اللغة - (2 / 98) والأقانيمُ : الأصول، واحدها أُقْنومٌ، وأحسبها روميَّةً.

قوله : يا ليتنى فيها جذعٌ :

وردت بالنصب (جذعا) على أنّه خبر كان المقدَّرة وتقديره ليتنى أكون فيها جذعا ، وهذا يجيء على مذهب النحويين الكوفيين والجَذَع - بفتح الجيم والدال المعجمتين - وهو الصغير من البهائم وهو ما بلغ من الإبل أربع سنين ودخل فى الخامسة ، ومن البقر ما دخل فى الثالثة ، ومن الغنم ما دخل فى الثانية. وذلك زمن الفُتُوَّة فى كلِّ ، وقد يستعار للشباب الحدث من الناس كما هنا فكأنه تمنى أن يكون عند ظهور الدعاء الى الإسلام شابا ليكون أمكن لنصره.

- ليتنى أكونُ حيا إذ يُخرِجُك قَوْمُكَ [1]: إذ فى المستقبل كإذا وإذ الظرفية مرتبطة بالأمنية الأولى والثانية. تمنى ورقة أولا أن يكون فى وقت إخراج قريش للرسول - صلى الله عليه وسلم - على حالٍ من الشباب والفتوة تمكنه من نصرته ثم رجع إلى نفسه ونظر إلى كبَرِ سنه ، وضعف قُوته فتمنى أمنية هى أقرب للوقوع من رجوع الشيخ إلى وهى أن يمتدَّ به أجله حتى يدركَ ذلك اليوم فإن لم يكن إذ ذاك قوياً ببنيته فإنه قويٌّ بإيمانه وقلبه ولسانه فيُنافِحُ عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بما استطاع.
واستعمال إذ هنا فى الظَّرف المستقبل مع أنها للماضى تنزيلا له منزلته لتَحقُّق وقوعه ، فُيُتَصَوَّرُ ماضيا ، كما فى قوله تعالى (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (31) [سبأ : 31]) وقوله تعالى (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (166) [البقرة])

[1] انظر فتح الباري ج 1 ص 36 ، المختار من كنوز السنة ص 35 - 36.

- وقوله – صلى الله عليه وسلم – " او مُخرجيَّ هم "

مُخرجيَّ جمع مُخرج فالياء الأولى ياء الجمع ، والثانية ضمير المتكلم والهمزة للاستفهام عن مُقَدَّرٍ مطويّ والواو عاطفة على ذلك المقدر وتقدير العبارة :كأنه - صلى الله عليه وسلم - قال أيعادوننى ثم يبلغ من عداوتهم لى أن يخرجونى ؟ فإن أصل العداوة كان من ابعد ما يُفْرضُ عند النبى - صلى الله عليه وسلم - لِمَا كان له فى قلوبهم جميعا من المحبة والتعظيم حتى لقَّبوه بالصادق الأمين. فما ظنُّك بإخراجهم له ؟ إنه يكون أبعدَ وأَبعد.

- قال ورقة : نعم لم يأت رجلٌ قطٌبمثل ما جئت به إلا عودى

وفى رواية :إلا أوذي ، فذكر ورقة أنّ العلة فى ذلك مجيئه لهم بالانتقال من مألوفهم ، ولأنه عَلِمَ من الكتب أنهم يجيبونه إلى ذلك وأنه يلزمه لذلك منابذتهم ومعاندتهم فتنشأ العداوة من ثمَّ ولم يقل إلا أخرج لأن هذا ليس مُطرداً ، فالحكم بأن قريشاً ستُخرج الرسول – صلى الله عليه وسلم – ليس مأخوذا من هذه القضية الاستقرائية ، بل يكون ورقةُ أخذهُ من نصِّ آخر من نصوص الكتب السابقة وكثير ما هى.

قال ورقة : وإن يدركنى يَوْمُكَ أنصُرْكَ نصراً مؤزراً.

قال ابن حجر :

وزاد فى رواية يونس فى التفسير (حياً) ولابن إسحاق (إن أدركت ذلك اليوم) والمعنى : إن يدركنى يوم إعلانك بالنبوة ودعوتك لقومك وتكذيبهم وعداوتهم لك وإخراجهم إيَّاكَ من قريَتِكَ أنصرك نصرا قويا لا توانى فيه ولا وهن.

قال ابن حجر : قوله (مؤزرا) بهمزة أى (قويا) مأخوذ من الأزر وهو القوة. وأنكر القزاز أن يكون فى اللغة مؤزر من الأزر ، وقال أبو شامة : يحتمل أن يكون من الإزار أشار بذلك إلى تشميره فى نصرته ، قال الأخطل :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم.. .. البيت ، أو يكون من شد الإزار لأن الذى يُشَدُّ عليه الإزار يَقْوى عَصَبُهُ ويَستقيمُ صُلْبهُ.

- ثم لم ينشب ورقة أن تُوفِّىَ .

نشب الشيء فى الشيء أى تعلق به أى أن ورقة لم يلابس شيئا ولم يتصل بعمل من الأعمال بعد ذلك، وهو كناية عن عدم استمرار حياته بعد ذلك لأن الحَىَّ لا يخلو عن عمل وهذا بخلاف ما فى سيرة ابن إسحاق أنّ ورقة كان يمر ببلال وهو يُعَذب وذلك يقتضى أنه تأخر إلى زمن الدعوة والى أن دخل بعض الناس فى الإسلام.

قوله وفتر الوحى :

من الفتور ضد الحِدَّةِ ، أى لم يَعُدْ عَنْ قُربِ ولم يتتابع بل مَضَتْ عليه فترةٌ. والحديث عن فترة الوحى سيأتى مفصلا إن شاء الله.

أما ما يخص الزيادة في رواية الزهري عند البخاري فلها مبحث خاص وجب ذكره ضمن التعليق على ما ورد من كلمات في أحاديث بدء الوحي.

المطلب الثالث

هل غَدَا النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ

في أخر حديث البخاري [1] :

ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ فِيمَا بَلَغَنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ وَتَقِرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ.

[1] صحيح البخاري (17/ 426).

خلاصة ما روي في هذه القصة :

روى ابن سعد في الطبقات قال : " أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثني إبراهيم بن محمد بن أبي موسى عن داود بن الحصين عن أبي غطفان بن طريف عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لما نزل عليه الوحي بحراء، مكث أياما لا يرى جبريل - عليه السلام -، فحزن حزناً شديداً، حتى كان يغدو إلى ثبير مرة، وإلى حراء مرةً ؛ يريد أن يلقي نفسه منه، فبينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كذلك عامداً لبعض تلك الجبال، إلى أن سمع صوتاً من السماء، فوقف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صعقاً للصوت، ثم رفع رأسه : فإذا جبريل على كرسي بين السماء والأرض متربعاً عليه، يقول : " يا محمد، أنت رسول الله حقا، وأنا جبريل ".

وفي تاريخ الطبري : عن وهب بن كيسان مولى آل الزبير، قال : سمعت عبد الله بن الزبير، وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي : حدِّثنا يا عبيد كيف كان بدء ما ابتدىء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من النبوة ؟

فذكر الحديث إلى قوله : (حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها، جاءه جبريل بأمر الله فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فجاءني وأنا نائم بنمط من ديباج، فيه كتاب، فقال : اقرأ، فقلت : ما اقرأ ؟ فغتني، حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال : اقرأ، فقلت : ماذا أقرأ ؟ وما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود إلى بمثل ما صنع بي، قال : { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) } إلى قوله { عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) } (العلق : 1-5)، قال : فقرأته، قال : ثم انتهى، ثم انصرف عني وهببت من نومي، وكأنما كتب في قلبي كتابا.

قال : ولم يكن من خلق الله أحد أبغض إلى من شاعر أو مجنون، كنت لا أطيق أن أنظر إليهما، قال : قلت إن الأبعد - يعني نفسه - لشاعر أو مجنون، لا تحدث بها عني قريش أبدا ! لأعمدنّ إلى حالقٍ من الجبل فلأطرحنّ نفسي منه أقتلها فلأستريح.

قال : فخرجت أريد ذلك، حتى إذا كنت في وسط من الجبل، سمعت صوتا من السماء يقول : يا محمد، أنت رسول الله، وأنا جبريل.. .

وقد روى البخاري رحمه الله هذه القصة أيضا مدرجةً في حديث عائشة - رضي الله عنها - بلفظ آخر، قال : حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب، وحدثني عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر، قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : ".. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترةً حتى حزن النّبي - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا - حزناً غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه، تبدّى له جبريل فقال : يا محمد، إنك رسول الله حقا. فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه، فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل، تبدّى له جبريل فقال له مثل ذلك).

تحليل الروايات وبيان درجتها :

أنّ ظاهر هذه الروايات المذكورة تدل على أنّ النّبي - صلى الله عليه وسلم - حاول مرارا أن يلقي بنفسه من رؤوس الجبال، فهي إذاً محاولة منه للانتحار، وهذا لا يليق بشخصِ من هو في مقام النبوة.

والرد على هذه الشبهة يستدعي منا أن ننظر أولا إلى صحة تلك الروايات المنقولة، وبيان ذلك فيما يلي :

أما حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -، فقد جاء من طريق محمد بن عمر الواقدي، ومعلوم عند علماء الجرح والتعديل أنّ الواقدي متروك الحديث، فقد قال الإمام البخاري عنه في كتاب الضعفاء : " متروك الحديث "، وكذلك حكم عليه الحافظ ابن حجر في التهذيب وغيرهم.

ومن المعلوم أنّ وجود راوٍ متروك في حديث، يجعله مردوداً غير قابل للتصحيح بالشواهد الأخرى.

أما رواية الإمام الطبري فهي مردودة سنداً ومتناً ؛ فإن المتن فيه نكارة ظاهرة، حيث جعل الرؤيا الأولى لجبريل -عليه السلام - رؤيا منامية، وهذا مخالف لبقية النصوص التي تُثبت أنها رؤية حقيقية، ثم كان من جواب النّبي - صلى الله عليه وسلم - : (ماذا أقرأ ؟)، وهذا لم يحصل ؛ فإن الثابت في صحيح البخاري وغيره أنه كان يقول : (ما أنا بقاريء)، دعك من إغفال هذه الرواية لذكر ذهاب النّبي - صلى الله عليه وسلّم - إلى خديجة وورقة بن نوفل - رضي الله عنهما -، وما ذُكر في الروايات الصحيحة أنّ الرؤية الثانية لجبريل - عليه السلام - كانت بعد فتور الوحي وانقطاعه.

وإذا نظرنا إلى سند هذه الرواية وجدنا فيه عدة علل : الإرسال ؛ فإنّ عبيد بن عمير ليس صحابيّاً، إنما هو من كبار التابعين، كما أنّ في السند راويان متكلم فيهما : سلمة - وهو ابن فضل الأبرش - قال عنه الحافظ ابن حجر : " صدوق كثير الخطأ "، و ابن حميد الرازي كذّبه جماعة من العلماء كأبي زرعة وغيره.

ونأتي إلى رواية الإمام الزهري في حديث عائشة - رضي الله عنها -، فقد وردت القصة على كيفيات مختلفة في البخاري ومسند الإمام أحمد ومصنف الإمام عبدالرزاق وغيرهم، لكن الناظر إلى رواية الإمام الزهري يجد أنها باطلة، ووجه ذلك أن معظم روايات هذا الحديث لم تذكر ذلك الحدث، وقد روى الإمام البخاري حديث نزول الوحي أكثر من مرة في صحيحه دون أن يشير إلى هذه القصة.

أما الروايات التي ذكرت هذه الحادثة، فقد وردت مدرجةً في الحديث، قال الحافظ ابن حجر ما نصه : " ثم إنّ القائل (فيما بلغنا) هو الزهري، ومعنى الكلام : أنّ في جملة ما وَصَلَ إلينا من خبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في هذه القصة، وهو من بلاغات الزهري وليس موصولا)، فحكم هذه الزيادة الإرسال، ومرسل الإمام الزهري ضعيف عند أهل الحديث، يقول الإمام يحيى بن سعيد القطان : " مرسل الزهري شر من مرسل غيره ؛ لأنه حافظ، كلما قدر أن يسمّي سمى، وإنما يترك من لا يستجيز أن يسميه " وقال أيضا عنه : " هو بمنزلة الريح ". على أنّ هناك مؤشرات تدل على ضعف هذه القصة، فمن تلك المؤشرات :

ما رواه الإمام البخاري عن عروة أنّ عائشة - رضي الله عنها - زوج النّبي - صلى الله عليه وسلم - حدثته أنها قالت للنّبي - صلى الله عليه وسلم - : " هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : (لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب..) الحديث.

فهنا ذكر النّبي - صلى الله عليه وسلم - أنّ أشد ما وقع عليه، هو ذلك الأذى النفسي الحاصل من تكذيب أهل الطائف له، حتى إنه بقي مهموماً حزيناً لم يستفق إلا وهو بعيد عن الطائف، نعم، إنّ حزن النّبي - صلى الله عليه وسلم - على فتور الوحي ثابت في نصوص أخرى، غير أنّ حزنه ما كان ليبلغ حد الرغبة في إلقاء نفسه من علو، وإلا لكان هذا أجدر بالذكر من حادثة الطائف المذكورة هنا.

ومما يبيّن ضعف القصة : أنّ الرواية ذكرت أنّ سبب حزن النّبي - صلى الله عليه وسلم - ومحاولته للانتحار ؛ إنما كان خوفاً من انقطاع الوحي والرسالة، ولو كان هذا صحيحاً، لكان ظهور جبريل -عليه السلام - مرة واحدة وقوله : (إنك لرسول الله حقا) كافياً في تأكيد أنه مبعوث إلى العباد وتحقّق الاصطفاء له، فلا معنى لأن يدخل الحزن في قلبه وأن يحاول الانتحار مرات ومرات-كما في رواية الزهري -.

فالحادثة المذكورة قد اجتمع فيها الشذوذ في السند، والنكارة في المتن، فلا معنى لأن تُتخذ مطعنا في النّبي الكريم.

ومع هذا كله، وبفرض صحة هذه القصة جدلا، فليس فيها ما يعيب شخص النّبي - صلى الله عليه وسلم - أو يقدح في عصمته، وبيان ذلك أنه قد همّ - على فرض صحة الرواية- بأن يلقي بنفسه، والهمّ هنا لم ينتقل إلى مرحلة التنفيذ، وذلك شبيهٌ بما حكاه الله تعالى عن يوسف - عليه السلام - في قوله : { ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه }، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في منهاج السنة : " ولهذا لما لم يذكر عن يوسف توبة في قصة امرأة العزيز، دلّ على أنّ يوسف لم يذنب أصلا في تلك القصة ".

وهذا كحديث النّبي - صلى الله عليه وسلم - :(ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له واحدة أو يمحوها الله) متفق عليه.

وأيضاً : فإنّ تحريم قتل النفس لم يكن نازلاً في شريعته - صلى الله عليه وسلّم -، إذ القصّة في بداية أمر الوحي، فكيف تكون تلك الحادثة - على فرض صحّتها - مدخلاً للطعن فيه - صلّى الله عليه وسلّم - ؟

.

ثم نقول : إنّ العصمة متحققة في هذه الحالة، ووجه ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى صرف عنه هذا السوء، كما صرف عنه قبل مبعثه حصول التعري، وشرب الخمر، والجلوس مع فتيان قريش، وغير ذلك مما هو مبثوث في السيرة.

وهكذا يتبيّن لك أخي القاريء أنّ هذه الشبهة ليس لها أدنى حظ من النظر، فلا هي ثابتة سنداً، ولا هي صالحةٌ للطعن في من شهد له أعداؤه قبل محبيه بسمو أخلاقه ورجاحة عقله وطهارة روحه.

وبعد أن ألقينا الضوء على الكلمات التى وردت فى الروايات السابقة وجب علينا قبل أن نناقش موضوعات هذه الروايات أن نوجز على عجالة ما اشتملت عليه هذه الروايات حتى يتسنى لنا قراءة سريعة لمضمونها ثم نقف عند كل موضوع فيها.

المطلب الرابع

ما اشتملت عليه روايات الوحي

فى رواية البخارى ومسلم نقاطا ستة :

1 ـ مجئ الملك النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان حال اليقظة، وضمه ثلاثا حتى بلغ منه الجهد، وفى كل مرة يقول له إقرأ فيرد عليه ما أنا بقارئ حتى أقرأه " اقرأ باسم ربك الذى خلق.. ... "

2 ـ رجوع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى خديجة يرجف فؤاده ويقول زملونى.

3 ـ اخباره ـ صلى الله عليه وسلم ـ خديجة بما حدث له وما رآه.

4 ـ طمأنته خديجة وذكرته بما هو عليه من محاسن الأخلاق.

5 ـ إنطلاق خديجة بعدها إلى ورقه بن نوفل وإقرار ورقه بنبوة زوجها.

6 ـ زاد البخارى عن مسلم فى الحديث " وفاة ورقة وفتور الوحى "

وفى رواية الإمام مسلم عن جابر :

أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ سمع صوتاً وهو يمشى فلما رفع رأسه إذا بالملك الذى جاءه بحراء جالساً على كرسى بين السماء و الأرض وفزع منه، وعاد إلى خديجة يقول: زملونى زملونى فدثروه فأنزل الله عليه " يأيها المدثر.. ....."

وفى رواية البيهقى عن إبن شهاب :

أنّ الله عز وجل أرى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رؤيا فى المنام شقت عليه فقصها لخديجة فطمأنته ثم خرج من عندها ثم رجع فأخبرها أنه رأى بطنه شق ثم طهر وغسل ثم أعيد فطمأنته أيضاً، ثم إستعلى له جبريل وهو بأعلى مكه فأجلسه على مجلس كريم وهو بساط كهيئة الدرنوك فيه الياقوت واللؤلؤ فبشره برسالة الله ـ عز وجل ـ وقال له إقرأ.فقال: كيف أقرأ ؟ قال : اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ [العلق1] ولما عاد لخديجة وأخبرها طمأنته أيضاً وبشرته بأنّ الله لا يفعل به إلا خيرًا، وطلبت منه أن يقبل الذى جاءه من عند الله ـ عز وجل ـ ثم أنطلقت إلى غلاما لعتبة يسمى عداس فسألته عن جبريل ثم إلى ورقة فسألته أيضا عنه.

وفى روايه إبن هشام عن ابن اسحاق :

أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج ومعه أهله إلى حراء وبينما هو نائم جاءه جبريل بخط من ديباج فيه كتاب فقال إقرأ. قال : ما أقرأ. فغته به حتى ظن أنه الموت ثم أرسله وقال له : إقرأ وفعل معه مثل الأولى فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ ماذا أقرأ فغته الثالثة ووجد فيها ما وجده فى السابقتين ثم أرسله وقال : إقرأ فقال له :

ماذا أقرأ ؟ وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما أقول ذلك إلا افتداءً منه أن يعود لى بمثل ماصنع بى. فقال له : "إقرأ بأسم ربك الذى خلق.. ....."

ثم قرأها فانصرف عنه وهب ـ صلى الله عليه وسلم ـ من نومه وكأنما كتبت فى قلبه كتابًا ، ثم خرج فى وسط الجبل فإذا جبريل فى ورة رجل صاف قدميه فى أفق السمآء يراها أينما إتجه ببصره فما زال كذلك ، وقد أرسلت خديجة فى طلبه دون جدوى فلما إنصرف إلى خديجة عائدًا حدثها بما رأى بشرته بالنبوة ، ثم قامت إلى ورقة فبشرها كما بشرت زوجها ثم إنّ ورقة لقى النّبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن أنهى جواره بحراء وهو يطوف الكعبة كعادته قبل أن يرجع إلى أهله فسمع منه وبشره بالنبوة.

وفى رواية الحافظين البيهقى وأبو نعيم :

عن عمرو بن شرحبيل أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ شكا لخديجة خشيتة مما سمعه إذا خلا بنفسه فطمأنته وذكّرته بما هو عليه من مكارم الأخلاق ، ثم دخل أبو بكر فطلبت إصطحاب زوجها إلى ورقة فأخذه أبو بكر إلى ورقة فقص عليه ما يجد وما يحذر فطمأنه وأمره أن يسمع ما يقال له ثم يأتيه ثانية ، فكان ماسمعه البسملة وسورة الفاتحة فلما عاد لورقة بشَّره بالنبوة.

وفى رواية ابن كثير عن الحافظ ابن عساكر :

تتلخص الرواية فى النقاط التالية :

1ـ رؤيا قصها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لزوجتة فبشرته بها.

2ـ ثم بينما فى الغار وهو يقظ دخل عليه جبريل فوضع يده على صدره ومن خلفه ودعا له ثم بشره بالنبوة وأمره بالقراءة ثم أجلسه على بساط وقال له : لا تخف

يا محمد أنت رسول الله.

3 ـ فى طريق عودته لخديجة كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه.

4 ـ فلما قص لخديجة ما كان بشرته بالنبوة وذكرت له أنّ غلامها ناصح وبحيرى الراهب قد بشراها بذلك.

5 ـ خرجت خديجة إلى الراهب ثم إلى عداس ثم إلى ورقه أُذهل الأخير مما سمع وخشى أن يكون الذى جاءه شيطانًا.

6 ـ فلما عادت اليه وجدته وقد أنزل عليه " مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2)[القلم]" وقال لها رداً على كلام ورقة : كلا والله إنّه لجبريل.

7 ـ ثم تذكر الرواية ذهابه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى ورقة وتحقق ورقه من نبوته ثم تختم الرواية بذكر فتور الوحى وما كان من أهل مكة فى ذلك ونزول سورتى الضحى والشرح عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعدها.

المطلب الخامس

تحليل بعض المواقف من الروايات

وبعد توضيح الكلمات التى وردت بالروايات، نقف عند بعض المواقف التى وردت بها حتى يتسع الفهم الأمثل لهذا الموضوع.

فمن هذه المواقف :

هل كانت خديجة ـ رضى الله عنها ـ معه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الغار؟

فى رواية : " فما زلت واقفا، ما أتقدم أمامى وما أرجع حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى فبلغوا مكة ورجعوا إليها، وأنا واقف فى مكانى ذلك، ثم أنصرف عنى وأنصرفت راجعًا إلى أهلي حتى أتيت خديجة " أى فى الغار ".. ....."

هذا يدل على أنها كانت معه بغار حراء وهو الموافق لما تقدم من قوله"ومعه أهله " وقد يخالف ذلك ماروى أن خديجة ـ رضى الله عنها ـ صنعت طعاما ثم أرسلته إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم تجده بحراء، فأرسلت فى طلبه إلى بيت أعمامه وأخواله فلم تجده، فشق ذلك عليها فبينما هى كذلك إذ أتاها فحدثها بما رأى وسمع فإن هذا يدل على أنها لم تكن معه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحراء.

وقد يقال يجوز أن تكون خرجت معه أولا وأرسلت رسلها إليه وهى بحراء فلم تجده، وأن الرسل أخطئوا محل وقوفه بالجبل الذى هو حراء، ثم رجعت إلى مكة وأرسلت رسلها إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحراء لإحتمال عوده إليه، ثم أرسلت إلى بيت أعمامه وأخواله لما لم تجده ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحراء فإرسالها تكرر مرتين مع أختلاف محلها ويكون قوله " وأنصرفت راجعا إلى أهلى" أى بمكة لا بحراء لأنه يجوز أن يكون بلغه رجوع خديجة إلى مكة.

واختلفت الروايات أين كان لقاء ورقة ؟

فرواية على أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قابله عند الكعبة ، وأخرى على أنه ذهب إليه فى بيته مع زوجته.

وفى رواية أخرى مع أبى بكر. يقول الحلبى :

ثم إنّ خديجة لما انطلقت إلى ورقة وسمع منها وسمعت منه رجعت إلى النّبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الغار فأخبرته بما قال لها ورقة، فلما قضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جواره وأنصرف ـ أى فرغ ما تزود به لا قبل انقطاع الشهر ـ فبدأ بالطواف بالكعبة كما كان بفعل فلقيه ورقة وهو يطوف فسمع منه وبشره ولا مانع من تكرار المراجعة إلى ورقة فمرة يقول :

قدوس قدوس ، ومرة يقول سبوح سبوح ، أو جمع بين ذلك فى وقت واحد، وفى رواية أخذ أبو بكر النّبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى ورقة وبالتالى يكون تكرار سؤال ورقة ثلاث مرات :

الأول : على يد أبى بكر قبل أن يرى جبريل.

الثاني : التى رأى فيها جبريل وسمع منه، ولم يجتمع به وذلك عند إجتماعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ به فى الطواف.

الثالث : التى بعد مجئ جبريل له يقظة بالقرآن أى ب (إقرأ)

على المشهور من أنه أول ما نزل وذلك على يد خديجة.

الحال الذى جاءه فيه الوحي :

فى رواية ابن هشام عن ابن اسحاق ذكر فيها:

" فجاءنى جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج " دلت على أنه جاءه بالمنام

وفى روايه مسلم وغيره : دليل على أنه جاءه حال اليقظة

قال الحلبى : قال البعض : أتاه بذلك النمط فى ليلة السبت وليلة الأحد وسحر يوم الاثنين وهو نائم يقظة لقوله " ثم هببت من نومى ".

ولا ينافى ذلك قوله : ثم ظهر له بالرسالة أى أعلن له بما يكون سببا للرسالة الذى هو اقرأ الحاصل حال اليقظة، وحينئذ يكون تكرار مجيئة هو السبب فى استقرار ذلك فى قلبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحينئذ لا يبعده قوله فى الليلة الثانية : " ما قرأت شيئاً " لأن المراد لم يتقدم لى قراءة قبل مجيئك الى، ولا يبعده قوله " ما أدرى ما أقرأ " لأنه لم يستقر ذلك فى قلبه لما علمت أن سبب الإستقرار التكرر فلم يستقر ذلك فى قلبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الليله الأولى.

قال الحلبى : وقال البعض : أنّ مجئ جبريل بالنمط لم يتكرر وكذا قال البعض أنه جاء بالنمط يقظة فى حراء انتهى[1].

هذا ولا خلاف على أنه اليوم الذى بعث فيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو يوم الاثنين لما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى قتادة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سئل عن صوم يوم الإثنين فقال :ذاك يوم ولدت فيه، ويوم انزل على فيه "

---

[1] السيرة الحلبية جـ1 ـ صـ385ـ

وقال ابن عباس : ولد نبيكم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الاثنين ونبئ يوم الاثنين ". وهكذا قال عبيد بن عمير وأبو جعفر الباقر وغير واحد من العلماء.

فى ذهاب خديجة لعداس قبل ورقة.

ورد فى روايه البيهقى عن أبن شهاب :

أنّ خديجة ـ رضى الله عنها ـ قد ذهبت إلى عداس ثم بعدها إلى ورقة

والروايات التى وردت تعرف عداسا هذا بأنه غلاما لعتبة بن عبد شمس وقد كان نصرانيا من أهل نينوى وتدل أيضا الروايات على أنّه كان شيخا كبيرا، وفى حديث ذهاب النّبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الطائف بعد أن يأس من دعوة قريش.

تدل الروايات على أنّه تقابل مع غلاما لابنى ربيعه عتبة وشيبة يسمى عداسا.

ولا شك أنّ المذكور فى قصة الطائف غير المذكور فى هذه القصة لأنّ الذى فى قصة بدء الوحى راهبا شيخا كبير السن وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر، بدليل أن خديجة قالت له : أنعم صباحا ياعداس.

قال : كأن هذا الكلام كلام خديجة سيدة نساء قريش.

قالت : أجل ، قال : أدني منى فقد ثقل سمعى.

وهذا صريح فى أنه غير عداس المذكور فى حديث الطائف وأنهما أشتركا فى الإسم والبلد والدين.

المطلب السادس

فى مقصود الوحى وحالاته

عَرّفَ العلماء معنى النبوة إصطلاحاً :

بأنها إختصاص العبد بسماع وحى الله سواء أمر بالتبليغ أو لا....."

من التعريف وجب علينا أن نتناول مقصود كلمة " الوحى " التى وردت به ثم نعرج بعدها على حالات الوحى فنقول :

لما كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسولا من عند الله، فلا بد أنه يوحى اليه كما أوحي للرسل ـ عليهم السلام ـ ولما كان الوحى الإلهى فيصلا بين كلام الله ـ عز وجل ـ وكلام البشر كان لا بد من التعرف على مقصود الوحى لغة وشرعا، وحالاته، وكيف كان ينزل على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

معنى الوحي لغة :

أما معنى الوحى : فقد قال صاحب القاموس المحيط [1] :

ذكر اللغويون لهذه الكلمة معان متعددة منها :

الإشارة، والكتابة، والمكتوب والرسالة والإلهام والكلام الخفى وكل ما ألقيه إلى غيرك، ومنها الأمر والأيمان [2] والرؤيا الصادقة، ومنها أن الوحى أصله التفهم وكل ما دللت به من كلام أو كتابه أو رساله أو إشارة فهو وحى.

---

[1] القاموس المحيط ج 4 ص 391 الهيئة المصرية العامة للكتاب

[2] نهاية قول القاموس المحيط

قال اللغويون : إلا أنّ الوحى قصر على الإلهام، وغلب استعمالة فيما يُلقى من عند الله تعالى إلى أنبيائة ورسله. وهذا القول فى الحقيقة إنما هو من باب قصر استعمال الوحى فى الإسلام على معنى خاص من معانية المتعددة

وفي القاموس المحيط [1] : عرف البعض الوحى بأنه : إعلام فى خفاء.

وقيل : أصل الوحى هو الإشارة السريعة، أما الطبرى[2] فيرى أن أصل هذه المادة " الوحى " هو الإلقاء. أى إلقاء الشئ إلى الغير.

فأصل الإيحاء :

إلقاء الوحى إلى الموحى إليه إلهاما أو إشارة أو رسالة أو غير ذلك.

وقال بعضهم :

إنّ أصل الوحى فى اللغة كلها :

إسرار وإعلام فى خفاء، ولذلك صار الإلهام بسمى وحيا.

ومنهم من قال :

إنّ الوحى بمعنى الإلهام هو من الوحى الذى هو بمعنى السرعة.

وقال أخرون :

إنّ أصل المادة (السرعة والخفاء معا) فالوحى الإعلام السريع الخفى.

وفى مختار الصحاح : [3]

---

(1) القاموس المحيط ج 4 ص 399

(2) تفسير الطبري ج 3 ص 266 ط دار الريان للتراث.

(3) مختار الصحاح تاليف احمد بن ابى بكر عبدالقادر الرازى ترتيب أ/ محمد خاصر ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ص 713

جاء الوحى بمعن الإشارة فى قوله تعالى : (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) [مريم 11]. وقال : وجاء الوحى بمعنى الإلهام الفطرى فى قوله ـ جل شأنه ـ (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) [النحل])

وجاء الوحى بمعنى الإلهام الإلهى فى قوله تعالى :

(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) [القصص])

وجاء الوحى بمعنى الوسوسه فى قوله جل شأنه :ـ

(وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (121) [الأنعام : 121]

ومن هنا [1] نرى أنّ كل من عرف الوحى فى اللغة بتصريف إنما أرجعه إلى معنى من المعانى التى قيل أنها أصل كلمة الوحى.

ومن المعلوم أنّ وحى الله تعالى إلى أنبيائة قد روعى فيه كل هذه المعانى وهى :

الإلقاء، والإسرار، والإعلام، والخفاء، والسرعة.

وعلى هذا يمكن القول أنّ القول الجامع فى معنى الوحى :

لغة : (أنه الإعلام الخفى السريع الخاص بمن يوجه اليه بحيث يخفى على غيره، وكما ذكرنا فإن الوحى له أشكال مختلفة ولا يقتصر على الأنبياء فقط، ولا يختص بصدوره من الله تعالى فحسب)

---

[1] القران المبين وكيف نزل به الروح الأمين د محمد بحيرى ابراهيم ط الأولى دار الطباعة المحمديه ص 27

الوحى شرعا :ـ هو اعلام الله تعالى لنبى من أنبيائة بحكم شرعى ونحوه

وقيل : هو ما أنزل الله تعالى على أنبيائة وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم ومِن هؤلاء الأنبياء مَن أعطاهم كتابا أى تشريعا يكتب ومنهم من لم يعطه.

وللوحى شرعا تعريفات كثيرة أخرى نقتصر على ما أوردناه

أنواع الوحى [1] :

للوحى صور شتى وأنواع متعدده بينها العلماء كالاتى :

أولا : من الوحى التكليم بين العبد وربه.

كما كلم الله عز وجل موسى - عليه السلام - وكما كلم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ثانيا : من الوحى ما يكون الهاما يقذفه الله تعالى فى قلب من اصطفاه على وجه العلم الضرورى الذى لا يستطيع له دفعا ولا يجد فيه شكا بأن هذا وحى من الله تعالى وذلك مثل ما ورد فى الحديث " أن روح القدس نفث فى روعى لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها. "

ثالثا : ومن الوحى : ما يكون مناما، وكان يجيئ فى تحققه ووقوعة كما يجئ فلق الصبح فى سطوعه، وذلك كرؤية ابراهيم ـ عليه السلام ـ انه يذبح ولده اسماعيل وكرؤية النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ انه يدخل المسجد الحرام.

وهذه الأنواع هى من قسم الوحى بلا واسطة.

---

[1] القران المبين وكيف نزل الوح الأمين ط اولى 1399 هـ 1979 م د محمد بحيرى ابراهيم ص 39 وما بعدها بتصرف.

رابعا : من الوحى ما يكون بواسطه أمين الوحى جبريل ـ عليه السلام ـ وهذا النوع هو أشهر أنواع الوحى وأكثرها وهو المصطلح على تسميتة بالوحى الجلى.

والأصل فى هذه الأنواع قول الحق تبارك وتعالى " وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ(51) " [الشورى]

ولا يخفى بعد هذا العرض أن وحى القران الكريم من قبيل الوحى الجلى وهو ما اتفق عليه جمهور العلماء.

أما ما روى فى الصحيح عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال :

بينما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أظهرنا إذا أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسما فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ فقال : إنه نزل على آنفا سورة فقرأ " بسم الله الرحمن الرحيم " إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3) [الكوثر] "

فالمراد بالإغفاءة هنا ليس النوم كما هو المتبادر إلى الذهن عند إطلاقة وإنما المراد به تلك الحالة التى كانت تعتريه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند نزول الوحى.

المطلب السابع

حامل الوحي

أما حامل الوحى من السماء إلى أنبياء الله ـ تعالى ـ فهو جبريل ـ عليه السلام ـ فمن هو جبريل ؟

جبريل أو جبرائيل ومعناها بالعبرية رجل الله فكلمة جبرَ تعني رجل وكلمة إل تعني الله، فهو كخادم الله الخاص ولله المثل الأعلى. يؤمن المسلمون بأن جبريل (وتكتب وتنطق كما في بعض القراءات القرآنيه هكذا : جبرائيل) هو ملك سماوي مخلوق من نور نزل بالوحي على الأنبياء بأمر الله كما هو الحال مع القرآن الذي نزل به على الرسول محمد بن عبد الله. ومعنى كلمة جبريل فهي عبد الله، أخرج البخاري عن عكرمة قال : جبر وميك وسراف : عبد، إيل الله.

ما قيل فى اسم جبريل ـ عليه السلام ـ :

قال الطبرى : لعلماء اللسان فى جبريل عشر لغات هى :

1. جبريل : وهى لغة أهل الحجاز
2. جِبريل: بفتح الجيم وهى قراءة الحسن وابن كثير
3. جَبرئيل: بياء بعد الهمزة وهذه لغة تميم وقيس
4. جبرأل : على وزن حبرعل وهى قراءة أبى بكر عن عاصم
5. جبرألّ: مثل قراءة أبى بكر عن عاصم إلا أنه شدد اللام
6. جبرائل : بألف بعد الراء ثم همزة وبها قرأ عكرمة
7. جبرائيل
8. جبراييل: وهى قراءة الأعمش ويحيى بن يعمر
9. جبرئين

10. جبرين : بكسر الجيم وتسكين الياء بنون من غير همزة وهى لغة بنى أسد
وقد أورد السيوطى ك هذه الأسماء فى كتابه الإتقان.

وقيل إن لجبريل اسم اعجمى تغير بالتعريب إلى ما نرى

وقد رد القرطبى فقال [1]:

قال غيره : جبريل اسم اعجمى عربته العرب فلها فيه هذه اللغات ، ولذلك لم يتصرف ، قلت : قد تقدم فى أول الكتاب أن الصحيح فى هذه الألفاظ عربية نزل بها جبريل بلسان عربى مبين.

هذا والمعلوم أن أشهر أسماء ملك الوحى (جبريل) ولكن هناك أسماء خاصة به أيضا إلا أنها ليست على درجة هذا الاسم من الشهرة ولكنها واردة فى القرآن منها :

1. الروح :
أشار إلى هذا الاسم قوله تعالى " نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ" [الشعراء 193] وقوله تعالى " يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ "(النبأ 83)

2. روح القدس :
وقد سماَّه الله ـ تعالى ـ بذلك ، وهو ما تشير إليه الآية (وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) (البقرة 87) وقوله تعالى (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ) (النحل 102)

[1] االجامع لأحكام القرآن للقرطبي (المتوفى : 671هـ) (2 / 38)

وقيل سماه روحا وأضيف إليه القُدُسُ لأنه كان بتكوين الله ـ تعالى ـ له من غير ولادة ، وقيل : القُدُسُ هو الله ـ تعالى ـ والمعنى أن جبريل ـ عليه السلام ـ هو روح الله، وقيل القُدُسُ هو الله ـ تعالى ـ وقيل هو الطهر والنقاء.

أما النعوت والأوصاف التى دلت عليه فهى :

الرسول الكريم ، ذو قوة ، مكين ، مطاع ، أمين ،

وقد جمعتها الآية الكريمة (ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (20) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ) (التكوير29-31)

ويضاف إلى هذا الأوصاف : شديد القوى وذو مرة أى حصافة فى العقل وسداد فى الرأى ومتانة فى الدين.

وأشار إلى هاتين الصفتين قوله تعالى(عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى) (النجم 5-6)

أشهر أعمال ولقاءات جبريل ـ عليه السلام ـ بأهل الأرض :

- هو الملاك الذي نزل بالرسالات على الرسل.

• أول لقاء بينه وبين الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان في بادية بني سعد ، عندما كان في الرابعة من عمره وهو يلعب مع أقرانه، جاءه جبريل وأخذه فصرعه ثم شق صدره، ويروي القصة مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك.

- وحين بلغ الرسول – صلى الله عليه وسلم - الأربعين ، فقد نزل الوحي لأول مرّة على محمد وهو في غار حراء.

• رافق الرسول – صلى الله عليه وسلم - في رحلة الإسراء إلى المسجد الأقصى والمعراج إلى السماء وأتى له بالبراق ومنتهى منزلة جبريل عند سدرة المنتهى.

• وتجسد في صورة الصحابي جميل الهيئة دحية الكلبي ليعلم المسلمين أمور دينهم وكانت تحيته لرسول الله : السلام يقرؤك السلام.

• وإذا أحب الله عبدا أمر جبريل بحبه فيحبه وينادي أنّ الله يحب فلان فأحبوه فيحبه أهل السماوت والأرض.

• نزل على الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقد نزل عليه مره في حجرته وهو مع زوجته خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - وأقرأها السلام عن طريق الرسول وهي لا تراه.

- ونزل على الرسول - صلى الله عليه وسلم - في بيت عائشة وقد رأته

فعن عائشة- رضي الله عنها - قالت: بينما رسول الله جالس في البيت إذ دخل الحجرة علينا رجل على فرس ، فقام إليه النّبي فوضع يده على معرفة الفرس فجعل يكلمه ثم رجع النّبي فقلت : يا رسول الله من هذا الذي كنت تناجي ؟ قال النّبي : وهل رأيت أحدا ؟! قالت : نعم رأيت رجلا على فرس. قال : بمن تشبهينه ؟ قلت : بدحية الكلبي.

ورأه أصحاب النَبي - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يصل إلى بني قريظة :

فقد ورد أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرَّ بنفر من أصحابه بالصورين قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقال هل مر بكم أحد ؟ قالوا : يا رسول الله قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبي، على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك جبريل بعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم.

• وهو قائد الملائكة المنزلين والمردفين في غزوه بدر يقاتلون بجانب المؤمنين ويضربون الكافرين فوق رقابهم وعلى أطراف أصابعهم وأفضاله على المؤمنين لا تحصى.

- وهو الذي آزر موسى وشجعه يوم الزينة، و بشر سحرة فرعون بقوله موعدكم العصر في الجنة بعد أن صلبهم فرعون في جذوع النخل.
- وكان مع بني إسرائيل وهم يعبرون البحر المنشق.
- وهو الذي ربى السامري صغيرا فرأى التراب في قاع البحر تدب فيه الحياة فقبض قبضة من أثره وخلطها على حلي بني إسرائيل فأخرج لهم السامري عجلا جسدا له خوار.
- وهو الذي نتق الجبل فوق بني إسرائيل.
- وهو الذي بشر مريم بولادة المسيح، فقد ورد في القرآن الكريم : " فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا " سورة مريم الآية 17 وفي آية أخرى : " قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا " سورة مريم الآية 19.
- وهو الذي اقتلع مدائن قوم لوط من الأرض السفلى فحملها على جناحه حتى رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نبح كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها

جاء في البداية والنهاية لابن كثير[1]: وقد ورد في صفة جبريل أمر عظيم قال الله تعالى " عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى " قالوا : كان من شدة قوته أنه رفع مدائن قوم لوط وكن سبعاً، بمن فيها من الأمم وكانوا قريباً من أربعمائة ألف ، وما معهم من الدواب والحيوان وما لتلك المدن من الأراضي والمعتملات والعمارات وغير ذلك ، رفع ذلك كله على طرف جناحه حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها فهذا هو شديد القوى.

---

(1) البداية والنهاية ط الفكر (1/ 43)

المطلب الثامن

أساليب حامل الوحى وصوره

جاء حامل الوحى جبريلـ عليه السلام ـ على أساليب وصور شتى نوجزها فيما يلى:

1) الظهور على صورته الحقيقية :

أى الصورة الملكية التى خلقها الله ـ تعالى ـ عليه ، وقد كانت بعد انقطاع الوحى حيث تراءى للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ جبريل فى صورته الملائكية ونزَّل عليه صدر سورة المدثر وذلك مما أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب الوحى عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ قال وهو يحدث عن فترة الوحى فقال فى حديثه : " بينما أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالسا على كرسى بين السماء والأرض فَرُعِبْتُ منه فرجعت فقلت زملونى.. .. الخ " وقد أوردناه.

2) الظهور على صورة إنسان يراه الحاضرون ويستمعون إليه كما فى قصة مجيئه على صورة دحية الكلبى أو فى صورة الأعرابى وغير ذلك وكما فى الصحيح.

وقدرة المَلَك على التشكل بالصورة البشرية محل اتفاق أهل الأديان جميعا ، لقد نزلت الملائكة على إبراهيم الخليل ضيفا مكرمين وقدم لهم عجلا حينئذ ، ولم يعرف أنهم ملائكة إلا حين أفصحوا له عن حقيقة أمرهم.

قال تعالى "(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (24) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ (25) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ (26) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ (27) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (28) "[الذاريات 24-28].

وأتى الملائكة لوطا ـ عليه السلام ـ فى صورة شباب بهى الطلعة جميل المنظر قال سبحانه (وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (77) وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) [هود 77-78]

وبعث الله إلى مريم البتول [1] جبريل ـ عليه السلام ـ فى صورة بشر سوى يبشرها باصطفائها واصطفاء وليدها قال جل شأنه :(فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا)[مريم 16-17]

وانطلاقا من هذه الحقيقة كان جبريل ـ عليه السلام ـ يتنزل على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويتمثل له فى صورة رجل وقد أخرج البخارى فى صحيحه (وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ)

وجاء فى السُّنّة أن هذا الرجل اتخذ أكثر من شكل منها :

- صورة رجل هو أحسن الناس وجها ، وأطيبهم ريحا ولا يعرفه أحد من الصحابة ، وقد تعددت الروايات فى ذكر هذه الصورة منها ما رواه عمر ـ رضى الله عنه ـ قال فيه[2] (بَيْنَمَا نَحْنُ ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَ نَبِيِّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لَا يُرَى قَالَ يَزِيدُ : لَا نَرَى عَلَيْهِ أَثَرَ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِسْلَامِ مَا الْإِسْلَامُ ؟. فَقَالَ : الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ : صَدَقْتَ. قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ : ثُمَّ قَالَ :

---

[1] في الصحاح في اللغة - (1 / 31) والبَتولُ من النساء : العذْراء المنقطِعة من الأزواج، ويقال هي المنقطعة إلى الله تعالى عن الدنيا. والبَتولُ والبَتيلَةُ: فسيلةٌ تكون للنَخلة قد استغنَتْ عن أمِّها، وتلك النخلة مُبْتِلٌ، يستوي فيه الواحد والجمع. والبَتيلَةُ: كلُّ عضوٍ بلحمه، والجمع بَتائِلُ. يقال: امرأةٌ مُبَتَّلَةٌ ؛ بتشديد التاء مفتوحةً، أي تامّة الخَلْق لم يركب لحمُها بعضُه بعضاً. والتَبَتُّلُ: الانقطاعُ عن الدُنيا إلى الله، وكذلك التَبْتيلُ، ومنه قوله تعالى: " وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتيلاً ". وانْبَتَلَ فهو مُنْبَتِلٌ، أي انقطع، وهو مثل المُنْبَتِّ.

[2] صحيح مسلم (1/ 28).

أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ ؟ قَالَ : الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ : صَدَقْتَ.
قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ مَا الْإِحْسَانُ ؟ قَالَ يَزِيدُ : أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ بِهَا مِنْ السَّائِلِ. قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا ؟ قَالَ : أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبِنَاءِ. قَالَ : ثُمَّ انْطَلَقَ. قَالَ : فَلَبِثَ مَلِيًّا. قَالَ يَزِيدُ : ثَلَاثًا. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ : فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)

وهو الحديث الذى سأل فيه الْمَلَكُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن معنى الإسلام والإيمان والإحسان وعن الساعة وأماراتها ، فلما انصرف وتعقبه بعض الصحابة فلم يجدوا له أثراً قال لهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم ".

- وتارة يأتى جبريل فى صورة فى صورة بشرية ويؤم النّبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند الكعبة ويصلى الصلاة ويبين له أوقاتها.

ففى صحيح مسلم عن أبن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ [1]: " نَزَلَ جِبْرِيلُ فَأَمَّنِي فَصَلَّيْتُ مَعَهُ ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ يَحْسُبُ بِأَصَابِعِهِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ"

وقد ثبتت إمامة جبريل للنّبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سنن الترمذى وأبى داود وغيرها.

[1] صحيح مسلم (2/ 103).

- وتارة يأتى الْمَلَكُ على صورة أحد الصحابة وهو دحية الكلبى[1] ، كان من كبار الصحابة وشهد أحداً وما بعدها ، وأُعْطِيَ شطراً كبيراً من الحسن حتى قيل إنّ دحية إذا قدم المدينة لم تبق معصر[2] إلا خرجت تنظر إليه لفرط جماله ، ويُروى أنه كان كان يمشى متلثما يستر وجهه متحرجا من فتنة النساء به.

روى النسائى بإسناد صحيح عن يحيى بن معمر عن ابن عمر ـ رضى الله عنهم ـ (وكان جبريل يأتى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى صورة دحية الكلبى)

وروى ابن حجر مثل ذلك فى الإصابة من حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ وكذا رواه الطبرانى عن أنس أنّ النّبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : كان جبريل يأتينى على صورة دحية الكلبى وكان دحية رجلاً جميلاً.

---

[1] في الأعلام للزركلي - (2 / 337) دحية الكلبي (000 - نحو 45 ه = 000 - نحو 665 م) دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي: صحابي، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالته إلى (قيصر) يدعوه للاسلام. وحضر كثيرا من الوقائع. وكان يضرب به المثل في حسن الصورة. وشهد اليرموك فكان على كردوس. ثم نزل دمشق وسكن المزة وعاش إلى خلافة معاوية وفي تهذيب الأسماء - (1 / 259) دحية الكلبى الصحابى، رضى الله عنه : يقال: بكسر الدال وبفتحها لغتان مشهورتان. هو دحية بن خليفة بن فضالة بن فروة الكلبى، أسلم قديمًا. وحكى أنه كان إذا قدم من الشام لم تبق معصر إلا خرجت تنظر إليه، والمعصر التى بلغت سن المحيض. روى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة أحاديث. روى عنه خالد بن يزيد، وعبد الله بن شداد، والشعبى، وغيرهم، وشهد اليرموك، وسكن المزة القرية المعروفة بجنب دمشق، وبقى إلى خلافة معاوية، رضى الله عنهما.

[2] في الصحاح في اللغة - (1 / 474) المُعْصِرُ: الجارية أوَّلَ ما أدرَكتْ وحاضت يقال: قد أعْصَرَتْ، كأنَّها دخلت عَصْرَ شبابها أو بَلَغتْهُ.

3) من صور الوحى :

الهبوط خفية دون أن يُرى ولكن يظهر أثر التغيير والانفعال على صاحب الرسالة فيُغط غطيط النائم ، ويغيب غيبة كأنها الغشية أو الإغماء وما هى فى شيء منها إن هى إلا استغراق فى لقاء الْمَلَكُ الروحانى وانخلاع من حالته البشرية العادية فيؤثر على الجسم فيغط [1]ويثقل ثقلاً شديداً ، وقد يتصبب عرقاً فى اليوم الشديد البرد.

وقد يكون وقع الوحى علي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كوقع الجرس إذا صلصل فى أذن سامعه ، وتلك الحالة هى أشد حالات حامل الوحى على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا أنها تثير الانتباه فتهيأ النفس بكل قواها لقبول أثره فإذا نزل الوحى بهذه الصور على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نزل وهو مستجمع القوى الإدراكي لتلقيه وحفظه وفهمه حق الحفظ والفهم كأنما كتبت الوحى فى قلبه كتابا.

وقد وردت هذه الحالة فى كتب الصحاح :

ففى البخارى [2]:- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا .

---

[1] في المعجم الوسيط - (2 / 656) (غط) في نومه غطا وغطيطا صات وردد النفس في خياشيمه يقال غط النائم وغط المذبوح وغط المخنوق والقدر غلت فسمع غطيطها والشيء في الماء غطا غطسه وغمسه فيه والشيء كبسه وعصره عصرا شديدا. وفي المحيط في اللغة - (1 / 387) ويَغِطُّ النائمُ غَطِيطاً. والغَطْغَطَةُ: يُحكى به ضَرْبٌ من الصَّوْت. وفي الصحاح في اللغة - (2 / 21) غَطيطُ النائمِ والمخنوقِ: نَخيرُهُ.

[2] صحيح البخاري (1/ 2).

والصلصلة هى الصوت القوى ولعل مقصود هذا اجتماع اليقظة والوعى والتغيرات النفسية والعضوية بما يشد النّبى شداً قوياً لتلقى الوحى.

وتحاط هذه اللحظة بأصوات الملائكة المصاحبين لجبريل حتى يتفرغ الوعى كله لمصدر الوحى كما جاء فيما أخرجه ابن ابى حاتم بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال : ما جاء جبريل بالقرآن إلى النّبى - صلى الله عليه وسلم - إلا ومعه أربعة من الملائكة *حفظة*. [1]

واخرج ابن جرير عن الضحاك قال :

كان النّبى - صلى الله عليه وسلم - إذا بُعث المَلَكُ بُعث ملائكة يحرسونه من بين يديه ومن خلفه يحرسونه من بين يديه ومن خلفه أن يتشبه الشيطان على صورة المَلَكُ. [2]

وقد كان الصحابة يحسون بهذه الأمور الطارئة وقد عبر عنها عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - عندما قال : كنا نسمع عنده مثل دوى النحل.

وفي إتحاف الخيرة المهرة [3] :- عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، قَالَتْ : نَزَلَتِ الْمَائِدَةُ جَمِيعًا وَأَنَا آخِذَةٌ بِزِمَامِ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم - الْعَضْبَاءِ، وَكَادَتْ مِنْ ثِقَلِهَا أَنْ تَدُقَّ عَضُدَ النَّاقَةِ..

فى رواية : فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها.

قال د. محمد سيد المسير[4] : لكن مع تكرار الوحى وتتابع النزول تخف حدة هذه الأعراض ويصبح الأمر أيسر من ذى قبل.

---

(1) الإتقان في علوم القرآن المؤلف : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي عدد الأجزاء : 2 (1 / 112).

(2) المرجع السابق

(3) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة المؤلف : أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري (6 / 202)

(4) انظر كتاب الرسول والوحي د / محمد سيد أحمد المسير ص 275.

والأصل فى هذه الحالات والأساليب ما جاء فى الحديث الذى رواه البخارى عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا.

هذا وقد ذكر البعض صوراً ثمانية للوحى الألهى لرسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهى :

1. الرؤيا الصادقة
2. لقاء اسرافيل
3. صلصلة الجرس
4. تشكل الملك فى صورة رجل
5. رؤية الملك فى صورته الحقيقة
6. المناجاة فى الحضرة الإلهية
7. النفث فى الروع
8. الكلام الإلهى من وراء حجاب

أما الأولى وهي الرؤيا الصالحة :

فقد ذكرناها فى حديث مسلم والبخارى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ

قال (أَوَّلَ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ.. ...) الحديث

فقال العلماء : إن الرؤيا الصادقة كانت تمهيدا للوحى وتقدمه للنبوة تجعل الرسول فى تهيئة نفسية لما ينتظره من الكرامة.

وأما الثانية وهي لقاء اسرافيل :

فقد ذكرت كتب السيرة وبعض المسانيد أنّ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تلقى وحى المَلَك إسرافيل مدة ثلاث سنوات لم ينزل فيها شيء من القرآن ، وإنما كانت هذه المرحلة توسطا بين الرؤيا الصالحة وتتابع الوحى بالقرآن الكريم بواسطة المَلَك جبريل ـ عليه السلام ـ أو كانت فى المدة التى فتر فيها الوحى بعد لقاء غار حراء ، فالقرآن الكريم من وحى الله بواسطة جبريل فقط ، وكان إسرافيل يتنزل يعلمه الكلمة والشيء مما يريده الله ـ عز وجل ـ

وفى مسند الإمام أحمد : عن الشعبى أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فقُرِنَ بنبوته إسرافيل ـ عليه السلام ـ ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل القرآن ، فلما مضت ثلاث سنين قُرن بنبوته جبرائيل ـ عليه السلام ـ فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة ، عشرا بمكة وعشرا بالمدينة ، فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة.

ونقل السيوطى عن ابن عساكر قوله : والحكمة فى توكيل إسرافيل به أنه الموكل بالصور الذى فيه هلاك الخلق وقيام الساعة ونبوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ مؤذنة بقرب قيام الساعة وانقطاع الوحى.

قال الدكتور / محمد سيد أحمد المسير [1] : وهذا اللون من الوحى بلقاء إسرافيل يتعارض مع حديث بدء الوحى للسيدة عائشة المُخَرَّج فى الصحيحين وموقف العلماء من هذا إما التوفيق وإما الترجيح ثم يميل الدكتور / المسير إلى جانب التوفيق لأسباب ذكرها منها :

1. إنّ إثبات لقاء اسرافيل لا ينافى أنّ القرآن كله نزل به جبريل الأمين
2. أنّ مهمة اسرافيل كانت تهيئة نفسية وتدريجا وتمرينا.

[1] انظر كتاب الرسول والوحي ص 173 وما بعدها

3. إنّ ما نقله الواقدى بأنّ مشايخه قالوا : ما سمعنا ولا علمنا لا ينفى القضية فى واقعها ، فعدم سماعهم أو علمهم لا ينفى الأمر فى ذاته
4. إنّ رواية الطبرانى لا يُفهم منها أنّ نزول اسرافيل مع جبريل على جبل الصفا كان ابتداء ولأول مرة وليس هناك تعارض بين لقاء اسرافيل فى ابتداء النبوة وبين نزوله حينذاك ففى الأول كان يعلمه الكلمة والشيء ، وفى الثاني كان للتخيير بين النّبى المَلِك ، وبين النّبى العبد ، ولعل هذا اللقاء الثاني كان امتداداً للمرحلة الأولى ، بل هذه الرواية تؤكد علاقة اسرافيل بالنّبوة والوحى

أما الثالثة والرابعة والخامسة : فقد مرت بنا.

وأما السادسة وهى المناجاة فى الحضرة الإلهية :

فقد وقع هذا اللون من الوحى له ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة الإسراء والمعراج حيث فرضت الصلاة على الأمة الإسلامية من خلال مناجاة علوية قدسية ناجى فيها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ربه تبارك وتعالى واشترك فيها موسى ـ عليه السلام ـ ففى صحيح مسلم من رواية ثابت البنابى عن أنس - رضي الله عنه - : " وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ قَالَ فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَة "[1].

[1] صحيح مسلم (1/ 99).

أما السابع : وهو ما يسمونه النفث فى الروع :

فقد استشهد قائلوه بحديث يقول فيه النّبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ (وَإِنَّ الرُّوحَ الأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوْعِي، أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلاَ يَحْمِلُكُمَ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللهِ فَإِنَّهُ لاَ يُنَالُ مَا عِنْدَ الله إِلاَّ بِطَاعَتِهِ) [1].

قال الدكتور المسير : ونحن نرى أنّ إلقاء المَلَك فى قلب النّبى ـ صلى الله علي وسلم ـ لون من ألوان الوحى السابقة المتعلقة بجبريل ، وعلى الأخص من باب صلصلة الجرس.

أما الثامنة : وهى الكلام الإلهى من رواء حجاب ، وذلك برؤية الله ـ تبارك وتعالى ـ مناماً فيسوق لها من يضيفونها إلى صور الوحى حديثاً تعددت طرقه. ذكره الترمذى في سننه[2] : عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : احْتُبِسَ عَنَّا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَاتَ غَدَاةٍ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى كِدْنَا نَتَرَاءَى عَيْنَ الشَّمْسِ فَخَرَجَ سَرِيعًا فَثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ فَلَمَّا سَلَّمَ دَعَا بِصَوْتِهِ فَقَالَ لَنَا : عَلَى مَصَافِّكُمْ كَمَا أَنْتُمْ ، ثُمَّ انْفَتَلَ إِلَيْنَا ثُمَّ قَالَ : أَمَا إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمْ الْغَدَاةَ أَنِّي قُمْتُ مِنْ اللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ وَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي فَاسْتَثْقَلْتُ فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ. قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَبِّ. قَالَ : فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قُلْتُ : لَا أَدْرِي رَبِّ. قَالَهَا ثَلَاثًا. قَالَ : فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ. قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَبِّ.

---

[1] الحديث في مصنف ابن أبي شيبة (7/ 79) : ونصه : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ، قَالَ : حدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ : أُخْبِرْت، أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلاَّ قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلاَّ قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ وَإِنَّ الرُّوحَ الأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوْعِي، أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلاَ يَحْمِلُكُمَ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللهِ فَإِنَّهُ لاَ يُنَالُ مَا عِنْدَ الله إِلاَّ بِطَاعَتِهِ.

[2] سنن الترمذي ت شاكر (5/ 369).

قَالَ : فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قُلْتُ : فِي الْكَفَّارَاتِ. قَالَ : مَا هُنَّ ؟ قُلْتُ : مَشْيُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ وَالْجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكْرُوهَاتِ. قَالَ : ثُمَّ فِيمَ ؟ قُلْتُ : إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَلِينُ الْكَلَامِ وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ. قَالَ : سَلْ قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةَ قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا "

وتعليقاً على هذه الرواية قال الدكتور المسير[1] :

ونحن أمام هذا الحديث نضع مجموعة ملاحظات :

أولاً : علماء السنة مجموعون على أنّ رؤية الله ـ تبارك وتعالى ـ يقظة لم تقع لأحد فى الدنيا قبل سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل لم تقع لأحد مطلقاً كما هو رأى السيدة عائشة فكيف نتصور وقوعها مناماً فإذا أضفنا ما فى هذه الروايات من رؤية الرب ـ تبارك وتقدس ـ على أحسن صورة أو على صورة شاب وَوَضعْ الكف وبرد الأنامل كان التوقف فى قبولها راجحاً.

ثانياً : إنّ الحديث يبدو أنه مقلوب المعنى فهو يثبت أنّ الله هو السائل ، وأنّ الرسول هو المجيب. والشأن الصحيح أن يكون الرسول سائلاً ربه عما يجرى فى الملأ الأعلى ، ومما يؤكد الاضطراب فى هذا الحديث أنّ الدعاء المذكور فى آخره يُنسب مرة إلى الله تعالى تعليماً لرسوله ، وينسب أخرى إلى الرسول تضرعا إلى مولاه ، ففى رواية الترمذى عن ابن عباس : (وقال يا محمد إذا صليت فقل : اللهم إنى أسألك فعل الخيرات.. . الخ)

[1] الرسول والوحي ص 297.

وفى رواية أحمد عن بعض أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ (وقال يا محمد إذا صليت فقل: اللهم، إنى أسألك الطيبات.. .. الخ)

وفى رواية الترمذى عن معاذ بن جبل (قال : سل. قلت : اللهم إنى أسألك فعل الخيرات.. .. الخ) ويضاف إلى ذلك اضطراب آخر ، وهو هل وقعت هذه الرؤية مناماً أم يقظة ، وهل كانت فى صلاة أم لا ؟ ففى رواية الترمذى عن ابن عباس قال : أحسبه قال فى النوم.. .)

وفى رواية الترمذى عن معاذ قال (فنعست فى صلاتى فاستثقلت فإذا أنا بربى ـ تبارك وتعالى ـ فى أحسن صورة.

وفى رواية لأحمد : فنعست فى صلاتى حتى استيقظت فإذا أنا بربى ـ تبارك وتعالى ـ فى أحسن صورة.

وذهب البعض إلى أنّ رواية (حتى استيقظت)تصحيف وأنّ المحفوظ هو (حتى استثقلت)

ثالثاً : بعض المفسرين ساق هذا الحديث تفسيراً للآية الكريمة " { مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ} [ص: 69] "

والحديث والآية بينهما بون شاسع فالآية تثبت الوحى للنّبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بإعلامه بالغيب الذى أوحاه الله ـ تبارك وتعالى ـ إليه فى شأن آدم واختصاص الملائكة حول خلقه وأمر الله لهم بالسجود ، ولنقرأ ما قبلها وما بعدها " {قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (67) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (68) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (69) إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (70) إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) } [ص: 67 - 73] "

والحديث يتعلق بالوضوء والصلاة والحسنات ، فما العلاقة بينهما وقد تفطن الإمام ابن كثير لذلك فقال : وليس هذا الاختصام هو الاختصام المذكور فى القرآن فإنّ هذا (أي المذكور فى الحديث) قد فُسِرَ وأما الاختصام الذى فى القرآن فقد فُسِرَ بعد هذا وهو قوله تعالى (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ.. .)

المطلب التاسع

ما الذي كان ينزل به جبريل - عليه السلام –

تعرفنا على أساليب الوحى وصوره بقى أن نتعرف على ما كان ينزل به الوحى ، فالمعروف فى شريعة الإسلام أنّ الشريعة قرآن وسنة وكلاهما وحى كما ذكر علماء الأمة فكيف كان ينزل جبريل بكل منهما؟

قال السيُّوطى رحمه الله نقلاً عن الإمام الجوينى [1]:

كلام الله تعالى قسمان : قسم قال الله ـ تعالى ـ لجبريل : قل للنّبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى أنت مرسل إليه : إنّ الله ـ تعالى ـ يقول لك : افعل كذا وكذا ، وأمر بكذا وكذا ففهم جبريل ما قاله ربه ، ثم نزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال له ما قاله ربه ، ولم تكن العبارة هى العبارة كما يقول المَلِك لمن يثق به قل لفلان : يقول لك المَلَك اجتهد فى خدمتى. فإن قال الرسول : يقول لك المَلِك لا تتهاون فى خدمتى ، لا يُنسب إليه كذب ولا تقصير فى أداء الرسالة

وقسم آخر : قال الله ـ تعالى ـ في لجبريل : اقرأ على النبى هذا الكتاب فنزل به جبريل من الله من غير تغيير ، وذلك كما يكتب المَلِك كتاباً ويسلمه إلى أمين ويقول له : إقرأه على فلان فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفا.

---

[1] القرآن الكريم وكيف نزل به الروح الأمين القسم الأول ط دار الطباعة المحمدية د محمد بحيري ابراهيم ص 47 وما بعدها.

يقول السيُّوطى : فالقرآن هو القسم الثاني من هذين القسمين

والقسم الأول هو السُنَّة ، فقد ورد أنّ جبريل ـ عليه السلام ـ كان ينزل بالسُنَّة كما كان ينزل بالقرآن ، ومن هنا جاز رواية السُنَّة بالمعنى ، بينما لا يجوز رواية القرآن الكريم بالمعنى ؛ لأنّ جبريل أداه باللفظ ، ولم يُبح له أداؤه بالمعنى ، والسر فى ذلك أنّ المقصود منه (الآداء باللفظ) عدة أمور :

الأول : التعبد بلفظه.

الثاني : الإعجاز به ، فلا يقدر أحد أن يأتى بلفظ يقوم مقامه.

الثالث : التخفيف على الأمة ، بجعل المُنزل إليهم قسمين ، قسم يروونه بلفظه المُوحى به ، وقسم يروونه بالمعنى ، ولو جُعل المُنَزَّل كله مما يروى باللفظ لشق عليهم أو بالمعنى لم يؤُمَن التبديل والتحريف.

ولكن الشيخ الزرقانى قد علق على كلام الإمام الجوينى فقال : هذا كلام نفيس إلا أنّه لا دليل أمامنا على أنّ جبريل ـ عليه السلام ـ كان يتصرف فى الألفاظ الموحاة إليه من غير القرآن ، وما ذكره الجوينى هو احتمال عقلى لا يكفى فى هذا الباب ، كما أنّ التقسيم الذى ذكره خلا من قسم ثالث بعد الكتاب والسُنَّة وهو الحديث القدسى الذى قاله الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حاكياً عن الله ـ تعالى ـ فهو كلام الله ـ تعالى ـ غير أنه ليست له خصائص القرآن التى امتاز به عن كل ما سواه ، ولله ـ تعالى ـ حكمة فى أن يجعل من كلامه المُنَزَّل معجزاً وغير معجز ، لمثل ما سبق بيانه فى حكمة التقسيم السابق من إقامة الحجة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولدينه الحق بكلام الله المعجز ومن التخفيف على الأمة بغير المعجز لأنه لا تصح روايته بالمعنى إلى غير ذلك.

المطلب العاشر

هل قُرِنَ اسرافيل بالنبي – صلى الله عليه وسلم - قبل جبريل :

أيد الشامي من أنكر اقتران اسرافيل - عليه السلام - بالنّبي- صلى الله عليه وسلم - قبل جبريل - عليه السلام - فقد ذكر رواية الشعبي المؤيد للإقتران ثم أورد قول الواقدي في الرد عليها فقال [1] : روى الإمام أحمد في تاريخه بسند صحيح عن عامر الشعبي قال : إنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشئ، ولم ينزل القرآن على لسانه، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة، عشرا بمكة وعشرا بالمدينة، فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وهذا يقتضي أنّ إسرافيل قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين، ثم جاءه جبريل.

قال الإمام أبو شامة [2] رحمه الله تعالى : وحديث عائشة - أي الآتي في الباب بعده - لا ينافي هذا فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا، ثم وكل به إسرافيل في تلك المدة التي كان يخلوا فيها بحراء فكان يلقي إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجا وتمرينا، إلى أن جاءه جبريل فعلمه بعد ما غطه ثلاث مرات.

فحكت عائشة ما جرى له مع جبريل ولم تحك ما جرى له مع إسرافيل اختصارا للحديث، أو لم تكن وقفت على قصة إسرافيل انتهى.

---

[1] الكتاب : سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد المؤلف : محمد بن يوسف الصالحي الشامي (2/ 230)

[2] عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، أبو القاسم، شهاب الدين، أبو شامة: مؤرخ، محدث، باحث. أصله من القدس، ومولده في دمشق، وبها منشأه ووفاته. ولي بها مشيخة دار الحديث الأشرفية، له (كتاب الروضتين في أخبار الدولتين: الصلاحية والنورية) و (مختصر تاريخ ابن عساكر) خمسة مجلدات، و (المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز) وغير ذلك. ووقف كتبه ومصنفاته جميعها في الخزانة العادلية بدمشق، فأصابها حريق التهم أكثرها. ولقب أبا شامة، لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر. توفى سنة 665 ه

وذكر بعض العلماء في حكمة مجئ إسرافيل إليه أنه الموكل بالنفخ في الصور، والنبي - صلى الله عليه وسلم - بعث قرب الساعة وكانت بعثته من أشراطها، فبعث إسرافيل لهذه المناسبة ولم يبعث إلى نبي قبله.

وقد أنكر الواقدي - رحمه الله تعالى - خبر الشعبي وقال : لم يقرن به من الملائكة إلا جبريل. قال الحافظ : ولا يخفى ما فيه، فإن المثبت مقدم على النافي إلا إن صحب النافي دليل نفيه فيقدم. انتهى.

وقد ورد ما يوهي أثر الشعبي، وهو ما رواه مسلم عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال : بينا النّبي - صلى الله عليه وسلم - جالس وعنده جبريل إذ سمع نقيضا من السماء من فوق فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال: يا محمد هذا ملك قد نزل لم ينزل إلى الأرض قط. قال : فأتى النّبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منها إلا أوتيته.

قال جماعة من العلماء : إنّ هذا الملك إسرافيل.

وروى الطبراني والبيهقي في الزهد بسند حسن عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما – قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ذات يوم وجبريل على الصفا فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفه دقيق ولا كف من سويق.

فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفزعته فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أمر الله القيامة أن تقوم ؟ فقال : لا ولكن أمر إسرافيل فنزل إليك حتى يسمع كلامك فأتاه إسرافيل فقال : إنّ الله تعالى بعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض وأمرني أن أعرض إليك أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة.

فقلت: فإن شئت نبيا ملكا وإن شئت نبيا عبدا ؟ فأومأ إليه جبريل: أن تواضع. فقال: بل نبيا عبدا. ثلاثا.

ورواه ابن حبان في صحيحه مختصرا من حديث أبي هريرة ولفظه: جلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل فقال له جبريل: هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل الساعة.. ... وذكر الحديث.

فظهر أنّ المعتمد ما مشى عليه الواقدي رحمه الله تعالى. [1]

المطلب الحادي عشر

هل شُقَّ صدر النّبي - صلى الله عليه وسلم - قبيل مبعث ؟

ذكرنا في مبحث خاص الأدلة على تكرار شق صدره - صلى الله عليه وسلم - وها نحن نذكر شق صدره - صلى الله عليه وسلم - عند مبعثه وقول العلماء فيه :

بعض روايات شق صدره – صلى الله عليه وسلم - قبل المبعث :

في صحيح البخاري [2]: - عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ أُبَىٌّ يُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِىَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِى وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِى ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءٍ حِكْمَةً وَإِيمَاناً فَأَفْرَغَهَا فِى صَدْرِى ثُمَّ أَطْبَقَهُ..... الحديث ».

---

[1] نهاية كلام الصالحي.

[2] صحيح البخاري ت (8/ 404).

وفي مسند البزار [1] : عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ عَلِمْتَ أَنَّكَ نَبِيٌّ ؟ قَالَ : مَا عَلِمْتُ حَتَّى أُعْلِمْتُ ذَلِكَ يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَانِي مَلَكَانِ وَأَنَا بِبَعْضِ بَطْحَاءَ مَكَّةَ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : أَهُوَ هُوَ ؟ قَالَ : فَزِنْهُ بِرُجَلٍ، فَوُزِنْتُ بِرَجُلٍ فَرَجَحْتُهُ، قَالَ : فَزِنْهُ بِعَشَرَةٍ، فَوَزَنَنِي بِعَشَرَةٍ فَوَزَنْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ : زِنْهُ بِمِائَةٍ، فَوَزَنَنِي بِمِائَةٍ فَرَجَحْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ : زِنْهُ بِأَلْفٍ فَوَزَنَنِي بِأَلْفٍ فَرَجَحْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ : لَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ رَجَحَهَا، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ : شُقَّ بَطْنَهُ، فَشَقَّ بَطْنِي فَأَخْرَجَ مِنْهُ، فَغُمَّ الشَّيْطَانُ وَعَلَّقَ الدَّمَ فَطَرَحَهَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ : اغْسِلْ بَطْنَهُ غَسْلَ الإِنَاءِ، وَاغْسِلْ قَلْبَهُ غَسْلَ الْمُلاءِ، ثُمَّ دَعَا بِالسَّكِينَةِ كَأَنَّهَا رَهْرَهَةٌ بَيْضَاءُ، فَأُدْخِلَتْ قَلْبِي، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : خَطَّ بَطْنَهُ، فَخَاطَ بَطْنِي وَجَعَلا الْخَاتَمَ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَمَا هُوَ إِلاَّ وَلِيًّا عَنِّي، كَأَنَّمَا أُعَايِنُ أَوْ فَكَأَنَّمَا أُعَايِنُ الأَمْرَ مُعَايَنَةً.

وَزَادَ ابْنُ مَعْمَرٍ فِي حَدِيثِهِ فَجَعَلُوا يَنْتُرُونَ عَلَيَّ مِنْ كِفَّةِ الْمِيزَانِ.

الرد على من استنكر شق صدره - صلى الله عليه وسلم - أكثر من مرة

قال ابن حجر[2] :

وقد استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء وقال : إنما كان ذلك وهو صغير في بني سعد ولا إنكار في ذلك فقد تواردت الروايات به وثبت شق الصدر أيضا عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في الدلائل ولكل منهما حكمة.

فالأول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس فأخرج علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك ، وكان هذا في زمن الطفولية ؛ فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان.

---

[1] مسند البزار = البحر الزخار (9/ 437).

[2] فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي(7 / 204).

ثم وقع شق الصدر عند البعث زيادة في اكرامه ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير ، ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه - صلى الله عليه وسلم - ، ويحتمل أن تكون الحكمة في انفراج سقف بيته الإشارة إلى ما سيقع من شق صدره وأنه سيلتئم بغير معالجة يتضرر بها وجميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك.

المطلب الثاني عشر

من دروس وعبر مجيء الوحي [1]

عندما نتأمل في حديث السيدة عائشة يمكن للباحث أن يستنتج قضايا مهمة تتعلق بسيرة الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ومن أهمها:

أولاً: الرؤيا الصالحة :

ففي حديث عائشة - رضي الله عنها - أنّ أول ما بدئ به محمد - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصالحة، وتسمى أحيانًا بالرؤيا الصادقة، والمراد بها هنا رؤى جميلة ينشرح لها الصدر وتزكو بها الروح ولعل الحكمة من ابتداء الله تعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - بالوحي بالمنام، أنه لو لم يبتدئه بالرؤيا، وأتاه الملك فجأة ولم يسبق له أن رأى ملكًا من قبل، فقد يصيبه شيء من الفزع، فلا يستطيع أن يتلقى منه شيئا، لذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن يأتيه الوحي أولا في المنام ليتدرب عليه ويعتاده والرؤيا الصادقة الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة كما ورد في الحديث الشريف وقد قال العلماء : وكانت مدة الرؤيا الصالحة ستة أشهر، ذكره البيهقي، ولم ينزل عليه شيء من القرآن في النوم بل نزل كله يقظة.

[1] السيرة النبوية - دروس وعبر في تربية الأمة وبناء الدولة علي الصلابي.

قال الصلابي : والرؤيا الصالحة من البشرى في الحياة الدنيا فقد ورد عن النّبي - صلى الله عليه وسلم – قوله : « أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له فكان - صلى الله عليه وسلم - قبل نزول جبريل - عليه السلام - عليه بالوحي في غار حراء يرى الرؤى الجميلة فيصحو منشرح الصدر، متفتح النفس لكل ما في الحياة من جمال، لقد أجمعت الروايات من حديث بدء الوحي أنّ أول ما بُدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصادقة الصالحة، يراها في النوم فتجيء في اليقظة كاملة، واضحة كما رآها في النوم، لا يغيب عليه منها شيء كأنما نقشت في قلبه وعقله، وقد شبهت السيدة عائشة - رضي الله عنها - وهي من أفصح العرب- ظهور رؤيا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، إذا استيقظ بها من كمال وضوحها بظهور ضوء الصبح ينفلق عنه غبش الظلام، وهو تصوير بياني لا تنفلق دنيا العرب في ذرى فصاحتهم عن أبلغ منه.

وهذا كلام الصلابي وأقول : لم تكن الرؤى التي رأها النبي - صلى الله عليه وسلم - كلها مطمئنة بل كان يفزع من بعضها ، وكونها وصفت بالصادقة أي في تحققها ، ومثل ذلك ما كان يراه قبل مجيء جبريل لأول مرة فكان يفزع ويقص ما رأه على عمه وأحيانا على خديجة ، وأيضا ورد أنه - صلى الله عليه وسلم - جاءه جبريل مناما وغته قبل أن يأتيه وحيا كما روت الروايات ذلك ، وفي كل ذلك كان يفزع ويقصها على خديجة.

ثانيًا : ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه :

وقبيل النبوة حبب إلى نفس النّبي - صلى الله عليه وسلم – الخلوة، ليتفرغ قلبه وعقله وروحه إلى ما سيلقى إليه من أعلام النبوة، فاتخذ من غار حراء متعبدًا، لينقطع عن مشاغل الحياة ومخالطة الخلق، واستجماعًا لقواه الفكرية، ومشاعره الروحية، وإحساساته النفسية، ومداركه العقلية، تفرغًا لمناجاة مبدع الكون وخالق الوجود والغار الذي كان يتردد عليه الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - يبعث على التأمل والتفكر،

تنظر إلى منتهى الطرف فلا ترى إلا جبالاً كأنها ساجدة متطامنة لعظمة الله، وإلا سماء صافية الأديم، وقد يرى من يكون فيه، مكة إذا كان حاد البصر كانت هذه الخلوة التي حببت إلى نفس النّبي - صلى الله عليه وسلم - لونًا من الإعداد الخاص، وتصفية النفس من علائق المادية البشرية إلى جانب تعهده الخاص بالتربية الإلهية والتأديب الرباني في جميع أحواله، وكان تعبده صلى الله عليه وسلم قبل النبوة بالتفكر في بديع ملكوت السماوات، والنظر في آياته الكونية الدالة على بديع صنعه وعظيم قدرته، ومحكم تدبيره، وعظيم إبداعه.

وقد أخذ بعض أهل السلوك إلى الله من ذلك، فكرة الخلوة مع الذكر والعبادة في مرحلة من مراحل السلوك، لتنوير قلبه وإزالة ظلمته وإخراجه من غفلته وشهوته وهفوته، ومن سنن النّبي - صلى الله عليه وسلم - سنة الاعتكاف في رمضان وهي مهمة لكل مسلم سواء كان حاكمًا أو عالمًا، أو قائدًا، أو تاجرًا.. لتنقية الشوائب التي تعلق بالنفوس والقلوب، ونصحح واقعنا على ضوء الكتاب والسنة، ونحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب.

ويمكن لأهل فقه الدعوة أن يعطوا لأنفسهم فترة من الوقت للمراجعة الشاملة والتوبة، والتأمل في واقع الدعوة وما هي عليه من قوة أو ضعف واكتشاف عوامل الخلل، ومعرفة الواقع بتفاصيله، خيره وشره.

وفي قول السيدة عائشة : « فيتحنث الليالي ذوات العدد » يقول الشيخ محمد عبد الله دراز : «هذا كناية عن كون هذه الليالي لم تصل إلى نهاية القلة ولا إلى نهاية الكثرة، وما زال هذا الهدي الذي كان عليه النّبي - صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة من التوسط والاقتصاد في الأعمال، شعارًا للملة الإسلامية ورمزًا للهدي النبوي الكريم بعد أن أرسله الله رحمة للعالمين».

ثالثًا: حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاء المَلَك فقال: اقرأ. قال: قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ - خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ - اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ - الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) [العلق: 1-4].

لقد كانت هذه الآيات الكريمات المباركات أول شيء نزل من القرآن الكريم وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة، وإنّ من كرم الله تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به آدم عليه السلام على الملائكة، والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون بالكتابة بالبنان وبهذه الآيات كانت بداية نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - لقد كان هذا الحادث ضخمًا، وهو ضخم إلى غير حد، ومهما حاولنا اليوم أن نحيط بضخامته، فإن جوانب كثيرة منه ستظل خارج تصورنا !

إنه حادث ضخم بحقيقته، وضخم بدلالته، وضخم بآثاره في حياة البشرية جميعًا، وهذه اللحظة التي تم فيها هذا الحادث تعد - بغير مبالغة - هي أعظم لحظة مرت بهذه الأرض في تاريخها الطويل.

ما حقيقة هذا الحادث الذي تم في هذه اللحظة؟

حقيقته أنّ الله جل جلاله، العظيم الجبار القهار المتكبر، مالك الملك كله، قد تكرم - في عليائه - فأراد أن يرحم هذه الخليقة المسماة بالإنسان، القابعة في ركن من أركان الكون، لا يكاد يُرى اسمه الأرض، وكرَّم هذه الخليقة باختيار واحد منها ليكون ملتقى نوره الإلهي، ومستودع حكمته، ومهبط كلماته، وممثل قدره الذي يريده - سبحانه - بهذه الخليقة..».

كانت بداية الوحي الإلهي فيها إشادة بالقلم وخطره، والعلم ومنزلته، في بناء الشعوب والأمم وفيها إشارة واضحة بأن من أخص خصائص الإنسان العلم والمعرفة.

وفي هذا الحادث العظيم تظهر مكانة ومنزلة العلم في الإسلام، فأول كلمة في النّبوة تصل إلى رسول الله هي الأمر بالقراءة (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) [العلق: 1].

وما زال الإسلام يحث على العلم ويأمر به ويرفع درجة أهله ويميزهم على غيرهم

قال تعالى: (يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [المجادلة: 11] وقال سبحانه (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ) [الزمر: 9].

إنّ مصدر العلم النافع من الله - عز وجل -، فهو الذي علم بالقلم، وعلم الإنسان ما لم يعلم، ومتى حادت البشرية عن هذا المنهج، وانفصل علمها عن التقيد بمنهج الله - تعالى - رجع علمها وبالاً عليها وسببًا في إبادتها.

رابعًا : الشدة التي تعرض لها النّبي-صلى الله عليه وسلم - ووصف ظاهرة الوحي :

لقد قام جبريل - عليه السلام - بضغط النّبي - صلى الله عليه وسلم - مرارا حتى أجهده وأتعبه، وبقي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يلقى من الوحي شدة وتعبًا وثقلاً كما قال تعالى : (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلاً) [المزمل: 5]. كان في ذلك حكمة عظيمة لعل منها : بيان أهمية هذا الدين وعظمته وشدة الاهتمام به، وبيان للأمة أن دينها الذي تتنعم به ما جاءها إلا بعد شدة وكرب إن ظاهرة الوحي معجزة خارقة للسنن والقوانين الطبيعية، حيث تلقى النّبي - صلى الله عليه وسلم - كلام الله (القرآن) بواسطة الملك جبريل -عليه السلام -؛ وبالتالي فلا صلة لظاهرة الوحي بالإلهام أو التأمل الباطني، أو الاستشعار الداخلي، بل إنّ الوحي يتم من خارج ذات النّبي - صلى الله عليه وسلم -، وتنحصر وظيفته بحفظ الموحى وتبليغه، وأما بيانه وتفسيره فيتم بأسلوب النّبي كما يظهر في أحاديثه وأقواله - صلى الله عليه وسلم -.

إن حقيقة الوحي، هي الأساس الذي تترتب عليه جميع حقائق الدين، بعقائده وتشريعاته وأخلاقه، ولذلك اهتم المستشرقون والملاحدة من قبلهم، بالطعن والتشكيك في حقيقة الوحي، وحاولوا أن يأولوا ظاهرة الوحي ويحرفوها عن حقيقتها عما جاءنا في صحاح السنة الشريفة، وحدثنا به المؤرخون الثقات، فقائل يقول : إن محمدا - صلى الله عليه وسلم - تعلم القرآن ومبادئ الإسلام من بحيرا الراهب، وبعضهم قال بأن محمدًا كان رجلاً عصبيًا أو مصابًا بداء الصرع.

والحقيقة تقول: إنّ محمدًا - عليه الصلاة والسلام - وهو في غار حراء فوجئ بجبريل أمامه يراه بعينه، وهو يقول له: اقرأ، حتى يتبين أن ظاهرة الوحي ليست أمرا ذاتيًا داخليًا مرده إلى حديث النفس المجرد، وإنما هو استقبال وتلقٍّ لحقيقة خارجية لا علاقة لها بالنفس وداخل الذات، وضم الملك إياه ثم إرساله ثلاث مرات قائلا في كل مرة: اقرأ، يعتبر تأكيدا لهذا التلقي الخارجي ومبالغة في نفي ما قد يتصور، من أن الأمر لا يعدو كونه خيالاً داخليًا فقط.

ولقد أصيب النّبي - صلى الله عليه وسلم - بالرعب والخوف مما سمع ورأى، وأسرع إلى بيته يرجف فؤاده، وهذا يدل على أنّ النّبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن متشوقا للرسالة التي سيكلف بثقلها وتبليغها للناس وقد قال تعالى تأكيدا لهذا المعنى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ - صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ) [الشورى: 52-53].

وقال تعالى (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ.قُل لَّوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) [يونس: 15، 16].

لقد تساقطت آراء المشككين في حقيقة الوحي أمام الحديث الصحيح الذي حدثتنا به السيدة عائشة - رضي الله عنها -، وقد استمر الوحي بعد ذلك يحمل الدلالة نفسها على حقيقة الوحي، وأنه ليس كما أراد المشككون.

وقد أجمل الدكتور البوطي هذه الدلالة فيما يلي :

1- التمييز الواضح بين القرآن والحديث، إذ كان يأمر بتسجيل الأول فورًا، وعلى حين يكتفي بأن يستودع الثاني ذاكرة أصحابه ؛ لا لأن الحديث كلام من عنده لا علاقة للنبوة به، بل لأن القرآن موحى به إليه بنفس اللفظ والحروف بواسطة جبريل - عليه السلام -، أما الحديث فمعناه وحي من الله عز وجل، ولكن لفظه وتركيبه من عنده - عليه الصلاة والسلام -، فكان يحاذر أن يختلط كلام الله - عز وجل - الذي يتلقاه من جبريل بكلامه هو.

2- كان النّبي - صلى الله عليه وسلم - يُسأل عن بعض الأمور، فلا يجيب عليها وربما مر على سكوته زمن طويل، حتى تنزل آية من القرآن في شأن سؤاله، وربما تصرف الرسول في بعض الأمور على وجه معين، فتنزلت آيات من القرآن تصرفه عن ذلك الوجه، وربما انطوت على عتب أو لوم له.

3- كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أميًّا.. وليس من الممكن أن يعلم إنسان بواسطة المكاشفة النفسية حقائق تاريخية، كقصة يوسف عليه السلام، وأم موسى حينما ألقت وليدها في اليم، وقصة فرعون، ولقد كان هذا من جملة الحكم في كونه - صلى الله عليه وسلم - أميًّا: (وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إذا لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) [العنكبوت: 48].

4- إن صدق النبي صلى الله عليه وسلم أربعين سنة مع قومه واشتهاره فيهم بذلك، يستدعي أن يكون - صلى الله عليه وسلم - من قبل ذلك صادقًا مع نفسه، ولذا فلا بد أن يكون قد قضى في دراسته لظاهرة الوحي على أي شك يخايل لعينيه أو فكره، وكأن هذه الآية جاءت ردًا لدراسته الأولى لشأن نفسه مع الوحي (فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) [يونس: 94].

ولهذا روي أنّ النّبي - صلى الله عليه وسلم – قال : بعد نزول هذه الآية: " لا أشك ولا أسأل ".

المطلب الثالث عشر

دروس من روايات حديث بدء الوحى

بعد هذه الدراسة فيما ورد من روايات بدء الوحى لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجب علينا أن نقف ـ قبل الانتقال إلى موضوع آخر ـ على ما ورد فيها من دروس وعِبر فلعل من اللطائف والإفادة ما يجعل فى فوات الإلتفات إليها فوات علم وأدب ، ومن هذه الدروس

1. الإعتكاف فى المسجد أفضل منه فى البيت :

فمجيء الوحى أول مرة فى نوبة الغار لا فى نوبة البيت دليل على ان المساجد

والمعتكفات أفضل من البيوت ولذلك ورد فى الحديث الصحيح (أحب البلاد إلى الله مساجدها)

2. لا يَضرِبُ المؤدبُ فوق ثلاث وحكمة الغط ثلاثا :

أورد السيوطى عن الكامل لابن عدى بسند ضعيف عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ ان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى أن يضرب المؤدب فوق ثلاث ضربات ، وذكر السهيلى أنّ ذلك ـ أى الغط ـ ثلاثا إلى أن ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحصل له شدائد ثلاث لم يحصل له الفرج بعد ذلك فكانت الاولى إدخال قريش له ـ صلى الله عليه وسلم ـ الشِعب والتضييق عليه ، والثانية اتفاقهم على الاجتماع على قتله ، والثالثة خروجه من أحب البلاد إليه.

وقال ابو سليمان [1] : إنما فعل ذلك ـ أى الغط ثلاثا ـ ليبلو صبره ويُحسن تأديبه ، فيرتاض لاحتمال ما كلفه به من أعباء النبوة ، ولذلك كان يعتريه مثل حال المحموم تأخذه الرُّخصاء أى البهر[2] والعرق.

وقال غيره : إنما فعل ذلك لأمور منها : أن يستيقظ لعظمة ما يُلقى إليه بعد هذا الصنع المشق للنفوس.

قال النووى فى شرح مسلم : وكرره ثلاثا مبالغة فى التنبيه ففيه ينبغى للمعلم أن يحتاط فى تنبيه المتعلم وأمره بإحضار قلبه.

---

[1] السيرة النبوية لابن كثير - (1 / 393)

[2] في الصحاح في اللغة - (1 / 55) بهر : يقال بَهْراً له، أي تَعْساً له. وبَهَرَهُ بَهْراً، أي غلبه. والبُهْرُ بالضم: تتابُع النَفَسِ. وبالفتح المصدر، يقال: بَهَرَهُ الحِمْلُ يَبْهَرُهُ بَهْراً، أي أوقع عليه البُهْرَ فانْبَهَرَ، أي تتابع نَفَسُهُ

3. اختيار أهل المشورة والخبرة لمواضع الاسرار :

فى الحديث عن ورقة تقول الرواية (كان شيخاً كبيرا قد عمى) وهكذا ينبغى ان يختار المرءُ مواضع أسراره وأهل مشورته فكونه شيخا كبيرا دليل خبرته مع الأحداث والزمن وقد درس الأيام فأخذ منها واخذت منه ، وكونه قد عمى فمن كثرة القراءة كأنه لم يكتفى بأن تكون خبرته فى مكابدة الأيام والسنين بل ايضا مع المكابدة يكون العلم والبحث والدراسة.

4. مدح الرجل أمام وجهه وما كان من خديجة :

روى فى السُنَّة ما يدل على كراهة أن يمدح الرجل ومن ذلك مارواه البخارى عن ابى موسى قال [1] : (سَمِعَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَجُلًا يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ فِي مَدْحِهِ فَقَالَ أَهْلَكْتُمْ أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهَرَ الرَّجُلِ)

وروى ايضا عن أبى بكرة عن أبيه أَنَّ رَجُلًا ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَجُلٌ خَيْرًا فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –[2] " وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ يَقُولُهُ مِرَارًا إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا إِنْ كَانَ يُرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ وَحَسِيبُهُ اللَّهُ وَلَا يُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا ".

ومع هذا فقد استثنى العلماء من الكراهة أن يمدح الرجل على سبيل التأنيس والتبشير وهذا ما جاء على لسان السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ فى حديث بدء الوحى حيث مدحت زوجها ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائلة : إنك لتصل الرَّحم وتحمل الكَلَ ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق)

---

[1] صحيح البخاري (6/ 586).

[2] صحيح البخاري ت (15/ 270).

وإنما يجيء المدح ـ كما قال العلماء ـ لمصلحة تطرأ ، وفيه تأنيس من حصلت له مخافة من أمر وتبشيره وذكر أسباب السلامة له ، وفيه أعظم دليل وأبلغ حجة على كمال خديجة ـ رضى الله عنها ـ وجزالة رأيا وقوة نفسها وثبات قلبه وعظم فقهها والله أعلم [1]

5. من الآداب المستحسنة فى البدء بالتعارف الوسيط بين المتخاطبين والتعبير بوصف القرابة : فى بدء حوار خديجة لورقة بدأت بقولها : أى عم وفى رواية : يا ابن عم.
وهذا البدء بالتعارف [2] عند التخاطب قبل الخوض فى الحديث فهو من الآداب المستحسنة التى لا ينبغى لأهل الأدب إغفالها والأحسن أن يقوم بهذا التعريف ثالث يكون وسيطاً بين المتخاطبين كما هنا فو أجمل من أن يُعرِّف المرءُ بنفسه والتعبير بوصف القرابة فى الجانبين دون الأسم العَلَم للتدقيق وذكر الباعث على النصح الخالص والبيان الشافى وكثير ما يَحْسُنُ التعبير بالخ عن ابن العم لا سيما فى مثل هذا المقام.

6. جواز تمنى المستحيل إذا كان فى فعل الخير :
قول ورقة (يا ليتنى فيها جذعا ، يا ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك) فيه دليل على جواز تمنى المستحيل إذا كان فى فعل خير لأن ورقة تمنى ان يعود شابا وذا يستحيل عادة.

---

[1] صحيح مسلم بشرح النووي ص 482 ج 1
[2] المختار من كنوز السنة د عبد الله دراز ص33

المبحث الخامس

الملائكة

وفيه عدة مطالب :

المطلب الأول : الملائكة في القرآن الكريم.

المطلب الثاني : الإيمان بالملائكة.

المطلب الثالث : جبريل - عليه السلام - في القرآن الكريم.

المطلب الرابع : جبريل – عليه السلام – من كتب نصارى اليوم.

المطلب الخامس : جبريل – عليه السلام – عند اليهود.

المطلب السادس : بعض ما ورد عن اسرافيل – عليه السلام -

المطلب السابع : هل قرن اسرافيل بالنبي – صلى الله عليه وسلم – أولا قبل جبريل ؟.

المطلب الأول

الملائكة في القرآن الكريم

لفظ المَلَك ومشتقاته في القرآن الكريم

ثمان وثمانون مرة مجموع ما ذكره القرآن الكريم من لفظ مَلَك - بفتح الميم واللام - مفرد أو مثنى أو جمع كالآتي :

لفظ " مَلَك" المفرد : ذكر في القرآن الكريم ثلاثة عشر مرة وهم :

- {وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (8) } [الأنعام: 8]
- {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (50)} [الأنعام: 50]
- {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (12) } [هود: 12]
- {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (31)} [هود: 31]
- {فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31)} [يوسف: 31]
- {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (7)} [الفرقان: 7]

- { قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (11) } [السجدة: 11]
- {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (26) } [النجم: 26]
- {وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (17)} [الحاقة: 17]
- { وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (22)} [الفجر: 22]
- {وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (8) } [الأنعام: 8]
- {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ (9)} [الأنعام: 9]
- { قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (95)} [الإسراء: 95]

وجاء اللفظ مثنى في موضعين :

- {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102)} [البقرة: 102]
- {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20)} [الأعراف: 20]

وجاء بلفظ الجمع في باقي الآيات :

- {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) } [البقرة: 30]
- {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) [البقرة :30]
- وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31)} [البقرة :31]
- {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) } [البقرة: 34]
- {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (161)} [البقرة : 161]
- {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)} [البقرة: 177]
- {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (210) } [البقرة: 210]
- {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (248) } [البقرة: 248]
- {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18)} [آل عمران: 18]

- {فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (39)} [آل عمران: 39]
- {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42)} [آل عمران: 42]
- {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) } [آل عمران: 45]
- {وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (80) } [آل عمران: 80]
- {أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (87) } [آل عمران: 87]
- {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (124)} [آل عمران: 124]
- {بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (125)} [آل عمران: 125]
- { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97)} [النساء: 97]
- { لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (166) } [النساء: 166]
- { لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (172)} [النساء: 172]
- { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ

تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (93)} [الأنعام: 93]

- {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (111) } [الأنعام: 111]
- {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (158)} [الأنعام: 158]
- {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (11) } [الأعراف: 11]
- {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9) } [الأنفال: 9، 10]
- {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (12)} [الأنفال: 12]
- {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (50) } [الأنفال: 50]
- { وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (13) } [الرعد: 13]
- { جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) } [الرعد: 23]
- { لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (7)} [الحجر: 7]
- {مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ (8)} [الحجر: 8]
- {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28)} [الحجر: 28]

- {فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30)} [الحجر: 30]
- {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (2)} [النحل: 2]
- {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (28)} [النحل: 28]
- {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32)} [النحل: 32]
- { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (33)} [النحل: 33]
- {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (49)} [النحل: 49]
- { أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (40)} [الإسراء: 40]
- {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (61)} [الإسراء: 61]
- { أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (92)} [الإسراء: 92]
- {قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (95)} [الإسراء: 95]
- {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (50)} [الكهف: 50]
- {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116)} [طه: 116]
- { لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (103)} [الأنبياء: 103]

- { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (75)} [الحج: 75]
- { فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (24)} [المؤمنون: 24]
- {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (21) الفرقان
- يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا (22) الفرقان
- وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (25) } [الفرقان: 25]
- {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (40)} [سبأ: 40]
- {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1)} [فاطر: 1]
- { أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (150)} [الصافات: 150]
- {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71)} [ص: 71]
- {فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73)} [ص: 73]
- {وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (75)} [الزمر: 75]
- {إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (14)} [فصلت: 14]
- {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)} [فصلت: 30]

- { تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (5)} [الشورى: 5]
- { وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (19)} [الزخرف: 19]
- {فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (53)} [الزخرف: 53]
- {وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (60) } [الزخرف: 60]
- { فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (27)} [محمد: 27]
- {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى (27)} [النجم: 27]
- { إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (4)} [التحريم: 4]
- { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6)} [التحريم: 6]
- { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (4)} [المعارج: 4]
- {وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (31)} [المدثر: 31]

- { يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (38)} [النبأ: 38]
- { تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4)} [القدر: 4]
- { مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (98)} [البقرة: 98]
- { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285) } [البقرة: 285]
- {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (136) } [النساء: 136]
- {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (43) } [الأحزاب: 43]
- { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (56) } [الأحزاب: 56]

المطلب الثاني

الإيمان بالملائكة[1]

تعريف الملائكة :

تعريفهم : الملائكة : جمع مَلَك. أخذ من (الأَلُوكِ) وهي : الرسالة.

وهم : خلق من مخلوقات الله، لهم أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل والتمثل والتصور بالصور الكريمة، ولهم قوى عظيمة، وقدرة كبيرة على التنقل، وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله، قد اختارهم الله واصطفاهم لعبادته والقيام بأمره، فلا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

أصل خلقهم :

المادة التي خلق الله منها الملائكة هي " النور ". ففي صحيح مسلم [2]:عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ "

والمارج هو : اللهب المختلط بسواد النار.

صفات الملائكة :

قد تضمن الكتاب والسنة الكثير من النصوص المبينة صفات الملائكة وحقائقها فمن ذلك:

---

(1) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: 99).
(2) صحيح مسلم (8/ 226).

أنهم موصوفون بالقوة والشدة :

كما قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ } (التحريم : 6). وقال تعالى في وصف جبريل عليه السلام { عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى } (النجم : 5). وقال في وصفه أيضا { ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ } (التكوير : 20).

وهم موصوفون بعظم الأجسام والخلق :

ففي صحيح مسلم [1]من حديث عائشة رضي الله عنها وقد سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - عن معنى قوله تعالى { وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ } (التكوير : 23) فَقَالَ " إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنْ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ.. ..."

ومن صفاتهم أنهم يتفاوتون في الخلق والمقدار :

فهم ليسوا على درجة واحدة، فمنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له ستمائة جناح. قال تعالى { الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ } (فاطر : 1).

---

[1] صحيح مسلم (1/ 110) : حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ دَاوُدَ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ :كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَتْ يَا أَبَا عَائِشَةَ ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ قُلْتُ مَا هُنَّ قَالَتْ مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ قَالَ وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْظِرِينِي وَلَا تَعْجَلِينِي أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ { وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ } { وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى } فَقَالَتْ أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنْ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فَقَالَتْ أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ { لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ } قَالَتْ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ وَاللَّهُ يَقُولُ { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ } قَالَتْ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ وَاللَّهُ يَقُولُ { قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ }

ومن صفاتهم الحسن والجمال فهم على درجة عالية من ذلك :

قال تعالى في حق جبريل عليه السلام { عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى }{ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى } (النجم : 5، 6) قال ابن عباس رضي الله عنهما (ذو مرة : ذو منظر حسن) وقال قتادة : (ذو خلق طويل حسن).

وقال تعالى مخبرا عن النسوة عند رؤيتهن ليوسف عليه السلام : { فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ } (يوسف : 31) وإنما قلن ذلك لما هو مقرر عند الناس من وصف الملائكة بالجمال الباهر.

ومن صفاتهم التي وصفهم الله بها أنهم كرام أبرار :

قال تعالى { بِأَيْدِي سَفَرَةٍ }{ كِرَامٍ بَرَرَةٍ } (عبس : 15، 16). وقال عز وجل { وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ }{ كِرَامًا كَاتِبِينَ } (الانفطار : 10، 11).

ومن صفاتهم الحياء :

لقول النّبي - صلى الله عليه وسلم - في حق عثمان رضي الله عنه : « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة » [1].

---

[1] صحيح مسلم (7/ 116) :حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَيَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ قَالَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا و قَالَ الْآخَرُونَ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حَرْمَلَةَ عَنْ عَطَاءٍ وَسُلَيْمَانَ ابْنَيْ يَسَارٍ وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَوَّى ثِيَابَهُ قَالَ مُحَمَّدٌ وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَالَ أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ

ومن صفاتهم أيضا العلم :

قال تعالى في خطابه للملائكة { قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تعلمون } (البقرة : 30) فأثبت الله عز وجل للملائكة علمًا وأثبت لنفسه علمًا لا يعلمونه. وقال تعالى في حق جبريل عليه السلام { عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى } (النجم : 5) قال الطبري : (علم محمدًا صلى الله عليه وسلم هذا القرآن جبريل عليه السلام) أ. هـ، وهذا متضمن وصف جبريل بالعلم والتعليم.

إلى غير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة من صفاتهم العظيمة وأخلاقهم الكريمة الدالة على علو شأنهم وسمو منازلهم عليهم السلام.

خصائص الملائكة :

للملائكة عليهم السلام خصائص وصفات قد اختصهم الله تعالى بها، وامتازوا بها عن الجن والإنس وسائر المخلوقات. فمنها :

أنّ مساكنهم في السماء :

وإنما يهبطون إلى الأرض تنفيذًا لأمر الله في الخلق وما أسند إليهم من تصريف شؤونهم. قال تعالى : { يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ } (النحل : 2). عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ[1] : " يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ". والنصوص في هذا كثيرة جدًّا يصعب حصرها هنا.

---

[1] صحيح البخاري ت (18/ 450) - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ

ومن خصائصهم أنهم لا يوصفون بالأنوثة :

قال تعالى منكرا على الكفار ذلك : { وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ } (الزخرف : 19). وقال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى} (النجم : 27).

ومن خصائصهم أنهم لا يعصون الله في شيء، ولا تصدر منهم الذنوب :

بل طبعهم الله على طاعته، والقيام بأمره : كما قال تعالى في وصفهم : { لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } (التحريم : 6). وقال أيضا { لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } (الأنبياء : 27).

ومن خصائصهم أيضا أنهم لا يفترون عن العبادة ولا يسأمون :

قال تعالى : { وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ }{ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ } (الأنبياء : 19، 20). وقال في آية أخرى : { فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ } (فصلت : 38).

فهذه بعض خصائص الملائكة التي اختصهم الله بها دون الثقلين من الإنس والجن. وبالجملة فالملائكة جنس آخر، يتميزون في أصل خلقتهم وتكوينهم عن الإنس والجن. كما أنّ لكل من الإنس والجن خصائصهما التي يتميز بها أحد الجنسين عن الآخر والله أعلم.

منزلة الإيمان بالملائكة :

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان في الدين الإسلامي، لا يتحقق الإيمان إلا به. وقد نص الله على ذلك في كتابه. وأخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم في سنته. قال تعالى : { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ } (البقرة : 285) فأخبر أنّ الإيمان بالملائكة مع بقية أركان الإيمان مما أنزله على رسوله وأوجبه عليه وعلى أمته وأنهم امتثلوا ذلك.

وقال تعالى في آية أخرى : { لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ } (البقرة : 177). فجعل الإيمان بهذه الخصال دليل البرّ- والبرُّ اسم جامع للخير- وذلك أن هذه الأشياء المذكورة هي أصول الأعمال الصالحة، وأركان الإيمان التي تتفرع منها سائر شعبه.

كما أخبر الله عز وجل في مقابل هذا أنّ من كفر بهذه الأركان فقد كفر بالله : فقال : { وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } (النساء : 136) فأطلق الكفر على من أنكر هذه الأركان، ووصفه بالبعد في الضلال. فدل ذلك أن الإيمان بالملائكة ركن عظيم من أركان الإيمان وأن تركه مخرج من الملة.

كيفية الإيمان بالملائكة :

الإيمان بالملائكة يتضمن عدة أمور لا بد للعبد من تحقيقها حتى يتحقق له الإيمان بالملائكة وهي :

1 - الإقرار بوجودهم والتصديق بهم كما دلت على ذلك النصوص المتقدمة من أن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان فلا يتحقق الإيمان إلا بذلك.

2 - الإيمان بأنهم خلق كثير جدًّا لا يعلم عددهم إلا الله تعالى كما دلت على ذلك النصوص. قال تعالى { وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ } (المدثر : 31) أي لا يعلم جنود ربك وهم الملائكة إلا هو وذلك لكثرتهم. قال بذلك بعض السلف.

وجاء في حديث الإسراء الطويل الذي أخرجه الشيخان من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (.. . ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا قَالَ هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِم...»[1].

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – " يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا " [2]. فدل الحديثان على كثرة الملائكة، فإذا كان البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه وإنما يأتي غيرهم، وجهنم يأتي بها يوم القيامة هذا العدد من الملائكة، فكيف بغيرهم من الملائكة الموكلين بأعمال أخرى ممن لا يعلم عددهم إلا خالقهم تبارك وتعالى.

---

[1] صحيح مسلم (1/ 389)

[2] صحيح مسلم (13/ 487) 5076 - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ خَالِدٍ الْكَاهِلِيِّ عَنْ شَقِيقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا.

3 - الإقرار لهم بمقاماتهم العظيمة عند ربهم وكرمهم عليه وشرفهم عنده كما قال تعالى : { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ }{ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } (الأنبياء : 26، 27). وقال جل وعلا { بِأَيْدِي سَفَرَةٍ }{ كِرَامٍ بَرَرَةٍ } (عبس : 15، 16). فوصفهم بأنهم مكرمون منه سبحانه. وقال تعالى في حقهم { فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ } (فصلت : 38) فوصفهم بأنهم عنده وهذا تشريف لهم، مع مقام التعبد له بلا سآمة. كما أنه تعالى أقسم بهم في غير موطن من كتابه وهذا لشرفهم عنده. فقال : { وَالصَّافَّاتِ صَفًّا}{فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا }{ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا } (الصافات : 1-3). وقال عز وجل : {فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا }{ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا } (المرسلات : 4، 5). وشواهد صور إكرام الملائكة وتنوع أساليبها وتعدد سياقاتها من كتاب الله كثيرة لا تخفى على متدبر مما يحتم تقرير هذا في الشرع والله أعلم.

4 - اعتقاد تفاضلهم وعدم تساويهم في الفضل والمنزلة عند الله على ما دلت على ذلك النصوص : قال تعالى : { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } (الحج : 75). وقال عز وجل : { لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ } (النساء : 172) فأخبر أن منهم مصطفين بالرسالة ومقربين، فدل على فضلهم على غيرهم. وأفضل الملائكة : المقربون مع حملة العرش. وأفضل المقربين الملائكة الثلاثة الوارد ذكرهم في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يفتتح به صلاة الليل فيقول : « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة »..)

5 - موالاتهم والحذر من عداوتهم لقوله تعالى : { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } (التوبة : 71) فدخل الملائكة في هذه الآية لأنهم مؤمنون قائمون بطاعة ربهم كما أخبر الله عنهم { لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } (التحريم : 6). وأخبر جل وعلا عن موالاة الملائكة لرسوله وللمؤمنين فقال : { وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ } (التحريمَ : 4) وقال عز وجل : { هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ } (الأحزاب : 43). وقال : { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا } (فصلتَ : 30). فوجبت موالاة الملائكة على المؤمنين لموالاتهم لهم ونصرهم وتأييدهم واستغفارهم لهم. وقد حذر الله تعالى من عداوة الملائكة فقال : { مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ }

(البقرة : 98). فأخبر أن عداوة الملائكة موجبة لعداوة الله وسخطه، وذلك لأنهم إنما يصدرون عن أمره وحكمه، فمن عاداهم فقد عادى ربه.

6 - الاعتقاد بأنّ الملائكة خلق من خلق الله لا شأن لهم في الخلق والتدبير وتصريف الأمور، بل هم جند من جنود الله يعملون بأمر الله، والله تعالى هو الذي بيده الأمر كله لا شريك له في ذلك. كما أنه لا يجوز صرف شيء من أنواع العبادة لهم، بل يجب إخلاص العبادة لخالقهم وخالق الخلق أجمعين، الذي لا شريك له في ربوبيته وألوهيته ولا مثيل له في أسمائه وصفاته. وقد بين الله تعالى ذلك فقال عز من قائل : { وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } (آل عمران : 80). وقال تعالى : { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ }{ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ }{ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ }{ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ } (الأنبياء :

29-26). فأخبر سبحانه أنه لم يأمر بعبادتهم وكيف يأمر بعبادتهم وهي كفر بالله العظيم ثم أبطل تعالى دعوى من زعم أن الملائكة بنات الله ونزه نفسه عن ذلك، وبين أنهم عباد مكرمون بكرامته لهم عاملون بأمره مشفقون من خشيته وأنهم لا يملكون الشفاعة لأحد إلا من رضي الله عنه من أهل التوحيد. ثم ختم السياق ببيان جزاء من ادعى الألوهية منهم وأنّ جزاءه جهنم، فظهر من ذلك أهم عباد مربوبون لا حول لهم ولا قوة إلا بربهم وخالقهم.

7 - الإيمان المفصل بمن جاء التصريح بذكرهم من الملائكة على وجه الخصوص في الكتاب والسنة : كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، وهاروت وماروت، ورضوان، ومنكر ونكير، وغيرهم ممن جاءت النصوص بتسميتهم. وكذلك من جاءت النصوص بالإخبار عنه بالوصف : كرقيب وعتيد، أو بذكر وظيفته : كملك الموت وملك الجبال، أو من جاءت النصوص بذكر وظائفهم في الجملة : كحملة العرش، والكرام الكاتبين والموكلين بحفظ الخلق، والموكلين بحفظ الأجنة والأرحام، وطواف البيت المعمور، والملائكة السياحين، إلى آخر من أخبر الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم- عنهم.

فيجب الإيمان بذلك إيمانا مفصلا على نحو ما جاء في النصوص من أسمائهم وصفاتهم، ووظائفهم، وأخبارهم، والتصديق بكل ذلك مما سيأتي بيانه في المبحث القادم إن شاء الله تعالى.

فهذه جملة ما يجب اعتقاده في حق الملائكة الكرام مما دلت عليه النصوص الشرعية والله تعالى أعلم.

وظائف الملائكة :

الملائكة جند من جنود الله تعالى، أسند الله إليهم كثيرًا من الأعمال الجليلة، والوظائف الكبيرة، وأعطاهم القدرة على تأديتها على أكمل وجه. وهم بحسب ما هيأهم الله تعالى له ووكلهم به على أقسام :

فمنهم الموكل بالوحي من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام :

وهو جبريل -عليه السلام-، قال تعالى : { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ }{ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ }{ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } (الشعراء : 193-195)

ومنهم الموكل بالقطر والنبات :

وهو ميكائيل -عليه السلام- وقد ورد ذكره في القرآن. قال تعالى : { مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ } (البقرة : 98) وهو ذو مكانه عالية، ومنزلة رفيعة عند ربه .

ومنهم الموكل بالصُّور :

وهو إسرافيل -عليه السلام- وهو ثالث الملائكة المفضلين المتقدم ذكرهم. وهو أحد حملة العرش. والصور : قرن عظيم ينفخ فيه.

وينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات : نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث. قال تعالى : { وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ } (النمل : 87). وهذه هي نفخة الفزع وقد دل على النفختين الأخريين قوله تعالى : { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ } (الزمر : 68)

ومنهم الموكل بقبض الأرواح :

وهو ملك الموت قال تعالى : { قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ } (السجدة : 11). ولملك الموت أعوان من الملائكة، يأتون العبد بحسب عمله، وإن كان محسنًا ففي أحسن هيئة، وإن كان مسيئًا ففي أشنع هيئة. قال تعالى : { حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ } (الأنعام : 61).

ومنهم الموكل بالجبال :

وهو ملك الجبال، وقد ورد ذكره في حديث خروج النّبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أهل الطائف في بداية البعثة ودعوته إياهم وعدم استجابتهم له وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم : «. . .فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا " [1].

---

[1] صحيح البخاري ت (8/ 282) : عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ حَدَّثَنِي عُرْوَةُ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ قَالَ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا.

ومنهم الملك الموكل بالرحم :

على ما دل عليه حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :" إِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ - وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ يَا رَبِّ نُطْفَةٌ يَا رَبِّ عَلَقَةٌ يَا رَبِّ مُضْغَةٌ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ فَمَا الرِّزْقُ وَالْأَجَلُ فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ "[1]

ومنهم حملة العرش :

قال تعالى : { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا } (غافر : 7).

وقال تعالى : { وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ } (الحاقة : 17). قال بعض العلماء : الذين حول العرش هم الملائكة (الكروبيون) وهم مع حملة العرش أشرف الملائكة.

ومنهم خزنة الجنة :

قال تعالى : { وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ } (الزمر : 73). وقال تعالى : { جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ } (الرعد : 23)

---

[1] صحيح البخاري (2/ 28) 307 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ يَا رَبِّ نُطْفَةٌ يَا رَبِّ عَلَقَةٌ يَا رَبِّ مُضْغَةٌ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ فَمَا الرِّزْقُ وَالْأَجَلُ فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ

ومنهم خزنة النار عياذاً بالله منها :

وهم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر. قال تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ } (غافر : 49). وقال تعالى : { فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ }{ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ } (العلق : 17، 18). وقال تعالى: { عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ }{ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا } (المدثر : 30، 31).

وقال تعالى : { وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ } (الزخرف : 77). وقد جاء في السنة ذكر مالك وأنه خازن النار ورؤية النبي - صلى الله عليه وسلم - له، ففي صحيح البخاري من حديث سَمُرَة بن جُنْدُب - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « رأيت الليلة رجلين أتياني فقالا : الذي يوقد النار مالك خازن النار، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل »

ومنهم زوار البيت المعمور :

يدخل في كل يوم منهم البيت المعمور سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه على ما ثبت من حديث مالك بن صعصعة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (.. . « ثم رفع لي البيت المعمور، فقلت : يا جبريل! ما هذا ؟

قال : هذا البيت المعمور. يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم ».

ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر:

فقد روىَ الشيخان من حديث أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا...)[1] قال العلماء : وهؤلاء الملائكة زائدون عن الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق.

وقد ثبت أيضًا أنهم يبلغون النّبي- صلى الله عليه وسلم - من أمته السلام لما روى أحمد والنسائي بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – " إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ " [2].

---

[1] صحيح البخاري ت (16/ 202) عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي قَالُوا يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ قَالَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي قَالَ فَيَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ قَالَ فَيَقُولُ وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا قَالَ يَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونِي قَالَ يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً قَالَ فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ قَالَ يَقُولُونَ مِنْ النَّارِ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً قَالَ فَيَقُولُ فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنْ الْمَلَائِكَةِ فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ قَالَ هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ رَوَاهُ شُعْبَةُ عَنْ الْأَعْمَشِ وَلَمْ يَرْفَعْهُ وَرَوَاهُ سُهَيْلٌ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

[2] سنن النسائي (3/ 43): - أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ الْوَرَّاقُ قَالَ حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ سَعِيدٍ ح و أَخْبَرَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ قَالَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ عَنْ زَاذَانَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ

ومنهم الكرام الكاتبون :

وعملهم كتابة أعمال الخلق وإحصاؤها عليهم. قال تعالى : { وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ }{ كِرَامًا كَاتِبِينَ }{ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ } (الانفطار : 10- 12) وقال تعالى : { إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ }{ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } (ق : 17، 18) قال مجاهد في تفسير الآية : ملك عن يمينه وآخر عن يساره فأما الذي عن يمينه فيكتب الخير، وأما الذي عن شماله فيكتب الشر.

ومنهم الموكلون بفتنة القبر وسؤال العباد في قبورهم :

وهما مُنْكَر ونَكِير. وقد دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة. أخرج الشيخان من حديث أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : " الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنْ الْجَنَّةِ قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ ". [1]

وأخرج الترمذي وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : « إذا قبر الميت أو قال أحدكم- أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل.. ..») الحديث. قال الترمذي حديث حسن.

---

[1] صحيح البخاري ت (3/ 308): عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنْ الْجَنَّةِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ.

فهؤلاء هم أشهر من جاءت النصوص بذكر وظائفهم وأسمائهم من الملائكة ممن يتعين على العبد الإيمان بهم والتصديق بمدلولات النصوص في حقهم والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث

جبريل ـ عليه السلام ـ في القرآن الكريم

نص القرآن على جملة من صفات جبريل، فقد ورد ذكر شيء من صفة خلقه، فوصفه الله تعالى بالقوة فقال عنه : " ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (20)" سورة التكوير، الآية 20.

وقال تعالى عنه كذلك : " عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى(5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى(6) " سورة النجم

قال ابن كثير تعليقاً على آية النجم : (ذُو مِرَّةٍ) أي ذو قوة ، قاله مجاهد والحسن وابن زيد ، وقال ابن عباس : ذو منظر حسن ، وقال قتادة : ذو خلق طويل حسن، ولا منافاة بين القولين فإنه ذو منظر حسن وقوة شديدة.

ونقل القرطبي في تفسيره عن الكلبي : (وكان من شدة جبريل أنه اقتلع مدائن قوم لوط من الأرض السفلى فحملها على جناحه حتى رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نبح كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها) ثم ساق قصصاً تدل على شدة جبريل وقوته لا تعدو عن أن تكون من الإسرائيليات.

وجاء في البداية والنهاية لابن كثير : وقد ورد في صفة جبريل أمر عظيم قال الله "عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى " قالوا : كان من شدة قوته أنه رفع مدائن قوم لوط وكن سبعاً، بمن فيها من الأمم ، وكانوا قريباً من أربعمائة ألف ، وما معهم من الدواب والحيوان وما لتلك المدن من الأراضي والمعتملات والعمارات وغير ذلك ، رفع ذلك كله على طرف جناحه حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم وصياح ديكتهم ، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها فهذا هو شديد القوى.

وذكر في القرآن الكريم باسمه صراحة في سورتي البقرة والتحريم :

• قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ(97) مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ(98) سورة البقرة.

• " إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (4) " سورة التحريم.

المطلب الرابع

جبريل - عليه السلام - في عقيدة نصارى اليوم

جبرائيل (بلغة عبرية : גַּבְרִיאֵל، ; اللاتينية: Gabrielus ; اليونانية : Γαβριήλ، ; بالعربية : جبريل، أو جبرائيل). ومعنى. اسم جبرائيل بالعبرانية والأرامية رجل الله، أوقوة الله أوجبروت الله أوأنّ الله أظهر ذاته قادرا وقويا وبعبارة أخرى إن جبرائيل هورجل الله الذي تظهر فيه وبه قوة الله وقدرته، أو أنه رجل الله. الذي يعلن به الله قوته وقدرته للعالمين . كان هو والملاك ميكائيل الذين وقفوا حراس على أبواب الجنة لمنع عودته بعد أن أخطا. ويعد جبرائيل من روؤساء الملائكة.

أهم اعمال جبريل في كتب المسيحين :

وفقًا لإنجيل لوقا فإن جبرائيل أوحى لزكريا الكاهن بميلاد ابنه يوحنا المعمدان من زوجته أليصابات العاقر.

كما بشّر قريبتها مريم العذراء بميلاد المسيح. وزيارة جبرائيل لمريم تعرف أيضًا بالبشارة وهو عيد تحتفل به الكنيسة الأرثوكسية الشرقية والكاثوليكية يوم 25 مارس

وبشارة الملاك جبرائيل للعذراء مريم كانت من أكثر المواد التي تناولها الفن المسيحي منذ القدم في اللوحات المرسومة والأيقونات المسيحية، مثل اللوحة التي رسمها ليوناردو دا فنشي.

ذكر اسم الملاك جبرائيل في سفر دانيال النبي جاء الملاك إلي دانيال

يفسر له الرؤيا التي رآها عند نهر أولاي.

والمرة الثانية التي يرد فيها اسم الملاك جبرائيل هي في سفر دانيال أيضا

أنبأه عن مجيء المسيح الفادي، وتتميم الفداء والخلاص وعن خراب الهيكل ومرة أخرى يجيء الملاك جبرائيل إلي النبي دانيال وهو في خلوة روحية علي شاطيء نهر دجلة، ويبشره باستجابة صلواته وأصوامه،

وينبئه بما سيكون في آخر الأيام.

وفي تقليد الكنائس الرسولية في الشرق والغرب أن الملاك جبرائيل هوالذي نقل بيديه حبقوق النبي من ارض اسرائيل الى النبي دانيال (دانيال 14:32-38)

وهو بعينه الملاك جبرائيل الذي بشر العذراء مريم بتجسد الله الكلمة منها (لوقا1:26-35)

وفي تقليد الكنائس الرسولية، في الشرق والغرب ، أن الملاك جبرائيل هو الذي

ظهر للمجوس في بلاد المشرق عند ميلاد المسيح يسوع وأوحي إليهم بسر النجم

والذي أشرق عليهم، وهو الذي قادهم وسار معهم، فجاءوا من المشرق إلي أورشليم قائلين : أين هو المولود ملك اليهود، فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له

وكان يتقدمهم حتي جاء ووقف فوق الموضع الذي كان فيه المسيح في بيت لحم . وأيضا أن جبرائيل هو الملاك الذي بشر الرعاة بمولد السيد المسيح.

الملاك جبرائيل هو الملاك الذي بشر يواكيم والد العذراء مريم بأنّ حنة

أمرأته ستحبل وتلد ابنة يكون منها خلاص العالم. وأول ما يرد اسم الملاك جبرائيل هو في سفر دانيال النبي جاء الملاك إلي دانيال

يفسر له الرؤيا التي رآها عند نهر أولاي.

ثم أنبأه عن مجيء المسيح ، وتتميم الفداء والخلاص وعن خراب الهيكل والقدس.

ومرة أخرى يجيء الملاك جبرائيل إلي النبي دانيال وهو في خلوة روحية علي شاطيء نهر دجلة، ويبشره باستجابة صلواته وأصوامه، وينبئه بما سيكون في أخر الأيام

وفي تقليد الكنائس الرسولية في الشرق والغرب، أن الملاك جبرائيل أو غبريال هو الذي رافق المسيح له في طفولته خادما له، ورافق العائلة المقدسة في رحلتها إلي مصر، وعودتها منها إلي فلسطين، وهو الذي كان يظهر للقديس يوسفالبار في أحلامه، فهو الذي أمره بأن يذهب بالطفل الإلهي إليمصر،

وأيضا أن الملاك جبرائيل أو غبريال هو بعينه الملاك الذي ظهر للمسيح في بستان جثسيماني أثناء صراعه وآلامه وكان يقول له : لك القوة لوقا22:43.

وهو بعينه الملاك جبرائيل الذي أنقذ دانيال النبي من جب الأسود وسد

أفواهها فلم تؤذه

في التقليد اليهودي، كما جاء في الترجوم وهو الترجمة الأرامية للتوراة مع تفسير لها كما كانوا يقرأونها في المجامع اليهودية في زمن الهيكل الثاني وما بعد ذلك-أن الملاك جبرائيل هو الرجل الذي قاد يوسفإلي إخوته عندما أرسله أبوه يعقوب ليسأل عن سلامته.

وإن الملاك جبرائيل قد اشترك مع رئيس الملائكة ميخائيل في دفن جسد موسي وإخفائه عن بني إسرائيل

وأن الملاك جبرائيل هو الملاك الذي أرسله الرب فضرب من جيش سنحاريب ملك أشور مائة وخمسة وثمانين ألفا من جنوده. وفي التقليد أيضا أن الملاك جبرائيل هو

أحد الملاكين اللذين كانا مع الرب في ضيافة الخليل إبراهيم عندما تجلى له الرب في بلوطات ممرا ، واما الملاك الآخر فكان ميخائيل (التكوين 133:18)، ، (العبرانيين 13:2)

ثم ذهب الاثنان بعد ذلك، أعني ميخائيل وجبرائيل إلى النبي لوط في سدوم وأنقذاه هو وأسرته من الهلاك الذي حل بسدوم وعمورة (التكوين 19:1-22)

وفي بعض المصادر الكنسية يرد عن الملاك جبرائيل أنه هو ملاك الرب الذي كلم فيلبس الشماس وقال له : قم اذهب نحو الجنوب في الطريق المنحدرة من أورشليم إلي غزة حيث التقي الوزير الحبشي، وتعمد بعدها. (أعمال الرسل 8:26-40).

وجاء في الميمرالذي يقرأ في اليوم السادس والعشرين من شهر بؤونة ، وهوعيد

تأسيس كنيسة الملاك جبرائيل بجبل النقلون بالفيوم في مصر إن الملاك جبرائيل كان أحد الملاكين الذين ظهروا للنسوة عند قبر المخلص بثياب براقة (لوقا 1: 24-6) (يوحنا 11: 20-13).

أوصاف الملك جبريل عند النصارى :

وصف رئيس الملائكة جبرائيل ، في كتب الكنيسة وتواليف الآباء، بأنه ملاك السلام، وملاك البشارة المفرحة، وملاك الولادة، وملاك الحياة، وملاك الفرح،

ملاك الوشائج العائلية الرقيقة، وملاك الصبوة البريئة والشباب الطاهر، وملاك

العذراوية والبتولية. ويصوره الفنانون الكنسيون عادة يحمل زنبقة، كرمز له، كما

يصورونه يحمل صولجانا ومعه درج أي لفيفة من الرق أو ورق البردي مكتوبة

عليه هذه العبارة كشعار له : سلام يا مريم الممتلئة نعمة . وتصفه المصادر الكنسية بأنه الملاك الطاهر الروحاني والخادم الملتهب نارا، الواقف أمام الرب القادر علي كل شيء يسأل في جنس البشر كل حين. ويعتبر شفيعا خاصا للعذارى والمتبتلين وللراغبين في تكريس ذواتهم لله، وحاميا

للأمومة والطفولة، ومعينا للباحثين عن الحق والعاملين من أجل الحق ، ومغيثا

للوعاظ والمعلمين ، للخطباء والشعراء ولكل خدام الحق والفن، ولسفراء الدول، ولقادة الشعوب في البرلمانات والحكومات وسائر النشاطات الإنسانية والإجتماعية

عيده في الكنيسة القبطية :

يحتفل في الملاك جبرائيل في الكنيسة القبطية في الثالث عشر من شهر هاتور القبطي(نوفمبر)، ويحتفل به الروم الأرثوذكس في يوم.26 من آذار\مارس.

المطلب الخامس

جبريل – عليه السلام – عند اليهود

اعتقاد اليهود في الملك جبريل

اليهود يعتبرون الملك جبريل عدوا لهم ونذير شؤم ، وقد وردت الأخبار بذلك من خلال حوار النبي - صلى الله عليه وسلم - معهم بعد مجيئه إلى المدينة مباشرة.

ففي سبب نزول قوله تعالى : " قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (97) مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ (98) " (البقرة) ما روي في مسند أحمد[1] : - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّا نَسْأَلُكَ عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ فَإِنْ أَنْبَأْتَنَا بِهِنَّ عَرَفْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَاتَّبَعْنَاكَ فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائِيلُ عَلَى بَنِيهِ إِذْ قَالُوا : { اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ }

قَالَ : هَاتُوا. قَالُوا : أَخْبِرْنَا عَنْ عَلَامَةِ النَّبِيِّ. قَالَ : تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ. قَالُوا : أَخْبِرْنَا كَيْفَ تُؤَنِّثُ الْمَرْأَةُ وَكَيْفَ تُذْكِرُ. قَالَ : يَلْتَقِي الْمَاءَانِ فَإِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَتْ وَإِذَا عَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ آنَثَتْ.

قَالُوا : أَخْبِرْنَا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ. قَالَ : كَانَ يَشْتَكِي عِرْقَ النَّسَا فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلَائِمُهُ إِلَّا أَلْبَانَ كَذَا وَكَذَا.

---

[1] مسند أحمد - (5 / 385) برقم2353

قَالَ عَبْد اللَّهِ بْن أَحْمَد : قَالَ أَبِي قَالَ بَعْضُهُمْ : يَعْنِي الْإِبِلَ فَحَرَّمَ لُحُومَهَا قَالُوا : صَدَقْتَ. قَالُوا : أَخْبِرْنَا مَا هَذَا الرَّعْدُ. قَالَ : مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ بِيَدِهِ أَوْ فِي يَدِهِ مِخْرَاقٌ مِنْ نَارٍ يَزْجُرُ بِهِ السَّحَابَ يَسُوقُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ.

قَالُوا : فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي يُسْمَعُ ؟ قَالَ : صَوْتُهُ. قَالُوا : صَدَقْتَ إِنَّمَا بَقِيَتْ وَاحِدَةٌ وَهِيَ الَّتِي نُبَايِعُكَ إِنْ أَخْبَرْتَنَا بِهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا لَهُ مَلَكٌ يَأْتِيهِ بِالْخَبَرِ فَأَخْبِرْنَا مَنْ صَاحِبكَ ؟

قَالَ : جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَام - قَالُوا : جِبْرِيلُ ذَاكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالْقِتَالِ وَالْعَذَابِ عَدُوُّنَا لَوْ قُلْتَ مِيكَائِيلَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ وَالنَّبَاتِ وَالْقَطْرِ لَكَانَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ { مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ } إِلَى آخِرِ الْآيَةَ

وروى البخاري صحيحه : عَنْ أَنَسٍ قَالَ : سَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ بِقُدُومِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي أَرْضٍ يَخْتَرِفُ فَأَتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالَ : إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَا يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ. قَالَ : أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا.

قَالَ : جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : نَعَمْ. قَالَ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ. فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : { مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ } أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ نَزَعَتْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَبْهَتُونِي.

فَجَاءَتْ الْيَهُودُ فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ فِيكُمْ قَالُوا : خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا. قَالَ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فَقَالُوا : أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ. فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَقَالُوا شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا وَانْتَقَصُوهُ قَالَ فَهَذَا الَّذِي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ "

قال شيخ الإسلام ابن حجر في فتح الباري ظاهر السياق أنّ النّبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ الآية رداً على اليهود ولا يستلزم ذلك نزولها حينئذ قال وهذا هو المعتمد ، فقد صح في سبب نزول الآية قصة غير قصة عبد الله بن سلام اخرج احمد والترمذي والنسائي عن طريق بكر بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أقبلت يهود إلى رسول الله فقال يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بهن عرفنا انك نبي - وفيه أنهم سألوه عما حرم إسرائيل على نفسه - وعن علامة النبي وعن الرعد وصوته وكيف تذكر انه وتونث وعمن يأتيه بخبر السماء إلى أن قالوا فأخبرنا من صاحبك ؟ ، قال : (جبريل) ، قالوا : جبريل ذاك ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان خيرا فنزلت.

وروي عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ [1]: نَزَلَ عُمَرُ بِالرَّوْحَاءِ فَرَأَى نَاسًا يَبْتَدِرُونَ أَحْجَارًا، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟

فَقَالُوا : يَقُولُونَ إِنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم - صَلَّى إِلَى هَذِهِ الأَحْجَارِ، فَقَالَ : سُبْحَانَ اللهِ مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم - إِلاَّ رَاكِبًا مَرَّ بِوَادٍ فَحَضَرَت الصَّلاَةَ فَصَلَّى، ثُمَّ حَدَّثَ، فَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ أَغْشَى الْيَهُودَ يَوْمَ دِرَاسِهِمْ، فَقَالُوا : مَا مِنْ أَصْحَابِكَ أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَيْنَا مِنْكَ لأَنَّكَ تَأْتِينَا، قُلْتُ : وَمَا ذَاكَ إِلاَّ أَنِيّ أَعْجَبُ مِنْ كُتُبِ اللهِ كَيْفَ يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، كَيْفَ يُصَدِّقُ التَّوْرَاةُ الْفُرْقَانَ، وَالْفُرْقَانُ التَّوْرَاةَ، فَمَرَّ النَّبِيُّ - صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم - يَوْمًا وَأَنَا أُكَلِّمُهُمْ، فَقُلْتُ : أَنْشِدُكُمْ بِاللهِ وَمَا تَقْرَؤُونَ مِنْ كِتَابِهِ أَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ؟

[1] ا إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (6/ 178).

فَقَالُوا : نَعَمْ، فَقُلْتُ : هَلَكْتُمْ وَاللهِ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم -، ثمَ لاَ تَتَّبِعُونَهُ ؟ فَقَالُوا : لَمْ نَهْلِكْ، وَلَكِنْ سَأَلْنَاهُ مَنْ يأتيه بِنُبُوَّتِهِ، فَقَالَ : عَدُوُّنَا جِبْرِيلُ، لأَنَّهُ يَنْزِلُ بِالْغِلْظَةِ، وَالشِّدَّةِ، وَالْحزن، وَالْهَلاَكِ، وَنَحْوِ هَذَا، فَقُلْتُ : فَمَنْ سَلِمَكُمْ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ ؟

قَالُوا : مِيكَائِيلُ يَنْزِلُ بِالْقَطْرِ، وَالرَّحْمَةِ، وَكَذَا قُلْتُ : وَكَيْفَ مَنْزِلَتَيْهُمَا مِنْ رَبِّهِمَا ؟ قَالُوا : أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالآخَرُ مِنَ الْجَانِبِ الآخَرِ، قلت : فَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ لِجِبْرِيلَ أَنْ يُعَادِيَ مِيكَائِيلَ، وَلاَ يَحِلُّ لِمِيكَائِيلَ أَنْ يُسَالِمَ عَدُوَّ جِبْرِيلَ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُمَا وَرَبِّهِمَا لَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمُوا وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبُوا، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم - وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرَهُ فَلَمَّا لَقِيتُهُ، قَالَ : أَلاَ أُخْبِرُكَ بِآيَاتٍ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَرأ : {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ} حَتَّى بَلَغَ {الْكَافِرِينَ}، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ، مَا قُمْتُ مِنْ عِنْدِ الْيَهُودِ إِلاَّ إِلَيْكَ لأُخْبِرَكَ بِمَا قَالُوا لِي وَ قُلْتُ لَهُمْ فَوَجَدْتُ اللَّهَ قَدْ سَبَقَنِي، قَالَ عُمَرُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي وَأَنَا أَشَدُّ فِي اللهِ مِنَ الْحَجَرِ.

المطلب السادس

بعض ما ورد عن اسرافيل – عليه السلام - في السُنة

قرن معه إسرافيل ثلاث سنين ولم يكن ينزل عليه شيء :

في مسند الربيع [1] : قال الربيع قال أبو عبيدة بلغني عن النّبي - صلى الله عليه وسلم - قال : إن كان زيد بن عمرو لأول من عاب علي عبادة الاصنام والذبح عليها وذلك أني اقبلت من الطائف ومعي زيد بن حارثة ومعنا خبز ولحم وكانت قريش آذت زيد بن عمرو حتى خرج من بين أظهرنا فمررت به وعرضت عليه السفرة فقال : يا ابن أخي أنتم تذبحون على أصنامكم هذه. فقلت : نعم.

[1] الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب ص 43 .

فقال : لا آكلها. ثم عاب الأصنام والأوثان ومن يطعمها ومن يدنو منها. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : والله ما دنوت من الأصنام شيئا حتى أكرمني الله بالنبوة. قال : وبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ابن أربعين سنة وقرن معه إسرافيل ثلاث سنين ولم يكن ينزل عليه شيء ثم عزل عنه إسرافيل وقرن معه جبريل - عليه السلام - فنزل عليه القرآن عشر سنين بمكة وعشر سنين بالمدينة فمات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ابن ثلاث وستين سنة.

خَلَقَ اللهُ الصُّورَ فَأَعْطَاهُ إِسْرَافِيلَ :

في إتحاف الخيرة المهرة [1] :

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ - صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم - وَهُوَ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا فَرَغَ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ خَلَقَ الصُّورَ فَأَعْطَاهُ إِسْرَافِيلَ، فَهُوَ وَاضِعُهُ عَلَى فِيهِ، شَاخِصٌ إِلَى الْعَرْشِ بِبَصَرِهِ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ.

قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الصُّورُ ؟ قَالَ : قَرْنٌ قَالَ : فَكَيْفَ هُوَ ؟ قَالَ : عَظِيمٌ قَالَ : وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ إِنَّ أَعْظَمَ دَارَةٍ فِيهِ كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، يُنْفَخُ فِيهِ ثَلاَثَ نَفْخَاتٍ : الأُولَى : نَفْخَةُ الْفَزَعِ، وَالثَّانِيَةُ : نَفْخَةُ الصَّعْقِ، وَالثَّالِثَةُ : نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، يَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ بِالنَّفْخَةِ الأُولَى، فَيَقُولُ : انْفُخْ نَفْخَةَ الْفَزَعِ، فَيَنْفُخُ نَفْخَةَ الْفَزَعِ، فَيْفَزَعُ أَهْلُ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، فَيَأْمُرُهُ فَيَمُدُّهَا وَيُطِيلُهَا فَلاَ يَفْتَرُ، وَهِيَ الَّتِي تَقُولُ : {مَا يَنْظُرُ هَؤُلاءِ إلا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ}، فَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرَ السَّحَابِ فَتَكُونُ سَرَابًا، وَتَرْتَجُّ الأَرْضُ بِأَهْلِهَا رَجًّا، فَتَكُونُ كَسَفِينَةٍ مُوبَقَةٍ فِي الْبَحْرِ تَضْرِبُهَا الأَمْوَاجُ تَكْفَؤُهَا بِأَهْلِهَا، كَالْقِنْدِيلِ الْمُعَلَّقِ بِالْعَرْشِ تُرَجِّحُهُ الأَرْوَاحُ أَلاَ وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ : {يَوْمَ

---

[1] الكتاب : إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة المؤلف : أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري (8/ 147).

تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ} فَيَمِيدُ النَّاسُ عَلَى ظَهْرِهَا فَتَذْهَلُ الْمَرَاضِعُ، وَتَضَعُ الْحَوَامِلُ، وَيَشِيبُ الْوِلْدَانُ، وَتَطِيرُ الشَّيَاطِينُ هَارِبَةً مِنَ الْفَزَعِ حَتَّى تَأْتِيَ الأَقْطَارَ، فَتَلْقَاهَا الْمَلاَئِكَةُ تَضْرِبُ وُجُوهَهَا، فَتَرْجِعُ، ثُمَّ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ، يُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ : {يَوْمَ التَّنَادِ}، فَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ تَصَدَّعَتِ الأَرْضُ بِدْعَيْنِ مِنْ قُطْرٍ إِلَى قُطْرٍ، فَرَأَوْا أَمْرًا عَظِيمًا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ، وَأَخَذَهُمْ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْكَرْبِ وَالْهَوْلِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ، ثُمَّ تُطْوَى السَّمَاءُ فَإِذَا هِيَ كَالْمُهْلِ، ثُمَّ انْشَقَّتِ السَّمَاءُ، وَانْتَثَرَتْ نُجُومُهَا، وَخُسِفَ شَمْسُهَا وَقَمَرُهَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم : الأَمْوَاتُ لاَ يَعْلَمُونَ بِشَيء مِنْ ذَلِكَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : يَا رَسُولَ اللهِ، مَنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ حِينَ يَقُولُ : {فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} قَالَ : أُولَئِكَ الشُّهَدَاءُ، وَإِنَّمَا يَصِلُ الْفَزَعُ إِلَى الأَحْيَاءِ، وَالأَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَقَاهُمُ اللَّهُ فَزَعَ ذَلِكَ الْيَوْمُ، وَأَمَّنَهُمْ مِنْهُ، وَهُوَ عَذَابُ اللهِ يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى شِرَارِ خَلْقِهِ، قَالَ : وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ : {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ} فَيَمْكُثُونَ فِي ذَلِكَ الْبَلاَءِ مَا شَاءَ اللَّهُ إِلاَّ أَنَّهُ يَطُولُ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى إِسْرَافِيلَ بِنَفْخَةِ الصَّعْقِ، فَيَقُولُ : انْفُخْ نَفْخَةَ الصَّعْقِ، فَيَصْعَقُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ.

يُدَبِّرُ أَمْرَ الدُّنْيَا أَرْبَعَةٌ :

في مصنف ابن أبي شيبة [1] : - حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، قَالَ سَمِعْت الأَعْمَشَ، قَالَ : حدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، عَنِ ابْنِ سَابِطٍ، قَالَ : يُدَبِّرُ أَمْرَ الدُّنْيَا أَرْبَعَةٌ : جَبْرَائِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ وَمَلَكُ الْمَوْتِ، فَأَمَّا جَبْرَائِيلُ فَصَاحِبُ الْجُنُودِ وَالرِّيحِ، وَأَمَّا مِيكَائِيلُ فَصَاحِبُ الْقَطْرِ وَالنَّبَاتِ، وَأَمَّا مَلَكُ الْمَوْتِ فَمُوَكَّلٌ بِقَبْضِ الأَنْفُسِ، وَإِمَّا إِسْرَافِيلُ فَهُوَ يَتَنَزَّلُ بِالأَمْرِ عَلَيْهِمْ بِمَا يُؤْمَرُونَ.

---

[1] مصنف ابن أبي شيبة (7/ 159).

لا أرى إسرافيل يضحك :

في شعب الإيمان للبيهقي[1] : - عن عبد الله بن وهب أنا سليمان بن بلال حدثني عمرو عن المطلب : أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : لجبريل عليه السلام : يا جبريل ما لي لا أرى إسرافيل يضحك و لم يأتني أحد من الملائكة إلا رأيته يضحك قال : جبريل عليه السلام ما رأينا ذلك الملك ضاحكا منذ خلقت النار.

السَّلاَمُ عَلَى إِسْرَافِيلَ :

في سنن الدارمي [2] : - أَخْبَرَنَا يَعْلَى حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَنْ شَقِيقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قُلْنَا السَّلاَمُ عَلَى اللَّهِ قَبْلَ عِبَادِهِ، السَّلاَمُ عَلَى جِبْرِيلَ، السَّلاَمُ عَلَى مِيكَائِيلَ، السَّلاَمُ عَلَى إِسْرَافِيلَ، السَّلاَمُ عَلَى فُلاَنٍ وَفُلاَنٍ - قَالَ - فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ :« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ السَّلاَمُ، فَإِذَا جَلَسْتُمْ فِى الصَّلاَةِ فَقُولُوا : التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِىُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِى السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ لِيَتَخَيَّرْ مَا شَاءَ ».

أَعُوذُ بِكَ مِنْ حَرِّ النَّارِ :

في سنن النسائي [3] : - عَنْ سُفْيَانَ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبِى حَسَّانَ عَنْ جَسْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- « اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَرَبَّ إِسْرَافِيلَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ حَرِّ النَّارِ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»

---

[1] شعب الإيمان (1/ 521).
[2] سنن الدارمي (2/ 846).
[3] سنن النسائي الكبرى (4/ 464).

لقد هبط على ملك من السماء ما هبط على نبى قبلى :

في الجامع الكبير للسيوطي[1] : لقد هبط على ملك من السماء ما هبط على نبى قبلى ولا يهبط على أحد بعدى هو إسرافيل وعندى جبريل فقال السلام عليك يا محمد ثم قال أنا رسول ربك إليك أمرنى أن أخبرك إن شئت نبيا عبدا وإن شئت نبيا ملكا فنظرت إلى جبريل فأومأ إلى أن تواضع فقلت نبيا عبدا فلو أنى قلت نبيا ملكا ثم شئت لسارت الجبال معى ذهبا (الطبرانى عن ابن عمر)[2].

سمعت تكبير إسرافيل عليه السلام في الهوى :

في أخبار مكة [3] : - - حدثنا ميمون بن الأصبغ قال : ثنا سيار قال : ثنا جعفر بن سليمان قال : ثنا أبو عمران الجوني قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « هبط إلي جبريل عليه السلام من السماء، ومعه طست [4] من ذهب، وماء من ماء زمزم، فقلبني لخلاوة القفا، ثم شق بطني، فأخرج منه علقة [5] فرمى بها، ثم قال : يا محمد، هذا حظ الشيطان منك، ثم وزنني فوزنت بعشر من أمتي حتى بلغت المائة، فلما بلغت المائة سمعت تكبير إسرافيل عليه السلام في الهوى وهو يقول : تبعته أمته ورب الكعبة ».

---

[1] جامع الأحاديث (17/ 442).

[2] أخرجه الطبرانى. قال الهيثمى : فيه يحيى بن عبد الله البابلتى، وهو ضعيف. وأخرجه أيضًا : أبو نعيم فى الحلية.

[3] أخبار مكة للفاكهي (2/ 40).

[4] الطست : إناء كبير مستدير من نحاس أو نحوه

[5] العلقة : القطعة من الدم الغليظ الجامد

إسرافيل في ألف من الملائكة عن يسار النبي :

في مسند أبي يعلى [1] : - عن علي بن أبي طالب قال : كنت على قليب يوم بدر أميح أو أمتح منه فجاءت ريح شديدة ثم جاءت ريح شديدة شديدة لم أر ريحا أشد منها إلا التي كانت قبلها ثم جاءت ريح شديدة فكانت الأولى ميكائيل في ألف من الملائكة عن يمين النّبي - صلى الله عليه وسلم - والثانية إسرافيل في ألف من الملائكة عن يسار النّبي - صلى الله عليه وسلم - والثالثة جبريل في ألف من الملائكة ، وكان أبو بكر عن يمينه وكنت عن يساره فلما هزم الله الكفار حملني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على فرس فلما استويت عليه حمل بي فصرت على عنقه فدعوت الله فثبتني عليه فطعنت برمحي حتى بلغ الدم إبطي

قال حسين سليم أسد : إسناده ضعيف.

---

[1] [مسند أبي يعلى] (1/ 379).

هذا جعفر بن أبي طاالب مع جبريل و ميكائيل وإسرافيل :

في المستدرك على الصحيحين [1] : - عن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال : بينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس وأسماء بنت عميس قريبة منه إذ رد السلام ثم قال : يا أسماء هذا جعفر بن أبي طاالب مع جبريل و ميكائيل وإسرافيل سلموا علينا فردي عليهم السلام ، وقد أخبرني أنه لقي المشركين يوم كذا و كذا قبل ممره على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بثلاث أو أربع فقال : لقيت المشركين فأصبت في جسدي من مقاديمي ثلاثا و سبعين بين رمية و طعنة و ضربة ثم أخذت اللواء بيدي اليمنى فقطعت ثم أخذت بيدي اليسرى فقطعت فعوضني الله من يدي جناحين أطير بهما مع جبريل و ميكائيل أنزل من الجنة حيث شئت وآكل من ثمارها ما شئت فقالت أسماء : هنيئا لجعفر ما رزقة الله من الخير ولكن أخاف أن لا يصدق الناس فاصعد المنبر فاخبر به فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أيها الناس إنّ جعفر مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه سلم علي ثم أخبرهم كيف كان أمره حيث لقي المشركين فاستبان للناس بعد اليوم الذي أخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنّ جعفر لقيهم فلذلك سمي الطيار في الجنة.

تعليق الذهبي قي التلخيص : سكت عنه الذهبي في التلخيص

لودعا لك إسرافيل وجبرائيل وميكائيل وحملة العرش :

في كنز العمال [2] : - عن عروة بن محمد السعدي عن أبيه أنّ رجلا من الأنصار أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: إني أريد أن أتزوج امرأة فادع لي فأعرض عنه ثلاث مرات كل ذلك يقول ثم التفت إليه فقال : لودعا لك إسرافيل وجبرائيل وميكائيل وحملة العرش وأنا فيهم ما تزوجت إلا المرأة التي كتبت لك" (ابن مندة وقال غريب).

---

[1] المستدرك على الصحيحين المؤلف : محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري(3/ 232)
[2] الكتاب : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (1/ 356].

اسرافيل يصلي على النّبي :

وردت روايات تدل على أن اسرافيل - عليه السلام - ممن صلى على النبي – صلى الله عليه وسلم – صلاة الجنازة ففي مسند البزار[1] : - عَنْ مُرَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ : نُعِيَ إِلَيْنَا حَبِيبُنَا وَنَبِيُّنَا بِأَبِي هُوَ وَنَفْسِي لَهُ الْفِدَاءُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسِتٍّ، فَلَمَّا دَنَا الْفِرَاقَ جَمَعَنَا فِي بَيْتِ أُمِّنَا عَائِشَةَ فَنَظَرَ إِلَيْنَا فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، ثُمَّ قَالَ : مَرْحَبًا بِكُمْ وَحَيَّاكُمُ اللَّهُ، حَفِظَكُمُ اللَّهُ، آوَاكُمُ اللَّهُ، نَصَرَكُمُ اللَّهُ، رَفْعَكُمُ اللَّهُ، هَدَاكُمُ اللَّهُ، رِزْقَكُمُ اللَّهُ، وَفَّقَكُمُ اللَّهُ، سَلَّمَكُمُ اللَّهُ، قَبِلَكُمُ اللَّهُ، أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَأُوصِي اللَّهَ بِكُمْ وَأَسْتَخْلِفُهُ عَلَيْكُمْ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ، أَنْ لاَ تَعْلُوا عَلَى اللهِ فِي عِبَادِهِ وَبِلادِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِي وَلَكُمْ : تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، ثُمَّ قَالَ : أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ، ثُمَّ قَالَ : قَدْ دَنَا الأَجَلُ وَالْمُنْقَلَبُ إِلَى اللهِ، وَإِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِلَى جَنَّةِ الْمَأْوَى، وَالْكَأْسِ الأَوْفَى وَالرَّفِيقِ الأَعْلَى، أَحْسَبُهُ فَقُلْنَا : يَا نَبِيَّ اللهِ، فَمَنْ يُغَسِّلُكَ إِذَنْ ؟ قَالَ : رِجَالُ أَهْلِ بَيْتِي الأَدْنَى فَالأَدْنَى، قُلْنَا : فَفِيمَا نُكَفِّنُكَ ؟ قَالَ : فِي ثِيَابِي هَذِهِ إِنْ شِئْتُمْ، أَوْ فِي حُلَّةٍ يَمَنِيَّةٍ، أَوْ فِي بَيَاضِ مِصْرَ قَالَ : قُلْنَا : فَمَنْ يُصَلِّي عَلَيْكَ مِنَّا ؟ فَبَكَيْنَا وَبَكَى، وَقَالَ :

مَهْلا غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ وَجَزَاكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ خَيْرًا، إِذَا غَسَّلْتُمُونِي ثُمَّ وَضَعْتُمُونِي عَلَى سَرِيرِي فِي بَيْتِي هَذَا عَلَى شَفِيرِ قَبْرِي فَاخْرُجُوا عَنِّي سَاعَةً، فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُصَلِّي عَلَيَّ خَلِيلِي وَجَلِيسِي جِبْرِيلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ مِيكَائِيلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ إِسْرَافِيلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ مَلَكُ الْمَوْتِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ جُنُودِهِ، ثُمَّ الْمَلائِكَةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَجْمَعِهَا، ثُمَّ ادْخُلُوا عَلَيَّ فَوْجًا فَصَلُّوا عَلَيَّ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.. ..." الحديث

---

[1] مسند البزار (5/ 396).

المطلب السابع

هل قرن إسرافيل بالنبي –صلى الله عليه وسلم – أولا قبل جبريل ؟.

أيد الصالحي من أنكر اقتران إسرافيل - عليه السلام - بالنّبي - صلى الله عليه وسلم - قبل جبريل - عليه السلام - فقد ذكر رواية الشعبي المؤيد للإقتران ثم أورد قول الواقدي في الرد عليها.

قال الصالحي [1] : روى الإمام أحمد في تاريخه بسند صحيح عن عامر الشعبي قال : إنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشئ، ولم ينزل القرآن على لسانه، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة، عشرا بمكة وعشرا بالمدينة، فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وهذا يقتضي أنّ إسرافيل قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين، ثم جاءه جبريل.

قال الإمام أبو شامة [2] رحمه الله تعالى : وحديث عائشة - أي الآتي في الباب بعده - لا ينافي هذا فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا، ثم وكل به إسرافيل في تلك المدة التي كان يخلوا فيها بحراء فكان يلقي إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجا وتمرينا، إلى أن جاءه جبريل فعلمه بعد ما غطه ثلاث مرات.

---

[1] الكتاب : سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد المؤلف : محمد بن يوسف الصالحي الشامي (2/ 230).

[2] أبو شامة هو : عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، أبو القاسم، شهاب الدين، أبو شامة: مؤرخ، محدث، باحث. أصله من القدس، ومولده في دمشق، وبها منشأه ووفاته. ولي بها مشيخة دار الحديث الأشرفية، له (كتاب الروضتين في أخبار الدولتين: الصلاحية والنورية) و (مختصر تاريخ ابن عساكر) خمسة مجلدات، و (المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز) وغير ذلك. ووقف كتبه ومصنفاته جميعها في الخزانة العادلية بدمشق، فأصابها حريق التهم أكثرها. ولقب أبا شامة، لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر. توفى سنة 665 هـ.

فحكت عائشة ما جرى له مع جبريل ولم تحك ما جرى له مع إسرافيل اختصارا للحديث، أو لم تكن وقفت على قصة إسرافيل انتهى.

وذكر بعض العلماء في حكمة مجئ إسرافيل إليه أنه الموكل بالنفخ في الصور، والنبي صلى الله عليه وسلم بعث قرب الساعة وكانت بعثته من أشراطها، فبعث إسرافيل لهذه المناسبة ولم يبعث إلى نبي قبله.

وقد أنكر الواقدي - رحمه الله تعالى - خبر الشعبي وقال : لم يقرن به من الملائكة إلا جبريل. قال الحافظ : ولا يخفى ما فيه، فإن المثبت مقدم على النافي إلا إن صحب النافي دليل نفيه فيقدم. انتهى.

قال الشيخ رحمه الله تعالى في فتاويه : قد ورد ما يوهي أثر الشعبي، وهو ما رواه مسلم عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال : بينا النّبي - صلى الله عليه وسلم - جالس وعنده جبريل إذ سمع نقيضا من السماء من فوق فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال: يا محمد هذا ملك قد نزل لم ينزل إلى الأرض قط. قال : فأتى النّبي - صلى الله عليه وسلم – فقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة

الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منها إلا أوتيته.

قال جماعة من العلماء : إنّ هذا الملك إسرافيل. انتهى كلام الشيخ.

وروى الطبراني والبيهقي في الزهد بسند حسن عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ذات يوم وجبريل على الصفا فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفه دقيق ولا كف من سويق.

فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفزعته فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أمر الله القيامة أن تقوم ؟ فقال : لا ولكن أمر إسرافيل فنزل إليك حتى يسمع كلامك فأتاه إسرافيل فقال : إنّ الله تعالى بعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض وأمرني أن أعرض إليك أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة.

فقلت: فإن شئت نبيا ملكا وإن شئت نبيا عبدا ؟ فأومأ إليه جبريل: أن تواضع. فقال بل نبيا عبدا. ثلاثا.

ورواه ابن حبان في صحيحه مختصرا من حديث أبي هريرة ولفظه: جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل فقال له جبريل: هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل الساعة. وذكر الحديث.

فظهر أنّ المعتمد ما مشى عليه الواقدي رحمه الله تعالى. [1]

[1] نهاية كلام الصالحي

المبحث السادس

في تعريف النبوة والرسالة وعمر النّبي - صلى الله عليه وسلم - حين بعثه الله - عز وجل.

وفيه عدة مطالب هي :

المطلب الأول : في تعريف النبوة والرسالة.

المطلب الثاني : في شهر وعام مبعثه - صلى الله عليه وسلم -

المطلب الثالث : في ذكر عمره - صلى الله عليه وسلم - عند مبعثه.

المطلب الرابع : في ما قيل عن تدرج أحوال النبوة

المطلب الأول

فى تعريف النبوة والرسالة والفرق بينهما

تحدثنا عن أول ما نزل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو بهذا قد أصبح نبياً مرسلا بما جاءه أول مرة، لذا فقد وجب أن نتعرف على النبوة والرسالة والفرق بينهما

معنى النبوة فى اللغة :

يرد لفظ النبوة فى اللغة على وجهين : مهموز وغير مهموز

المهموز ـ مأخوذ من النبأ وهو الخبر، وتكون النبوة بهذا المعنى : الأخبار عن الله، أو بمعنى : منبأ بالغيوب أو بمعنى منبئ ما أطلعه الله عليه.

وغير مهموز ـ مأخوذ من النبوة، وهو ما ارتفع عن الأرض

يقال : نبأ الشئ اذا ارتفع.

وعلى هذا يكون النبى فى منزلة أعلى وأرفع من منازل البشر وذلك بتكريم الله له وأختصاصه بالوحى.

ثانياً : معنى النبوة فى الإصطلاح :

اختصاص العبد بسماع وحى من الله تعالى سواء أُمِرَ بالتبليغ أو لا، فإن أُمِرَ بالتبليغ فرسالة وإن لم يؤمر فنبوة

الفرق بين النّبى والرسول :

أن الثانى صاحب كتاب وشريعة والأول هو الذى يحكم بالمنزل على غيرة من الرسل.

وقيل أيضا : إنّ الرسول من له كتاب بشريعة جديدة أو نسخ شريعة من قبل، والنّبى من أيد شريعة من قبلة، وقيل إنّ الوحى للرسول بواسطة جبريل أما بالنسبة للنّبى فبسماع صوت أو رؤيا فى المنام.

وقيل يجتمعان فى الرسول من البشر وينفرد النّبى فيمن أوحى اليه من البشر ولم يؤمر بالتبليغ، وينفرد الرسول فيمن أوحى اليه من الملائكه وبُعث إلى غيره.

وقيل بمعنى واحد، وعرف كل منهما بأنه إنسان يعينه الله لتبليغ ما أوحى اليه.

وهذا لا يصح لأنّ هناك فرق بين النّبى والرسول ويؤيد ذلك قوله تعالى : " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى "

ولقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما سئل عن عدد الأنبياء فقال :

مائة وأربعة وعشرون ألفا، فسئل : وكم الرسل منهم ؟ فقال : " ثلاثة عشرة وثلاثة مائة "

وقد ذكرت شروطا للنبوة تتلخص فى :

الذكورة، وكمال العقل، والفطنة، وقوة الرأى، وعدم الغلظة، والقسوة، والسلامة من العيوب المنفرة كالبرص والجزام، وقلة المروءه، والأكل فى الطرقات، والسلامة من دناءة الأصل وغمز الأمهات.

فهل الرسالة منحة أم مكتسبة ؟

تكلم علماء العقيدة فى ذلك والذى عليه أهل السنة أنّ النبوة منحة من الله تعالى يختص بها من يشاء من عبادة.

وهى لا تُنال بالكسب ولا بالاجتهاد ولا باستعداد النفس وإنما هى اختصاص العبد بسماع وحى من الله تعالى سواء أمر بالتبليغ أو لا.

وإذا كان هذا هو تعريف النّبى والرسول شرعا فما حكم الإيمان بهما ؟

لا شك أنّ الإيمان بكل انبياء الله ورسله واجب على كل مسلم بحيث لو أنكر واحدا ممن ورد اسمه فى كتاب الله ـ عز وجل ـ أو سنه صحيحة يكون ممن أنكر المعلوم من الدين بالضرورة ويخرج من ملة الإسلام.

قال تعالى : " آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285) [البقرة : 285] "

كما أنّ أصحاب الديانات السابقة للإسلام لا بد لهم من الإيمان بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونبيا وخاتم للأنبياء والمرسلين، وإلا فلا عبرة فيما يعتقدون. قال الله تعالى : " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85) [آل عمران : 85] "

وفى صحيح مسلم [1]: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ " "

وفى : صحيح البخاري [2]:

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ حَيٍّ أَبُو حَسَنٍ قَالَ سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يَقُولُ حَدَّثَنِي أَبُو بُرْدَةَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : " ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ الرَّجُلُ تَكُونُ لَهُ الْأَمَةُ فَيُعَلِّمُهَا فَيُحْسِنُ تَعْلِيمَهَا وَيُؤَدِّبُهَا فَيُحْسِنُ أَدَبَهَا ثُمَّ يُعْتِقُهَا فَيَتَزَوَّجُهَا فَلَهُ أَجْرَانِ وَمُؤْمِنُ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِي كَانَ مُؤْمِنًا ثُمَّ آمَنَ بِالنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَهُ أَجْرَانِ وَالْعَبْدُ الَّذِي يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ وَيَنْصَحُ لِسَيِّدِهِ ".

---

[1] صحيح مسلم (1/ 93).
[2] صحيح البخاري ت (7/ 559).

ثُمَّ قَالَ الشَّعْبِيُّ وَأَعْطَيْتُكَهَا بِغَيْرِ شَيْءٍ وَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَرْحَلُ فِي أَهْوَنَ مِنْهَا إِلَى الْمَدِينَةِ.

المطلب الثاني

شهر وعام بعثته ـ صلى الله عليه وسلم ـ

شهر مبعثه – صلى الله عليه وسلم ـ :

اختلاف الروايات في شهر المبعث :

قال الحلبي [1]: قيل فى ربيع الأول وقيل فى رجب وقيل فى رمضان

القــول الأول :

أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث فى ربيع الأول فى الثاني عشر منه يستند إلى ما روى عن ابن عباس وجابر- رضى الله عنهما ـ أنه ـ صلى الله عليه وسلم – بُعث فى الثاني عشر من ربيع الأول.

القول الثاني :

انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بُعث فى رجب فى السابع والعشرين منه لما رواه الحافظ الدمياطى فى سيرته عن أبى هريرة – رضى الله عنه ـ

قال : من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهراً ، وهو اليوم الذى نزل فيه جبريل عليه السلام على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالرسالة وأول يوم هبط فيه جبريل عليه السلام ،، هذا كلامه.

---

[1] السيرة الحلبية تأليف / علي بن برهان الدين الحلبي (975 – 1044 هـ) – ج 1 ص 384 مكتبة الإيمان القاهرة – مصر

القول الثالث :

فى رمضان وهو المشهور وقد رُوى عن عُبيد بن عُمير ومحمد بن إسحاق وغيرهما ودليلهم فى ذلك :

استدل بن اسحاق بقول الله تعالى (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ [البقرة : 185].. ..) فقيل فى عَشرة

وروى الواقدى بسنده عن ابى جعفر الباقر أنه قال : كان ابتداء الوحى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الإثنين لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، وقيل فى الرابع والعشرين منه.

وأورد الإمام أحمد[1] ما رواه قتادة عن أبى مليح عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَتْ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ.

وقال الشامي [2]:

واختلف في الشهر. فقيل شهر رمضان في سابع عشره وقيل سابعه. وقيل رابع عشره وقال الحافظ : ورمضان هو الراجح لما سيأتي من أنه الشهر الذي جاور فيه في حراء فجاءه الملك. وعلى هذا يكون سنه حينئذ أربعين سنة وستة أشهر.

وقيل في سابع عشر شهر رجب. وقيل في أول شهر ربيع الأول. وقيل في ثامنه. وعند أبي داود الطيالسي ما يقتضي أن مجئ جبريل لرسول الله عليهما الصلاة والسلام في حراء كان في آخر شهر رمضان.

---

(1) مسند أحمد (28/ 191).

(2) الكتاب : سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية 1418هـ - 1997 م ج2 ص 303

قال الحافظ : ولعله الراجح.

وروى الإمام أحمد والشيخان عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال : أنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ابن أربعين سنة.

عام مبعثه - صلى الله عليه وسلم – :

أورد ابن كثير [1]:عن الإمام أحمد عن عامر الشّعبى أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة فقُرِن بنبوته إسرافيل - عليه السلام - ثلاث سنين يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل القرآن فلما مضت ثلاث سنين قُرِن بنبوته جبريل - عليه السلام - فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة ، عشراً بمكة وعشراً بالمدينة ، فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وقال ابن كثير تعليقاًعلى هذه الرواية وعلى ما رواه الشيخ شهاب الدين أبو شامة من حديث عائشة - رضى الله عنها - الذى سبق أن أوردناه - والذى فيه : أنّ أول ما بدء به - صلى الله عليه وسلم - من الوحى الرؤيا الصالحة ، ثم جاءه جبريل - عليه السلام - بعدها.

قال : فهذا إسناد صحيح إلى الشَّعبى - أى حديث الإمام أحمد - وهو يقتضى أنّ اسرافيل - عليه السلام - قُرِن معه بعد الأربعين ثلاث سنين ، ثم جاء جبريل - عليه السلام -.

وأما الشيخ شهاب الدين أبو شامة فقد قال : حديث عائشة - رضى الله عنها - لا ينافى هذا. فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا ، ثم وُكِّل به اسرافيل - عليه السلام - فى تلك المدة التى كان يخلو فيها بحراء ، فكان يلقى إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريباً له وتمريناً ، إلى أن جاءه جبريل - عليه السلام - فعلمه بعد ما غطَّه ثلاث مرات فحكت عائشة - رضى الله عنها - ما جرى له مع جبريل - عليه السلام - ولم تحك ما جرى له مع اسرافيل - عليه السلام - اختصاراً للحديث ، أو لم تكن وقفت على قصة اسرافيل - عليه السلام.

---

[1] السيرة النبوية لإبن كثير - تحقيق : مصطفى عبد الواحد – ج 1 ص 388 وما بعدها – ط دار المعرفة 1403 هـ / 1983م – بيروت – لبنان.

أقول :

وقد ذكر صاحب بهجة المحافل ما يدل على ملازمة اسرافيل للنبى - صلى الله عليه وسلم - مع الاختلاف بين ما ذُكر عند ابن كثير وصاحب البهجة فى وقت هذه الملازمة فقد قال [1] :

ومن غرائب ما ذكر شيخ شيوخنا القاضى مجد الدين الشيرازى - رحمه الله - وعَثَرت على صحته أنه - صلى الله عليه وسلم - لما بلغ تسع سنين أمر الله اسرافيل - عليه السلام - أن يقوم بملازمته فكان قريباً منه دائماً ، فلما أن أتم إحدى عشرة سنة أمر جبريل - عليه السلام- بملازمته تسعاً وعشرين سنة بطريقة المقاربة والملازمة لكن لم يظهر له.

وما أورده ابن كثير عن الإمام أحمد ما رواه عن عكرمة عن ابن عباس : أُنزل على النبى - صلى الله عليه وسلم - وهو ابن ثلاث وأربعين ، فمكث بمكة عشرًا ، وبالمدينة عشرًا ومات وهو ابن ثلاث وستين.

وقال : وهكذا روى يحيى بن سعيد ، وسعيد بن المسيّب ثم قال ابن كثير :

ثم روى أحمد عن غُندر ، ويزيد بن هارون ، وكلاهما عن هشام عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بُعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأُنزل عليه القرآن وهو ابن أربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة.

كما أورد رواية أخرى عن الإمام أحمد أيضاً قال فيها الإمام أحمد :

حدثنا عفَّان ، حدثنا حماد بم سلمة ، أنبأنا عَمَّار بن ابى عمار عم ابن عباس قال : أقام النبى - صلى الله عليه وسلم - بمكة خمس عشرة سنة ، سبع سنين يرى الضَّوء ويسمع الصوت ، وثمانى سنين يوحى إليه ، وأقام بالمدينة عشر سنين.

---

[1] كتاب بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل للإمام الفقيه / عماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري ج 1 ص 58 دار صادر بيروت

ونقل الشامي في قدر عمر النبي - صلى الله عليه وسلم - وقت بعثته وتاريخها [1] : قول الإمام النووي - رحمه الله تعالى - في شرح مسلم : الصواب أنه - صلى الله عليه وسلم - بعث على رأس الأربعين سنة، هذا هو المشهور الذي أطبق عليه العلماء.

وقال السهيلي - رحمه الله تعالى - : إنه الصحيح عند أهل السير والعلم بالأثر.

وحكى القاضي عن ابن عباس وسعيد بن المسيب رواية شاذة أنه بعث على رأس ثلاث وأربعين سنة والصواب الأول.

وقال شيخ الإسلام البلقيني رحمه الله تعالى: كان سن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين جاءه جبريل في غار حراء أربعين سنة على المشهور. وقيل : ويوما.

وقيل وعشرة أيام. وقيل : وشهرين ، وقيل : وسنتين. وقيل : وثلاثة. وقيل : وخمس. قال: وكان ذلك يوم الاثنين نهارا.

ومن المعاصرين الشيخ صفي الرحمن الذي حدد يوم وشهر وسنة البعثة فقال [2] : وبعد النظر والتأمل في القرائن والدلائل يمكن لنا أن نحدد ذلك اليوم بأنه كان يوم الاثنين لإحدى وعشرين مضت من شهر رمضان ليلاً، وقد وافق 10 أغسطس سنة 610 م، وكان عمره - صلى الله عليه وسلم - إذ ذاك بالضبط أربعين سنة قمرية، وستة أشهر، و12 يومًا، وذلك نحو 39 سنة شمسية وثلاثة أشهر وعشرين يومًا. ولنستمع إلى عائشة الصديقة رضي الله عنها تروى لنا قصة هذه الوقعة التي كانت نقطة بداية النبوة، وأخذت تفتح دياجير ظلمات الكفر والضلال حتى غيرت مجرى الحياة، وعدلت خط التاريخ.

---

[1] سبل الهدى والرشاد ج2 ص 303.

[2] كتاب الرحيق المختوم – تأليف : الشيخ صفي الرحمن المبارك فوري – دار الريان للتراث ط السادسة 1408هـ - 1988م

المطلب الثالث

ذكر عمره – صلى الله عليه وسلم - وقت بعثته

كان ذلك وله - صلى الله عليه وسلم - من العمر أربعون سنة. وحكى ابن جرير عن ابن عباس وسعيد بن المسيب : أنه كان عمره إذ ذاك ثلاثا وأربعين سنة [1].

وفي مسند الإمام أحمد عن عامر الشعبى، أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشئ، ولم ينزل القرآن، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة،عشرا بمكة وعشرا بالمدينة فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة.

فهذا إسناد صحيح إلى الشعبى، وهو يقتضى أن إسرافيل قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين، ثم جاءه جبريل.

وأما الشيخ شهاب الدين أبو شامة فإنه قد قال : وحديث عائشة لا ينافى هذا فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا، ثم وكل به إسرافيل في تلك المدة التى كان يخلو فيها بحراء، فكان يلقى إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجا له وتمرينا، إلى أن جاءه جبريل فعلمه بعد ما غطه ثلاث مرات، فحكت عائشة ما جرى له مع جبريل ولم تحك ما جرى له مع إسرافيل اختصارا للحديث، أو لم تكن وقفت على قصة إسرافيل.

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن هشام، عن عكرمة، عن ابن عباس : أنزل على النّبي - صلى الله عليه وسلم - وهو ابن ثلاث وأربعين، فمكث بمكة عشرا، وبالمدينة عشرا، ومات وهو ابن ثلاث وستين. وهكذا روى يحيى بن سعيد، وسعيد بن المسيب.

---

[1] السيرة النبوية لابن كثير (1/ 385).

ثم روى الإمام أحمد عن غندر، ويزيد بن هارون، كلاهما عن هشام، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنزل عليه القرآن وهو ابن أربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشر سنين. ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وفي مسند الإمام أحمد : عن ابن عباس قال: أقام النّبي - صلى الله عليه وسلم - بمكة خمس عشرة سنة، سبع سنين يرى الضوء ويسمع الصوت، وثماني سنين يوحى إليه، وأقام بالمدينة عشر سنين.

قال أبو شامة : وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يرى عجائب قبل بعثته.

فمن ذلك ما في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إنى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث، إنى لاعرفه الآن ". انتهى كلامه.

وإنما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحب الخلاء والانفراد عن قومه، لما يراهم عليه من الضلال المبين، من عبادة الأوثان والسجود للأصنام، وقويت محبته للخلوة عند مقاربة إيحاء الله إليه، صلوات الله وسلامه عليه.

المطلب الرابع

تدرج أحوال النّبي – صلى الله عليه وسلم – إلى أن وصل إلى النّبوة[1]

تدرجت إليه أحواله في النبوة حتى علم أنه مبعوث ورسول مبلغ ترتب تدرجه على ستة أحوال نقل فيهن إلى منزلة بعد منزلة حتى بلغ غايتها.

الرؤيا الصادقة : فالمنزلة الأولى الرؤيا الصادقة في منامه بما سيؤول إليه أمره فكان ذلك إذكارا بها ليروض لها نفسه و يختبر فيها حواسه فيقوم بها إذا بعث و هو عليها قوي و بها ملي

روى الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنه أنها قالت : أول ما ابتدئ به رسول الله - صلى الله تعالى عليه و سلم - من الوحي الرؤيا الصادقة كانت تجيء مثل فلق الصبح حتى فجأه الحق و اختلف في هذه الرؤيا هل كانت قبل انقطاعه إلى الخلوة بحراء ؟

فحكي عن عروة عن عائشة أنه حبب إليه الخلاء بعد الرؤيا و ذهب قوم إلى أن الرؤيا جاءته بعد خلوته لأنه خلا على غفلة من أمره و قد روت برة بنت أبي تحراه : أنّ الله – تعالى - لما أراد كرامة رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - بالنّبوة كان لا يمر بشجر و لا حجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ، فكان يلتفت عن يمينه و شماله و خلفه فلا يرى أحدا فاحتمل أن يكون ذلك قبل رؤيا المنام فيكون كالهتوف الخارجة عن أعلام الوحي إلى إعجاز النبوة واحتمل أن يكون بعد الرؤيا فيكون تصديقا لها

وتحقيقا لصحتها

---

[1] [أعلام النبوة - الماوردي] (1 / 275).

تطهيره من الأرجاس و الأدناس : والمنزلة الثانية ما ميز به عن سائر الخلق من تقديسه عن الأرجاسه وتطهيره من الأدناس ليصفو فيصطفى ويخلص فيستخلص فيكون ذلك إنذارا لأمر وتنبيها على العاقبة وهو ما رواه عن عروة بن الزبير عن أبي ذر الغفاري قال : سألت رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - عن أول نبوته فقال :

يا أبا ذر أتاني ملكان وأنا ببطحاء مكة فوقع أحدهما على الأرض والآخر بين السماء والأرض فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : هو هو ، قال: فزنه برجل من أمته فوزنت برجل فرجحته ، ثم قال : زنه بعشرة فوزنت بعشرة فرجحتهم ثم قال : زنه بمائة فوزنت بمائة فرجحتهم ، ثم قال : زنه بألف فوزنت بألف فرجحتهم ؛ فجعلوا ينثرون علي في كفة الميزان ؛ فقال أحدهما للآخر : لو وزنته بأمته رجحها ، ثم قال أحدهما لصاحبه : شق بطنه فشق بطني ثم قال : شق قلبه فشق قلبي ؛ فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم ، ثم قال : اغسل بطنه غسل الإناء واغسل قلبه غسل الملاءة ، ثم دعا بالسكينة فأدخلت قلبي ثم قال : خط بطنه ؛ فخاط بطني فما هو أن وليا ؛ حتى كأنما أعاين الأمر.

وروى أنس بن مالك قال : لما حان أن ينبأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان ينام حول الكعبة وكانت قريش تنام حولها فأتاه جبريل وميكائيل فقال : بأيهم أمرنا ؟ فقالا : أمرنا بسيدهم ثم ذهبا وجاءا من القابلة وهم ثلاثة فألفوه وهو نائم فقلبوه لظهره وشقوا بطنه ثم جاءوا بماء زمزم فغسلوا ما كان في بطنه من شك أو ضلالة أو جاهلية ثم جاءوا بطست من ذهب قد ملئت إيمانا وحكمة فملئ بطنه وجوفه إيمانا وحكمة ، وهذا موافق لحديث أبي ذر في المعنى وإن خالفه في الصفة فتوارد في الرواية وهو إنذار بالنبوة.

البشرى بالنّبوة : والمنزلة الثالثة البشرى بالنبوة من مَلَك أخبره بها عن ربه واختصت بشراه بالإشعار وتجردت عن تكليف وإنذار لم يسمع بها وحيا ولا رأى معها شخصا وإنما كان حساسا بالملك اقترن بآية دلت وأمارة ظهرت اكتفى بها عن مشاهدته واستغنى بها عن نطقه ليعلم أنه من أنبياء الله - تعالى - فيتأهب لوحيه ويعان بإمهاله فيكون على البلوى أصبر وللنعمة أشكر.

روى الشعبي وداود بن عامر أنّ الله - تعالى - قرن إسرافيل بنبوة رسوله - صلى الله تعالى عليه وسلم - ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه.

ويعلمه الشيء ولا ينزل عليه القرآن فكان في هذه المدة مبشرا بالنبوة.

وغيره مبعوث إلى الأمة فاحتمل أن يكون إمهاله فيها معونة للرسول.

واحتمل أن يكون نظرا للأمة واحتمل أن يكون لأوان المصلحة وليس يمتنع أن يكون لجميعها فإنه أعلم بسر ما أخفى وأعرف بمعنى ما أظهر.

نزول جبريل بالوحي : والمنزلة الرابعة أن نزل عليه جبريل بوحي ربه حتى رأى شخصه وسمع مناجاته فأخبره أنه نبي الله ورسوله واقتصر به على الإخبار ولم يأمره بالإنذار ليعلمها بعد البشرى عيانا ويقطع بها يقينا فيكون معتقده بها أوثق وعلمه بها أصدق فلا يعترضه وهم ولا يخالجه ريب.

روى الزهري عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - : أنّ رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - لما فاجأه الحق أتاه جبريل - عليه السلام - فقال : يا محمد أنت رسول الله قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : فجثوت لركبتي وأنا قائم ثم رجعت ترجف بوادري ثم دخلت على خديجة فقلت زملوني زملوني حتى ذهبت عني ثم أتاني فقال :

يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله ، ثم قال : إقرأ قلت : ما أقرأ. قال : فأخذني فغتني ثلاث مرات ؛ حتى بلغ مني الجهد وقال : { اقرأ باسم ربك الذي خلق.. } ؛ فأتيت خديجة ؛ فقلت : لقد أشفقت على نفسي ؛ فأخبرتها خبري فقالت : أبشر فو الله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت بي إلى ورقة بن نوفل وكان ابن عمها وخرج في طلب الدين وقيل قرأ التوراة والإنجيل وتنصر وقالت : اسمع من ابن أخيك فسألني فأخبرته خبري فقال : هذا الناموس الذي نزل على موسى عليه السلام يعني جبريل - عليه السلام - ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك قلت أو مخرجي هم ؟ قال : نعم إنه لم يجئ رجل قط بما جئت به إلا عودي ولئن يدركني يومك لأنصرنك نصرا مؤزرا.

ثم كان أول ما نزل علي من القرآن بعد اقرأ : { ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (3) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (5) [القلم : 1 - 5] } ونزل عليه ذلك ليزداد ثباتا ولنفسه استبصارا ولنعمة ربه شكرا.

وروى أن خديجة قالت لرسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - : وهل تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا إذا أتاك ؟ يعني جبريل - عليه السلام - قال : نعم قالت فأخبرني به إذا جاءك فجاءه جبريل فقال لها : يا خديجة هذا جبريل قد جاء قالت : قم فاجلس على فخذي اليسرى فجلس عليها فقالت هل تراه ؟ قال نعم قالت : فتحول على فخذي اليمنى إليها فقالت هل تراه ؟ قال: نعم قالت فتحول في حجري فتحول في حجرها فقالت : هل تراه ؟

قال : نعم قال : فحسرت وألقت خمارها وهو جالس في حجرها فقالت : هل تراه ؟ قال : لا قالت يا ابن عمي أثبت وأبشر فو الله إنه لملك وما هو بشيطان. وآمنت به فكانت أول من أسلم من جميع الناس واستظهرت خديجة بما فعلته من هذا في حق نفسها لا في حق الرسول ولا استظهارا عليه واكتفى رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - في تصديق جبريل بما عاينته خديجة من آياته المعجزة ، وكان ما نزل به جبريل في هذا الحال مقصورا على إخباره بالنّبوة ليعلم أنّ الله تعالى قد اصطفاه لها فينقطع إليه ويوقف نفسه على ما يؤمر به وينزل عليه فيكون لأوامره متبعا ولما يراد به متوقعا وأذن له في ذكره وإن لم يؤذن له في إنذاره لقول الله تعالى : {وأما بنعمة ربك فحدث } أي بما جاءك من النبوة فكان يذكرها مستسرا.

النبي يؤمر بالإنذار : والمنزلة الخامسة أن أُمِرَ بعد النّبوة بالإنذار فصار به رسولا ونزل عليه القرآن بالأمر والنهي فصار مبعوثا ولم يأمر بالجهر وعموم الإنذار ليختص بمن أمنه و يشتد بمن أجابه فنزل عليه قول الله تعالى : يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (7) [المدثر : 1 - 8] } فتمت نبوته بالوحي والإنذار وإن كان على استسرار وكان ذلك في يوم الإثنين من شهر رمضان.

قال هشام بن محمد : أول ما تلقاه جبريل فقال ليلة السبت وليلة الأحد ثم ظهر له برسالته في يوم الاثنين. وروى أبو قتادة عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : سألت رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - عن صوم يوم الإثنين فقال : ذاك يوم ولدت فيه وأنزل علي فيه النبوة.

الإنذار للعموم بعد الخصوص : والمنزلة السادسة : أن أُمِرَ أن يعم بالإنذار بعد خصوصه ويجهر بالدعاء إلى الإسلام بعد استسراه فأنزل الله تعالى عليه : { فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ [الحجر : 94 } فجهر بالدعاء قال ابن إسحق : ذلك بعد ثلاث سنين من مبعثه و أُمِرَ أن يبدأ بعشيرته الأقربين فقال تعالى : { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215) [الشعراء}

المبحث السابع

التعريف بالقرآن الكريم وكيف نزل

وفيه عدة مطالب :

المطلب الأول : في منزلة القرآن من الإسلام

المطلب الثاني : في تعريف القرآن وخصائصه

المطلب الثالث : في كيفية انزال القرآن الكريم.

المطلب الرابع : جمع القرآن الكريم.

المطلب الخامس : الأحرف السبعة.

المطلب الأول

منزلة القرآن من الإسلام

حاول عبثا أعداء القرآن أن يُنزلوه منزلة الكلام البشري لعلمهم أنه الأساس في هذا الدين ، ولولاه لانهدم صرح الإسلام الشامخ ، وقبل أن أفرد البحث في افتراءاتهم والرد عليها أنقل هذه الكلمات الصادقة عن القرآن الكريم والغرض منها اظهار مكانة القرآن الكريم من الإسلام ومكانته عند المسلمين كي أوفر على المفترين هذا الجهد العملاق من أكوام الضلال التي يحاولون بها اقتحام قلوب ونفوس البشر وصدق الله إذ يقول " {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32)} [التوبة: 32] {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (8)} [الصف: 8]

فمن بداهة القول : أنّ القرآن الكريم يقع من رسالة الإسلام موقع القلب النابض بعقيدته وتشريعاته، وآدابه، وأخلاقه، لا يختلف اثنان على هذه الحقيقة.

ولقد علم المستشرقون ذلك، فجعلوا القرآن الكريم موضوعًا لدراساتهم المتعددة، أيا كانت بواعث هذه الدراسات وأهدافها، ومن جهة أخرى عمل بعض المنافقين مدخولي النية على استغلال هذه الحقيقة الناطقة بمكانة القرآن عند المسلمين، فحاولوا إهدار السنة المطهرة، وإلغاء دورها في كونها المبينة للقرآن كما نص على ذلك القرآن ذاته في قوله تعالى : " بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ " [النحل: 44] فادَّعوا كاذبين أنه لا حاجة لغير القرآن، وأنه وحده عليه المعوّل وفيه الكفاية ؛ خطوة يهدفون من ورائها في النهاية إلى إهدار القرآن ذاته[1].

---

[1] في مقال له بعنوان: (كشف مخططات التغريب) نشرته جريدة النور في القاهرة، العدد: 337، الأربعاء 5 من المحرم سنة 1409ه الموافق 17 من أغسطس سنة 1988م.

وقد حذر النّبي - صلى الله عليه وسلم - من هذا الصنف عندما قال[1] : " أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنْ السِّبَاعِ أَلَا وَلَا لُقَطَةٌ مِنْ مَالِ مُعَاهَدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُمْ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُمْ فَلَهُمْ أَنْ يُعْقِبُوهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُمْ)).

وهدفهم في النهاية واحد هو : النيل من القرآن وبالتالي النيل من الإسلام، ولكن أنى لهم ذلك:" يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ "[الصف : 8] من أجل ذلك جاء هذا المبحث حول:

موقع القرآن الكريم من رسالة الإسلام، وهو يتناول أمرين :

الأول : تقرير القرآن حقية رسالة الإسلام وإلهية مصدرها.

والثاني : نشر هذه الرسالة تحقيقاً لعالميتها التي ينطق بها قول الله تعالى لرسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " [سبأ: 28].

وفيما يلي إيضاح لكل من الأمرين :

أولاً: القرآن الكريم يقرر حقية رسالة النّبي- صلى الله عليه وسلم - : بعث الله رسوله محمدًا - صلى الله عليه وسلم - برسالة الإسلام التي جاءت لتتم صرح الرسالات، ففي الحديث: ((أنّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ : هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ.

[1] مسند أحمد (28/ 410).

جاء النّبي- صلى الله عليه وسلم - فدعا بدعوة الأنبياء من قبله، وهي دعوة واحدة، أصول الاعتقاد فيها : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأساس التشريع فيها : الطهارة والعفاف في الأخلاق، والاستقامة والقصد في السلوك، والعدل والنصفة في المعاملات، والنصح للأمة في الولايات: " شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ " [الشورى: 13].

جاءت رسالة الإسلام على حين فترة من الرسل كان العالم قد غرق في جاهلية مظلمة: طمست فيها معالم الخير، وأطفئت فيها مصابيح الفكر، وعطلت فيها مواهب العقل، مما لا نجد معه تعبيراً عن المنهج الذي ساد حياة البشرية قبل الإسلام أصدق من وصف القرآن الكريم في قول الله تعالى :" هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"[الجمعة:2].

فانبعث أشقياء القوم من عباد الأصنام، والطغاة وأرباب الشهوات يعارضون النّبي- صلى الله عليه وسلم - ويكذبونه ويصدون عن دينه، ويعملون على وأد دعوته.

ومضت في النّبي- صلى الله عليه وسلم - سنة الله – سبحانه وتعالى - في تأييد رسله وتصديقهم بالمعجزات، لكنه - سبحانه - إذا كان قد أيد رسله السابقين بمعجزات حسية يراها المشاهدون، ويعاينها الحاضرون : كناقة صالح وعصا موسى ونحوهما، فإنه تعالى قد جعل المعجزة الكبرى التي قامت شاهداً على صدق النّبي- صلى الله عليه وسلم - وصدق ما دعا إليه كتاباً مباركاً، قرآناً عربيا، يخاطب الأجيال في كل عصر ويقرؤه الناس في كل حين.

وفي هذا يقول النّبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - " مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ "[1].

لقد أنزل الله – تعالى - القرآن الكريم بلسان العرب الذين اختارهم مهداً لخاتم رسالاته في وقت بلغت فيه لغتهم من الفصاحة، وروعة البلاغة، وعظمة البيان ما لم تبلغه لغة في الأرض على لسان أهلها في عصر من العصور، ثم إنه طالب المعارضين المنكرين - في تحدٍّ أثبته القرآن في آياته - أن يأتوا بمثل هذا القرآن " أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ " [الطور: 33 – 34].

أو بعشر سور من مثله " أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " [هود: 13].
أو بسورة من مثله " وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24) " [البقرة: 23 – 24].

لقد واجههم القرآن بهذا التحدي فما كان منهم إلا العجز المطبق الناطق بصدق كتاب الله وصدق ما جاء به - صلى الله عليه وسلم-.

على أننا ينبغي أن نؤكد حقيقة ينبغي ألا تغيب عن الأذهان في شأن معجزة القرآن الكريم، وهي: أن هذه المعجزة قد حملت في ذات الوقت المنهج الذي يراد بناء أمة الإسلام على أساسه، والهداية إلى التي هي أقوم في شتى مجالات الحياة.

---

[1] صحيح البخاري - (15 / 378) 4598

يقول الشيخ محمود شلتوت [1]- رحمه الله تعالى - في هذا الصدد: ((وقد أنزله الله لأمرين عظيمين، أحدهما: أن يكون معجزة دالة على صدق الرسول في دعوة الرسالة والتبليغ عنه سبحانه، وبمقتضى هذا أنزله يحمل في أسلوبه ومعانيه، وتشريعه ومعارفه عناصر الإعجاز، وقد أمر رسوله أن يتحدى به القوم فتحداهم حتى ظهر عجزهم وتمت الحجة عليهم... وقد كانت معجزات الرسل قبله خوارق حسية لا عقلية يجول فيها العقل ويصول، ويعمل فيها الذهن بالتفكير والتدبر، وكانت منقرضة لا دائمة؛ وذلك لأن رسالتهم لم تكن عامة لأهل زمنهم ولا خالدة.

الأمر الثاني : أن يكون منبع هداية وإرشاد، ومصدر تشريع وأحكام، يجب اتباعه والرجوع إليه، ولا يكفي في إثبات أنه واجب الاتباع مجرد ثبوت أنه معجز، بل لابد مع هذا من ملاحظة أن إعجازه دل على أنه من عند الله، وقد احتوى على الأمر الإلهي الصريح بوجوب اتباعه، والعمل بما تضمنه من الأحكام في غير موضع، وبغير أسلوب واحد، فقال تعالى اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ [الأعراف: 3] وقال سبحانه : " إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا " [النساء: 105].

وقد انعقد إجماع المسلمين على أنّ القرآن الكريم هو أساس الدين والشريعة حتى صار ذلك عندهم مما علم من الدين بالضرورة.

---

[1] في الأعلام للزركلي (7/ 173) : محمود شلتوت (1310 - 1383 هـ = 1893 - 1963 م) : فقيه مفسر مصري. وتخرج بالأزهر (1918) عين وكيلا لكلية الشريعة ثم كان من أعضاء كبار العلماء (1941) ومن أعضاء مجمع اللغة العربية (1946) ثم شيخا للأزهر (1958) الى وفاته. وكان خطيبا موهوبا جهير الصوت. له 26 مؤلفا مطبوعا.

ولعلنا لا نجانب الفهم الصحيح إذا قلنا: إن ما سبق من الآيات يقرر ترابطًا لا ينفك بين إعجاز القرآن وهدايته، هو ترابط ما بين المقدمات والنتائج، فغرض الإعجاز مقدمة نتيجته الهداية، أو إن شئت فقل: إن غرض الإعجاز أمر يسبق في التقرير غرض الهداية؛ لأن الناس إذا دعوا إلى العمل بمنهج ما فلا بد من قناعتهم بسلامة مصدر هذا المنهج حتى ينقادوا له على بصيرة وطمأنينة، والإعجاز - في هذا المجال - قد أدى الغرض فأوفى، فبه علم أن القرآن كلام رب الناس وخالقهم، والأعلم بما يصلح لهم ويصلحهم.

وبهذا يتضح موقع القرآن الكريم من رسالة الإسلام تقريرًا واحتجاجًا، فهو الدليل الحق القاطع على صدق النبي- صلى الله عليه وسلم- وصدق رسالته العامة الخاتمة.

ثانياً: القرآن الكريم ونشر رسالة الإسلام :

وبنفس خصائص الصدق حمل القرآن الكريم لواء نشر دعوة الإسلام، لما سار به المسلمون وقت الشدة في أوائل سني الدعوة يلتمسون الأمن والتمكين، أو بعد ذلك لما انطلقوا فاتحين لأقطار الأرض بالهدى والخير والعمران والعدل.

(أ) ففي وقت الشدة والتماس الأمن والتمكين يبرز لنا في هذا الصدد مثالان، كان القرآن فيهما بمجرد سماعه سبباً مباشراً في إسلام من سمعوه.

أول هذين المثالين : تجلى في حوار جعفر بن أبي طالب معبراً عن المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة – مع ملكها النجاشي وأساقفته، لما أرسلت قريش لاستعادة هؤلاء المهاجرين عنوة، وأوعزت إلى رسوليها إلى النجاشي عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة قبل إسلامهما أن يغريا النجاشي بالهدايا، ويثيراه بالدسّ والوقيعة ليسلم المهاجرين إليهما، وأبى النجاشي ذلك قبل أن يسمع من المسلمين، فتكلم عنهم جعفر بن أبي طالب، فقال: ((أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام... فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرَّمنا ما حرَّم علينا، وأحللنا ما أحلَّ لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا... فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك.. ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك، فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه عليّ، فقرأ عليه صدراً من (كهيعص) فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته – أي بللتها دموعه - وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما ولا يُكادون- أي لا يكيدهم أحد-))

ثاني هذين المثالين : تجلى في قصة إسلام سعد بن معاذ، وأسيد بن الحضير :

ومجمل ما جاء فيها على ما حدَّث ابن إسحاق في السيرة عن عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن مصعب بن عمير جاء مبعوثاً من النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ليعلِّم أهلَها القرآن، فنَزل على أسعد بن زرارة، الذي خرج به إلى حائط - أي بستان- من حوائط بني ظفر على بئر منها، واجتمع إليه رجال ممن أسلموا يعلمهم القرآن، وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير يومئذ سيدا قومِهما، وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا بمصعب أرسل سعد بن معاذ أسيدًا ليمنعه ويزجره، فلما رأى أسعد بن زرارة أسيد بن الحضير مقبلاً قال لمصعب : هذا سيد قومه، وقد جاءك فاصدق الله فيه ، قال مصعب : إن يجلس أكلِّمه، فوقف أسيد عليهما يشتمهما، وقال : ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا، وهددهما بالقتل، فقال له مصعب : أو تجلس وتسمع، فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كفّ عنك ما تكره ؟ قال : أنصفت، فكلَّمه مصعب، وقرأ عليه القرآن، فلما سمعه قال : ما أحسن هذا وما أجمله، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟.

قالا له : تغتسل وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي، ففعل، ثم عاد إلى سعد بن معاذ، فأنكر عليه سعد موقفه، وذهب بنفسه ليفعل ما لم يفعله أسيد، فكلمه مصعب بمثل ما كلم به أسيداً، وقرأ عليه القرآن فأسلم.

(ب) أما في الفتوحات، وما شهدته من وقائع دخول الناس في الإسلام عند سماعهم القرآن من المسلمين فالأمثلة أكثر من أن تحصى عدا، ولا يتسع المقام لذكرها، ويكفينا للدلالة على ذلك أن الدافع لخليفة المسلمين عثمان - رضي الله عنه - إلى جمع القرآن على حرف قريش؛ لَدرء الاختلاف في قراءته، كان لكثرة الداخلين في الإسلام من غير العرب من الأقطار المفتوحة الذين لا يتصور إكراههم على حفظ القرآن والشغف به وقراءته، فقد أسلموا لما عرض عليهم الإسلام وسمعوا القرآن، الذي أخذ بمجامع قلوبهم لما له من أثر لا يقاوم.

وخلاصة القول : أن القرآن يقع من رسالة الإسلام – كما قدمنا – موقع القلب من البدن، والروح من الجسد، سواء كان ذلك في كونه حجة لهذا الدين العظيم، أو حاملاً للواء نشره في العالمين.

المطلب الثاني

القرآن الكريم

تعريفه – خصائصه – بيانه للأحكام

هو الأصل الأول من مصادر التشريع الإسلامى.

تعريفه :

- فى اللغة : مصدر بمعنى القراءة قال تعالى "فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ"[1] أى قراءته ، ويطلق على المقروء.

- اصطلاحاً :هو كلام الله المنزل على رسوله محمد-صلى الله عليه وسلم- باللفظ العربى المنقول إلينا بين دفتى المصحف نقلاً متواتراً لاشبهة فيه.

[1] القيامة آيه 18.

أسماء القران الكريم :

1- القرآن الكريم "إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ"[1]

2- الكتاب "مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ"[2]

3- الذكر "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"[3]

4-الفرقان "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا"[4]

خصائص القرآن :

1- لفظه ومعناه من عند الله.

2- يتعبد بتلاوته فلا تصح الصلاة بغير القرآن.

3- محجز فى لفظه ومعناه ، تحدى الله به الإنس والجن.

4- لاتصح نسبته إلا إلى الله-عز وجل-لفظاً ومعنى.

5- نقل إلينا بطريق التواتر لفظاً ومعنى.

بيان الكتاب للأحكام :

الأحكام التى اشتمل عليها القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة نذكر منها :

1- الأحكام الإعتقادية :

كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار.

2- الأحكام الخُلقية :

وهى التى تتصل فيها دعوة إلى تهذيب النفوس وإصلاح شأن الفرد والجماعة ، وطلب التخلى عن الرذائل.

3- الأحكام العملية :

وتتنوع إلى :

أ) عبادات وهى التى تنظم علاقه الفرد بربه ، كأحكام الصلاة والصيام والحج والزكاة وغيره.

---

[1] الواقعة آيه77.

[2] الأنعام آيه 38.

[3] الحجر آيه9.

[4] الفرقان آيه 1.

ب) المعاملات : وهى الأحكام التى تنظم العلاقة بين الأفراد فيما بينهم وبين مجتمعهم وعلاقة الأمم ببعض كالأحكام الخاصة بالحدود والجنايات وبالعقود كالبيع والشراء والأحكام الخاصة بنظام الأسرة والخاصة بالقضاء والشهادة واليمين.
وقد فصل القرآن الكريم فى بعض الأحكام للسمو بها عن مواطن الخلاف والجدل كما فى المواريث والمحرمات من النساء وبعض العقوبات والجرائم.

المطلب الثالث

كيفية إنزال القرآن الكريم من اللوح المحفوظ

اختلف في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ على ثلاثة أقوال [1] :

أحدها : وهو الأصح الأشهر أنه نزل إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجما في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين على حسب الخلاف في مدة إقامته بمكة بعد البعثة.

وأخرج الحاكم والبيهقي وغيرهما من طريق منصور عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أُنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى السماء الدنيا وكان بمواقع النجوم وكان الله ينزله على رسول الله بعضه في أثر بعض.

وأخرج الحاكم والبيهقي أيضا والنسائي من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال : أنزل القرآن في ليلة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة ثم قرأ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا.

---

[1] الإتقان في علوم القرآن المؤلف : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي(1/ 117) عدد الأجزاء : 2.

وأخرجه ابن أبي حاتم من هذا الوجه وفي آخره فكان المشركون إذا أحدثوا شيئا أحدث الله لهم جوابا.

القول الثاني : أنه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين في كل ليلة ما يقدر الله إنزاله في كل السنة ، ثم نزل بعد ذلك منجما في جميع السنة.

وهذا القول ذكره الإمام فخر الدين الرازي بحثا فقال يحتمل أنه كان ينزل في كل ليلة قدر ما يحتاج الناس إلى إنزاله إلى مثلها من اللوح إلى السماء الدنيا ثم توقف هل هذا أولى أوالأول

قال ابن كثير : وهذا الذي جعله احتمالا نقله القرطبي عن مقاتل بن حيان وحكى الإجماع على أنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا.

وقال السيوطي : وممن قال بقول مقاتل الحليمي والماوردي ويوافقه قول ابن شهاب آخر القرآن عهدا بالعرش آية الدين.

القول الثالث : أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة من سائر الأوقات وبه قال الشعبي.

قال ابن حجر في شرح البخاري : والأول هو الصحيح المعتمد.

قال : وقد حكى الماوردي قولا رابعا : إنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة وأنّ الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة وأنّ جبريل نجمه على النّبي في عشرين سنة وهذا أيضا غريب والمعتمد أنّ جبريل كان يعارضه في رمضان بما ينزل به عليه في طول السنة.

السر في إنزال القرآن الكريم جملة إلى السماء :

قال السيوطي : قيل السر في إنزاله جملة إلى السماء تفخيم أمره وأمر من نزل عليه وذلك بإعلام سكان السموات السبع أنّ هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم قد قربناه إليهم لننزله عليهم ولولا أنّ الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجما بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين إنزاله جملة ثم إنزاله مفرقا تشريفا للمنزل عليه ذكر ذلك أبو شامة في المرشد الوجيز.

وقال السخاوي في جمال القراء : في نزوله إلى السماء جملة تكريم بني آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم ولهذا المعنى أمر سبعين ألفا من الملائكة أنّ تشيع سورة الأنعام وزاد سبحانه في هذا المعنى بأن أمر جبريل بإملائه على السفرة الكرام وإنساخهم إياه وتلاوتهم له. قال : وفيه أيضا التسوية بين نبينا وبين موسى - عليه السلام - في إنزاله كتابه جملة والتفضيل لمحمد في إنزاله عليه منجما ليحفظه.

السر في نزول القرآن الكريم إلى الأرض منجما :

قال السيوطي : قال أبو شامة أيضا : فإن قيل ما السر في نزوله منجما وهلا نزل كسائر الكتب جملة ؟. قلنا : هذا سؤال قد تولى الله جوابه فقال تعالى : " وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة " يعنون كما أنزل على من قبله من الرسل فأجابهم تعالى بقوله " كذلك " أي أنزلناه كذلك مفرقا " لنثبت به فؤادك " أي لنقوي به قلبك فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى بالقلب وأشد عناية بالمرسل إليه ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقائه جبريل.

وقيل معنى لنثبت به فؤادك أي لنحفظه فإنه - عليه السلام - كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ففرق عليه ليثبت عنده حفظه بخلاف غيره من الأنبياء فإنه كان كاتبا قارئا فيمكنه حفظ الجميع.

وقال ابن فورك : قيل أنزلت التوراة جملة لأنها نزلت على نبي يكتب ويقرأ وهو موسى وأنزل الله القرآن مفرقا لأنه أنزل غير مكتوب على نبي أمي.

وقال غيره : إنما لم ينزل جملة واحدة لأن منه الناسخ والمنسوخ ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقا ومنه ما هو جواب لسؤال وما هو إنكار على قول قيل أو فعل فعل وقد تقدم ذلك في قول ابن عباس ونزله جبريل بجواب كلام العباد وأعمالهم وفسر به قوله ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق أخرجه عنه ابن أبي حاتم فالحاصل أنّ الآية تضمنت حكمتين لإنزاله مفرقا.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ثابت بن الحجاج قال : جاءتهم التوراة جملة واحدة فكبر عليهم فأبوا أن يأخذوها حتى ظلل الله عليهم الجبل فأخذوها عند ذلك.

يؤخذ من الأثر الأخير منها حكمة أخرى لإنزال القرآن مفرقا فإنه أدعى إلى قبوله إذا نزل على التدريج بخلاف ما لو نزل جملة واحدة فإنه كان ينفر من قبوله كثير من الناس لكثرة ما فيه من الفرائض والمناهي.

ويوضح ذلك ما أخرجه البخاري : عنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - إِذْ جَاءَهَا عِرَاقِيٌّ فَقَالَ : أَيُّ الْكَفَنِ خَيْرٌ. قَالَتْ : وَيْحَكَ وَمَا يَضُرُّكَ. قَالَ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَرِينِي مُصْحَفَكِ. قَالَتْ : لِمَ ؟ قَالَ : لَعَلِّي أُوَلِّفُ الْقُرْآنَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُقْرَأُ غَيْرَ مُؤَلَّفٍ. قَالَتْ : وَمَا يَضُرُّكَ أَيَّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنْ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا لَا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا وَلَوْ نَزَلَ لَا تَزْنُوا لَقَالُوا لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ ".

القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات وعشرا وأكثر وأقل :

الذي استقرئ من الأحاديث الصحيحة وغيرها أنّ القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات وعشرا وأكثر وأقل وقد صح نزول العشر آيات في قصة الإفك جملة وصح نزول عشر آيات من أول المؤمنون جملة وصح نزول غير أولي الضرر وحدها وهي بعض آية وكذا قوله وإن خفتم عيلة إلى آخر الآية نزلت بعد نزول أول الآية كما حررناه في أسباب النزول وذلك بعض آية

قال النكزاوي في كتاب الوقف كان القرآن ينزل مفرقا الآية والآيتين والثلاث والأربع وأكثر من ذلك.

وأخرجه ابن عساكر من طريق أبي نضرة قال كان أبو سعيد الخدري يعلمنا القرآن خمس آيات بالغداة وخمس آيات بالعشي ويخبر أن جبريل نزل بالقرآن خمس آيات خمس آيات.

المطلب الرابع

جمع القرآن الكريم

جمع القرآن ثلاث مرات[1] :

الجمع الأول : بحضرة النّبي - صلى الله عليه وسلم - ثم أخرج بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت قال : " كنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نؤلف القرآن من الرقاع[2]... " الحديث.

---

[1] الإتقان في علوم القرآن المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى : 911هـ) المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم (1/ 203) الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة : 1394هـ/ 1974 م

[2] الرقاع: جمع رقعة وقد تكون من جلد أو رق أو كاغد والأكتاف جمع كتف وهو العظم الذي للبعير أو الشاة كانوا إذا جف كتبوا عليه.

قال البيهقي : يشبه أن يكون أن المراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النّبي - صلى الله عليه وسلم -.

الجمع الثاني : بحضرة أبي بكر روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت قال : أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبوبكر : إنّ عمر أتاني فقال : إنّ القتل قد استحر بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن فقلت : لعمر كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ! قال عمر : وهو والله خير فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد : قال أبو بكر : إنك شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتتبع القرآن فاجمعه - فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن – قلت : كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ! قال : هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح به صدر أبي بكر وعمر. فتتبعت القرآن أجمعه من العسب[1] واللخاف[2] وصدور الرجال ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره : {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ}. حتى خاتمة براءة. فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر.

هل كان علي بن أبي طالب أول من جمع القرآن الكريم ؟

قال السيوطي : وأخرج ابن أبي داود في المصاحف بسند حسن عن عبد خير قال : سمعت عليا يقول : أعظم الناس في المصاحف أجرا أبو بكر رحمة الله على أبي بكر ! هو أول من جمع كتاب الله لكن أخرج أيضا من طريق ابن سيرين قال : قال علي : لما مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آليت ألا آخذ علي ردائي إلا لصلاة جمعة حتى أجمع القرآن فجمعه.

---

(1) العسب: جمع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض.

(2) اللخاف بكسر اللام وبخاء معجمة خفيفة آخره فاء : جمع لخفة بفتح اللام وسكون الخاء وهي الحجارة الدقاق، وقال الخطابي : صفائح الحجارة. والأقتاب : جمع قتب هو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه.

قال ابن حجر : هذا الأثر ضعيف لانقطاعه وبتقدير صحته فمراده بجمعه حفظه في صدره وما تقدم من رواية عبد خير عنه أصح فهو المعتمد.

وقال السيوطي : قلت : قد ورد من طريق آخر أخرجه ابن الضريس في فضائله : حدثنا بشر ابن موسى حدثنا هوذة بن خليفة حدثنا عون عن محمد بن سيرين عن عكرمة قال : لما كان بعد بيعة أبي بكر قعد علي بن أبي طالب في بيته فقيل لأبي بكر : قد كره بيعتك فأرسل إليه فقال : أكرهت بيعتي ؟ قال : لا والله، قال : ما أقعدك عني قال : رأيت كتاب الله يزاد فيه فحدثت نفسي ألا ألبس ردائي إلا لصلاة حتى أجمعه. قال له أبو بكر : فإنك نعم ما رأيت. قال محمد : فقلت لعكرمة : ألفوه كما أنزل الأول فالأول قال : لو اجتمعت الإنس والجن على أن يؤلفوه ذلك التأليف ما استطاعوا.

ما قيل في أنّ أول من جمع القرآن في مصحف سالم مولى أبي حذيفة :

قال السيوطي :ومن غريب ما ورد في أول من جمعه ما أخرجه ابن اشته في كتاب المصاحف من طريق كهمس عن ابن بريدة قال: أول من جمع القرآن في مصحف سالم مولى أبي حذيفة أقسم لا يرتدي برداء حتى يجمعه فجمعه ثم ائتمروا : ما يسمونه ؟ فقال بعضهم : سموه السفر قال : ذلك اسم تسميه اليهود فكرهوه فقال : رأيت مثله بالحبشة يسمى المصحف ؛ فاجتمع رأيهم على أن يسموه المصحف. إسناده منقطع أيضا وهو محمول على أنه كان أحد الجامعين بأمر أبي بكر.

الجمع الثالث :

والجمع الثالث هو ترتيب السور في زمن عثمان روى البخاري عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال لعثمان : أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل إلى حفصة: أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك. فأرسلت بها حفصة إ لى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف.

وأخرج ابن أشته من طريق أيوب عن أبي قلابة قال: حدثني رجل من بني عامر يقال له أنس بن مالك قال: اختلفوا في القراءة على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان والمعلمون فبلغ ذلك عثمان بن عفان فقال: عندي تكذبون به وتلحنون فيه فمن نأى عني كان أشد تكذيبا وأكثر لحنا. يا أصحاب محمد اجتمعوا فاكتبوا للناس إماما. فاجتمعوا فكتبوا فكانوا إذا اختلفوا وتدا رءوا في آية قالوا: هذه أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلانا فيرسل إليه وهو على رأس ثلاث من المدينة فقال له: كيف أقرأك رسول الله صلى الله عليه وسلم آية كذا وكذا ؟ فيقول: كذا وكذا، فيكتبونها وقد تركوا لذلك مكانا.

الفرق بين أبي بكر وعثمان في جمع القرآن الكريم

الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أنّ جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب جملته لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد فجمعه في صحائف مرتبا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النّبي - صلى الله عليه وسلم - وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض ؛ فخشي من تفاقم الأمر في ذلك ؛ فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتبا لسوره ، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجا بأنه نزل بلغتهم ، وإن كان قد وسع قراءته بلغة غيرهم رفعا للحرج والمشقة في ابتداء الأمر فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة.

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار: لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وإلغاء ما ليس كذلك وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أثبت مع تنزيل ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد.

الإجماع على أنّ ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة

الإجماع والنصوص المترادفة على أنّ ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك وأما الإجماع فنقله غير واحد منهم الزركشي في البرهان وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته وعبارته : ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه - صلى الله عليه وسلم -. وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين. انتهى.

وأما النصوص فمنها حديث زيد السابق: "كنا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - نؤلف القرآن من الرقاع ".

ومنها ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال: قلت لعثمان : ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " ووضعتموها في السبع الطول ؟ فقال عثمان : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تنزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا.

وكانت الأنفال من أوائل ما نزل في المدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها فقبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " ووضعتها في السبع الطول.

ومنها ما أخرجه أحمد بإسناد حسن عن عثمان بن أبي العاص قال : كنت جالسا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال : " أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة : {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى} إلى آخرها".

ومنها ما رواه مسلم عن عمر قال: ما سألت النّبي - صلى الله عليه وسلم - عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن بإصبعه في صدري وقال: " تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء. ومنها الأحاديث في خواتيم سورة البقرة.

ومنها ما رواه مسلم عن أبي الدرداء مرفوعا: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال " وفي لفظ عنده: "من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف ".

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار: ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم فقد كان جبريل يقول: "ضعوا آية كذا في موضع كذا ".

ترتيب السورهل هو توقيفي أيضا أو هو باجتهاد من الصحابة ؟

جمهور العلماء على الثاني منهم مالك والقاضي أبو بكر في قوليه.

قال ابن فارس: جمع القرآن على ضربين: أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين فهذا هو الذي تولته الصحابة وأما الجمع الآخر وهو جمع الآيات في السور فهو توقيفي تولاه النبي - صلى الله عليه وسلم - كما أخبر به جبريل عن أمر ربه. ومما استدل به لذلك اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور فمنهم من رتبها على النزول وهو مصحف علي كان أوله اقرأ ثم المدثر ثم ن ثم المزمل ثم تبت ثم التكوير وهكذا إلى آخر المكي والمدني وكان أول مصحف ابن مسعود البقرة ثم النساء ثم آل عمران على اختلاف شديد وكذا مصحف أبي وغيره.

وذهب إلى الأول جماعة منهم القاضي في أحد قوليه.

قال أبو بكر الأنباري : أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ثم فرقه في بضع وعشرين فكانت السورة تنزل لأمر يحدث والآية جوابا لمستخبر ويوقف جبريل النّبي - صلى الله عليه وسلم - على موضع الآية والسورة فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله عن النّبي - صلى الله عليه وسلم - فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن.

وقال الكرماني في البرهان : ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب وعليه كان - صلى الله عليه وسلم - يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه وعرضه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين وكان آخر الآيات نزولا : {وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ}، فأمره جبريل أن يضعها بين آيتي الربا والدين.

وقال الطيبي : أنزل القرآن أولا جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم نزل مفرقا على حسب المصالح ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ.

قال الزركشي في البرهان: والخلاف بين الفريقين لفظي لأن القائل بالثاني يقول إنه رمز إليهم بذلك ليعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته ولهذا قال مالك : إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النّبي - صلى الله عليه وسلم - مع قوله بأن ترتيب السور باجتهاد منهم فآل الخلاف إلى أنه : هل هو بتوقيف قولي أو بمجرد استناد فعلي بحيث بقي لهم فيه مجال للنظر وسبقه إلى ذلك أبو جعفر بن الزبير.

وقال البيهقي في المدخل : كان القرآن على عهد النّبي - صلى الله عليه وسلم - مرتبا سوره وآياته على هذا الترتيب إلا الأنفال وبراءة لحديث عثمان السابق ومال ابن عطية إلى أنّ كثيرا من السور كان قد علم ترتيبها في حياته - صلى الله عليه وسلم - كالسبع الطوال والحواميم والمفصل وإنّ ما سوى ذلك يمكن أن يكون قد فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده.

وقال ابن حجر : ترتيب بعض السور على بعضها أو معظمها لا يمتنع أن يكون توقيفيا قال : ومما يدل على أن ترتيبها توقيفي ما أخرجه أحمد وأبو داود عن أوس بن أبي أوس حذيفة الثقفي قال : كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف... الحديث، وفيه فقال لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " طرأ علي حزبي من القرآن فأردت ألا أخرج حتى أقضيه "، فسألنا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قلنا : كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا نحزبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل من "ق" حتى نختم.

قال : فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. قال : ويحتمل أن الذي كان مرتبا حينئذ حزب المفصل خاصة بخلاف ما عداه.

قال السيوطي : ومما يدل على أنه توقيفي كون الحواميم رتبت ولاء وكذا الطواسين ولم ترتب المسبحات ولاء بل فصل بين سورها وفصل بين طسم الشعراء وطسم القصص بطس مع أنها أقصر منهما ولو كان الترتيب اجتهاديا لذكرت المسبحات ولاء وأخرت طس عن القصص.

والذي ينشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفي إلا براءة والأنفال ولا ينبغي أن يستدل بقراءته سورا ولاء على أن ترتيبها كذلك وحينئذ فلا يرد حديث قراءته النساء قبل آل عمران لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب فلعله فعل ذلك لبيان الجواز.

المطلب الخامس

الأحرف السبعة

معنى الأحرف التي أرادها النّبي - صلى الله عليه وسلم –

فأما معنى الأحرف التي أرادها النّبي - صلى الله عليه وسلم - ههنا فإنه يتوجه إلى وجهين [1]:

أحدهما : أن يكون يعني بذكر أنّ القرآن أنزل على سبعة (أحرف سبعة) أوجه من اللغات لأنّ الأحرف جمع حرف في الجمع القليل مثل فلس وأفلس ورأس وأروس والحرف قد يراد به الوجه بدليل قوله تعالى : { {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِين} [الحج: 11]} فالمراد بالحرف ههنا الوجه الذي تقع عليه العبادة فلهذا سمي النّبي - صلى الله عليه وسلم - هذه الأوجه المختلفة من القراءات والمتغايرة من اللغات أحرفا على معنى أن كل شيء منها وجه على حدته غير الوجه الآخر كنحو قوله : { {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ } أي على وجه إن تغير عليه تغير عن عبادته وطاعته على ما بيناه.

---

[1] [الأحرف السبعة - أبو عمرو الداني] الكتاب : الأحرف السبعة للقرآن المؤلف : الداني أبو عمرو ص 7 وما بعدها الناشر : مكتبة المنارة - مكة المكرمة الطبعة الأولى، 1408 تحقيق : د. عبد المهيمن طحان عدد الأجزاء : 1

والوجه الثاني من معنى الأحرف : أن يكون - صلى الله عليه وسلم - سمى القراءات أحرفا على طريق السعة كنحو ما جرت عليه عادة في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه وما قاربه وجاوره وكان كسبب منه وتعلق به ضربا من التعلق وتسميتهم الجملة باسم البعض منها فلذلك سمي النّبي - صلى الله عليه وسلم - القراءة حرفا وإن كان كلاما كثيرا من أجل أنّ منها حرفا قد غير نظمه أو كسر أو قلب إلى غيره أو أميل أو زيد أو نقص منه على ما جاء في المختلف فيه من القراءة فلما كان ذلك نسب - صلى الله عليه وسلم - القراءة والكلمة التامة إلى ذلك الحرف المغير المحتلف اللفظ من القراءة فسمي القراءة - إذ كان ذلك الحرف منها - حرفا على عادة العرب في ذلك واعتمادا على استعمالها نحوه ألا ترى أنهم قد يسمون القصيدة قافية إذ كانت القافية منها كما قال : (وقافية مثل حد السنان.. . تبقى ويهلك من قالها) يعني وقصيدة فسماها قافية على طريق الاتساع.

وكذا يسمون الرسالة على نظامها والخطبة لكمالها والقصيدة كلها والقصة بأسرها كلمة إذ كانت الكلمة منها فيقولون قال قس في كلمته كذا يعنون خطبته وقال زهير في كلمته كذا يريدون قصيدته وقال فلان في كلمته كذا أي في رسالته.

قال الله تبارك وتعالى : { {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا} [الأعراف: 137] } فقال : إنما يعني بالكلمة ههنا قوله في سورة القصص : { {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6) } [القصص] } فسمي ما في الآيتين - (من) منة على بني إسرائيل وجعلهم أئمة ووارث الأرض وتمكينه إياهم إلى غير ذلك مما تضمنتا - كلمة فكذا سمى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القراءات أحرفا إذ كانت الأحرف المختلف فيها منها فخاطب - صلى الله عليه وسلم - من بالحضرة وسائر العرب في هذا الخبر من تسمية القراءة حرفا لما يستعملون في لغتهم وما جرت عليه عادتهم في منطقتهم.

الدليل على أنّ القرآن الكريم نزل بسبعة أحرف :

في صحيح البخاري[1] : عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْرَأَنِيهَا وَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ ثُمَّ لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا فَقَالَ لِي أَرْسِلْهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ اقْرَأْ فَقَرَأَ قَالَ هَكَذَا أُنْزِلَتْ ثُمَّ قَالَ لِي اقْرَأْ فَقَرَأْتُ فَقَالَ هَكَذَا أُنْزِلَتْ إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ.

وفيه [2]: - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : " أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ".

وفي سنن أبى داود[3] :عَنْ أُبَىِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ النَّبِىَّ - صلى الله عليه وسلم - كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ[4] بَنِى غِفَارٍ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ - صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ : " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ عَلَى حَرْفٍ. قَالَ « أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ إِنَّ أُمَّتِى لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ " ». ثُمَّ أَتَاهُ ثَانِيَةً فَذَكَرَ نَحْوَ هَذَا حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَءُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا ".

---

[1] صحيح البخاري ت (6/ 184).
[2] صحيح البخاري ت (8/ 270).
[3] سنن أبي داود (2/ 76).
[4] الأضاة : الماء المستنقع كالغدير

من هذه الأحاديث وغيرها قال علماء الأمة :

لما كان القرآن الكريم وحياً من الله تعالى، أنزل على سبعة أحرف، هي أيضاً من وحي الله، وبلاغ رسوله - صلى الله عليه وسلم -، فإن هذه الأحرف السبعة تعد الأساس الشرعي في تعدد القراءات القرآنية ، وربانية مصدرها الإلهي.

ومن جهة ثانية فالقرآن الكريم بكلماته وحروفه ذو لغة متميزة بخصائصها، وهي العربية التي نزل بها على أحرفه السبعة، فاتسع القول في مدلولات هذه الأحرف كثيراً، تبعاً لخصائص اللغة العربية، وما حملته من وحي معصوم. ولذلك التزم علماء الإسلام منهجاً علمياً منضبطاً، يتناسب وإدراكهم جلال هذا الموضوع وخطر شأنه، ووجوب تجلية وجه الحق فيه، بما يدمغ الباطل ويزهقه بالحجج العلمية المفندة لشبهات المستشرقين وتلامذتهم فيه.

أهم سمات الأحرف السبعة

ومن خلال نصوص الأحاديث هذه تبرز أهم سمات الأحرف السبعة ومقتضياتها فيما يلي :

(1) الأحرف السبعة أحداث بشواهد واقعية، تصور تعددًا في ألفاظ القراءة القرآنية التي أقرأها النّبي - صلى الله عليه وسلم - لصحابته، فالتزم كل منهم قراءته بالتوجيه النبوي (فاقرؤوا ما تيسر منه).

(2) تعددها (على حروف كثيرة) صواب بإطلاق، فلا تناقض بينها، وإنما تنوع وتغاير، (كلها شاف كاف).

(3) استناد تعدد الحروف إلى الوحي، بإقراء النّبي - صلى الله عليه وسلم - وإقراره (كذلك أنزلت) فهي توقيفية لا مدخل فيها لبشر.

(4) تحديد المراد بها غير واجب على التعيين، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يؤخر البيان عن وقت الحاجة، ولم يسأله الصحابة عنه، ولم يسأل التابعون الصحابة عنه، وقد يترجح بالقرائن لدى العلماء.

(5) ضرورة وجوب تلقيها بالمشافهة والتلقين لا بالتشهي بمقياس ما.

(6) صحة تسمية الحرف قراءة (كما في الحديث الأول) وتحديدها في الاستزادة النبوية بسبعة حقيقة، في الألفاظ لا المعاني.

(7) تيسيرها قراءة القرآن الكريم لجميع الأمة، بمراعاة الأعذارالضرورية فيها، معافاة من الله وتخفيفاً عليها، ونشراً للإسلام وكتابه الكريم.

(8) تحريم المراء في القرآن الكريم، بالنِزاع في حروفه الثابتة، أو إنكار حرف منها، فهو كفر.

حكمة إنزال القرآن على سبعة أحرف :

وأما وجه إنزال القرآن هذه السبعة أحرف ، وما الذي أراد تبارك اسمه بذلك ؟ فإنه إنما أنزل علينا توسعة من الله – تعالى - على عباده ورحمة لهم وتخفيفا عنهم عند سؤال النّبي - صلى الله عليه وسلم - إياه لهم ومراجعته له فيه لعلمه - صلى الله عليه وسلم- بما هم عليه من اختلاف اللغات واستصعاب مفارقة كل فريق منهم الطبع والعادة في الكلام إلى غيره فخفف تعالى عنهم وسهل عليهم بأن أقرهم على مألوف طبعهم وعادتهم في كلامهم.

والدليل على ذلك حديث حذيفة عنه - صلى الله عليه وسلم - حين لقي جبرئيل عليه السلام فقال له : إني أُرسلت إلى أمة أمية إلى آخره فقال : [إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف].

وكذا الحديث الذي رواه الحكم بن عتيبة عن مجاهد عن ابن أبي ليلى عن أبي عنه - صلى الله عليه وسلم - : أن جبرئيل أتاه بأضاة بني غفار فقال :

إنّ الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد فقال - صلى الله عليه وسلم - : أسأل الله المعافاة والرحمة إنّ ذلك ليشق على أمتي ولا يستطيعونه ثم أتاه الثانية فقال : إنّ الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين. فقال له مثل ما قال في الأولى حتى انتهى إلى سبعة أحرف قال : فمن قرأ بحرف منها فقد أصاب] ويمكن أن تكون هذه السبعة أوجه من اللغات فلذلك أنزل القرآن عليها.

أوجه اختلاف الأحرف السبعة :

وأما في أي شيء يكون اختلاف هذه السبعة أحرف ؟ فإنه يكون في أوجه كثيرة :

منها : تغير اللفظ نفسه وتحويله ونقله إلى لفظ آخر كقولك : (مالك يوم الدين) بغير ألف و { مالك } بألف و(السراط) بالسين و{ الصراط } بالصاد و(الزراط) بالزاي وبين الزاي والصاد و(ما يخادعون) بالألف و{ يخدعون } بغير ألف.

ومنها الإثبات والحذف كقوله تعالى { وقالوا اتخذ الله ولدا } { وسارعوا إلى مغفرة } { والذين اتخذوا مسجدا } بالواو وبغير واو و(بالزبر ورالكتاب) في آل عمران بالباء وبغير باء و{ ما عملته أيديهم } بالهاء وبغير هاء و{ فبما كسبت أيديكم } بالفاء وبغير فاء.

ومنها : تبديل الأدوات كقوله : (فتوكل على العزيز الرحيم) في الشعراء بالفاء { وتوكل } بالواو و (فلا يخاف عقباها) بالفاء و { ولا يخاف } بالواو

ومنها التوحيد والجمع كقوله : (الريح) و (الرياح) و { فما بلغت رسالته} و (رسالاته) و (آيات للسائلين) و { آيات } و { غيابة } و { غيابة } / و (سيعلم الكافر) و { الكفار }.

ومنها التذكير والتأنيث كقوله : { ولا يقبل منها شفاعة } بالياء والتاء و (فناداه الملائكة) و { فنادته الملائكة } و (استهونه الشياطين) و { استهوته} و (توفاه رسلنا) { توفته }

ومنها الاستفهام والخبر كقوله : (أأعجمي) و (أأذهبتم) و (أأن كان) بالإستفهام و { أعجمي } و { أذهبتم } و { أن كان } بالخبر وكذلك (أئنكم) و (أئن لنا) و (أإنك)

ومنها التشديد والتخفيف كقوله : (بما كانوا يكذبون) بشديد الذال وتحفيفها و { لكن الشياطين } و { لكن البر } بتشديد النون وتحفيفها و (تظاهرون) و (تظاهرون)

ومنها الخطاب والإخبار كقوله : { وما الله بغافل عما تعملون } و { أفلا تعقلون } و { لكن لا تعلمون } و { لا تظلمون } و { أم تقولون } و { ستغلبون وتحشرون } و (لو ترى اللذين ظلموا) و (ترونهم مثليهم) و { لتنذر أم القرى } و (أفبنعمة الله تجحدون) وما أشبه ذلك بالتاء على الخطاب وبالياء على الإخبار

ومنها الإخبار عن النفس والإخبار عن غير النفس كقوله : (يتبوأ منها حيث نشاء) بالنون و { يشاء } بالياء و(نجعل الرجس) بالنون والياء (ننبت لكم) بالنون والياء

ومنها التقديم والتأخير كقوله : { وقاتلوا وقتلوا } (وقاتلوا وقتلوا) { فيقتلون ويقتلون } و(فيقتلون ويقتلون) و{ كذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم } (وقتل أولادهم شركائهم) وما أشبه ذلك

ومنها النفي والنهي كقوله (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) بالجزم على النهي و { تسأل } بالرفع على النفي (ولا تشرك في حكمه أحدا) بالتاء والجزم على النهي { ولا يشرك } بالياء والرفع على النفي.

ومنها الأمر والإخباركقوله : { واتخذوا من مقام إبراهيم } بكسر الخاء على الأمر و(اتحذوا) بفتح الخاء على الإخبار و { قل سبحان ربي } و (قل ربي يعلم) و(قل ربي احكم) و{ قل إنما أدعو ربي } على الأمر و(قال) على الخبر وكذلك ما أشبهه.

ومنها تغيير الإعراب وحده كقوله : { وصية لأزواجهم } بالنصب والرفع و { تجارة حاضرة } بالنصب والرفع و { أرجلكم إلى الكعبين } بالنصب والجر و { الكفار أولياء } بالنصب والجر { حور عين } بالرفع والجر

ومنها تغير الحركات اللوازم كقوله : { ولا تحسبن } بكسر السين وفتحها و { من يقنط } و { يقنطون } بكسر النون وفتحها و { يعرشون } و { يعكفون} بكسر الراء والكاف وبضمهما

ومنها التحريك والتسكين كقوله : { خطوات الشيطان } بضم الطاء وبإسكانها و { على الموسع قدره وعلى المقتر قدره } بفتح الدال وإسكانها و { في الدرك } بإسكان الراء وبفتحها وكذلك { من المعز } و { يوم ظعنكم } بفتح العين وإسكانها

ومنها الإتباع وتركه : كقوله : { فمن اضطر } و { أن اعبدوا الله } و { لقد استهزئ } و { قالت اخرج } وشبهه بضم النون والدال والتاء لالتقاء الساكنين إتباعا لضم ما بعدهن وكسرهن للساكنين أيضا من غير إتباع

ومنها الصرف وتركه كقوله : { وعادا وثمود } و { ألا بعدا لثمود } بالتنوين وتركه وكذلك { سبإ } و { سبإ } و { سلاسل }.

ومنها اختلاف اللغات كقوله :{ جبريل } بكسر الجيم من غير همز وبفتحها كذلك و(جبرئل) بفتح الجيم والراء مع الهمز من غير مد وبالهمز والمد و{ ميكال } بغير همز و(ميكال) بالهمز من غير ساء وبالهمز وبالياء و{ إبراهيم } بالياء و(إبراهيم) بالألف.

ومنها التصرف في اللغات نحو الإظهار والإدغام والمد والقصر والفتح والإمالة وبين بين والهمز وتخفيفه بالحذف والبدل وبين بين والإسكان والروم والإشمام عند الوقف على أواخر الكلم والسكوت على الساكن قبل الهمز وما أشبه ذلك.

بقاء الأحرف السبعة مع تدوين القرآن الكريم :

بتدوين القرآن الكريم في المصاحف العثمانية وفق ما أنزل عليه من أحرفه السبعة بقيت محفوظة في السطور مع الصدور، - شأن القرآن - حفظاً إلهيا بقول الله سبحانه وتعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9) } [الحجر: 9، 10].

علاقة الأحرف السبعة بالقراءات القرآنية :

تعدُّ الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن الكريم أصلاً شرعياً في تنوع القراءات وتعددها، حيث هي وحي (كذلك أنزلت)، فهي للقراءات كالأصل للفرع، ويختلف العلماء في النسبة بينهما تبعاً لما يرجحه كل فريق في المراد بالأحرف: لغات ولهجات أو وجوه قراءات، من جهة، وفي كيفية رسمها على هذا المراد في المصحف من جهة أخرى.

أركان القراءات القرآنية :

القراءات القرآنية الصحيحة وحي الله تعالى، في كلامه المنَزل على رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم -، فلا مدخل فيها لبشر، غير التبليغ والتلقي والتعليم، فمصدرها الوحي الإلهي أولاً، ثم حملها الإقراء فنشرها على ما يقتضيه ذلك من ضوابط.

وقد تحققت للقراءات القرآنية الصحيحة كل مقاييس الضبط التام والتوثيق الكامل، في كل مراحل انتقالها من الوحي إلى واقع حياة الأمة الإسلامية.

فإذا ما تعددت وجوه هذه القراءات المنقولة في إطار هذا الضبط والتوثيق فإنما ذلك من لحظة تلقيها وحياً قرآنيا يجب الإيمان به كله، ومن ثم تسجيله محفوظاً لتنقله الأجيال، كما هو، قراءة، قراءة، كما تحفظه آية، آية، وكلٌّ حَقٌّ منَزَّل من عند الله، تلاه الصحابة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأقرأهم به وأقرهم عليه، فنشروه مع انتشارهم في الأرض، وتعليمهم التابعين من بعدهم، وكل يقرأ ويقرئ كما عُلِّم، فانتشرت متعددة منضبطة في كل عصر تبعاً لطرق الأخذ والرواية بالمشافهة التي يختارها القراء.

فتعد أركاناً ضرورية في صحة القراءة، واعتبارها وحياً قرآنيا ، وهي ثلاثة :

الركن الأول : المشافهة :

أ- فبعض أصحابه - صلى الله عليه وسلم - يكتبون عنه الوحي فور تلقيه ويسجلونه، وكلهم يقرؤون عليه ما يسمعونه منه، فيحفظونه ويتلونه دائماً، فعدت الكتابة الصحابية أصلاً لضابط يشترط التزام موافقة الرسم القرآني، الذي تنسخ عليه المصاحف بعد.
ب- ومن جهة أولى تعد القراءة والعرض على النّبي - صلى الله عليه وسلم -، وهو على جبريل إسماعاً واستماعاً، أصلاً أيضاً لضبط الرواية جيلاً عن جيل.

الركن الثاني :

موافقة رسم المصحف الذي خطه الصحابة، ونسخه عثمان - رضي الله عنه - في مصاحف الأمصار جميعها.

الركن الثالث :

موافقة اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم.

يقول ابن الجزري – رحمه الله – عنها : ((فقام جهابذة علماء الأمة، فبالغوا في الاجتهاد، وجمعوا الحروف والقراءات وعزوا الوجوه والروايات، وميزوا بين المشهور والشاذ، بأصول أصلوها، وأركان فصلوها، وها نحن نشير إليها فنقول : كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السَّلف والخلف)).

وهذه الضوابط، أو الأركان الثلاثة، هي التي يتعرض المستشرقون للطعن في قراءات القرآن الكريم، من جهة كل واحد منها أو من ثلاثتها مجتمعة.

المبحث الثامن

في أول ما نزل به الروح الأمين

على الصادق الأمين وفيه عدة مطالب

المطلب الأول : في أول ما نزل من القرآن الكريم.

المطلب الثاني : في رحاب نزول صدر سُورَةُ الْعَلَقِ.

المطلب الثالث : في رحاب نزول صدر سورة المزمل.

المطلب الرابع : في رحاب نزول صدر سورة المدثر.

المطلب الخامس : في رحاب نزول سورة الفاتحة.

المطلب الأول

أول ما نزل من القرآن الكريم

وفى ذلك أربعة أقوال [1]:

القول الأول :

إنّ أول ما نزل هو الآيات الأول من سورة اقرأ قال تعالى (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5))

ودليل أصحاب هذا الرأى من حديث البخارى ومسلم عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ والتى قالت فيه (أول ما بُدىء به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الوحى.. ..)

وهذا الحديث روته السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ وإن لم تعاين القصة ، إلا أنه إما أن تكون سمعتها من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسمعت هذ الحديث من صحابى سمعه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى كل فهو حديث متصل مرفوع[2] ، ومما يقوى هذا ما رواه الحاكم فى مستدركه والبيهقى فى (دلائل النبوة) وصححاه عن عائشة أنها قالت (أول سورة نزلت من القرآن اقرأ باسم ربك) ومرادها بالسورة صدرها.

القول الثاني :

أنّ أول ما نزل قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) ".

---

[1] المرشد الوافي في علوم القرآن د / محمد بسيوني فودة مطبعة الأمانة – مصر 1402 هـ / 1982م ص 21 وما بعدها

[2] الحديث المتصل : هو الحديث الذي اتصل إسناده بأخذ كل راوي عن من فوقه من أوله إلى منتهاه . والمرفوع اصطلاحا : هو ما أضيف إلي النّبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة

ودليل أصحاب هذا الرأى ما رواه الشيخان واللفظ لمسلم عن زهير بن حرب عن الوليد بن مسلم قال [1] :

حدثنا الأوزاعى قال : وحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ قَالَ سَمِعْتُ يَحْيَى يَقُولُ سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ : أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ ؟ قَالَ:{ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ }

فَقُلْتُ : أَوْ اقْرَأْ ؟ فَقَالَ : سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ : أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ ؟ قَالَ : { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ }. فَقُلْتُ : أَوْ اقْرَأْ ؟

قَالَ جَابِرٌ : أُحَدِّثُكُمْ مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : " جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ شَهْرًا فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الْوَادِي فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرَ أَحَدًا ثُمَّ نُودِيتُ فَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَ أَحَدًا ثُمَّ نُودِيتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ فِي الْهَوَاءِ يَعْنِي (جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام) فَأَخَذَتْنِي رَجْفَةٌ شَدِيدَةٌ فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ دَثِّرُونِي فَدَثَّرُونِي فَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً فَأَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ }(المدثر 1-4)

وقد رُدَّ على هذه الرواية أنها ليست نصا فى إثبات أول ما نزل من الوحى وفى سياق الرواية ما يدل على أول سورة المدثر ليس أول ما نزل مطلقا ففى هذه الرواية يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض- يعنى بذلك جبريل ومعنى ذلك أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد عرف جبريل من قبل.

وعلى ذلك فإن هذه الرواية حديث عما نزل بعد فِتْرَة الوحى.

---

[1] صحيح مسلم (1/ 13) ، م م - دلائل النبوة للبيهقي (2/ 155) ، مسند أحمد (22/ 192).

القول الثالث :

أنّ أول ما نزل من القرآن هو سورة الفاتحة ، وقد عزى هذا القول الزمخشرى إلى أكثر المفسرين وخالفه ابن حجر فقد صرح بأن هذا القول لم يقل به إلا عدد قليل منهم.

ودليل أصحاب هذا الرأى ما رواه البيهقى [1] فى دلائل النبوة والواجدى بسنده عن ابى ميسرة ـ عمرو بن شرحبيل ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لخديجة (إنى إذا خلوت وحدى سمعت نداء.. .....) وقد روينا الحديث

وقد رُدَّ على هذا القول بأن هذا الحديث ليس فيه ما يفيد بأن الفاتحة أول ما نزلت صراحة ، إذ يجوز أن تكون من أوائل ما نزلت ومن هؤلاء الذين ذهبوا إلى هذا القول الإمام البيهقى إذ يقول : فهذا منقطع [2] فإن كان محفوظا فيحتمل أن يكون خبراً عند نزولها بعد ما نزلت عليه (اقرأ باسم ربك ،و يا أيها المدثر) والله أعلم [3].

وقال ابن كثير تعليقاً على هذه الرواية [4] :

وهذا لفظ البيهقى ، وهو مرسل وفيه غرابة [5] ، وهو كون الفاتحة أول ما نزل ، ونقل الحلبى عن ابن كثير قوله : هذا الأثر غريب وفى إسناده ضعف [6] وانقطاع

---

[1] دلائل النبوة للبيهقي (2/ 158).
[2] المقطوع : هو ما أضيف إلي التابعي أو من دونه.
[3] نهاية كلام البيهقي
[4] السيرة النبوية لإبن كثير ج 1 ص 399.
[5] الحديث الغريب تعريفه اصطلاحاً : هو الحديث الذي تفرد به راوٍ واحد في كل حلقات بإسناده أو بعضها ولو في حلقة واحدة. ،ولا تضر الزيادة عن واحد في طبقات السند، لأن العبرة للأقل دون الأكثر.
[6] هو الذي فقد شرطاً أو أكثر من شروط القبول الخمسة ولم يجبر بجابر معتبر يرفعه إلي درجة الحسن. ـ *وشروط القبول هي :* (1) اتصال السند. (2) عدالة الراوي. (3) ضبط الرواة . (4) السلامة من الشذوذ. (5) السلامة من العلة القادحة.

القول الرابع :

أنّ أول ما نزل (بسم الله الرحمن الرحيم) ، ودليل أصحاب هذا الرأى ما أخرجه الواحدى بإسناده عن عكرمة والحسن قال : أول ما نزل من القرآن (بسم الله الرحمن الرحيم) وأول سورة نزلت (اقرأ باسم ربك الذى خلق) ورُدَّ على هذا القول : بأن هذا الحديث مرسل[1] فلا يُنَازِع المرفوع [2] ، ومما يثبت أن البسملة ليست أول ما نزل ما رُوى عن الشعبى والأعمش [3] أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يكتب (باسمك اللهم) حتى أُمر أن يكتب (بِسْمِ اللَّهِ) فكتبها فلما نزلت (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ) [الإسراء : 110]) كتب(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ) فلما نزلت (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [النمل : 30]) كتبها وفى مصنف أبى داوود قال الشعبى وأبو مالك وقتادة وثابت بن عمارة : أنّ النّبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم حتى نزلت سورة النمل.

المطلب الثاني

في رحاب نزول العشر آيات الأولى من سُورَةُ الْعَلَقِ :

اشتهرت تسمية هذه السورة في عهد الصحابة والتابعين باسم "سورة اقرأ باسم ربك".روي في "المستدرك" عن عائشة: "أول سورة نزلت من القرآن اقرأ باسم ربك" فأخبرت عن السورة ب {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} [العلق:1].

---

[1] الحديث المرسل اختلفوا في تعريفه على رأيين : الأول : هو الذي سقط من سنده راوٍ أو أكثر في أي موضع منه سواء أكان هذا السقوط من أول السند أو من وسطه أم من آخره، وعليه فإن المرسل شامل لكل من المنقطع والمعضل والمطلق. الثاني : هو الذي في سنده راوٍ روى عمن لم يأخذ الحديث منه مباشرة سواء أكان هذا الراوي من التابعين الكبار أم من التابعين الصغار أم من غيرهم من أتباع التابعين من هذا التعريف. إذا قيل إن مرسل التابعي حجة فإن ذلك يتعلق بعلم الفقه والأصول لا عند المحدثين.

[2] الحديث المرفوع اصطلاحا : هو ما أضيف إلي النّبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

[3] انظر تفسير القرطبي ج 1 ص 80 ط دار الريان للتراث بالقاهرة

وروي ذلك عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وأبي رجاء العطاردي ومجاهد والزهري، وبذلك عنونها الترمذي.

وسميت في المصاحف ومعظم التفاسير "سورة العلق" لوقوع لفظ "العلق" في أوائلها، وكذلك سميت في بعض كتب التفسير.

وعنونها البخاري: "سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق".

وتسمى "سورة اقرأ"، وسماها الكواشي في "التخليص" "سورة اقرأ والعلق".

وعنونها ابن عطية وأبو بكر بن العربي "سورة القلم" وهذا اسم سميت به "سورة ن والقلم" ولكن الذين جعلوا اسم هذه السورة "سورة القلم" يسمون الأخرى "سورة ن". ولم يذكرها في "الإتقان" في عداد السور ذات أكثر من اسم.

وهي مكية باتفاق.

وهي أول سورة نزلت في القرآن كما ثبت في الأحاديث الصحيحة الواضحة، ونزل أولها بغار حراء على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مجاور فيه في رمضان ليلة سبعة عشرة منه من سنة أربعين بعد الفيل إلى قوله: {عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق:5]. ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة عن عائشة. وفيه حديث عن أبي موسى الأشعري وهو الذي قاله أكثر المفسرين من السلف والخلف[1].

[1] التحرير والتنوير (30/ 382).

أغراضها :

تلقين محمد - صلى الله عليه وسلم - الكلام القرآني وتلاوته إذ كان لا يعرف التلاوة من قبل. والإيماء إلى أن علمه بذلك ميسر لأن الله الذي ألهم البشر العلم بالكتابة قادر على تعليم من يشاء ابتداء. وإيماء إلى أن أمته ستصير إلى معرفة القراءة والكتابة والعلم.

وتوجيهه إلى النظر في خلق الله الموجودات وخاصة خلقه الإنسان خلقا عجيبا مستخرجا من علقة فذلك مبدأ النظر.

وتهديد من كذب النبي - صلى الله عليه وسلم - وتعرض ليصده عن الصلاة والدعوة إلى الهدى والتقوى.

وإعلام النبي - صلى الله عليه وسلم - أن الله عالم بأمر من يناوونه وأنه قامعهم وناصر رسوله. وتثبيت الرسول على ما جاءه من الحق والصلاة والتقرب إلى الله.

وأن لا يعبأ بقوة أعداءه لأن قوة الله تقهرهم.

قال ابن كثير [1] : -

فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات وهُنَّ أول رحمة رَحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم. وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة، وأنّ من كَرَمه تعالى أن عَلّم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة، والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان، ذهني ولفظي ورسمي، والرسمي يستلزمهما من غير عكس، فلهذا قال : { اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } وفي الأثر : قيدوا العلم بالكتابة[2]. وفيه أيضا : "من عمل بما علم رزقه الله علم ما لم يكن يعلم [3].

وفي الكشاف [4] : -

" اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) "

---

[1] تفسير ابن كثير (8/ 422).

[2] في سنن الدارمي (1/ 437) عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ عَمِّهِ : عَمْرِو بْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ : قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ.وفي المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص - (1 / 188) عن عطاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قيدوا العلم قلت : و ما تقييده : قال : كتابته تعليق الذهبي قي التلخيص : ابن المؤمل ضعيف

[3] في سنن الدارمي (1/ 383) عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ : يَا حَمَلَةَ الْعِلْمِ اعْمَلُوا بِهِ، فَإِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَوَافَقَ عِلْمُهُ عَمَلَهُ، وَسَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يُخَالِفُ عَمَلُهُمْ عِلْمَهُمْ وَتُخَالِفُ سَرِيرَتُهُمْ عَلاَنِيَتَهُمْ يَجْلِسُونَ حِلَقاً فَيُبَاهِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ عَلَى جَلِيسِهِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى غَيْرِهِ وَيَدَعَهُ، أُولَئِكَ لاَ تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ تِلْكَ إِلَى اللَّهِ.

[4] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (4/ 781).

عن ابن عباس ومجاهد : هي أول سورة نزلت وأكثر المفسرين على أنّ الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم. محل { باسم رَبّكَ } النصب على الحال، أي : اقرأ مفتتحاً باسم ربك، قل : بسم الله، ثم اقرأ. فإن قلت : كيف قال : { خَلَقَ } فلم يذكر له مفعولاً، ثم قال : { خَلَقَ الإنسان } ؟ قلت : هو على وجهين : إما أن لا يقدّر له مفعول وأن يراد أنه الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه. وإما أن يقدّر ويراد خلق كل شيء، فيتناول كل مخلوق، لأنه مطلق، فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض. وقوله : { خَلَقَ الإنسان } تخصيص للإنسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق؛ لأن التنزيل إليه وهو أشرف ما على الأرض. ويجوز أن يراد : الذي خلق الإنسان، كما قال : { الرحمن عَلَّمَ القرءان خَلَقَ الإنسان } [الرحمن : 1 - 2 - 3] فقيل : { الذى خَلَقَ } مبهماً، ثم فسره بقوله : { خَلَقَ الإنسان } تفخيماً لخلق الإنسان. ودلالة على عجيب فطرته.

وفي التفسير الوسيط [1] : - وقد افتتحت السورة الكريمة بطلب القراءة من النّبى - صلى الله عليه وسلم - مع أنه كان أميا لتهيئة ذهنه لما سيلقى عليه صلى الله عليه وسلم من وحى.. فقال - سبحانه - : { اقرأ باسم رَبِّكَ الذي خَلَقَ }. أى : اقرأ - أيها الرسول الكريم - ما سنوحيه إليك من قرآن الكريم- ما سنوحيه إليك من قرآن كريم - ولتكن قراءتك ملتبسة باسم ربك، وبقدرته وإرادته، لا باسم غيره، فهو - سبحانه - الذى خلق الأشياء جميعها، والذى لا يعجزه أن يجعلك قارئاً، بعد كونك لم تكن كذلك.

وقال الرازي [2] : - { اقرأ باسم رَبّكَ } اعلم أن في الباء من قوله : { باسم رَبّكَ } قولين : أحدهما : قال أبو عبيدة : الباء زائدة، والمعنى : اقرأ اسم ربك، كما قال الأخطل : هن الحرائر لا ربات أخمرة.. . سود المحاجر لا يقرأن بالسور.

---

[1] التفسير الوسيط للشيخ طنطاوي (15/ 453).
[2] تفسير الفخر الرازى (ص: 4786).

ومعنى اقرأ اسم ربك، أي أذكر اسمه، وهذا القول ضعيف لوجوه أحدها : أنه لو كان معناه اذكر اسم ربك ما حسن منه أن يقول : ما أنا بقارىء، أي لا أذكر اسم ربي وثانيها : أن هذا الأمر لا يليق بالرسول، لأنه ما كان له شغل سوى ذكر الله، فكيف يأمره بأن يشتغل بما كان مشغولاً به أبداً وثالثها : أن فيه تضييع الباء من غير فائدة.

القول الثاني : أن المراد من قوله : { اقرأ } أي اقرأ القرآن، إذ القراءة لا تستعمل إلا فيه قال تعالى : { فَإِذَا قرأناه فاتبع قُرْءانَهُ } [القيامة : 18] وقال : { وَقُرْءانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى الناس على مُكْثٍ } [الإسراء : 106] وقوله : { باسم رَبّكَ } يحتمل وجوهاً أحدها : أن يكون محل باسم ربك النصب على الحال فيكون التقدير : اقرأ القرآن مفتتحاً باسم ربك أي قل : باسم الله ثم اقرأ، وفي هذا دلالة على أنه يجب قراءة التسمية في ابتداء كل سورة كما أنزل الله تعالى وأمر به، وفي هذه الآية رد على من لا يرى ذلك واجباً ولا يبتدىء بها وثانيها : أن يكون المعنى اقرأ القرآن مستعيناً باسم ربك كأنه يجعل الاسم آلة فيما يحاوله من أمر الدين والدنيا، نظيره كتبت بالقلم، وتحقيقه أنه لما قال له : { اقرأ } فقال له : لست بقارىء، فقال : { اقرأ باسم رَبّكَ } أي استعن باسم ربك واتخذه آلة في تحصيل هذا الذي عسر عليك وثالثها : أن قوله : { اقرأ باسم رَبّكَ } أي اجعل هذا الفعل لله وافعله لأجله كما تقول : بنيت هذه الدار باسم الأمير وصنعت هذا الكتاب باسم الوزير ولأجله، فإن العبادة إذا صارت لله تعالى، فكيف يجترىء الشيطان أن يتصرف فيما هو لله تعالى؟ فإن قيل : كيف يستمر هذا التأويل في قولك : قبل الأكل بسم الله، وكذا قبل كل فعل مباح ؟

قلنا : فيه وجهان أحدهما : أن ذلك إضافة مجازية كما تضيف ضيعتك إلى بعض الكبار لتدفع بذلك ظلم الظلمة، كذا تضيف فعلك إلى الله ليقطع الشيطان طمعه عن مشاركتك، فقد روى أن من لم يذكر اسم الله شاركه الشيطان في ذلك الطعام والثاني : أنه ربما استعان بذلك المباح على التقوى على طاعة الله فيصير المباح طاعة فيصح ذلك التأويل فيه.

المسألة الثالثة : اتفق المتكلمون على أن أول الواجبات معرفة الله تعالى، أو النظر في معرفة الله أو القصد إلى ذلك النظر على الاختلاف المشهور فيما بينهم، ثم إن الحكيم سبحانه لما أراد أن يبعثه رسولاً إلى المشركين، لو قال له : اقرأ باسم ربك الذي لا شريك له، لأبوا أن يقبلوا ذلك منه، لكنه تعالى قدم ذلك مقدمة تلجئهم إلى الاعتراف به كما يحكى إن زفر لما بعثه أبو حنيفة إلى البصرة لتقرير مذهبه، فلما ذكر أبو حنيفة زيفوه ولم يلتفتوا إليه، فرجع إلى أبي حنيفة. وأخبره بذلك، فقال إنك لم تعرف طريق التبليغ، لكن ارجع إليهم، واذكر في المسألة أقاويل أئمتهم ثم بين ضعفها، ثم قل بعد ذلك : ههنا قول آخر، واذكر قولي وحجتي، فإذا تمكن ذلك في قلبهم، فقل : هذا قول أبي حنيفة لأنهم حينئذ يستحيون فلا يردون، فكذا ههنا أن الحق سبحانه يقول : إن هؤلاء عباد الأوثان، فلو أثنيت علي وأعرضت عن الأوثان لأبوا ذلك، لكن اذكر لهم أنهم هم الذين خلقوا من العلقة فلا يمكنهم إنكاره، ثم قل : ولا بد للفعل من فاعل فلا يمكنهم أن يضيفوا ذلك إلى الوثن لعلمهم بأنهم نحتوه، فبهذا التدريج يقرون بأني أنا المستحق للثناء دون الأوثان، كما قال تعالى :

{ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله } [الزخرف : 87] ثم لما صارت الإلهية موقوفة على الخالقية وحصل القطع بأن من لم يخلق لم يكن إلهاً، فلهذا قال تعالى : { أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ } [النحل : 17] ودلت الآية على أن القول بالطبع باطل، لأن المؤثر فيه إن كان حادثاً افتقر إلى مؤثر آخر، وإن كان قديماً فإما أن يكون موجباً أو قادراً، فإن كان موجباً لزم أن يقارنه الأثر فلم يبق إلا أنه مختار وهو عالم لأن التغير حصل على الترتيب الموافق للمصلحة.

المطلب الثالث

في رحاب ما نزل من صدر سورة المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم

{يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (4) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (5) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (6) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (7) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (8) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (9) وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (10)} [المزمل: 1 - 10]

المعنى الإجمالي للآيات [1]:

1، 2، 3، 4- يا أيها المتلفف بثيابه، قُمْ الليل مصلياً إلا قليلاً، قُمْ نصفْ الليل أو انقص من النصف قليلاً حتى تصل إلى الثلث، أو زد على النصف حتى تصل إلى الثلثين، واقرأ القرآن متمهلاً مبيناً للحروف والوقوف قراءة سالمة من أى نقصان.

5- إنا سنلقى عليك - أيها الرسول - قرآناً مشتملاً على الأوامر والنواهى والتكاليف الشاقة.

6- إن العبادة التى تكون بالليل، هى أشد رسوخاً فى القلب، وأبْيَن قولاً، لما يكون بالليل من هدوء وصفاء.

7- إن لك فى النهار تقلباً فى مصالحك، واشتغالاً بأمور الرسالة، ففرِّغ نفسك ليلاً لعبادة ربك.

8- وأجر على لسانك ذكر اسم مَن تعهدك بالخلق والتربية، وانقطع لعبادته من كل شئ انقطاعاً تاماً.

---

[1] تفسير المنتخب المؤلف : لجنة من علماء الأزهر(3/ 20)

9- هو مالك المشرق والمغرب لا معبود بحق إلا هو، فاتخذه كافياً لأمورك، كفيلاً بما وعدك.

10- واصبر على ما يقولون من الأباطيل، وجانبهم بقلبك، وخالفهم فى أفعالهم، مع الإغضاء عنهم. وترك الانتقام منهم.

في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ) خطاب للنّبي - عليه الصلاة والسلام - تنبيهاً له وإعلاماً بأهمية وعظم شأن ما سيوجه إليه ويكلف القيام به، وهو أمر من الله سبحانه وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام أن يترك التزمل وهو التغطي والتلفف. ولهذه قال اللغويون المزمل المتلف في ثيابه واصله المتزمل فأدغمت التاء في الزاي فثقلت وكل من التف بثوبه فقد تزمل وعلى هذا لم يخاطب بالنبي والرسول هنا لأنه لم يكن قد بلغ وإنما كان في بدء الوحي.

وقيل خوطب به النّبي - صلى الله عليه وسلم - تهجينا لما كان عليه من الحالة حيث كان - عليه الصلاة والسلام - متلففاً بقطيفة مستعداً للنوم كما يفعله من لا يهمه أمر ولايعنيه شأن فأمر بأن يترك التزمل إلى التشمير للعبادة.

وهذا الخطاب للنّبي - صلى الله عليه وسلم - في أول الوحي قبل تبليغ الرسالة ثم خوطب عبد بالنبي والرسول والمزمل اسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب. ونداؤه - عليه الصلاة والسلام - بهذا الوصف ((يَا أَيُّهَاالْمُزَّمِّلُ) في هذا المقام يراد به تأنيسه وملاطفته والتودد إليه، وقد يعدل عن نداء الشخص باسمه إلى صفة متلبس بها إيناساً وملاطفة له لنفسه للقيام بمهمة يكلف بها، كقول النّبي - صلى الله عليه وسلم - لعلي حين غاضب فاطمة - رضي الله عنهما - فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب فقال له قم ياأبا تراب ، وكذلك قوله -عليه السلام- لحذيفة : قم يا نومان.

وقال السهيلي : ليس المزمل باسم من أسماء النّبي - صلى الله عليه وسلم- ولم يعرف به كما ذهب إليه بعض الناس وعدوه في أسمائه عليه السلام وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان إحداهما الملاطفة فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النّبي - صلى الله عليه وسلم - لعلي حين غاضب فاطمة - رضي الله عنهما - فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب فقال له : قم ياأبا تراب إشعارا له أنه غير عاتب عليه وملاطفة له وكذلك قوله -عليه السلام – لحذيفة : قم يا نومان. وكان نائما ملاطفة له ، وإشعارا لترك العتب والتأنيب فقول الله – تعالى - لمحمد - صلى الله عليه وسلم – " يأيها المزمل قم " فيه تأنيس وملاطفة ليستشعر أنه غير عاتب عليه.

والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله ليتنبه إلى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة

وقيل أنّ الأصل في النداء أن يكون باسم المنادى العلم إذا كان معروفاً عند المتكلم، فلا يعدل من الاسم العلم إلى غيره من وصف أوإضافة إلا لغرض يقصده البلغاء، من تعظيم أو تكريم نحو (يَا أَيُّهَا النَّبِي)، أو تلطف وتقرب نحو يابني ويأأبت، أو قصد تهكم نحو (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ)، . . ...فنداء النبي بـ (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ) نداء تلطف وارتفاق.

قول السيوطي في سبب نزول صدر المزمل [1] : -

قال السيوطي : أخرج البزار والطبراني بسند واه عن جابر قال اجتمعت قريش في دار الندوة فقالت سموا هذا الرجل اسما يصدر عنه الناس قالوا كاهن قالوا ليس بكاهن قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون قالوا ساحر قالوا ليس بساحر فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فتزمل في ثيابه فتدثر فيها فأتاه جبريل فقال : يا ايها المزمل يا أيها المدثر وأخرج ابن أبي حاتم عن إبراهيم النخعي في قوله يا أيها المزمل قال : نزلت وهو في قطيفة.

وأخرج الحاكم عن عائشة قالت : لما نزلت "يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا.. " قاموا سنة حتى ورمت أقدامهم ؛ فأنزلت " فاقرأوا ما تيسر منه...." ، وأخرج ابن جرير ابن جرير مثله عن ابن عباس وغيره.

وعن أغراض السورة قال ابن عاشور[2] :

وأغراضها : الإشعار بملاطفة الله - تعالى - رسوله - صلى الله عليه وسلم - بندائه بوصفه بصفة تزمله.

واشتملت على الأمر بقيام النّبي - صلى الله عليه وسلم - غالب الليل والثناء على طائفة من المؤمنين حملوا أنفسهم على قيام الليل.

وعلى تثبيت النّبي - صلى الله عليه وسلم - بتحمل إبلاغ الوحي.

---

[1] لباب النقول في أسباب النزول المؤلف : جلال الدين السيوطي (1 / 204).
[2] التحرير والتنوير (29/ 237).

المطلب الرابع

نزول صدر سورة المدثر

بسم الله الرحمن الرحيم

" يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (7) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (8) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (9) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (10)".

روى جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أنّ النّبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « كُنْتُ عَلى جَبلِ حِراءَ، فنُودِيتُ يا مُحَمَّدُ، إنَّكَ لرَسُولٌ، فنَظرْتُ عَنْ يَمِينِي، ويسَارِي، فَلمْ أرَ أحَداً فنَظرْتُ فَوْقِي فَرأيتُ المَلكَ الذي جَاءَنِي بحِراءَ جَالِساً عَلى كُرسِي بَيْنَ السَّماءِ والأرْضِ، فَخِفْتُ فَرجَعْتُ إلى خَدِيْجَةَ، فقلتُ : دَثِّرُوني، وصبُّوا عليَّ ماءاً بارداً »، فأنزلَ اللَّهُ تعالى : {ياأيها المدثر } [1].

وقال ابن عاشور[2] : تُسَمَّى فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ «سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ» وَكَذَلِكَ سُمِّيَتْ فِي الْمَصَاحِفِ الَّتِي رَأَيْنَاهَا وَمِنْهَا كُتُبٌ فِي الْقَيْرَوَانَ فِي الْقَرْنِ الْخَامِس.

وَأُرِيد المدثّر النَّبِي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَوْصُوفًا بِالْحَالَةِ الَّتِي نُودِيَ بِهَا، كَمَا سُمِّيَتْ بَعْضُ السُّورِ بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ ذُكِرُوا فِيهَا. وَإِمَّا تَسْمِيَةٌ بِاللَّفْظِ الَّذِي وَقَعَ فِيهَا.

---

[1] تفسير اللباب لابن عادل (ص: 5095).
[2] التحرير والتنوير (29/ 271).

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ حَكَى الِاتِّفَاقَ عَلَى ذَلِكَ ابْنُ عَطِيَّةَ وَالْقُرْطُبِيُّ وَلَمْ يَذْكُرْهَا فِي «الْإِتْقَانِ» فِي السُّوَرِ الَّتِي بَعْضُهَا مَدَنِيٌّ. وَذَكَرَ الْأَلُوسِيُّ أَنَّ صَاحِبَ «التَّحْرِيرِ» (مُحَمَّدَ بْنَ النَّقِيبِ الْمَقْدِسِيَّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ 698 لَهُ تَفْسِيرٌ) ذَكَرَ قَوْلَ مُقَاتِلٍ أَوْ قَوْلَهُ تَعَالَى: وَما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً [المدثر: 31] إِلَخْ نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ اهـ. وَلَمْ نَقِفْ عَلَى سَنَدِهِ فِي ذَلِكَ وَلَا رَأَيْنَا ذَلِكَ لِغَيْرِهِ.

جَاءَ فِيهَا مِنَ الْأَغْرَاضِ تَكْرِيمُ النَّبِيءِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالْأَمْرُ بِإِبْلَاغِ دَعْوَةِ الرِّسَالَةِ. وَإِعْلَانُ وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ بِالْإِلَهِيَّةِ. وَالْأَمْرُ بِالتَّطَهُّرِ الْحِسِّيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ. وَنَبْذُ الْأَصْنَامِ. وَالْإِكْثَارُ مِنَ الصَّدَقَاتِ.

وَالْأَمْرُ بِالصَّبْرِ. وَإِنْذَارُ الْمُشْرِكِينَ بِهَوْلِ الْبَعْثِ. وَتَهْدِيدُ مَنْ تَصَدَّى لِلطَّعْنِ فِي الْقُرْآنِ وَزَعَمَ أَنَّهُ قَوْلُ الْبَشَرِ وَكُفْرُ الطَّاعِنِ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ فَأَقْدَمَ عَلَى الطَّعْنِ فِي آيَاتِهِ مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهَا حَقٌّ. وَوَصْفُ أَهْوَالِ جَهَنَّمَ. وَالرَّدُّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ اسْتَخَفُّوا بِهَا وَزَعَمُوا قِلَّةَ عَدَدِ حَفَظَتِهَا. وَتَحَدِّي أَهْلِ الْكِتَابِ بِأَنَّهُمْ جَهِلُوا عَدَدَ حَفَظَتِهَا. وَتَأْيِيسُهُمْ مِنَ التَّخَلُّصِ مِنَ الْعَذَابِ. وَتَمْثِيلُ ضَلَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَمُقَابَلَةُ حَالِهِمْ بِحَالِ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالتَّصْدِيقِ بِيَوْمِ الْجَزَاءِ.

و{ المدثر } لابس الدثار، وهو ما فوق الشعار : وهو الثوب الذي يلي الجسد. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : " الأنصار شعار والناس دثار "[1].

وقال الخازن في تفسيره [2] : - قوله عز وجل- : يا أيها المدثر أصله المتدثر وهو الذي يتدثر في ثيابه ليستدفىء بها، وأجمعوا على أنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإنما سماه مدثراً لقوله - صلى الله عليه وسلم - دثروني، وقيل معناه يا أيّها المدثر بدثار النّبوة والرّسالة من قولهم ألبسه الله لباس التقوى، فجعل النّبوة كالدثار واللباس، مجازاً

---

[1] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (4/ 647).
[2] تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (4/ 362).

" قُمْ فَأَنْذِرْ (2) " : قم قيام عزم وتصميم { فَأَنذِرْ } فحذر قومك من عذاب الله إن لم يؤمنوا. والصحيح أنّ المعنى : فأفعل الإنذار من غير تخصيص له بأحد { وَرَبَّكَ فَكَبّرْ } واختص ربك بالتكبير : وهو الوصف بالكبرياء؛ وأن يقال : الله أكبر. ويروى : أنه لما نزل قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «الله أكبر». فكبرت خديجة وفرحت، وأيقنت أنه الوحي؛ وقد يحمل على تكبير الصلاة، ودخلت الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل : وما كان فلا تدع تكبيره.

{ وَثِيَابَكَ فَطَهّرْ } أمر بأن تكون ثيابه طاهرة من النجاسات ؛ لأنّ طهارة الثياب شرط في الصلاة لا تصح إلا بها، وهي الأولى والأحب في غير الصلاة، وقبيح بالمؤمن الطيب أن يحمل خبثاً.

وقيل : هو أمر بتقصيرها، ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول، وذلك ما لا يؤمن معه إصابة النجاسة.

وقيل : هو أمر بتطهير النفس مما يستقذر من الأفعال ويستهجن من العادات. يقال : فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل والأردان إذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الأخلاق. وفلان دنس الثياب للغادر ؛ وذلك لأنّ الثوب يلابس الإنسان ويشتمل عليه، فكنى به عنه. ألا ترى إلى قولهم : أعجبني زيد ثوبه، كما يقولون : أعجبني زيد عقله وخلقه، ويقولون : المجد في ثوبه، والكرم تحت حلته ؛ ولأنّ الغالب أنّ من طهر باطنه ونقاه عنى بتطهير الظاهر وتنقيته، وأبى إلا اجتناب الخبث وإيثار الطهر في كل شيء.

«والرجز» قرىء بالكسر والضم، وهو العذاب، ومعناه : اهجر ما يؤدي إليه من عبادة الأوثان وغيرها من المآثم. والمعنى : الثبات على هجره؛ لأنه كان بريئاً منه.

" وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (7) " :

أي : ولا تعط مستكثرًا رائيًا لما تعطيه كثيرًا، أو طالبًا للكثير : نهى عن الاستغزار : وهو أن يهب شيئاً وهو يطمع أن يتعوّض من الموهوب له أكثر من الموهوب، وهذا جائز. ومنه الحديث : " المستغزر يثاب من هبته " وفيه وجهان، أحدهما : أن يكون نهيًا خاصًا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؛ لأنّ الله – تعالى - اختار له أشرف الآداب وأحسن الأخلاق، والثاني : أن يكون نهي تنزيه لا تحريم له ولأمته.

وفي المحرر الوجيز [1] : - واختلف المتأولون في معنى قوله تعالى : { ولا تمنن تستكثر }. فقال ابن عباس وجماعة معه : لا تعط عطاء لتُعطى أكثر منه، فكأنه من قولهم، من إذا أعطى، قال الضحاك، وهذا خاص بالنّبي - عليه السلام -، ومباح لأمته لكن لا أجر لهم فيه. قال مكي : وهذا معنى قوله تعالى : { وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله } [الروم : 39]، وهذا معنى أجنبي من معنى هذه السورة. وحكى النقاش عن ابن عباس أنه قال : { ولا تمنن تستكثر } لا تقل دعوت فلم أُجب ، وروى قتادة أن المعنى لا تدل بعملك، ففي هذا التأويل تحريض على الجد وتخويف، وقال ابن زيد : معناه { ولا تمنن } على الناس بنبوءتك { تستكثر } بأجر أو بكسب تطلبه منهم.

وقال الحسن بن أبي الحسن : معناه { ولا تمنن } على الله بجدك { تستكثر } أعمالك ويقع لك بها إعجاب، فهذه كلها من المن الذي هو تعديد اليد وذكرها. وقال مجاهد : معناه ولا تضعف { تستكثر } ما حملناك من أعباء الرسالة وتستكثر من الخير، فهذه من قولهم حبل منين أي ضعيف.

---

[1] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - (5/ 364).

{ وَلِرَبّكَ فاصبر } ولوجه الله فاستعمل الصبر. وقيل : على أذى المشركين. وقيل : على أداء الفرائض. وعن النخعى : على عطيتك، كأنه وصله بما قبله، وجعله صبرًا على العطاء من غير استكثار، والوجه أن يكون أمراً بنفس الفعل، وأن يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه، ويراد الصبر على أذى الكفار؛ لأنه أحد ما يتناوله العام.

" فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (8) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (9) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ(10)"

و{ الناقور } الذي ينفخ فيه وهو الصور، قاله ابن عباس وعكرمة. وروي أنّ النّبي - صلى الله عليه وسلم - قال لأصحابه : « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقمه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ » ففزع أصحاب النّبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : كيف نقول يا رسول الله ؟

قال : « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا ». و{ يوم عسير } معناه في عسر في الأمور الجارية على الكفار فوصف اليوم بالعسر لكونه ظرف زمان له. وكذلك تجيء صفته باليسر[1].

قال د/ الصلابي [2]:

عرف النبي - صلى الله عليه وسلم - معرفة اليقين أنه أصبح نبياً لله الرحيم الكريم وجاء جبريل - عليه السلام - للمرة الثانية وأنزل الله على نبيه قوله تعالى: { يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ صدق الله العظيم قُمْ فَأَنذِرْ صدق الله العظيم وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ صدق الله العظيم وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ صدق الله العظيم } (سورة المدثر، الآيات: 1 الى 4). كانت هذه الآيات المتتابعة إيذاناً للرسول - صلى الله عليه وسلم - بأن الماضي قد انتهى بمنامه وهدوئه، وأنه أمامه عمل عظيم يستدعي اليقظة والتشمير، والإنذار والإعذار، فليحمل الرسالة، وليوجه الناس، وليأنس بالوحي، وليقوَ على عنائه فانه مصدر رسالته ومدد دعوته

---

[1] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - دار الكتب العلمية (5/ 364).
[2] السيرة النبوية - دروس وعبر في تربية الأمة وبناء الدولة (3/ 111)

وتعد هذه الآيات أول أمر بتبليغ الدعوة، والقيام بالتبعة. وقد أشارت هذه الآيات الى أمور هي خلاصة الدعوة المحمدية، والحقائق الاسلامية التي بني عليها الاسلام كله، وهي الوحدانية والإيمان باليوم الآخر، وتطهير النفوس، ودفع الفساد عن الجماعة، وجلب النفع(كانت هذه الآيات تهييجاً لعزيمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لينهض بعبء ماكُلِّفه من تبليغ رسالات ربه، فيمضي قُدُماً بدعوته، لايبالي العقبات والحواجز، كان هذا النداء متلطف { يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}إيذاناً بشحذ العزائم، وتوديعاً لأوقات النوم والراحة وجاء عقب هذا النداء الأمر الجازم بالنهوض {قُمْ}في عزيمة ناهضة، وقوة حازمة، تتحرك في اتجاه تحقيق واجب التبليغ، وفي مجئ الأمر بالإنذار منفرداً على التبشير في أول خطاب وجَّه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد فترة الوحي إيذان بأن رسالته تعتمد على الكفاح الصبور، والجهاد المرير، ثم زادت الآيات في تقوية عزيمة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وشدِّ أزره، وحضَّه على المضي قُدماً إلى غاية ما أمر به، غير عابئ بما يعترض طريقه من عقبات، مهما يكن شأنها فقيل له، { وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ}أي لاتعظم شيئاً من أمور الخلق، ولايتعاظمك منهم شيء، فلا تتهيب فعلاً من أفعالهم، ولاتخشى أحداً منهم، ولاتعظِّم إلا ربك الذي تعهدك وأنت في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، فربّاك على موائد فضله، ورعاك بإحسانه وجوده حتى أخرجك للناس نبياً ورسولاً، بعد أن أعدّك خلْقاً وخُلُقاً لتحمل أمانة أعظم رسالاته { وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ}، فكل تعظيم وتكبير وإجلال حق لله تعالى وحده، لايشاركه فيه أحد، أو شيء من مخلوقاتهوفي قوله { وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}، فكأنه قيل له - صلى الله عليه وسلم -، فأنت على طهرك وتطهُّرك بفطرتك في كمال إنسانيتك بما جبلك الله عليه من أكرم مكارم الأخلاق، وبما حباك به من نبوته ليعدَّك بها ليومك هذا أحوج إلى أن تزداد في تطهرك النفسي، فتزداد من المكارم في حياتك مع الناس والأشياء، فأنت اليوم رسول الله الى العالمين، وكمال الرسالة في كمال الخُلق الاجتماعي، صبراً، وحلماً، وعفواً، وإحساناً، ودؤوباً على الجد في

تبليغ الدعوة الى الله تعالى، ولايثنيك إيذاء، ولا يقعدك عن المضي الى غايتك فادح البلاء.

وفي قوله: {والرجز فأهجر}؛ فكأنه قيل له - صلى الله عليه وسلم -: ليكن قصدك ونيتك في تركك ماتركت فطرة وطبعاً هجره تكليفاً وتعبُّداً، لتكون قدوة أمتك، وعنوان تطهرها بهداية رسالتك.

المطلب الخامس

في رحاب نزول سورة الفاتحة

سورة الفاتحة عند معظم أهل التفسير مكية ومن أوائل ما نزل من القرآن. ذكر الواحدي في أسباب النزول رواية عن أبي ميسرة[1] : " أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا برز سمع مناديا يناديه : يا محمد، فإذا سمع الصوت انطلق هاربا، فقال له ورقة بن نوفل : إذا سمعت النداء فاثبت حتى تسمع ما يقول لك : قال : فلما برز سمع النداء : يا محمد، فقال : لبيك، قال : قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، ثم قال : قل الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ما لك يوم الدين حتى فرغ من فاتحة الكتاب " وهذا قول علي ابن أبي طالب.

وقد علق ابن حجر في العجاب على كلام الواحدي فقال[2] : افتتح الواحدي كتابه بذكر أول ما نزل من القرآن ثم بذكر آخر ما نزل ثم بنزول البسملة ثم بنزول الفاتحة وساق الاختلاف هل هي مكية أو مدنية ثم أسند من طريق أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال : أول ما نزل به جبريل على النبي قال يا محمد استعذ ثم قل بسم الله الرحمن الرحيم ،والراوي له عن أبي روق ضعيف فلا ينبغي أن يحتج به.

---

(1) أسباب نزول القرآن المؤلف : الواحدي (1 / 21)

(2) [العجاب في بيان الأسباب - إبن حجر العسقلاني] (1/ 222).

ثم أسند من طريق يزيد النحوي عن عكرمة والحسن قالا : أول ما نزل من القرآن بسم الله الرحمن الرحيم وهذا مرسل ولعل قائله تأول الأمر في قوله تعالى اقرأ باسم ربك وإلى ذلك أشار السهيلي فقال : ويستفاد من هذه الآية ابتداء القراءة بالبسملة وأما خصوص نزول البسملة سابقا ففي صحته نظر.

وقد أسند الواحدي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : قام النبي بمكة فقال بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين و هذا إن ثبت دل على أن الفاتحة مكية.

ومن طريق أبي ميسرة أحد كبار التابعين أنّ رسول الله كان إذا برز سمع مناديا ينادي يا محمد ؛ فإذا سمع الصوت انطلق هاربا ؛ فقال له ورقة بن نوفل : إذا سمعت النداء فاثبت حتى تسمع ما يقول لك. فلما برز سمع النداء فقال : لبيك. قال : قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم قل الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم حتى فرغ من فاتحة الكتاب. قلت : وهو مرسل ورجاله ثقات فإن ثبت حمل على أنّ ذلك كان بعد قصة غار حراء ولعله كان بعد فترة الوحي والعلم عند الله تعالى.

ثم أسند من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان النّبي لا يعرف ختم السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم ، وهذا رواته ثقات.

وأخرجه أبو داود لكنه اختلف في وصله و إرساله وأورد الواحدي له شاهدين بسندين ضعيفين.

قال الجعبري يؤخذ من هذا أن لنزول البسملة سببين أحدهما التبرك بالإبتداء بها والثاني الفصل بين السورتين والله أعلم.

الحكمة من افتتاح المصحف بسورة الفاتحة :

جمعت سورة الفاتحة كل مقاصد القرآن الكريم ثم فصلت كل سورة القرآن بعدها هذه السورة يقول السيوطي[1] : افتتح سبحانه كتابه بهذه السورة، لأنها جمعت مقاصد القرآن، ولذلك كان من أسمائها : أم القرآن، وأم الكتاب، والأساس فصارت كالعنوان وبراعة الاستهلال قال الحسن البصري : إنّ الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن، ثم أودع علوم القرآن في المفصل، ثم أودع علوم المفصل في الفاتحة فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة أخرجه البيهقي في شعب الإيمان وبيان اشتمالها على علوم القرآن قرره الزمخشري، باشتمالها على الثناء على الله بما هو أهله، وعلى التعبد، والأمر والنهي، وعلى الوعد والوعيد، وآيات القرآن لا تخرج عن هذه الأمور قال الإمام فخر الدين : المقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة : الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر فقوله : (الحمدُ للهِ رَبِ العالمين) يدل على الإلهيات، وقوله : (مالكِ يومِ الدين) يدل على نفي الجبر، وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدره وقوله (إهدِنا الصِراطَ المُستَقيم) إلى آخر السورة يدل على إثبات قضاء الله، وعلى النبوات، فقد اشتملت هذه السورة على المطالب الأربعة، التي هي المقصد الأعظم من القرآن.

وأورد الواحدي حديثين في فضل الفاتحة : عن علي بن أبي طالب -عليه السلام - قال : " نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش ".

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقرأ عليه أبي بن كعب أم القرآن، فقال : " والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها، إنها لهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته ".

---

[1] أسرار ترتيب القرآن (ص: 49).

لمسات بيانية في سورة الفاتحة [1] : -

معنى الحمد : الثناء على الجميل من النعمة أو غيرها مع المحبة والإجلال، فالحمد أن تذكر محاسن الغير سواء كان ذلك الثناء على صفة من صفاته الذاتية كالعلم والصبر والرحمة أم على عطائه وتفضله على الآخرين. ولا يكون الحمد إلا للحي العاقل.

وهذا أشهر ما فرق بينه وبين المدح فقد تمدح جمادا ولكن لا تحمده ؛ وقد ثبت أن المدح أعم من الحمد. فالمدح قد يكون قبل الإحسان وبعده ؛ أما الحمد فلا يكون إلا بعد الإحسان، فالحمد يكون لما هو حاصل من المحاسن في الصفات أو الفعل فلا يحمد من ليس في صفاته ما يستحق الحمد؛ أما المدح فقد يكون قبل ذلك فقد تمدح إنساناً ولم يفعل شيئا من المحاسن والجميل ولذا كان المدح منهياً عنه ؛ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " احثوا التراب في وجه المداحين " بخلاف الحمد فإنه مأمور به فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من لم يحمد الناس لم يحمد الله".

وبذا علمنا من قوله : الحمد لله" أن الله حي له الصفات الحسنى والفعل الجميل فحمدناه على صفاته وعلى فعله وإنعامه ولو قال المدح لله لم يفد شيئا من ذلك، فكان اختيار الحمد أولى من اختيار المدح.

ولم يقل سبحانه الشكر لله لأن الشكر لا يكون إلا على النعمة ولا يكون على صفاته الذاتية فانك لا تشكر الشخص على علمه أو قدرته وقد تحمده على ذلك.

---

[1] الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم (1 / 212 وما بعدها) جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة علي بن نايف الشحود

قال : الحمد لله ولم يقل أحمد الله أو نحمد الله وما قاله أولى من وجوه عدة: إن القول " أحمد الله " أو " نحمد الله " مختص بفاعل معين ففاعل أحمد هو المتكلم وفاعل نحمد هم المتكلمون في حين أن عبارة "الحمد لله" مطلقة لا تختص بفاعل معين وهذا أولى فإنك إذا قلت " أحمد الله " أخبرت عن حمدك أنت وحدك ولم تفد أن غيرك حمده وإذا قلت " نحمد الله " أخبرت عن المتكلمين ولم تفد أن غيركم حمده في حين أن عبارة "الحمد لله" لا تختص بفاعل معين فهو المحمود على وجه الإطلاق منك ومن غيرك.

وقول " أحمد الله " تخبر عن فعلك أنت ولا يعني ذلك أن من تحمده يستحق الحمد؛ في حين إذا قلت " الحمد لله" أفاد ذلك استحقاق الحمد لله وليس مرتبط بفاعل معين.

وقول " أحمد الله " أو " نحمد الله " مرتبط بزمن معين لأن الفعل له دلالة زمنية معينة، فالفعل المضارع يدل على الحال أو الاستقبال ومعنى ذلك أن الحمد لا يحدث في غير الزمان الذي تحمده فيه، ولا شك أن الزمن الذي يستطيع الشخص أو الأشخاص الحمد فيه محدود وهكذا كل فعل يقوم به الشخص محدود الزمن فإن أقصى ما يستطيع أن يفعله أن يكون مرتبطا بعمره ولا يكون قبل ذلك وبعده فعل فيكون الحمد أقل مما ينبغي فإن حمد الله لا ينبغي أن ينقطع ولا يحد بفاعل أو بزمان في حين أن عبارة "الحمد لله" مطلقة غير مقيدة بزمن معين ولا بفاعل معين فالحمد فيها مستمر غير منقطع.

جاء في تفسير الرازي أنه لو قال " احمد الله " أفاد ذلك كون القائل قادرا على حمده، أما لما قال "الحمد لله" فقد أفاد ذلك، أنه كان محمودا قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين فهؤلاء سواء حمدوا أم لم يحمدوا فهو تعالى محمود من الأزل إلى الأبد بحمده القديم وكلامه القديم.

وقول "أحمد الله" جملة فعلية و"الحمد لله" جملة اسمية والجملة الفعلية تدل على الحدوث والتجدد في حين أن الجملة الاسمية دالة على الثبوت وهي أقوى وأدوم من الجملة الفعلية.

فاختيار الجملة الاسمية أولى من اختيار الجملة الفعلية ههنا إذ هو أدل على ثبات الحمد واستمراره.

وقول "الحمد لله" معناه أن الحمد والثناء حق لله وملكه فانه تعالى هو المستحق للحمد بسبب كثرة أياديه وأنواع آلائه على العباد. فقولنا "الحمد لله" معناه أن الحمد لله حق يستحقه لذاته ولو قال "احمد الله" لم يدل ذلك على كونه مستحقا للحمد بذاته ومعلوم أن اللفظ الدال على كونه مستحقاً للحمد أولى من اللفظ الدال على أن شخصاً واحداً حمده.

والحمد : عبارة عن صفة القلب وهي اعتقاد كون ذلك المحمود متفضلا منعما مستحقا للتعظيم والإجلال.

فإذا تلفظ الإنسان بقوله : "أحمد الله" مع أنه كان قلبه غافلا عن معنى التعظيم اللائق بجلال الله كان كاذبا لأنه أخبر عن نفسه بكونه حامدا مع انه ليس كذلك. أما إذا قال "الحمد لله" سواء كان غافلاً أو مستحضراً لمعنى التعظيم فإنه يكون صادقاً لأن معناه: أن الحمد حق لله وملكه وهذا المعنى حاصل سواء كان العبد مشتغلاً بمعنى التعظيم والإجلال أو لم يكن فثبت أن قوله "الحمد لله" أولى من قوله أحمد الله أو من نحمد الله.

حكم قراءة سورة الفاتحة في الصلاة [1]:

ذهب الجمهور من المالكية، والشافعية والحنابلة إلى أن قراءة الفاتحة ركن في كل ركعة، لقوله عليه الصلاة والسلام : لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب. إلا أنّ الشافعية قالوا : هي ركن مطلقا، والراجح عند المالكية : أنها فرض لغير المأموم في صلاة جهرية وفي المذهب عدة أقوال.

وذهب الحنفية إلى أنّ قراءة الفاتحة في الصلاة ليست بركن، ولكن الفرض في الصلاة عندهم قراءة ما تيسر من القرآن. لقوله تعالى : {فاقرءوا ما تيسر من القرآن }.

ووجه الاستدلال بهذه الآية أنّ الله تعالى أمر بقراءة ما تيسر من القرآن مطلقا، وتقييده بفاتحة الكتاب زيادة على مطلق النص، وهذا لا يجوز ؛ لأنه نسخ فيكون أدنى ما يطلق عليه القرآن فرضا لكونه مأمورا به.

---

[1] الموسوعة الفقهية الكويتية (25/ 132وما بعدها).

المبحث التاسع

فترة الوحي

وفيه عدة مطالب

المطلب الأول :الحكمة من فتور الوحى

المطلب الثاني : مدة فترة الوحى.

المطلب الثالث : هل تعدد إبطاء الوحى عليه - صلى الله عليه وسلم - ؟

المطلب الرابع : أول ما نزل بعد فترة الوحى.

المطلب الأول

فترة الوحي

فى الحديث الذى رواه البخارى[1] عن عروة عن عائشة - رضى الله عنها - قال الراوى : ثمَّ لم ينشب ورقة أنّ تُوفىَّ وفَتَر الوحى.

فما الحكمة من انقطاع الوحى ومدة هذا الانقطاع والحالة التى كان عليها النّبى - صلى الله عليه وسلم - حال فترة الوحى ، وأول ما نزل بعد هذه الفترة.

الحكمة من فتور الوحى :

يكاد يجمع رأى العلماء على أنّ الحكمة فى فترة الوحى هو ذهاب ما قد وجده من الروع ، ليحصل له التشوق إلى العود، فلما تقلصت ظلال الحيرة وثبتت أعلام الحقيقة وعرف - صلى الله عليه وسلم - معرفة اليقين أنّه - صلى الله عليه وسلم - أضحى نبياً لله الكبير المتعال ، وأنّ ما جاءه سفير الوحى ينقل إليه خبر السماء ، وصار تشوقه وارتقابه لمجيء الوحى سبباً فى ثباته واحتماله عندما يعود ، وجاءه جبريل للمرة الثانية.

والمتأمل فى الحكمة من فترة الوحى يجد أنها عين الحكمة وليضع كل منا نفسه أمام رجل جاءه البشير أنّه اختير مَلِكاً للبلاد أو وزيراً للبلاط ، وما كان يسع خياله أن يعتقد فى نفسه ذلك. أو حتى كان يأمل فيه ، وحتى لو كان أخبره بعض العرافين أوجاءته الأخبار بأنّ له مُلكاً ينتظره.

---

[1] صحيح البخاري ج 4 ص 316 كتاب التعبير حديث رقم 6982 ط مكتبة الإيمان تحقيق طه عبد الرءوف سعد وانظر الكامل في التاريخ لإبن الأثير ج 2 ص 31 وتاريخ الطبري ج 2 ص 305

فالفارق كبير بين رؤيا العلم أو العراف ورؤيا العين ، عندئذ يحتاج الرجل منا إلى وقفة يستعيد فيها نفسه التى تشتت من هول المفاجأة ولا يتصور أحدًا أن الذى بشره بذلك أفرد له فى الوقت ذاته قواعد ونظم منصبه الجديد وأمره بالعمل مباشرة.

كل هذا لأمر دنيوى بَشرى مؤقت زائل ، فما بالكم بأمر الدنيا والدين والحياة والآخرة أمر المَلِك الأعظم.

واختيار النّبى الأكرم الخاتم الذى كم طال انتظاره ، والذى كم ترقب الأحبار والرهبان خروجه ، لذا كان لابد أن يفتر الوحى.

فإن قيل لم يحدث ذلك لمن قبله ، قلنا إنّ حال النّبى الخاتم - صلى الله عليه وسلم - يتباين مع من قبله من المرسلين ، فهم أصحاب ثقافات وحضارات ، وأصحاب رسل وبشارات وقد اعتادوا على الرسل حتى أنّ القوم ليوجد بينهم أكثر من نبى فى وقت واحد ، وقد يكون الأب نبى ثم الابن نبى بعد أبيه ، أما فى حالته - صلى الله عليه وسلم - فلم تعرف جزيرة العرب بعد إبراهيم نبياً ، بل كان الاعتقاد أنّ الأنبياء من بنى إسرائيل فقط وهكذا اختلفت الأحوال فاختلف وقع الوحى على الرسول الخاتم - صلى الله عليه وسلم -.

المطلب الثاني

مدة فترة الوحى

لم يتفق الرواة على تحديد مدة فترة الوحى وإنما اختلفوا فى ذلك ، فمن قائل : كانت اثني عشر يوما ، ومن قائل : كانت خمسة عشر يوما ، ومن قائل خمسة وعشرين ، وقيل أربعين ، وقيل قريباً من سنتين أو أكثر وقيل ثلاث.

قال السهيلى [1] :

وذكر فترة الوحى عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم - ولم يذكر مقدار مدة الفترة ، وقد جاء فى بعض الأحاديث المسندة أنها كانت سنتين ونصف سنة فمن هنا يتفق ما قاله انس بن مالك أنّ مكثه بمكة كان عشر سنين ، وقول ابن عباس ثلاث عشرة سنة وكان قد ابتدئ بالرؤيا الصادقة ستة أشهر فمَنْ عَدَّ مدة الفترة وأضاف إليها الأشهر الستة كانت كما قال ابن عباس ، ومن عدها من حين حمى الوحى وتتابع كما فى حديث جابر كانت عشر سنين ، ووجه آخر فى الجمع بين القولين أيضا وهو أنّ الشعبى قال : وُكِّلَ اسرافيل - عليه السلام - بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ثلاث سنين ثم جاءه بالقرآن جبريل [2].

وعارض ابن حجر فى أول كتاب الفتح ما قاله السهيلي وقال [3] :

وهذا الذى اعتمده السهيلى من الاحتجاج بمرسل الشعبى لا يثبت وقد عارضه ما جاء عن ابن عباس أنّ مدة الفترة المذكورة كانت أياما ، أما ابن كثير فلم يجزم بمدة الفترة ولكنه قال: وقد قال بعضهم : كانت مدة الفترة قريباً من سنتين او سنتين ونصفاً. كما قال الشَّعبى وغيره.

هذا وقد اختلف المعاصرون من كُتَّاب السيرة أيضا فى مدة فترة الوحى ، فبعضهم أيد ما جزم به ابن إسحاق بأن فترة الوحى ثلاث سنين كمحمد رضا [4].

---

[1] الروض الأنف ت السلامي (2/ 281) الروض الأنف ت السلامي (2/ 281).

[2] نهاية قول السهيلي

[3] فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (1 / 27) الناشر : دار المعرفة - بيروت، 1379 تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي عدد الأجزاء : 13أو ط دار الريان للتراث ج1 ص 37.

[4] انظر كتاب (محمد رسول الله) لمحمد رضا ص 84 ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان

والبعض قال بأنها كانت أياما كالمباركافورى فى الرحيق [1] ومنهم من حدد عدد هذه الأيام كالطيب النجار فى سيرته حيث قال [2] : وأرجح الأقوال إنها أربعون يوما ، ولكن هذه المدة على قصرها مرت على الرسول - صلى الله عليه وسلم - كأنها أربعين سنة ، ولا عجب فى ذلك فقد اشتد به الشوق لنزول الوحى عليه وخاف أن يكون الله قد حرمه من هذه النعمة الكبرى. ، ولم يذكر الطيب النجار أسباب ترجيحه لهذه المدة.

أما د/ دراز فقد أيد رواية أحمد فى حديثه المرسل عن الشعبى وقال :[3] وقد حُددت هذه الفترة فى حديث مرسل رواه أحمد عن الشعبى بأنها كانت سنتين ونصف سنه ، وظاهر رواية البخارى التى نقلناها لكم عن كتاب التعبير لا ينافى هذا التقدير ، وأما ما روى عن ابن عباس أن الفترات التى كان يسكن فيا جأش الرسول إنما كانت أياماً ثم يُعاوُدهُ الحزن فإنه لا يعارض رواية الشعبى لأنه لا تحديد فى كلام ابن عباس لمجموع مدة الفترة فكلتا الروايتين صحيح.

وبعد فقد ضممت مدة فترة الوحى إلى مدة الرؤيا كان مجموعهما ثلاث سنين وهى مدة النبوة التى لم يؤمر فيها بالتبليغ ثم نزلت (يا أيها المدثر قم فأنذر.. ...)

فكان هذا أول ما تقلد مهمة التبليغ والرسالة بالفعل فمكث على ذلك عشرين سنة نصفها في مكة ، ونصفها فى المدينة وبهذا يُجمَعُ بين الروايات المختلفة فى مدة إقامته - صلى الله عليه وسلم – بمكة بعد الوحى وهى ثلاث عشرة سنة إذا حُسِبت مدة الرسالة وحدها والله أعلم [4].

---

(1) كتاب الرحيق المختوم لصفي الرحمن المبارك فوري ط دار الريان للتراث ص 80
(2) كتاب القول المبين في سيرة سيد المرسلين د محمد الطيب النجار ص 79
(3) كتاب المختار من كنوز السنة النبوية د. محمد عبد الله دراز ص 38 -39
(4) نهاية قول د /دراز

المطلب الثالث

هل تعدد إبطاء الوحى علي النّبي - صلى الله عليه وسلم - :

المتأمل فى أحداث سيرته - صلى الله عليه وسلم – يجد أنّ إبطاء الوحى لم يحدث مرة واحدة على ما هو مشهور ، ولعل تعدد هذا الإبطاء هو الذى دعى كتَّاب السيرة إلى الاختلاف فى مدة الإبطاء ، والاختلاف فيما نزل بعد فترة الوحى.

وقد سجلت كتب السيرة أربعة أحداث أبطأ فيها الوحى مع الاختلاف فى مدة هذا الإبطاء وأسبابه أيضا وما نزل بعد كل ابطاء.

وعلى ما يبدو أنّ فترة الوحى الأولى وهى أشهر هذه الإبطاءات الأربعة لأهميتها وطولها قد جعلت البعض يغفل عن الابطاءات الثلاثة الأخرى.

الإبطاء الأول :

وهو المعروف بفترة الوحى فقد ذكرناه تفصيلاً وهو الذى حدث بعد مجيء جبريل - عليه السلام - للمرة الأولى بإقرأ.

أما الثاني : والذي ذكر البعض أنّه نزلت بعدها سورة الضحى ، فقد اختلفوا فى مدتها حيث قال القرطبى [1] : وكان جبريل - عليه السلام - أبطأ على النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال المشركون : لاه الله وودعه ، فنزلت الآية.

وقال ابن جريج : احتبس عنه الوحى اثني عشر يوما وقال ابن عباس : خمسة عشر يوما ، وقيل خمسة وعشرين يوما ، وقال مقاتل أربعين يوما.

---

[1] الجامع لأحكام القرآن المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ط دار الريان للتراث ج 1 ص 7182

فقال المشركون : إن محمد ودعه ربه وقلاه ولو كان أمره من الله لتابع عليه كما كان يفعل بن كان قبله من الأنبياء.

وفى البخارى سبب آخر لنزول هذه السورة (والضحى) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا الْأَسْوَدُ بْنُ قَيْسٍ قَالَ : سَمِعْتُ جُنْدُبَ بْنَ سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ [1] : اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ : " وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ".

وفى الترمذى [2]:

حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ جُنْدَبٍ الْبَجَلِيِّ قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي غَارٍ فَدَمِيَتْ أُصْبُعُهُ فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – "هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ "

قَالَ وَأَبْطَأَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ قَدْ وُدِّعَ مُحَمَّدٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى(مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)

قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رَوَاهُ شُعْبَةُ وَالثَّوْرِيُّ عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ

قال القرطبى : وهو أصح ما قيل فى ذلك والله أعلم.

وذكر القرطبى قولاً آخر لإبطاء الوحى ثم نزوله (بالضحى) وهو ما رواه عن خَوْلَة وكانت تخدم النبى - صلى الله عليه وسلم - أن جَروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات ، فمكث نبى الله - صلى الله عليه وسلم - أيامًا لا ينزل عليه الوحى فقال : يا خَوْلَة ما حدث فى بيتى ؟ ما لجبريل لا

---

[1] صحيح البخاري ت (12/ 342).
[2] سنن الترمذي ت شاكر (5/ 442).

يأتينى ؟ قالت خَوْلَة : فقلت لو هيأت البيت وكنسته فأهويت المكنسة تحت السرير فإذا جَروُ ميت فأخذته فألقيته خلف الجدار فجاء النبى - صلى الله عليه وسلم - ترعد لحياه وكان إذا نزل عليه الوحى استقبلته الرعدة فقال :

يا خَوْلَة دثرينى فأنزل الله هذه السورة.

ولما نزل جبريل - عليه السلام - سأله النبى - صلى الله عليه وسلم - عن التأخر- فقال عليه السلام - أما علمت أنَّا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة.

الإبطاء الثالث : والذى نزل بعده عتاب الله - عز وجل - لرسوله - صلى الله عليه وسلم - على قوله للكفار حين سألوه عن الروح والفتية وذى القرنين فقال : غداً أخبركم بجواب أسئلتكم ولم يستثنى فى ذلك. فاحتبس الوحى عنه خمسة عشر يوما حتى شق ذلك عليه ، وارجف الكفار به فنزلت عليه هذه السورة مفرحة ، وأمر فى هذه الآية ألا يقول فى أمر من الأمور إنى أفعل غدا كذا ، إلا أن يعلق ذلك بمشيئة الله - عز وجل - حتى لا يكون محققا لحكم الخبر فإنه إذا قال : لأفعلن ذلك ولم يفعل كان كاذباً ، وإذا قال: لأفعلن ذلك إن شاء الله خرج عن أن يكون محققا للمخبَر عنه.

وقد ذكر القرطبى[1] فى وضع آخر اختلاف العلماء فى مدة احتباس الوحى هذه المرة.

فقد روى عن مجاهد وقتادة وعكرمة والضحاك ومقاتل والكلبى : احتبس جبريل عن النبى - صلى الله عليه وسلم - حين سأله قومه عن قصة أصحاب الكهف وذى القرنين والروح ولم يدر ما يجيبهم ، ورجا أن يأتيه جبريل - عليه السلام - بجواب ما سألوه عنه. قال عكرمة : فأبطأ الوحى عليه أربعين يوما ، وقال مجاهد : اثنتي عشرة ليلة ، وقيل خمسة عشر يوما ، وقيل ثلاثة عشر ، وقيل ثلاثة أيام فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - أبطأت علىَّ حتى ساء ظني واشتقت إليك ، فقال جبريل - عليه السلام - أنى كنت أشوق ، ولكنى عبدُ مأمور إذا بُعثت نزلت وإذا حُبست احتبست.

[1] تفسير القرطبي ج 6 ص 4167 – 4168.

، فنزلت الآية (وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (64) [مريم : 64]. وأنزل (والضحى).

الإبطاء الرابع في حادثة الإفك :

لما قدم جيش المسلمين المدينة من غزوة بني المصطلق أفاض أهل الإفك في الحديث ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ساكت لا يتكلم ، ويزداد المنافقون إفكا ونفاقا ويظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم بعد ما بقيت الألسنة تخوض في حادثة الإفك قريبًا من الشهر والرسول لا يوحى إليه ثم نزلت في تبرئة أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ من الإفك عشر آيات من القرآن الكريم.

هذه هى فترات إبطاء الوحى التى ذكرت فى كتب التفسير والسيرة ، والمتأمل فى كل إبطاء يجد فيه دروساً للنبى - صلى الله عليه وسلم - وقد أوضحنا مقصود الفترة الأولى والتى كانت أكثرهم زمنا ، وأشهرهم سيرة أما الإبطاءات الأخرى فهى كما ورد فى الكهف وإما تعليما له على ما يجب أن يكون عليه حال المكان الذى ينزل فيه الوحى من خلوه من صورة كلب أو جرس ، وتعليما للأمة أيضا بمنع هذه الأشياء فى بيتها لأنها تمنع دخول الملائكة ناهيك عن الدرس الأكبر لمن أنكروا رسالته - صلى الله عليه وسلم - من انه لو كان القرآن من تأليفه ما تأخر عن الرد عن هؤلاء اليهود حتى لا يُعَرِض نفسه للحرج أمامهم ، فإن قيل إنما كان لا يجد رداً على أسئلتهم أو خاف أن يرد بشيء يكشف كذبه وافترائه وادعائه قلنا بأنه - صلى الله عليه وسلم - لو كان كذلك فلو فرض انه كذب أولا فمن السهل أن يكذب عليهم ثانيا أما خوفه أن يكشف أمامهم فقد خالفهم أولا فى عقيدتهم وفضح أمر تبديلهم لشريعة الله ، فلو خالفهم ثانيا لكان ذلك الأمر معتادا فلا يُطعن فى قوله ويرد أقوالهم بعدم الإيمان به لعنادهم.

وإبطاء الوحي في حادثة الإفك دروسه أكبر من أن تحصى ، فدليل آخر على أنه لا ينطق عن الهوى ، وبينان عملي لكشف وجوه المنافقين ، ودرس للمؤمنين فيما يجب عليهم في مثل هذه المواقف ، والكثير والكثير مما لا يسع المقام لذكره.

المطلب الرابع

أول ما نزل بعد فترة الوحى [1]

ترددت الأقوال فى أول ما نزل من القرآن بعد فترة الوحى بين مطلع سورة المدثر والمزمل والقلم وسورتى الضحى والفاتحة.

أما مطلع المدثر فقد أوردنا الحديث فى رواية مسلم عن جابر بن عبد الله حين كان يحدث عن فترة الوحى والحديث خرجه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح.

وقد أَوَّل العلماء الحديث على أن مقصود جابر أن أول ما نزل من القرآن بعد فترة الوحى (المدثر).

وقد روى مسلم عن الأوزاعى قال : سمعت يحيى يقول : سألت أبا سلمة : أي القرآن انزل قبل ؟ قال المدثر ، قال : فقلت أو أقرأ ؟ فقال : سألت جابر.. ..إلى آخر الحديث وأما مطلع المزمل فقد ورد فيها نفس ما ورد فى مطلع المدثر. قال القرطبى فى سبب نزولها : وقيل كان هذا فى ابتداء ما أوحى إليه ، فإنه لما سمع قول الملك ونظر إليه أخذته الرعدة فأتى أهله فقال (زملونى دثرونى) وروى معناه عن ابن عباس

وقيل : إنما خاطبه بالمزمل والمدثر فى أول الأمر لأنه لم يكن بعد أدثر شيئا من تبليغ الرسالة. قال ابن عربى : واختُلف فى تأويل يا أيها المزمل فمنهم من حمله على حقيقته قيل له : يا من تلفف فى ثيابه أو فى قطيفته قم

---

[1] تفسير القرطبي ج 10 ص 6824.

، قاله إبراهيم وقتادة ، ومنهم من حمله على المجاز كأنه قيل له : يا من تزمل بالنبوة ، وقاله عكرمة (أى تحمل بها)

وقيل فى سبب نزول المدثر : ينطبق على هذه السورة من ناحية سبب نزولها ووقت نزولها ما سبق ذكره عن سورة المزمل فهناك روايات بأنها هى أول ما نزل بعد سورة العلق ورواية أخرى بأنها نزلت بعد الجهر بالدعوة وإيذاء المشركين للنبى - صلى الله عليه وسلم -.

وفي رواية الطبرانى عن ابن عباس والتي تَروِى سبباً آخر لنزول المدثر وهو أن كفار قريش اجتمعوا لينظروا ما يقولونه فى محمد - صلى الله عليه وسلم - حتى وصل بهم الأمر إلى وصفه بالساحر ، فبلغ ذلك النبى - صلى الله عليه وسلم - فحزن وقنع رأسه وتدثر فأنزل الله (يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر).

وتكاد تكون هذه الرواية ذاتها التى رويت عن سورة المزمل مما يجعلنا لا نستطيع الجزم بشىء عن آيتهما التى نزلت أولاً ، والتى نزلت بهذه المناسبة أو تلك ، غير ان النظر فى النص القرآنى ذاته يوحى بأن مطلع هذه السورة إلى قوله تعالى (ولربك فاصبر) ربما يكون قد نزل مبكراً فى أوائل أيام الدعوة ، شأنه شأن مطلع سورة المزمل إلى قوله تعالى (واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) وهذا وذلك لإعداد نفس الرسول - صلى الله عليه وسلم - للنهوض بالتبعية الكبرى ومواجهة قريش بعد ذلك بالدعوة جهاراً وكافة ما سيترتب عليه من مشاق كثيرة ومتنوعة. انتهى

وفى مطلع سورة القلم أوردنا من قبل الحديث الذى رواه ابن كثير عن الحافظ ابن عساكر فى ترجمته لورقة بن نوفل باسناده إلى سليمان بن طرخان التيمى ، والذى أوضح فيه ذهاب خديجة إلى ورقة بعد عداس وبحيري، وذعر ورقة مما سمع منها وطلب منها أن ترسله له ليسأله ،

وسمع منه لأنه يخاف أن يكون الذى يأتيه شيطاناً فيفسد عليه عقله ، فلما رجعت خديجة إلى زوجها وجدته وقد أنزل الله عليه (ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون.. ..) وقال لها زوجها : كلا والله إنه لجبريل.

وقيل : لا يمكن تحديد التاريخ الذى نزلت فيه هذه السورة سواء مطلعها أو جملتها كما أنه لا يمكن الجزم بأن مطلعها قد نزل أولاً أن سائرها نزل أخيراً ولا حتى ترجيح هذا الاحتمال لأن مطلع السورة وتمامها يتحدثان عن أمر واحد وهو تطاول الذين كفروا على شخص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقولهم إنه مجنون.

والروايات التى تقول إن هذه السورة هى الثانية بعد سورة العلق كثيرة ، ومن المتفق عليه فى ترتيب المصاحف المختلفة أنها هى السورة الثانية ، ولكن سياق السورة وموضوعها وأسلوبها يجعلنا نرجح غير ذلك. حتى ليكاد يتعين أنها نزلت بعد فترة من الدعوة العامة فى الوقت الذى أخذت فيه قريش تدفع هذه الدعوة وتحاربها فتقول عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تلك القولة الفاجرة ، وأخذ القرآن يردها وينفيها ويهدد المناهضين للدعوة ذلك التهديد الوارد فى السورة.

واحتمال أن مطلع السورة نزل مبكراً وحده بعد مطلع سورة العلق وأن الجنون المنفى فيه (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) جاء بمناسبة ما كان يتخوفه النبى - صلى الله عليه وسلم - عن نفسه فى أول الوحى من أن يكون ذلك جنوناً أصابه ، هذا الإحتمال ضعيف لأن هذا التخوف على هذا النحو ليست فيه رواية محققة ولأن سياق السورة المتماسك يدل على أن هذا النفى ينصب على ما جاء فى آخرها من قوله تعالى (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون.. ..) فهذا هو الأمر الذى افتتح السورة بنفيه كما يتبادر إلى الذهن عند قراءة السورة المتماسكة الحلقات.

وأما ما ورد أن البسملة والفاتحة كانتا أول ما نزل بعد فترة الوحى فقد أوردنا رواية البيهقى وأبو نُعيم فى كتابيهما (دلائل النبوة) والتى رواياها عن عمرو بن شرحبيل وفيها ذكر النبى - صلى الله عليه وسلم - لخديجة تخوفه مما يسمعه كلما خلا بنفسه فطمأنته وأمرت أبى بكر بالذهاب معه إلى ورقة الذى نصحه أن يثبت حتى يسمع ما يُقال له ، فلما خلا ناداه : يا محمد قل (بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين.. .... الى الضالين)

قال القرطبى [1]: وقد ذكر القاضى ابن الطيب اختلاف الناس فى أول ما نزل من القرآن فقيل المدثر وقيل أقرأ وقيل الفاتحة ثم أورد حديث البيهقى سالف الذكر وقال ابن كثير فى تفسيره : وقد قيل أن الفاتحة أول شيء أُنزل من القرآن كما ورد فى حديث رواه البيهقى فى دلائل النبوة ونقله الباقلانى أحد أقوال ثلاثة وقيل (يا أيها المدثر) كما فى حديث جابر فى الصحيح وقيل (اقرأ باسم ربك الذى خلق) وهذا هو الصحيح

[1] تفسير القرطبي المرجع السابق ج 1 ص 100.

المبحث العاشر

فيما أثير من شبهات حول الوحي

وفيه عدة مطالب هي

المطلب الأول : زعم المستشرقين أنّ الوحي أمر ذاتي

المطلب الثاني : شبهة أنّ الوحي مقتبس من اليهودية والنصرانية

المطلب الثالث : موقف أهل الكتاب من اليهود والنصارى زمن النّبي – صلى الله عليه وسلم - من القرآن الكريم

المطلب الرابع : موقف كفار قريش ومن تبعهم من القرآن الكريم

المطلب الخامس : موقف أهل الكتاب من اليهود والنصارى زمن النّبي – صلى الله عليه وسلم - من القرآن الكريم.

المطلب السادس : شبهة أنّ مهمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاصرة على بلاغ القرآن فقط والرد عليها

المطلب الأول

زعم المستشرقين أنّ الوحي أمر ذاتي

وصف الوحي بالظواهر النفسية وتوابعها [1] :

يعنى هذا الصنف من تفسير الوحي بـ (الوحي النفسي) مع الاضطراب في تحديده ويعنون به : أن القرآن فيض من خاطر محمد - صلى الله عليه وسلم - أو انطباع لإلهامه، أي أنه ناتج عن تأملاته الشخصية، وخواطره الفكرية وسبحاته الروحية.

كيف صوروا الوحي النفسي؟ ومن أين استنبطوا ذلك التصور؟

قالوا : إنهم استنبطوه من تاريخ محمد وحالته النفسية والعقلية، وحالة قومه ووطنه، وما تصوروا أنه استفاده من أسفاره وخلواته وتحنثه وتفكيره، من كل ذلك نبع الوحي النفسي.

وبيان ذلك: أنهم يقولون إن عقل محمد الهيولاني [2] قد أدرك بنوره الذاتي بطلان ما كان عليه قومه من عبادة الأصنام، وأن فطرته الزكية قد احتقرت ما كانوا يتنافسون فيه من جمع الأموال بالربا والقمار، وأن فقره وفقر عمه قد حال دون انغماسه فيما كانوا يسرفون فيه من الاستمتاع بالشهوات، فطال تفكيره في إنقاذهم من ذلك الشرك القبيح، وتطهيرهم من تلك الفواحش والمنكرات، فعكف على التأمل العميق فيما حوله من هذا الكون المحيط، منقطعاً إلى عبادة الله في غار حراء، حتى سما وجدانه واتسع محيط تفكيره، فاهتدى عقله الكبير إلى الآيات البينات في ملكوت السموات والأرض على وحدانية مبدع الوجود.. بما صار به أهلاً لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومازال يفكر ويتأمل وينفعل، حتى أيقن أنه هو النبي المنتظر الذي يبعثه الله لهداية البشر، فتجلى له هذا الاعتقاد في الرؤى المنامية، ثم قوي حتى صار يتمثل له الملك يلقنه الوحي في اليقظة.

---

[1] الكتاب : آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي عرض ونقد إعداد الدكتور: إدريس حامد محمد المصدر: موقع صيد الفوائد

[2] يعرف هذا في عصرنا بالعقل الباطن.

وقد اضطربوا في تحديد حالة النبي - صلى الله عليه وسلم - النفسية التي صدر عنها القرآن، فاختلفوا في ذلك إلى أقوال متباينة يمكن إجمالها في الآتي:

1- الإلهام السمعي.

2- الانفعالات العاطفية.

3- التنويم الذاتي.

4- التجربة الذهنية.

5- حالة الكهنة والمنجمين.

6- حالة الصدع والهستيريا.

7- حالة شعر أو جنون أو أضغاث أحلام.

فكيف يجتمع الصرع مع النفس الصافية، والخيال الواسع [1]، والعقل المتوقد ذكاءً؟!.... يقول المستشرق بروكلمان[2] مصوراً لنا الوحي النفسى الذى يزعمه هو ومن قال بقوله : " بينما كان بعض معاصرى النّبى، كأمية بن أبى الصلت، شاعر الطائف، وهى بلدة بحذاء مكة، يكتفون بوحدانية عامة، كان محمد يأخذ بأسباب التحنث والتنسك ويسترسل فى تأملاته حول خلاصة الروحى، ليالى بطولها فى غار حراء قرب مكة لقد تحقق عنده أنّ عقيدة مواطنيه الوثنية فاسدة فارغة، فكان يضج فى نفسه هذا السؤال، إلى متى يمدهم الله فى ضلالهم، مادام هو - عز وجل - قد تجلى، آخر الأمر، للشعوب الأخرى بواسطة أنبيائه ؟ وهكذا نضجت فى نفسه الفكرة

---

[1] مع الإختصار والإضافات انظر كتاب : رد شبهات حول عصمة النبى صلى الله عليه وسلم فى ضوء السنة النبوية الشريفة المؤلف : عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى المحقق : عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى عدد الأجزاء : 1

[2] كارل بروكلمان، مستشرق ألمانى، تعلم اللغة العربية، وكان عالماً بتاريخ الأدب العربى، وعضو المجمع العربى. مات سنة 1956م من آثاره : تاريخ الأدب العربى، وتاريخ الشعوب الإسلامية، وغيرها.

أنه مدعو إلى أداء هذه الرسالة، رسالة النبوة، ولكن حياءه الفطرى حال بينه وبين إعلان نبوته فترة غير قصيرة، ولم تتبد شكوكه إلا بعد أن خضع لإحدى الخبرات الخارقة فى غار حراء. ذلك بأنّ طائفاً تجلى له هنالك يوماً، هو الملك جبريل، على ما تمثله محمد فى ما بعد، فأوحى إليه أنّ الله قد اختاره لهداية الأمة، وآمنت زوجه فى الحال برسالته المقدسة، وتحرر هو نفسه من آخر شكوكه بعد أن تكررت الحالات التى ناداه فيها الصوت الإلهى وتكاثرت. ولم تكد هذه الحالات تنقضى حتى أعلن ما ظن أنه قد سمعه كوحى من عند الله".

ممن ذهب إلى القول بالوحي النفسي من المستشرقين: درمنغام جب، وجولد زيهر، وجوستاف لوبون، ومونتغمري واط، وغيرهم.

يقول واط: ((ولا يلزم من صدق الإنسان أن يكون مصيباً فيما يقول، بل يمكن أن يكون صادقاً ومع ذلك مخطئاً، إذن محمد صلى الله عليه وسلم مخطئ في ظنه أن القرآن وحي يأتيه من الخارج بوساطة ملك، وإذن فالقرآن صدر من جهة من جهات نفسه، وتلك الجهة اللاشعور الجماعي))

يقول جوستاف لوبون: ((ويجب عدُّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كأكبر مؤسسي الديانات...)).

ويقول جولد زيهر: ((ففي العصر المكي جاءت المواعظ التي قدَّم بها محمد الصورة التي أوجبتها إليه حميته الملتهبة في شكل وهمي خيالي حاد تلقائي ذاتي...)).

والمستشرق درمنغام ذهب يصور الحالة النفسية للنبي - صلى الله عليه وسلم - أثناء تحنثه في غار حراء، والانطباعات النفسية التي تركتها مشاهداته وتأملاته، إلى أن قال: ((فلما كانت سنة 610م كانت الحالة النفسية التي يعانيها محمد - صلى الله عليه وسلم- على أشدها... ووجد في وحدة غار حراء مسرة تزداد كل يوم عمقاً...)).

يريد درمنغام أن يقرر أن القرآن فيض وجدان محمد - صلى الله عليه وسلم - وصورة من انطباع نفسه مما كان يدور حوله وأمام عينيه، والوحي في رأي هذا المستشرق ليس إلا وحياً من داخل نفس الرسول لا من مصدر خارجي، أي من العقل الباطن، لا من رب العالمين.

فأنزل النبوة منْزلة الهلوسة وحديث النفس؛ مردداً كلام الفيلسوف (أرسطو) الذي لا يؤمن بإله ولا نبوة، وكان يعتقد أن الجسد سجن النفس، وأن أي إنسان إذا أجاع الجسد أو أمرضه، انطلقَتْ نفسه، وعنها تتصل بالعالم العلوي فتسمع أصواتاً وترى أشباحاً... هذه هي نظرية النبوة عند الإغريق، والمستشرق تبنى هذه الأفكار وأسقطها على محمد - صلى الله عليه وسلم -.

وفي تفسير الوحي بتأثير الانفعالات العاطفية كما يزعم ذلك نولدكه حيث يقول: ((كانت نبوة محمد نابعة من الخيالات المنهجية والإلهامات المباشرة للحس، أكثر من أن تأتي من التفكير النابع من العقل الناضج))، ففسر (واط) ظاهرة الوحي تارة بسبب تأثير النوبات الانفعالية الطاغية التي كانت تسيطر عليه، كما فسَّرها بظاهرة التنويم الذاتي، والتي وصفها بالسبات الطبيعي الذي يعتري المرء.

كما يزعم (بل) و (واط) بأن الوحي عبارة عن تجربة ذهنية فكرية أدرك منها النّبي - صلى الله عليه وسلم - ما أدرك نتيجة قدرته على التركيز على مستوى تجريدي لا يطيقه غيره، فكان يختار ساعات الليل لصفائها.

إنّ المستشرقين كلما وضعوا أيديهم على رأي لم يطيقوا أن يثبتوا عليه طويلاً ؛ لأنه لم يحقق لهم ما يريدون، فهم غير مطمئنين إلى رأي صالح يرضونه من بين آرائهم. لذلك يدلون بكل الفروض والتقارير التي يرون أنها تثير غبارًا أو تزرع أشواكًا في طريق السائر إلى الهدى.

بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك عندما فسروا ظاهرة الوحي بأنها حالة صرع كانت تصيب محمداً، فيغيب عن الناس وعمَّا حوله، ويظل ملقى بين الجبال لمدة طويلة يسمع له غطيط كغطيط النائم، حتى قال نولدكه : ((إنّ سبب الوحي النازل على محمد والدعوة التي قام بها هو ما كان ينتابه من داء الصرع)).

ويقول جوستاف فيل في كتابه عن محمد النّبي : ((إنّ ما كان ينتاب الرسول مما يشبه الحمى، وما كان يسمعه من صوت كصلصلة الجرس ليس وحياً، وإنما هو نوبات صرع واضطرابات عصبية)).

ويقول المستشرق أليوس سيرتجر عن حياة محمد وتعاليمه: ((إنّ محمداً كان مصاباً بالصرع والهستيريا معاً)).

وبالتأمل فى هذه المزاعم، ترى أنها مع طعنها فى الوحي المنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تطعن فى عصمته فيما بلغه من الوحي عن ربه عز وجل.

ويجاب عن هذه المزاعم بما يلى :

أولاً : هذا الذى يروجه الملحدون اليوم باسم - الوحي النفسى - زاعمين أنهم بهذه التسمية، قد جاءونا برأى علمى جديد، وما هو بجديد، وإنما هو الرأى الجاهلى القديم، لا يختلف فى جملته ولا فى تفصيله، فقد صور أهل الجاهلية من قبل، النّبى - صلى الله عليه وسلم -، رجلاً ذا خيال واسع وإحساس عميق، فهو إذن شاعر، ثم زادوا فجعلوا وجدانه يطغى كثيراً على حواسه، حتى يخيل إليه أنه يرى ويسمع شخصاً يكلمه ؛ وما ذاك الذى يراه ويسمعه إلا صورة أخليته ووجد آناته، فهو إذن الجنون أو أضغاث الأحلام ؛ فأى جديد ترى فى هذا كله ؟ أليس كله حديثاً معاداً يضاهئون به قول جهال قريش؟! وهكذا كان الإحاد فى ثوبه الجديد صورة منسوخة بل ممسوخة منه فى قديمة.

ثانياً : إنّ صورة الوحي النفسى كما صوروه مبنية على وجود معلومات وأفكار مدخرة فى العقل الباطن، وأنها تظهر فى صورة رؤى ثم تقوى فيخيل لصاحبها أنها حقائق خارجية.

وهل كان الدين الذى جاء به خاتم الأنبياء - عليه الصلاة والسلام - بعقائده وتشريعاته فى العبادات والمعاملات، والحدود، والجنايات، والاقتصاد، والسياسة، والأخلاق والآداب، وأحوال السلم والحرب، مركوزاً أو مدخراً فى نفسه- صلى الله عليه وسلم - ؟!.

هذا ما تنكره العقول بداهة، لأنّ ما جاء به - صلى الله عليه وسلم - وما بلغه من وحى الله فى العقائد : يعتبر مناقضاً لكل ما كان سائداً فى العالم حينئذ، من عقائد، كالوثنية، والمجوسية، والتأليه، والتثليث، والصلب، وإنكار البعث، واليوم الآخر، وكذلك جاء النّبى - صلى الله عليه وسلم - بتشريعات ما عرفت فى الشرائع السابقة سماوية، وغير سماوية.

واشتمل الوحي الإلهى الذى بلغه المصطفى - صلى الله عليه وسلم - سواء قرآناً أو سنة، على أسرار فى الكون والأنفس والآفات، ما كانت تخطر على بال بشر قط ولم يظهر تأويلها إلا بعد تقدم العلوم والمعارف فى العصر الأخير، فكيف تكون هذه الأسرار من داخل نفس النّبى - صلى الله عليه وسلم -، وهى لم تخطر له على بال.

ثالثاً : ليس كل ما فى الوحي الإلهى (قرآناً وسنة) مما يستنبطه العقل والتفكير ومما يدركه الوجدان والشعور.

... ففى الوحي جانب كبير من المعانى النقلية البحتة التى لا مجال فيها للذكاء والاستنباط، ولا سبيل إلى علمها لمن غاب عنها إلا بالدراسة والتلقى والتعليم، أو المعاصرة.

ومن هذه الجوانب. ما جاء فى الكتاب والسنة، من أنباء ما قد سبق، وما فصله من تلك الأنباء، على وجهه الصحيح كما وقع؟.

أيقولون إنّ التاريخ يمكن وضعه - أيضاً - بإعمال الفكر، ودقة الفراسة؟ أم يخرجون إلى المكابرة العظمى فيقولون : إنّ محمداً قد عاصر تلك الأمم الخالية، وتنقل فيها قرناً قرناً، فشهد هذه الوقائع مع أهلها شهادة عيان أو أنه ورث كتب الأولين، فعكف على دراستها حتى أصبح من الراسخين فى علم دقائقها؟.

إنهم لا يسعهم أن يقولوا هذا ولا ذاك، لأنهم معترفون مع العالم كله بأنه - عليه الصلاة والسلام - لم يكن من أولئك ولا هؤلاء. قال تعالى : { تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (49) [هود : 49].

وقال سبحانه : { وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (48) [العنكبوت : 48] }.

فسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -، كان رجلاً أمياً، نشأ بين قوم أميين أربعين سنة من عمره، لم تظهر عليه فيها أمارات من علوم ومعارف تقارب ما جاء به القرآن والسنة، ثم يطلع علينا بين عشية وضحها فيكلمنا بما لا عهد له به، ويبدى لنا من أخبار تلك القرون الأولى ما أخفاه أهل العلم فى كتبهم، وحجبوه عن الناس. أفى مثل هذا يقول الجاهلون إنه استوحى عقله واستلهم ضميره ؟.

رابعاً : لقد بين الله تعالى، أن الوحي أمر خارج عن نفس النّبى - صلى الله عليه وسلم - وليس نابعاً من داخلها، بل حمله جبريل - عليه السلام - من عند الله إليه، كما قال سبحانه : { وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ " [الشعراء }.

فحامل الوحي ملك منفصل عن ذات محمد - صلى الله عليه وسلم -، ليس خيالاً فيها، وله من الصفات ما بينها الله فى قوله : { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (19) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (20) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (21) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (22) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (23) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (24) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (25) [التكوير : 19 - 25] }.

خامساً : إنّ النّبى - صلى الله عليه وسلم - لم يكن يستشرف النّبوة، وما كان يرجوها، ولم يطمع فى حصولها له، بل لم يرد فى الأخبار الصحيحة أنه - صلى الله عليه وسلم -، يرجو أن يكون هو النّبى المنتظر الذى يتحدث عنه علماء اليهود والنصارى قبل البعثة، ولو ثبت ذلك عنه لما ترك المحدثون تدوينه، وقد دونوا ذلك عن أمية بن أبى الصلت، لما كان يتوقع أن يكون نبياً.

وقد جاء فى القرآن نفى ذلك عنه - صلى الله عليه وسلم -، فى قوله تعالى : { وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ [القصص : 86] } فما كان - صلى الله عليه وسلم - يظن أنّ الوحي قبل إنزاله عليه، ينزل عليه، وإنما أنزله الله رحمة به وبالعباد، فهو نعمة من الله وفضل.

وأما اختلاؤه - صلى الله عليه وسلم - وتعبده فى الغار عام الوحي، فلا شك فى أنه كان بقدر الله تعالى ومقويا مقوياً لذلك الاستعداد الوهبى، وعصمة ربه له بالعزلة وعدم مشاركة المشركين فى شئ من عباداتهم ولا عاداتهم، ولكنه لم يكن يقصد به الاستعداد للنبوة، لأنه لو كان لأجلها لاعتقد حين رأى الملك أو عقب رؤيته حصول مأموله، وتحقق رجائه، ولم يخف منه على نفسه!.

وإنما كان الباعث لهذا الاختلاء والتحنث، اشتداد الوحشة من سوء حال الناس فى عقائدهم وأخلاقهم، والهرب منها، إلى الأُنس بالله تعالى والرجاء فى هدايته إلى المخرج منها.

سادساً : إنّ الوحي الذى حدث للنّبى - صلى الله عليه وسلم - هو حدث إلزامى فجائى طارئ لا يمكن إحضاره واجتلابه، وبالتالى لا يمكن دفعه ورده.

ومن أوضح الأدلة على ذلك، ما يعتريه من أعراض جسدية لا سيطرة له عليها، كاحمرار وجهه، وتتابع أنفاسه، وسماع غطيط منه، وما يتقاطر منه من عرق فى اليوم الشديد البرد، وثقل جسمه، وما يسمعه الصحابة عند وجهه من صوت كدوى النحل، وقد سبق ذكر الأحاديث الدالة على ذلك.

ومما يدل على ذلك أيضاً، ما انتابه - صلى الله عليه وسلم - من أحوال نفسية تمثلت فى خوفه من ملك الوحي فى مبدأ أمره، كما جاء فى قوله - صلى الله عليه وسلم - : "لقد خشيت على نفسى" وقوله : "زملونى زملونى، حتى ذهب عنه الروع" وفى رواية قال : "فإذا الذى جاءنى بحراء جالساً على كرسى بين السماء والأرض، فجئثت منه رعباً".

وهذه الأعراض والشدائد كانت لا تعتريه - صلى الله عليه وسلم - إلا فى فترات وجيزة وبرهات متقطعة، وذلك عند نزول الوحي عليه.

والدليل على أنه - صلى الله عليه وسلم -، لا قدرة له على إحضار الوحي وجلبه، فتور الوحي، وانقطاعه عنه، فترة من الزمن حتى شق ذلك عليه وأحزنه، وأقض مضجعه، ثم جاءه جبريل بعد ذلك بقوله تعالى : {وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3) [الضحى: 1 - 3] }.

ومن ذلك ما روى عندما أبطأ جبريل - عليه السلام -، فى النزول على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم نزل فقال : رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يا جبريل! ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزرنا ؟ فنزلت : { وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (64) [مريم : 64] } ومن ذلك أيضاً، فترة الوحي فى قصة الإفك، على ما سبق شرحه فى عصمته - صلى الله عليه وسلم - فى تبليغ الوحي.

سابعاً : النبوة ليست أمراً كسبياً يناله المرء بسعيه وكسبه، ولا تخضع لجهد فكرى، أو ترقى روحى وأخلاقى، ولا تنال بالقيم الدنيوية، ولا الاعتبارات المادية، فليست باباً مفتوحاً يلج من خلاله من سمت نفسه، أو عظم إشراقه، بل هى اصطفاء إلهى يختص به من يشاء من عباده. قال تعالى : { اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ [الأنعام : 124] } وقال سبحانه : { وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [البقرة : 105] } وقد حكى الله عن المشركين عندما قالوا : { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ [الزخرف : 31] } أجابهم رب العزة بقوله : { أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ [الزخرف : 32] }.

وقد جعل الله تعالى النّبوة فى محمد - صلى الله عليه وسلم -، كما جعلها فى الرسل قبله، واصطفاه لذلك ؛ فأى غرابة وعجب فى ذلك؟.

إنّ قدح بروكلمان ومن شايعه فى إثبات الوحي لمحمد - صلى الله عليه وسلم -، وعصمته فيما بلغ، هو قدح فى ديانته وفى رسوله الذى يؤمن به، فما قاله هنالك فى إثبات الوحي، يلزمه أن يقوله هنا، إذ لا فارق بين الوحيين ولكن لعل بروكلمان يرى كما يرى غيره من أهل ملته، أنّ الوحي هو حلول روح الله فى روح الموحى إليه. ولأجل ذلك ألهوا رسولهم، وهذا تعريف خاطئ للوحى، وقول فاسد، بل هو كفر وإلحاد، فالله لا يحل فى غيره، ولا يحل فيه غيره.

وهكذا ترى أنّ ما زعموه من فرية الوحي النفسى، إنّ هذا إلا اختلاق كان مبعثه الحقد على الإسلام والمسلمين وإرادة إبطال عصمته - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغ من الوحي ولكن { يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ [التوبة : 32] }.

وأما ما قالوه عنه من نوبات أو انفعالات أو غيرها [1] : فيردُّه النظر في سيرته، فقد عاش طوال حياته في صحة نفسية، وعصبية، وعقلية جيدة، لم يطرأ عليه أي خلل في عقله أو أعصابه، بل كان كمال عقله مضرب الأمثال.

يقول عبد الكريم الخطيب : ((أمجنون مصروع يبني دولة، وينشئ نظاماً، ويقيم ديناً، ويعيش في أجيال الناس، منذ قام إلى اليوم دون أن يصاب بنكسة أو خلل)).

ذلك أن صاحب الصرع الذي زعموه تصيبه نوبات فلا تذر عنده أي ذكر لما مر به أثناءها، بل ينسى هذه الفترة من حياته بعد إفاقته من نوبته نسياناً تاماً، ولا يذكر شيئا مما صنع أو حلّ به خلالها، مما يؤكد أن الوحي رباني المنشأ، ملائكي النقل، بشري التبليغ. فالوحي أمر غيبي آت من جهة غير إنسانية، خارجٌ عن مجال إرادة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعلمه واجتهاده، بل كان مبلغاً إياه بكل أمانة وصدق عن رب العالمين.

---

[1] الكتاب : آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي عرض ونقد إعداد الدكتور: إدريس حامد محمد المصدر.

المطلب الثاني :

شبهة أنّ الوحي مقتبس من اليهودية والنصرانية

زعم المستشرقون أنّ الوحي انبثق فى الدرجة الأولى عن اليهودية والنصرانية ولكن محمد كيفه تكيفاً بارعاً وفقاً لمتطلبات شعبه الدينية [1]

ولنذكر جانبا من ادعاءاتهم والرد عليها :

ادعائهم أنّ اليهودية والنصرانية، وحياً تبناه محمد - صلى الله عليه وسلم- [2]

يقول جولد تسيهر : " فتبشير النبى العباس ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية، عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، التى تأثر بها تأثراً عميقاً، لقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه، وأدركها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحياً إلهياً، فأصبح بإخلاص على يقين بأنه أداة لهذا الوحي".

قال بروكلمان : " وتأثرت اتجاهات النبى الدينية فى الأيام الأولى من مقامه فى المدينة، بالصلة التى كانت بينه وبين اليهود... فشرع صوم العاشوراء، وهو اليوم العاشر من المحرم، على غرار الصوم اليهودى فى يوم الكفار الذى يقع عندهم فى العاشر من شهر تشرى، وبينما كان المؤمنون فى مكة لا يصلون إلا مرتين فى اليوم، أدخل فى المدينة على غرار اليهودية أيضاً، صلاة ثالثة عند الظهر... كذلك جعل يوم الجمعة يوم صلاة عامة على غرار "السبت" اليهودى ....

---

[1] هذا قول المستشرق بروكلمان في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية.

[2] انظر كتاب رد شبهات حول عصمة النبى صلى الله عليه وسلم فى ضوء السنة النبوية الشريفة المؤلف : عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى المحقق : عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى عدد الأجزاء : 1

ادعائهم أنّ الإسلام برمته بدعة نصرانية أكثر منه ديناً جديداً :

حكى ذلك فيليب حتى وكان يرى بروكلمان أنّ ذلك تم من خلال رحلاته، والذين عاشوا معه بعد إسلامهم.

ويجاب عن هذه الافتراءات بما يلى :

مسألة الرحلات التي التقى فيها النّبى - صلى الله عليه وسلم - بأحبار اليهود، ورهبان النصارى، وأخذ عنه :

أين هذه الرحلات التى يتكلم عنها جولدستيهر، وبروكلمان، ومن شايعهما، والتى التقى فيها النّبى - صلى الله عليه وسلم - بأحبار اليهود، ورهبان النصارى، وأخذ عنهم؟ ومتى كانت؟ وأين تم هذا اللقاء؟ وكم مدة قضاها ليتلقى تلك الدروس حتى يهضمها ويستوعبها؟ ومن هم الذين أخذ عنهم؟ وماذا أخذ؟. إن ما زعموه بأنه من الممكن أن يكون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تلقف هذا الذى جاء به من بحيرا ونسطورا [1] الراهبين، زعم باطل. وذلك لأن المعروف الثابت تاريخياً أنّ النّبى - صلى الله عليه وسلم، لم يلق "بحيراً" هذا إلا مرة واحدة، وهى المرة الأولى التى سافر فيها إلى الشام، وكان معه عمه أبى طالب، وكان عمره - صلى الله عليه وسلم-، إذ ذاك لا يتعدى اثني عشر عاماً.

وأنى "لبحيرا" وما حواه الوحي الإلهى قرآناً وسنة،من علوم وأخبار ماضية ومستقبلة؟ هذا لو فرضنا أنه يمكن أن يكون قد أخذ عنه شيئاً.

إنّ الباحث المصنف لو استنطق التاريخ، ما زاد على أن يقول له : إنّ الراهب "بحيراً " لما رآه تظله سحابة من الشمس، ورأى فيه بعض أمارات النبوة ذكر لعمه، أنه سيكون له شأن، وحذره أن تناله اليهود بأذى.

---

[1] هو : بطريرك الإسكندرية سنة 431م، وهو الذى قال بأن مريم لم تلد إلا الإنسان فهى بذلك أم الإنسان، وليست أماً لإله، وأتباعه هم النساطرة، ومذهبهم وضع الأساس للقول بطبيعتين فى المسيح.

وكذلك الحال عندما مر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالراهب نسطور، وهو فى طريقه إلى الشام، يعمل فى تجارة خديجة بنت خويلد - رضى الله عنها -، وكانت هذه هى المرة الثانية والأخيرة فى رحلاته خارج مكة، وكان - صلى الله عليه وسلم - إذ ذاك شاب فى الخامسة والعشرين من عمره، وفى صحبته غلام خديجة ميسرة والذى تحدث به الراهب نسطورا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان مع مسيرة، ولما تحقق الراهب من صفات النبوة فى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ما زاد على أن جاء إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقبل رأسه وقدميه، وقال : آمنت بك، وأنا أشهد أنك الذى ذكره الله فى التوراة، ثم قال لميسرة بعد أن خلا به : يا ميسرة ! هذا نبى هذه الأمة، والذى نفسى بيده إنه لهو تجده أحبارنا منعوتاً فى كتبهم.

ولم تذكر الأخبار أنه كان حتى هناك مجرد حديث بين الغلام الصغير محمد وبين " بحيرا " و" نسطورا " وإنما الذى ذكرته الأخبار أن كل الحديث الذى تحدث به الراهب بحيرا عنه، كان مع عمه أبى طالب والذى تحدث به الراهب نسطورا عنه كان مع غلام خديجة ميسرة ! فماذا - يا ترى - سمع الشهود - عمه أبى طالب، وميسرة - من علوم هذا الأستاذ؟ هلا نبأنا التاريخ بنبأ ما جرى خلال هذا الحديث المزعوم الذى جمع فى تلك اللحظة القصيرة علوم القرآن والسنة كاملة ؟!.

إنّ تلك الروايات التاريخية التى تتحدث عن اللقاء العابر بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبين بحيرا ونسطورا تحيل أن يقف كل من بحيرا ونسطورا موقف المعلم المرشد لسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -، لأنّ كلا منهما بشر عمه وميسرة، بنبوته، وليس بمعقول أن يؤمن رجل بهذه البشارة التى يزفها، ثم ينصب نفسه أستاذًا لصاحبها الذى سيأخذ عن الله، ويتلقى عن جبريل، ويكون هو أستاذ الأستاذين، وهادى الهداة المرشدين! وإلا كان هذا الراهب متناقضاً مع نفسه !!.

إنّ هذه التهمة لو كان لها نصيب من الصحة، لفرح بها قومه وقاموا لها وقعدوا، لأنهم كانوا أعرف الناس برسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وكانوا أحرص الناس على تبهيته وتكذيبه وإحباط دعوته بأية وسيلة.

ما زعموه أن النّبي – صلى الله عليه وسلم – أخذ العِلم من ورقة :

ما زعموه من أنّ محمداً - صلى الله عليه وسلم -، أخذ ما زعمه أنه وحى من الله تعالى، من ورقة بن نوفل. هو - أيضاً - باطل كسابقه، وفى الرواية نفسها التى التقى فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بورقة ما يبين بطلان مزاعم المستشرقين، وتهافت أقوالهم، وفسادها. وذلك فى النقاط التالية :

أ- تبين الرواية أنّ ورقة قد تنصر فى الجاهلية، ولكن المحدثين والمؤرخين استقصوا كل ما عرف عنه مما صح سنده، ومما لم يصح، فلم يعثروا على رواية تبين أنه كان داعية إلى النصرانية.

ب- لم ينقل أنّ النّبى - صلى الله عليه وسلم - قد لقى ورقة قبل هذا اللقاء أو رآه.

جـ- لقد تم هذا اللقاء بعد مجئ ملك الوحي فى الغار، ونزول صدر سورة "اقرأ" وقد حضرت هذا اللقاء خديجة - رضى الله عنها -، وشهدته، وقد آمنت بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك، فلو كان هنالك تعلم وتلقى ما غاب ذلك عن بالها أبداً، ولكان صارفاً لها عن الإيمان به - صلى الله عليه وسلم -.

د- إن موقف ورقة على ما جاء فى هذا اللقاء، كان موقف المستطلع المستخبر لا موقف المعلم، فلما أخبره النّبى - صلى الله عليه وسلم -، خبر ما رأى، كان موقفه موقف المبشر المصدق المؤمن، المتطوع لمناصرة الحق، المؤيد للنّبى - صلى الله عليه وسلم - فيما نزل عليه من الوحي "هذا الناموس الذى نزل على موسى، ليتنى فيها جذعاً، ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك...، وإن يدركنى يومك حياً، أنصرك نصراً مؤزرا".

هـ- لم تذكر الروايات أنه ألقى إلى النّبى - صلى الله عليه وسلم - درسًا أو عظة فى أى جزء من جزئيات الإسلام، كما لم يثبت أنه كان - صلى الله عليه وسلم -، يتردد عليه لتلقى تلك الدروس، والذى يفهم من كلمته المختصرة السابقة، أنه كان يتمنى أن يبقى حتى يصبح ناصراً لدين الله، وجندياً مخلصاً، وتلميذاً ناجحاً للنّبى - صلى الله عليه وسلم -، لا أستاذاً مربياً، ولا عالماً معلماً.

و- ثم إنّ ورقة لم يلبث بعد هذا اللقاء، إلا أن تُوفى وفَتَرَ الوحي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فكيف تكون هذه المقابلة الخاطفة ينبوعاً لما جاء به عليه - الصلاة والسلام - من الوحي؟.

ز- لو ثبت أنه - صلى الله عليه وسلم -، أخذ ذلك من ورقة لما سكت أعداؤه أبداً، ولروجوا ذلك، وساروا به فى الناس جميعاً، وهم الذين تشبثوا بما هو أوهى من ذلك.

يقول د / ادريس حامد [1]:

إذا كان نفر من المستشرقين أمثال درمنغام ومونتغمري وغيرهما يدعيان ذلك، فإنه لم يثبت تاريخياً أنّ ورقة كان يدعو إلى النصرانية، وأنّ جميع الروايات الصحيحة أكدت عدم اتصال الرسول - صلى الله عليه وسلم - بورقة إلا بعد مجيء الوحي إليه، وعدم وجود أي صلة سابقة بين محمد - عليه السلام – وورقة، حتى إنَّ فكرة الاتصال به لم تطرأ على باله سعياً لإزالة الإشكال عن نفسه، بل كانت الفكرة من اقتراح خديجة، فلو كانت هناك صلة سابقة كما زعم (واط) من غير دليل ؛ لتبادرت إلى ذهن الرسول لسؤاله عما حدث له.

---

[1] الكتاب : آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي عرض ونقد إعداد الدكتور: إدريس حامد محمد المصدر: ص 39.

ثم إنّ موقف ورقة من ذلك اللقاء كان موقف المستفسر لما حصل مع الرسول في غار حراء، فلما سمع ما وقع للنّبي - صلى الله عليه وسلم - آمن به وشهد على صدقه، ووعده أنه سينصره نصراً مؤزراً، بعد أن أخبره أن قومه سيؤذونه ويخرجونه، ثم لم يلبث ورقة أن توفى وفتر الوحي.

فمن أين لمحمد - عليه السلام - بعده تلك العلوم المتتابعة أكثر من عشرين سنة ؟

فهذه دعوى مرفوضة من ناحية المنهج العلمي في إثبات الحقائق، ومن ناحية العقل في إدراك الوقائع.

وقال أيضا : إنّ الشخص الوحيد الذي كان يعرف بعض المعلومات الكتابية الوثيقة في (مكة) كان ورقة ابن نوفل، وقد يتبادر إلى الأذهان أنه هو الذي علَّم محمدا القرآن، ولكن ورقة توفي قبل أن يُكَلَّف محمد - صلى الله عليه وسلم - بتبليغ الدعوة.

كما أنّ القرآن لم يظهر دفعة واحدة، إنما اكتمل بعد ثلاث وعشرين سنة معالجاً لأحداث حياتية، وحالات إنسانية، مجيباً عن تساؤلات، ومعلقاً على مواقف نبوية أو صحابية أو كتابية أو شركية لم تحصل إلا بعد وفاة ورقة بسنين، وقد سبق إبطال دعوى الأخذ عن ورقة.

ولو علم أهل مكة وجود اتصال مابين النّبي - صلى الله عليه وسلم - وورقة، لكشفوه على الملأ، واتهموه في صدقه، ولكن ذلك لم يحدث، مما يدل على عدم وجود أية رابطة علمية بينهما.

زعمهم أنه – صلى الله عليه وسلم – أخذ العلم من صهيب الرومي :

إنّ ما زعموه من أنه - صلى الله عليه وسلم -، أخذ ما جاء به من صهيب الرومى لهو من أبطل الباطل. إذ أن صهيباً هذا كان حداداً يصنع السيوف، أعجمى اللسان، لا يعدو كلامه أن يكون رطانة ولا يكاد يبين ولذا قال القرآن الكريم : { لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (103) [النحل : 103] }.

والمعنى : كيف يتعلم من جاء بهذا القرآن، فى فصاحته وبلاغته، ومعانيه التامة الشاملة، التى هى أكمل من معانى كل كتاب نزل على نبى أرسل؛ كيف يتعلم من رجل أعجمى ؟ ! لا يقول هذا من له أدنى مسكة من العقل وليت شعرى : لو كان لصهيب أن يكون مرجعاً علمياً كما أرادوا أن يصفوه، فما الذى منع كفار مكة أن يأخذوا عنه، كما أخذ صاحبهم؟ وبذلك كانوا يستريحون من عنائه، ويداوونه من جنس دائه، بل ما منع صهيب أن يبدى للعالم صفحته، فينال فى التاريخ شرف الأستاذية، أو يتولى بنفسه تلك القيادة العالمية؟ بل ما منعه أن يدعى النبوة، فينسب لنفسه هذا المجد والفخار؟ إن فى عدم ادعاء صهيب شئ مما سبق، وعدم ثبوته عنه، مع صحة إيمانه برسول الله - صلى الله عليه وسلم -، دليل على صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فى دعواه النبوة، وفى عصمته - صلى الله عليه وسلم - فى كل ما بلغ من وحى ربه.

زعمهم أنه - صلى الله عليه وسلم -، تلقى الوحي من علماء أهل الكتاب فى عصره :

ما زعموه من أنه - صلى الله عليه وسلم -، تلقى الوحي من علماء أهل الكتاب فى عصره محض افتراء يرده القرآن الكريم الذى حفل بجدالهم ومحاوراتهم فى العقائد والتواريخ والأحكام.

فالناظر فى محاورات القرآن لهم يرى بأى لسان يتكلم عنهم القرآن الكريم. إنه يصور علومهم بأنها الجهالات، وعقائدهم بأنها الضلالات، ومعارفهم بأنها الخرافات، وأعمالهم بأنها المنكرات.

نعم. لا يعقل أن يصفهم القرآن بذلك ثم يقفون من صاحب هذه النبوة موقف المرشد والناصح! اقرأ إن شئت قول الله تعالى : وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31) [التوبة : 30، 31] } وقال تعالى : { وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (156) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (159) فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (160) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (161) [النساء : 156 - 161] }.

من أقوى ما يدل على أنّ الإسلام لم يكن مقتبساً من اليهودية أو النصرانية، وجود الخلاف فى كثير من العقائد والأحكام؛ بل جعل الشارع الحكيم جنس مخالفتهم أمراً مقصوداً له، ومن متطلبات الشرع، وهناك كثير من الأحكام جعلت العلة فيها هى مخالفة اليهود أو النصارى من ذلك

قوله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ ". [1]

[1] صحيح البخاري ت (8/ 568).

وقوله - صلى الله عليه وسلم - : « خَالِفُوا الْيَهُودَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُصَلُّونَ فِى نِعَالِهِمْ وَلاَ خِفَافِهِمْ ». "[1]

وعَنْ أَنَسٍ [2]: أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتْ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى { وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ } إِلَى آخِرِ الْآيَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – " اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ " فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ فَقَالُوا : مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ. فَجَاءَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ فَقَالَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا فَلَا نُجَامِعُهُنَّ. فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا فَخَرَجَا فَاسْتَقْبَلَهُمَا هَدِيَّةٌ مِنْ لَبَنٍ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَرْسَلَ فِي آثَارِهِمَا فَسَقَاهُمَا فَعَرَفَا أَنْ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمَا " قال الإمام ابن تيميه : " فهذا الحديث يدل على كثرة ما شرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود، بل على أنه خالفهم فى عامة أمورهم، حتى قالوا : "ما يريد أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه".

فهذا إقرار من اليهود عليهم لعائن الله، بمخالفة النّبى - صلى الله عليه وسلم - لما كانوا عليه من شعائر حتى اشتهر ذلك بينهم، ألا يكفى ذلك برهاناً ساطعاً على بطلان قول المستشرقين : أنه كيف شعائر الإسلام لتتفق مع شعائر اليهود؟.

---

[1] سنن أبي داود (1/ 176).
[2] صحيح مسلم (1/ 169).

يقول د / ادريس حامد :

لم يكن بين يدي محمد عليه السلام توراة ولا إنجيل باللغة العربية ليأخذ عنهما؛ لأن الكتاب المقدس باللغة العربية لم يظهر إلا في القرن التاسع والعاشر، كما وضحه (لوبلوا)، وأكده الدكتور (جراف). ثم إن الشخص الوحيد الذي كان يعرف بعض المعلومات الكتابية الوثيقة في (مكة) كان ورقة ابن نوفل، وقد يتبادر إلى الأذهان أنه هو الذي علَّم محمدا القرآن، ولكن ورقة توفي قبل أن يُكَلَّف محمد - صلى الله عليه وسلم - بتبليغ الدعوة كما تقدم.

كما أن القرآن لم يظهر دفعة واحدة، إنما اكتمل بعد ثلاث وعشرين سنة معالجاً لأحداث حياتية، وحالات إنسانية، مجيباً عن تساؤلات، ومعلقاً على مواقف نبوية أو صحابية أو كتابية أو شركية لم تحصل إلا بعد وفاة ورقة بسنين، وقد سبق إبطال دعوى الأخذ عن ورقة.

ولو علم أهل مكة وجود اتصال مابين النّبي- صلى الله عليه وسلم - وورقة، لكشفوه على الملأ، واتهموه في صدقه، ولكن ذلك لم يحدث، مما يدل على عدم وجود أية رابطة علمية بينهما.

يضاف إلى هذا أنّ اليهود كانوا يقطنون المناطق الخصبة ـ يثرب، وخيبر، واليمن ـ فاتصاله بهم كان نادراً أو منعدماً، ثم ما عسى أن يفيده اليهود الذين اشتهروا بكتم العلم ليغُرُّوا به الناس، ولاعتقادهم أنهم شعب الله المختار، ومع هذا فكانوا يترقبون خروج الرسول الخاتم من بينهم، حتى كانوا يستفتحون على العرب بذلك، قال تعالى : " وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ " [البقرة: 89].

وقد كان اليهود يتحدَّون الرسول بعدة أسئلة ويطلبون منه الإجابة عنها - لأنه لا يعلمها إلا نبي- ولو كانوا يعلمون أنهم قاموا بتعليمه لما تحدَّوه بذلك

بل كشف النّبي - صلى الله عليه وسلم - خياناتهم وتزويرهم وتحريفهم لكتبهم، ووصفهم بنقض العهود والمواثيق، وكتم العلم، مفنداً أغلاطهم بما جاء به في هذا الكتاب، وإليك نموذجاً من ذلك :

قال تعالى: " يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ " [آل عمران: 65].

وقال تعالى: " إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ " [آل عمران: 96]. كان ذلك جواباً عن قولهم قبلتنا قبل قبلتك.

وقال تعالى: " كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " [آل عمران: 93]. كان ذلك رداً على دعواهم أن الإبل كانت محرمة على يعقوب.

وقال تعالى : " وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ " [ق: 38]. وهذا تكذيب لقولهم : إنّ الله بعد أن خلق الخلق في ستة أيام استراح في اليوم السابع.

فلم يكن علماء أهل الكتاب يبذلون العلم لطالبيه، بل كان حرصهم عليه أشد من حرصهم على حياتهم، حتى ضنوا به على أبنائهم استيفاء لرياستهم أو طمعاً في منصب النبوة الذي كانوا يستشرفون له.

وقد ذمهم الله بقوله: " فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ " [البقرة: 79].

فهل بعد هذا يصح أن يقال: إنّ هناك يداً علميةً كانت من أهل الكتاب على محمد - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه؟!

أما الذين لقوه بعد النبوة فقد سمع منهم وسمعوا منه، لكنهم كانوا له سائلين وعنه آخذين، وكان هو لهم معلماً وواعظاً ومبشراً.

وأما الذين آمنوا به من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وغيره فلا يعقل أن يعلموه وهم الذين أسلموا على يديه، وسلَّموا بنبوته، إذ كيف يسلم أولئك الأحبار دون أن يروا صدقه ويتحققوا من نبوته وهم علماء بالكتاب؟

ما زعموه من إرجاع كثير من شعائر الإسلام إلى اليهودية أو النصرانية، أو الاثنين معاً :

زعم باطل لما يلى :

أ- لأن استدلالهم بصوم عاشوراء على موافقة اليهود فيه، بناء على ما روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : " قدم النبى - صلى الله عليه وسلم - المدينة، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال : ما هذا؟ قالوا : هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى، قال : فأنا أحق بموسى منكم فصامه، وأمر بصيامه".

فعلة الموافقة الواردة فى الحديث هى التى بنى عليها المستشرقون شبهتهم السابقة، ويجاب بالآتى :

1- لقد ثبت أنّ النّبى - صلى الله عليه وسلم -، كان يصوم عاشوراء فى الجاهلية قبل قدومه المدينة، ويدل على ذلك قول عائشة - رضى الله عنها - : " كان يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، يصومه، فلما قدم المدينة، صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه".

وفى رواية : " وكان يوم تستر فيه الكعبة " فدل بهذا على أنه - صلى الله عليه وسلم -، لم يصمه موافقة لليهود واقتداء بهم، وإنما صامه وأمر بصيامه تقريراً لتعظيمه وتأكيداً، وأخبر - صلى الله عليه وسلم - أنه وأمته أحق بموسى من اليهود، فإذا صامه موسى شكراً لله، كنا أحق أن نقتدى به من اليهود، لاسيما إذا قلنا : شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يخالفه شرعنا.

2- إنّ النّبى - صلى الله عليه وسلم -، بين نوع مخالفة لليهود فى صيام عاشوراء، عندما شرع صيام يوم قبله، أو بعده، فعن ابن عباس قال : حين صام رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، يوم عاشوراء، وأمر بصيامه، قالوا : يا رسول الله. إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " فإذا كان العام المقبل، إن شاء الله، صمنا اليوم التاسع" قال : فلم يأت العام المقبل، حتى توفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " وعنه أيضاً مرفوعاً : "صوموا يوم عاشوراء، وخالفوا فيه اليهود، صوموا قبله يوماً أو بعده يوماً " فدل ذلك على مخالفته لهم فى صيامه.

ب- وأما زعمهم أن المؤمنين كانوا لا يصلون فى مكة إلا مرتين فى اليوم، ثم أدخلت صلاة ثالثة عندما ذهبوا إلى المدينة على غرار اليهودية، فهو زعم فى وهن خيط العنكبوت، إذ الصلوات الخمس فرضت بمكة ليلة الإسراء، حين عرج بالنّبى - صلى الله عليه وسلم -، إلى السماء، ولا خلاف بين أهل العلم، وأهل السير فى ذلك.

... وهذا الذى دلت عليه الأحاديث الصحيحة، التى وردت فى صفة الإسراء والمعراج فى الصحيحين وغيرهما، من أحاديث جماعة من الصحابة - رضى الله عنهم - وفى أحدها قوله - صلى الله عليه وسلم - : "فلم أزل أرجع بين ربى تبارك وتعالى، وبين موسى - عليه السلام -، حتى قال : يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة ".

جـ- وأما زعمهم أنه جعل الجمعة، يوم صلاة عامة، على غرار السبت عند اليهود، فهو أيضاً قول مخالف للصواب، لأن الله سبحانه شرع لعباده المؤمنين الاجتماع لعبادته يوم الجمعة، فقال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذالكم خير لكم إن كنتم تعلمون }.

وقد ثبت أنّ الله أمر الأمم السابقة بتعظيمه، فضلوا عنه، واختار اليهود السبت، والنصارى الأحد، وفضل الله هذه الأمة بيوم الجمعة لفضيلته فعن أبى هريرة وحذيفة قالا : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا، فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة. نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضى لهم قبل الخلائق ففى الحديث ذم لأهل الكتابين، على تفريطهم فى يوم الجمعة، ثم شرع - صلى الله عليه وسلم -، صيام يوم السبت ويوم الأحد مخالفة لهما، كما جاء فى حديث أم سلمة - رضى الله عنها -، قالت : "كان رسول - صلى الله عليه وسلم -، يصوم يوم السبت ويوم الأحد أكثر مما يصوم من الأيام، ويقول : إنهما عيد المشركين، فأنا أحب أن أخالفهم".

... قال الحافظ ابن حجر : : "يوم السبت عيد عند اليهود، والأحد عيد عند النصارى، وأيام العيد لا تصام، فخالفهم بصيامها".

المطلب الثالث

موقف أهل الكتاب من اليهود والنصارى زمن النّبي – صلى الله عليه وسلم ـ من القرآن الكريم[1]

يختلف موقف هؤلاء عن سابقيهم من الكفار، فالجرم في جانبهم أفدح، والضلال في موقفهم أوضح ؛ لأنهم أهل كتاب، عرفوا الحق فأنكروه بغياً وحسداً من عند أنفسهم أنْ لم تكن فيهم النبوة، على الرغم من أن كتبهم حدثتهم بصدق محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن يبعث أو يأتي زمانه.

لقد جاءت آيات القرآن الكريم تسجل هذه الحقائق، وتصف هؤلاء المعاندين الجاحدين بما يستحقون: قال الله تعالى: " وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ " [البقرة : 89].

وقال سبحانه : " وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " [البقرة : 101].

وقال ـ عز وجل – : " الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ " [البقرة : 146]

---

[1] مع التحقيق انظر كتاب مصدر القرآن الكريم في رأي المستشرقين عرض ودراسة ونقد أ. د /محمد السيد راضي جبريل

وقال -عز وجل-: " أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ " [الأنعام : 114]. ولقد قصت السيرة علينا الكثير من نبأ هؤلاء المعاندين، ومن أبرز ما ذكرته قصة حُيي بن أخطب وأخيه أبي ياسر، قصتها أم المؤمنين صَفِيّةَ بِنْتِ حُيَيّ بْنِ أَخْطَبَ قَالَتْ : " كُنْت أَحَبّ وَلَدِ أَبِي إلَيْهِ وَإِلَى عَمّي أَبِي يَاسِرٍ لَمْ أَلْقَهُمَا قَطّ مَعَ وَلَدٍ لَهُمَا إلّا أَخَذَانِي دُونَهُ. قَالَتْ فَلَمّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - الْمَدِينَةَ، وَنَزَلَ قُبَاءَ، فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، غَدَا عَلَيْهِ أَبِي، حُيَيّ بْنُ أَخْطَبَ، وَعَمّي أَبُو يَاسِرِ بْنِ أَخْطَبَ، مُغَلّسَيْنِ[1]. قَالَتْ فَلَمْ يَرْجِعَا حَتّى كَانَا مَعَ غُرُوبِ الشّمْسِ.

قَالَتْ فَأَتَيَا كَالّيْنِ[2] كَسْلَانَيْنِ سَاقِطَيْنِ يَمْشِيَانِ الْهُوَيْنَى. قَالَتْ فَهَشِشْتُ إلَيْهِمَا كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ فَوَاَللّهِ مَا الْتَفَتَ إلَيّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا، مَعَ مَا بِهِمَا مِنْ الْغَمّ. قَالَتْ وَسَمِعْت عَمّي أَبَا يَاسِرٍ وَهُوَ يَقُولُ لِأَبِي حُيَيّ بْنِ أَخْطَبَ : أَهُوَ هُوَ ؟ قَالَ نَعَمْ وَاَللّهِ ، قَالَ : أَتَعْرِفُهُ وَتُثْبِتُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ. قَالَ : فَمَا فِي نَفْسِك مِنْهُ ؟ قَالَ : عَدَاوَتُهُ وَاَللّهِ مَا بَقِيتُ ".

وفي المقابل سجل القرآن موقف الفريق الذي عرف الحق من هؤلاء فاتبعه، قال الله سبحانه: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (52) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ. [القصص : 52، 53]

وقال تعالى :" وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ" [العنكبوت : 47]

---

[1] الغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح.
[2] كلّ الرجل من المشي يَكِل كلا وكلالاً وكلالةً: إذا أعيا وتعب، وكلّ السيف: لم يقطع.

ولعل من أبرز الأمثلة لهذا الفريق مخيريق الذي يروي ابن إسحاق قصته فيقول[1] : ((وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ مُخَيْرِيقٍ، وَكَانَ حَبْرًا عَالِمًا، وَكَانَ رَجُلًا غَنِيّا كَثِيرَ الْأَمْوَالِ مِنْ النّخْلِ وَكَانَ يَعْرِفُ رَسُولَ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - بِصِفَتِهِ وَمَا يَجِدُ فِي عِلْمِهِ وَغَلَبَ عَلَيْهِ إلْفُ دِينِهِ فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتّى إذَا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَكَانَ يَوْمُ أُحُدٍ يَوْمَ السّبْتِ، قَالَ : يَا مَعْشَرَ يَهُودَ وَاَللهِ إنّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنّ نَصْرَ مُحَمّدٍ عَلَيْكُمْ لَحَقّ. قَالُوا : إنّ الْيَوْمَ يَوْمُ السّبْتِ قَالَ لَا سَبْتَ لَكُمْ. ثُمّ أَخَذَ سِلَاحَهُ فَخَرَجَ حَتّى أَتَى رَسُولَ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - بِأُحُدٍ وَعَهِدَ إلَى مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ إنْ قُتِلْتُ هَذَا الْيَوْمَ فَأَمْوَالِي لِمُحَمّدٍ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - يَصْنَعُ فِيهَا مَا أَرَاهُ اللهُ. فَلَمّا اقْتَتَلَ النّاسُ قَاتَلَ حَتّى قُتِلَ. فَكَانَ رَسُولُ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - فِيمَا بَلَغَنِي - يَقُولُ مُخَيْرِيقُ خَيْرُ الْيَهُودِ وَقَبَضَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمْوَالَهُ فَعَامّةُ صَدَقَاتِ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالْمَدِينَةِ مِنْهَا.)).

هؤلاء الذين عرفوا الحق من أهل الكتاب فاتبعوه كانوا قلة إذا ما قيسوا بالذين عرفوا الحق فجحدوه، وهو ما يتبادر إلى الأذهان عند ذكر موقف أهل الكتاب من القرآن، وقد علل القرآن نفسه لهذا الموقف - خاصة اليهود - بأنه الحسد البغيض للنّبي- صلى الله عليه وسلم - لما أنعم الله عليه بالرسالة وهو الحسد الذي دفعهم إلى محالفة كفار قريش على مستوى السيف قتالاً، كما حدث منهم في غزوة الأحزاب، وعلى مستوى شهادة الزور مقالاً، كما ورد في قوله تعالى : " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (51) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (52) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (53) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (54) فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (55) " [النساء: 51 - 55].

---

[1] السيرة النبوية لابن هشام (3/ 51).

فعن ابن عباس -رضي الله عنهم- قال [1]: ((قدم حيي بن أخطب وكعب ابن الأشرف مكة على قريش، فحالفوهم على قتال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقالوا لهم : أنتم أهل العلم القديم والكتاب الأول، فأخبرونا عنا وعن محمد، فقالوا : ما أنتم وما محمد ؟ قالوا : نحن ننحر الكوماء - يعني الناقة المرتفعة السنام- ونسقي اللبن على الماء، ونفك العناة – الأسارى - ونسقي الحجيج، ونصل الأرحام، قالوا : فما محمد ؟ قالوا : صنبور - يعني لا عقب له - قطع أرحامنا، واتبعه سراق الحجيج بنو غفار، قالوا: بل أنتم خير منه وأهدى سبيلاً، فأنزل الله -عز وجل - : " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيل " [النساء : 51].

المطلب الرابع

موقف كفار قريش ومن تبعهم من القرآن الكريم [2]

لقد وقف كفار قريش من أول الأمر موقف العداوة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- وحتى يوهموا غيرهم أنهم على شيء، زعموا أنّ القرآن الذي يُدعون إلى الإيمان به ليس وحياً من عند الله، بل هو كذب واختلاق.

ولقد اضطربت أحوالهم في ذلك اضطراباً شديداً، فتارة يزعمون أنّ القرآن كلام مفترى اختلقه النّبي- صلى الله عليه وسلم - من عند نفسه : قال الله تعالى " وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ [سبأ : 43]

---

[1] المعجم الكبير المؤلف : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (11 / 251)

[2] مصدر القرآن الكريم في رأي المستشرقين عرض ودراسة ونقد أ. د /محمد السيد راضي جبريل المصدر: موقع صيد الفوائد

وتارة يقولون : إنّ النّبي- صلى الله عليه وسلم - استعان في القرآن بآخرين، أو أنّ هذا القرآن أساطير الأولين أمليت عليه فدوّنها، وراح يتلوها على الناس : قال الله تعالى : " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (4) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (5) [الفرقان].

على أنّ المتأمل في موقفهم هذا من خلال ما حكاه القرآن من مقولاتهم، وسطره التاريخ عنهم يتبين في هذا الموقف معالم ثلاثة تنطق بحيرتهم، وضلالهم، وكذبهم، وفي النهاية إصرارهم على الكفر.

أول هذه المعالم : التخبط الذي يكشف عن جهلهم وحيرتهم وظلام أنفسهم.

وهم في هذا المجال: تارة يسوقون التهم جزافاً، ففي آية واحدة يقص الله تعالى من مقولاتهم صوراً متعددة من الاتهامات، لا يركنون إلى واحد منها؛ لسبب بديهي هو: أنه ليس شيء منها يصدق على القرآن : قال الله تعالى : " بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ " [الأنبياء : 5].

وتارة تكون حقيقة كون القرآن وحياً أثقل من أن ينكروها، فيصرفون اتهامهم عن القرآن إلى من أنزل عليه، فيتضمن كلامهم الإقرار بأن القرآن مُنَزَّلٌ، ولكنه نزل على من ليس أهلاً لذلك؛ لفقره : قال الله تعالى :

" وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ " [الزخرف : 31]

وتارة يقرون بصدق المنَزَّل وأهلية المنزّل عليه، ولكنهم ينكرون كيفية إنزاله : قال الله تعالى : " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا " [الفرقان : 32].

وتارة أخرى يُعييهم الاعتراض فيطلبون قرآناً غيره : قال الله تعالى :

" وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ " [يونس : 15].

وذلك كله ينطق بتخبطهم في إنكار حق لا يجدون وجهاً لإنكاره، أو دليلاً على عدم صحته.

المَعْلَم الثاني من معالم موقف الكفار من القرآن :

التكلف والتعسف لتسويغ موقفهم المكذب للقرآن :

وذلك يتجلى واضحاً في حيرة بعض فصحائهم عندما استمع إلى القرآن فلم يجد أحسن منه كلاماً، وأفصح منه لفظاً، وأرقى منه فكراً، فعاد إلى قومه بهذا الرأي في القرآن، فنهروه ولم يرضوا منه إلا أن يقول في القرآن قولاً يناسب ما هم عليه من كفر وتكذيب به. وهذا ما جاء مفصلاً في حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النّبي - صلى الله عليه وسلم - فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال : يا عمّ إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً كثيراً، قال : لم؟

قال : ليعطوكه، فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قِبَله، قال : قد علمتْ قريش أني من أكثرها مالاً، قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له، أو أنك كاره له، قال : وماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز، ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته، قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه.

قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر، يأثره عن غيره، فنَزلت: إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18)"

وتمام ما نزل من القرآن في هذا الرجل قول الله تعالى: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (12) وَبَنِينَ شُهُودًا (13) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (14) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (16) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (17) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25) [المدثر: 11 - 25].

والآيات الكريمة تصور مدى المعاناة في تقرير باطل يصادم الحق، فهذا الكافر يكدّ ذهنه ويعتصر قريحته، ويقطب جبينه، وهو يعاني ميلاداً عسيراً لفكرة يعيب بها القرآن الكريم فلا يجد شيئاً من ذلك، ويتصاعد ما به فيعبس وجهه، ويتغير لونه، ولا ينتهي إلى شيء فيه مقنع، وبدلاً من قبول الحق يدبر عن ذلك، ويقول في القرآن قولاً هو في قرارة نفسه لا يصدقه:" إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25)" ولكنه التكلف للكفر، والانتصار للباطل!

المعلم الثالث: الإصرار على الكفر بعد ظهور الحق وغلبة حجته:

وذلك يتمثل في رفض الإذعان للحق في الإيمان بالقرآن عناداً واستكباراً، بل دفعهم العناد إلى رفض الإيمان بأي وحي قبل القرآن : " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ "[سبأ: 31].

لقد كان الكفار يتواصون فيما بينهم بعدم الاستماع إلى القرآن، والتشويش على من يتلوه؛ خشية من أن يتأثر سامعوه فتنهار مقاومتهم لهذا الحق بحجته الصادقة، وبرهانه الناصع :" وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ " [فصلت : 26].

وهكذا تقلب موقف كفار قريش من القرآن في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بين : اتهام باطل لا يستند إلى دليل، وتخبط بين دعاوى لا يصح منها شيء، ومكابرة وإصرار على الكفر رغم وضوح الحق، كل ذلك والقرآن يقذف بالحجة تلو الحجة، والبرهان إثر البرهان في وجوه هؤلاء الأفاكين، ومن قال بقولهم ولف لفهم إلى يوم الدين.

المطلب الخامس

موقف أهل الكتاب من اليهود والنصارى زمن النّبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من القرآن الكريم[1]:

يختلف موقف هؤلاء عن سابقيهم من الكفار، فالجرم في جانبهم أفدح، والضلال في موقفهم أوضح ؛ لأنهم أهل كتاب، عرفوا الحق فأنكروه بغياً وحسداً من عند أنفسهم أنْ لم تكن فيهم النبوة، على الرغم من أن كتبهم حدثتهم بصدق محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن يبعث أو يأتي زمانه.

لقد جاءت آيات القرآن الكريم تسجل هذه الحقائق، وتصف هؤلاء المعاندين الجاحدين بما يستحقون : قال الله تعالى: " وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ " [البقرة : 89].

وقال سبحانه : " وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " [البقرة : 101].

وقال - عز وجل – : " الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ " [البقرة : 146]

---

[1] مع التحقيق انظر كتاب مصدر القرآن الكريم في رأي المستشرقين عرض ودراسة ونقد أ. د /محمد السيد راضي جبريل المصدر: موقع صيد الفوائد

وقال -عز وجل-: " أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ " [الأنعام : 114]. ولقد قصت السيرة علينا الكثير من نبأ هؤلاء المعاندين، ومن أبرز ما ذكرته قصة حُيي بن أخطب وأخيه أبي ياسر، قصتها أم المؤمنين صَفِيّةَ بِنْتِ حُيَيّ بْنِ أَخْطَبَ قَالَتْ : " كُنْت أَحَبّ وَلَدِ أَبِي إلَيْهِ وَإِلَى عَمّي أَبِي يَاسِرٍ لَمْ أَلْقَهُمَا قَطّ مَعَ وَلَدٍ لَهُمَا إلّا أَخَذَانِي دُونَهُ. قَالَتْ فَلَمّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - الْمَدِينَةَ، وَنَزَلَ قُبَاءَ، فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، غَدَا عَلَيْهِ أَبِي، حُيَيّ بْنُ أَخْطَبَ، وَعَمّي أَبُو يَاسِرِ بْنِ أَخْطَبَ، مُغَلّسَيْنِ[1]. قَالَتْ فَلَمْ يَرْجِعَا حَتّى كَانَا مَعَ غُرُوبِ الشّمْسِ. قَالَتْ فَأَتَيَا كَالّيْنِ[2] كَسْلَانَيْنِ سَاقِطَيْنِ يَمْشِيَانِ الْهُوَيْنَى. قَالَتْ فَهَشِشْتُ إلَيْهِمَا كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ فَوَاَللهِ مَا الْتَفَتَ إلَيّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا، مَعَ مَا بِهِمَا مِنْ الْغَمّ. قَالَتْ وَسَمِعْت عَمّي أَبَا يَاسِرٍ وَهُوَ يَقُولُ لِأَبِي حُيَيّ بْنِ أَخْطَبَ : أَهُوَ هُوَ ؟ قَالَ نَعَمْ وَاَللهِ قَالَ أَتَعْرِفُهُ وَتُثْبِتُهُ ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَمَا فِي نَفْسِك مِنْهُ ؟ قَالَ عَدَاوَتُهُ وَاَللهِ مَا بَقِيتُ ".

وفي المقابل سجل القرآن موقف الفريق الذي عرف الحق من هؤلاء فاتبعه، قال الله سبحانه: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (52) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ. [القصص : 52، 53]

وقال تعالى :" وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ" [العنكبوت : 47]

---

[1] الغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح.

[2] كلّ الرجل من المشي يَكِل كلا وكلالاً وكلالةً: إذا أعيا وتعب، وكلّ السيف: لم يقطع.

ولعل من أبرز الأمثلة لهذا الفريق مخيريق الذي يروي ابن إسحاق قصته فيقول[1] : ((وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ مُخَيْرِيقٍ، وَكَانَ حَبْرًا عَالِمًا، وَكَانَ رَجُلًا غَنِيّا كَثِيرَ الْأَمْوَالِ مِنْ النّخْلِ وَكَانَ يَعْرِفُ رَسُولَ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - بِصِفَتِهِ وَمَا يَجِدُ فِي عِلْمِهِ وَغَلَبَ عَلَيْهِ إلْفُ دِينِهِ فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتّى إذَا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَكَانَ يَوْمُ أُحُدٍ يَوْمَ السّبْتِ، قَالَ : يَا مَعْشَرَ يَهُودَ وَاَللهِ إنّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنّ نَصْرَ مُحَمّدٍ عَلَيْكُمْ لَحَقّ. قَالُوا : إنّ الْيَوْمَ يَوْمُ السّبْتِ قَالَ لَا سَبْتَ لَكُمْ. ثُمّ أَخَذَ سِلَاحَهُ فَخَرَجَ حَتّى أَتَى رَسُولَ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - بِأُحُدٍ وَعَهِدَ إلَى مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ إنْ قُتِلْتُ هَذَا الْيَوْمَ فَأَمْوَالِي لِمُحَمّدٍ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - يَصْنَعُ فِيهَا مَا أَرَاهُ اللهُ. فَلَمّا اقْتَتَلَ النّاسُ قَاتَلَ حَتّى قُتِلَ. فَكَانَ رَسُولُ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – يَقُولُ : مُخَيْرِيقُ خَيْرُ الْيَهُودِ وَقَبَضَ رَسُولُ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - أَمْوَالَهُ فَعَامّةُ صَدَقَاتِ رَسُولِ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - بِالْمَدِينَةِ مِنْهَا.)).

هؤلاء الذين عرفوا الحق من أهل الكتاب فاتبعوه كانوا قلة إذا ما قيسوا بالذين عرفوا الحق فجحدوه، وهو ما يتبادر إلى الأذهان عند ذكر موقف أهل الكتاب من القرآن، وقد علل القرآن نفسه لهذا الموقف - خاصة اليهود - بأنه الحسد البغيض للنّبي- صلى الله عليه وسلم - لما أنعم الله عليه بالرسالة وهو الحسد الذي دفعهم إلى محالفة كفار قريش على مستوى السيف قتالاً، كما حدث منهم في غزوة الأحزاب، وعلى مستوى شهادة الزور مقالاً، كما ورد في قوله تعالى : " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (51) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (52) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (53) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (54) فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (55) " [النساء: 51 - 55].

---

[1] سيرة ابن هشام - (1 / 517)

فعن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال [1]: ((قدم حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف مكة على قريش، فحالفوهم على قتال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقالوا لهم : أنتم أهل العلم القديم والكتاب الأول، فأخبرونا عنا وعن محمد، فقالوا : ما أنتم وما محمد ؟ قالوا : نحن ننحر الكوماء - يعني الناقة المرتفعة السنام- ونسقي اللبن على الماء، ونفك العناة – الأسارى - ونسقي الحجيج، ونصل الأرحام، قالوا : فما محمد ؟ قالوا : صنبور - يعني لا عقب له - قطع أرحامنا، واتبعه سراق الحجيج بنو غفار، قالوا: بل أنتم خير منه وأهدى سبيلاً، فأنزل الله -عز وجل - : " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيل " [النساء : 51].

المطلب السادس

شبهة أنّ مهمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاصرة على بلاغ القرآن فقط[2]والرد عليها :

استدلالهم بقوله تعالى :

مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (99) [المائدة : 99]

وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (54) [النور : 54] ، وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (18) [العنكبوت : 18]

---

[1] المعجم الكبير المؤلف : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (11 / 251)

[2] الكتاب : رد شبهات حول عصمة النبى صلى الله عليه وسلم فى ضوء السنة النبوية الشريفة المؤلف : عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى المحقق : عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى عدد الأجزاء : 1

قال رشاد خليفة [1] : "إن مهمة الرسول الوحيدة : هى تبليغ القرآن بدون أى تغيير، أو إضافة، أو اختزال، أو شرح". وقال فى موضع آخر : "أمر محمد بتبليغ القرآن فقط بدون أى تغيير، وألا يختلق أى شئ آخر" ويقول : " محمد ممنوع من التفوه بأى تعاليم دينية سوى القرآن ".

ويقول محمد نجيب [2] : " نسبة أى شئ للرسول غير القرآن طعن فى أمانة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ".

ويقول أحمد صبحى منصور : " إنّ إسناد قول ما للنّبى وجعله حقيقة دينية هو اتهام للنّبى بأنه فرط فى تبليغ الرسالة... بإيجاز كانت مهمة النبى مقتصرة على التبليغ دون الإفتاء والتشريع".

ويقول إسماعيل منصور [3] : " إنه ليس لجبريل - عليه السلام - فى القرآن الكريم دور إلا النقل الأمين فحسب، كما أنه ليس لمحمد فيه دور كذلك إلا البلاغ الصادق وحده. قال تعالى : { إن عليك إلا البلاغ } وقال سبحانه : {وما على الرسول إلا البلاغ المبين }.

---

[1] هو : رشاد عبد الحليم محمد خليفة، حصل على بكالوريوس الزراعة من جامعة عين شمس، بمصر، عمل خبيراً زراعياً بالولايات المتحدة الأمريكية، وكان عميلاً للبهائية ويدعوا إليها، وينكر حجية السنة النبوية، ادعى النبوة، ومات مقتولاً داخل مسجد قريب من جامعة أريزونا، حيث كان يقوم بتدريس أفكاره البهائية التى تشكك فى الإسلام، وفى حجية السنة المطهرة

[2] كاتب مصرى معاصر، من مؤلفاته "الصلاة" أنكر فيه السنة المطهرة، وزعم أن تفاصيل الصلاة واردة فى القرآن الكريم، وكتابه صادر عن ندوة أنصار القرآن، نشر دائرة المعارف العلمية الإسلامية.

[3] إسماعيل منصور جودة، تخرج من جامعة الأزهر، وحصل على العالمية فى الطب البيطرى من الجامعة، تبرأ من السنة، وزعم أنها أكذوبة كبيرة وخطيرة، وداهية كبرى، أريد بها التشويش على كلام الله تعالى. من آثاره : تبصير الأمة بحقيقة السنة، وشفاء الصدر بنفى عذاب القبر، وبلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمين. وغير ذلك.

ويقول جمال البنا [1] : "ونصوص القرآن الكريم واضحة، وصريحة، ومتعددة، وهى تحصر دور الرسول فى البلاغ، وكثيراً ما تأتى الإشارة إلى البلاغ بصيغة الحصر، ولكنها فى حالات أخرى تضيف إلى البلاغ صفة "المبين" قال تعالى : { وإن تولوا فإنما عليك البلاغ } وقال سبحانه : { فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين }.

الرد على استدلالهم بقوله تعالى " وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ(54) ":

إذا كان أعداء السنة المطهرة والسيرة العطرة اتخذوا لأنفسهم شعار "القرآنيون" يستدلون به وحده على ما يزعمون؛ فهم يحرصون دائماً على الإيمان ببعض القرآن، والكفر ببعضه الآخر؛ حيث أنهم هنا فى افتراءاتهم يستدلون بظاهر وعموم بعض الآيات القرآنية التى تحث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، على البلاغ، وتركوا باقى نصوص القرآن الكريم التى تفصل حقيقة هذا البلاغ، وتفصل أيضاً باقى أدوار رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فى رسالته.

والشواهد من الآيات القرآنية ترد على افتراءاتهم، وتبين فى وضوح وجلاء أن دور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى رسالته ليس قاصراً على بلاغ القرآن الكريم فقط، وإنما بيان هذا الكتاب الكريم، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وتزكيتهم، والحكم بينهم فى كل شأن من شئون حياتهم، وما كل ذلك إلا بالسنة المطهرة، والسيرة العطرة التى ينكرونها.

قال تعالى : { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك } والبلاغ الذى أمر المولى عز وجل به رسوله، هو الوظيفة الأولى له - صلى الله عليه وسلم - وهو بلاغ عام وشامل لكل ما تحتاج إليه البشرية فى عاجلها وآجلها، ودنياها وأخراها، وقد وصل إلينا هذا البلاغ فى وحيين :

---

[1] هو : ابن العالم المحدث الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا، صاحب الفتح الربانى فى ترتيب مسند أحمد، وشقيق الأستاذ حسن البنا، المرشد الأول لجامعة الإخوان المسلمين، من آثاره التى طعن فيها فى حجية السنة، الأصلان العظيمان، والسنة ودورها فى الفقه الجديد. وغير ذلك.

أحدهما : متلو وهو القرآن الكريم.

وثانيهما : غير متلو وهو السنة المطهرة.

... ويدل على عموم البلاغ، عموم الاسم الموصول "ما" فى الآية الكريمة، كما عمم من أراد تبليغهم، حيث حذف المفعول الأول لـ "بلغ" ليعم الخلق المرسل إليهم؛ والتقدير : بلغ جميع ما أنزل إليك من كتاب وسنة، من يحتاج إلى معرفته من أمر الدين الموحى به إليك.

أما كون رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، كما نص القرآن، ما عليه إلا البلاغ، والاستدلال بظاهر ذلك على حصر مهمته فى بلاغ القرآن فقط، فإن ذلك فهم غير مراد ؛ لأن قوله تعالى : { مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ [المائدة : 99] } معناه نفى الإكراه على الاعتقاد والإيمان، نحو قوله تعالى : { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (108) [يونس : 108] } وقال سبحانه : { فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ [الشورى : 48] } والمعنى : نفى الإكراه على الاعتقاد والإيمان، ففى العقيدة والتصديق القلبى، لا إكراه، أى ليس هناك إلا البلاغ، أما فى شريعة الدولة والسياسة والاجتماع والمعاملات، فهناك السلطان والثواب والعقاب، وليس هناك أدنى تناقض بين وقوف سلطان الرسول صلى الله عليه وسلم، فى العقيدة عند البلاغ؛ { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ [البقرة : 256] } وبين وجود ووجوب الطاعة المتميزة له، فى إطار بيان وتطبيق الوحي الإلهى... بل إن القرآن الكريم يجمع بين الأمرين فى الآية الواحدة. وتأمل قوله تعالى : { قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (54) [النور : 54] } فالرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، طاعة متميزة وسلطان وتشريع لإقامة الدين، والإقامة تطبيق وتجسيد، يزيد على مجرد البلاغ والتبليغ بدليل ما يلى :

قوله تعالى : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (44) [النحل : 44] } و"التبيين" هنا غير "التبليغ" الذى هو الوظيفة الأولى للنّبى - صلى الله عليه وسلم -، { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ [المائدة : 67] }.

و"التبيين" و"التبليغ" وظيفتان موضوعهما واحد هو "القرآن الكريم" عبر عنه فى آية "التبليغ" بهذا اللفظ : { مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ} وعبر عنه فى آية التبيين بلفظ مختلف : { مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } وبينهما فروق لها دلالتها. مردها إلى الفرق بين الوظيفتين.

"فالتبليغ" : تأدية النص، تأدية "ما أنزل" كما "أنزل" دون تغيير ما على الإطلاق، لا زيادة ولا نقصان، ولا تقديم ولا تأخير.

و"التبيين" : إيضاح، وتفسير، وكشف لمراد الله من خطابه لعباده، كى يتسنى لهم إدراكه، وتطبيقه، والعمل به على وجه صحيح.

"والتبليغ" : مسئولية "المبلغ" وهو المؤتمن عليها، وهذا سر التعبير: {وأنزلنا إليك } حيث عدى الفعل "أنزل" بـ "إلى" إلى ضمير النّبى- صلى الله عليه وسلم المخاطب.

و"التبيين" : مهمة، فرضتها حاجة الناس لفهم ما خوطبوا به وبلغوه، وإدراك دلالته الصحيحة، ليطبقوه تطبيقاً صحيحاً. ومن هنا كانت المخالفة فى العبارة ... "نزل إليهم" حيث عدى الفعل "نزل" بـ "إلى" مضافاً إلى الضمير "هم" أى الناس، وعدى الفعل : "لتبين" إلى الناس بـ "اللام" أن كانت حاجتهم إلى "التبيين" هى السبب والحكمة من ورائه، وهى توحى بقوة أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ليس بحاجة إلى ما احتاج إليه الناس من هذا التبيين، ولعمرى إنه لكذلك، فقد أوحى إليه بيانه وألهمه، فالتقى فى نفسه "البيان" و"المبين" معاً وأصبح مؤهلاً لأن يقوم بالوظيفتين : وظيفة البلاغ، ووظيفة التبيين على سواء!.

وكما أن محالاً أن يكتم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، شيئاً مما أمر بتبليغه، فمحال أن يترك شيئاً مما أمر بتبليغه دون أن يبينه، فكلا الأمرين : التبليغ والتبيين من صميم رسالته : { بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ } ... { لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِم [النحل : 44] } 0 واختلاف الناس فى فهم القرآن ما بين مصيب ومخطئ... واختلافهم فى درجات الإصابة، ودرجات الخطأ... برهان بين على حاجتهم إلى "تبيين" لكتاب ربهم، ينهض به إمام الموقعين عن رب العالمين ... رسول الله الذى أنزل عليه هذا الكتاب.

هنا يقع قول الله تعالى : { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا [الحشر : 7] } موقعاً يسد كل ثغرة، يحاول النفاذ منها من يرفض "سنة رسول الله" أو يهون من شأنها، أو يسعى للتشكيك فيها، وإسقاط حجيتها وإلزامها.

ويقع نفس الموقع قول النّبى - صلى الله عليه وسلم - :" لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ ". [1]

أنّ إنكار مهمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، البيانية، أو رفضها أو التشكيك فيها ينطوى على رفض وتكذيب للقرآن نفسه؟.

كما ينطوى على الطعن فى عصمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فى بلاغ وحى الله تعالى، إليه، لأنّ ترك تبيين كلمة واحدة فى القرآن الكريم، تحتاج إلى تبيين دون أن يبينها تقصير، ككتمان حرف واحد مما أمر بتبليغه، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - مبرأ من أن يخون فى التبليغ، أو يقصر فى التبيين.

[1] سنن الترمذي ت شاكر (5/ 38).

فمن المتهم إذن : باتهام رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، بأنه فرط فى تبليغ رسالته؟ من يؤمن بأن من مهمته فى رسالته البيان أم من ينكر ذلك؟!.

حجة منكروا السنة وزعمهم أنّ الله – عز وجل – تكفل بالبيان والتفصيل في القرآن الكريم :

حجتهم أنّ المولى - عز وجل - تكفل بهذا البيان والتفصيل فى قوله : { ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19) [القيامة : 19] } وقوله سبحانه : { وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّل [الأنعام : 114] } وقوله : { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ [النحل : 89] }.

الرد عليهم :

لا حجة لهم فى ذلك لما يلى :

أ- أنّ مجئ لفظ البيان فى جانب الله تعالى : { ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19) [القيامة : 19] }، ومجئ لفظ "التبيين" فى جانب رسول الله، { لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ [النحل : 44] } لا يفسر بأنه تنويع فى اللفظ، أو تفنن فى العبارة، وإنما هو قصد مقصود، وراءه دلالات يبحث عنها وهى : أن "بيان" الله للقرآن إنما هو لنبيه - صلى الله عليه وسلم-، ومصدره هو الله تعالى، ومستقبله رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، وطريقه : الوحي فى صورة ما من صورة. أما "التبيين" فهو من رسول الله للناس، ومصدره رسول الله، ومستقبله المخاطبون بهذا القرآن، وطريقه إنما هو "اللغة" وليس "الوحي".

عن رسول الله "لغة وكلاماً"، إذن : هناك اختلاف بين "البيان" و"التبيين" من ثلاث جهات : من جهة المصدر، ومن جهة المستقبل، ومن جهة الطريق أو الأداة، أو الوسيلة، التى يعبر خلالها "البيان" أو "التبيين" إلى مستقبله هل يكفى هذا لبيان السبب فى اختصاص كل لفظ بموضعه؟.

وهل يزعم زاعم بعد هذا أن بالإمكان التعبير عن كلا "البيانين" "بيان الله" و"تبيين رسوله" للقرآن بلفظ واحد.

إنّ الفرق من السعة والوضوح والعمق، بحيث يفرض اختلاف التعبير فى هذين المقامين المختلفين.

ب- إن المراد بتفصيل وتبيان الكتاب لكل شئ يعنى : تفصيل وتبيان القرآن لكل شئ من أحكام هذا الدين كقواعد كلية مجمله. أما تفاصيل تلك القواعد، وما أشكل منها، فالبيان فيها راجع إلى تبيين رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

ويدل على ذلك قول ابن مسعود فى قوله تعالى : { تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ } قال : قد بين لنا فى هذا القرآن، كل علم، وكل شئ. وقال مجاهد : كل حلال وحرام، وقول ابن مسعود أعم وأشمل؛ فإن القرآن اشتمل على كل نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتى، وكل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون فى أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم. وقال الأوزاعى "تبياناً لكل شئ" أى بالسنة.

ولا تعارض بين القولين - ابن مسعود والأوزاعى - فابن مسعود يقصد العلم الإجمالى الشامل، والأوزاعى يقصد تفصيل وبيان السنة لهذا العلم الإجمالى. ومن هنا؛ فالقول بأن القرآن الكريم تبيان لكل شئ قول صحيح فى ذاته بالمعنى الإجمالى السابق، ولكن الفساد فيما بنوه عليه من قصر مهمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، على بلاغ القرآن فقط، وإنكار مهمته البيانية (السنة المطهرة) والاكتفاء بالقرآن ليؤولوه حسب أهوائهم، وإلا فرب العزة هو القائل فى نفس سورة النحل، وقبل هذه الآية قال : { لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (39) [النحل : 39] } وقال سبحانه : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (44) [النحل : 44] } وقال عز وجل : { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ [النحل : 64] } فتلك ثلاث

آيات كريمات فى نفس سورة النحل، وسابقة لآية { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ [النحل : 89] } والثلاث آيات تسند صراحة مهمة التبيين إلى نبيه - صلى الله عليه وسلم -، فهل يعقل بعد ذلك أن يسلب الله عز وجل هذه المهمة - التبيين - التى هى من مهام الرسل جميعاً كما قال: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم [إبراهيم : 4] } ويوقع التناقض بقوله: { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا } وقوله : { وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّل [الأنعام : 114] } ؟!.

إن كل الرافضين لمهمة رسول الله البيانية، لابد أن يلتزموا بهذه النتيجة التى تعود بالنقض على الإيمان بالكتاب، وبمن أنزل الكتاب جل جلاله، سواء أقروا بلسانهم بهذا النقض أم لا، وتنبهوا إلى ذلك أم لا؟!!.

استدلالهم بحديث عمر بن الخطاب " حسبنا كتاب الله " وحديث ابن عباس " وقد تركت فيكم " :

استدلوا بالأحاديث والآثار المؤذنة بالاقتصار على كتاب الله - عز وجل -. نحو قوله - صلى الله عليه وسلم - : " وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ [1]"

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " هَلُمُّوا أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ " فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ غَلَبَهُ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَاخْتَصَمُوا فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ قَرِّبُوا يَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالِاخْتِلَافَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُومُوا.

---

[1]. صحيح مسلم (4/ 39).

قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ : فَكَانَ يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ لِاخْتِلَافِهِمْ وَلَغَطِهِمْ ". [1]

وأشباه هذا مما روى مرفوعاً وموقوفاً، بالاقتصار على القرآن فقط.

... يقول الحافظ : "الاقتصار على الوصية بكتاب الله؛ لكونه أعظم وأهم، ولأن فيه تبيان كل شئ، إما بطريق النص، وإما بطريق الاستنباط، فإذا اتبع الناس ما فى الكتاب، عملوا بكل ما أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم، به لقوله تعالى : { مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا [الحشر:7] } وهذا الذى قاله الحافظ رحمه الله، يؤكد ما سبق ذكره.

ومما هو جدير بالذكر هنا. أن الكلام السابق للحافظ، نقله مبتوراً جمال البنا حيث قال : "التمسك بالقرآن والعمل بمقتضاه، إشارة إلى قوله - صلى الله عليه وسلم - : "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله" وترك جمال البنا، بيان أن العمل بالقرآن الكريم يقتضى العمل بالسنة كما صرح ابن حجر.

وهذا ما فعله أيضاً أحمد صبحى منصور. حيث نقل كلام الحافظ ابن حجر الذى نقلته، وبتر منه لفظه (النّبى - صلى الله عليه وسلم -) فصارت العبارة : "فإذا اتبع الناس ما فى الكتاب عملوا بكل ما أمرهم به" وإذا تقرر لك هناك أنّ لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فى رسالته مهمة غير التبليغ وهى تبيين القرآن الكريم، الملازم للمهمة الأولى وهى تبليغه. فاعلم أنّ لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، حكم فى رسالته، جعله ربه من مهام رسالته.

---

[1] صحيح البخاري (10/ 529).

3- قال تعالى : { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ [النساء : 105] } فبين ربنا سبحانه أنه أنزل الكتاب إلى رسوله - صلى الله عليه وسلم -، ليحكم بين الناس بما ألهمه الله وأرشده، وإذا كان الحكم بالقانون، غير سن القانون فإن حكم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، بما جاء فى القرآن من تشريعات، فضلاً عن تبيينه بالسنة، هو أمر زائد على مجرد البلاغ لهذه التشريعات.

وتحكيمه - صلى الله عليه وسلم - فى كل شئون حياتنا، والرضى بحكمه، والتسليم به، جعله رب العزة علامة الإيمان كما قال : { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (65) [النساء : 65] } وما ذلك إلا لأن حكمه - صلى الله عليه وسلم -، وحى من الله واجب الاتباع لقوله { بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ [النساء : 105] } وعلى هذا الفهم صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ومن بعدهم، يدل على ذلك قول عمر - رضى الله عنه - وهو على المنبر : "يا أيها الناس إنّ الرأى إنما كان من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، مصيباً لأن الله - عز وجل - كان يريه، وإنما هو منا الظن والتكلف" لقد قال عمر ذلك على المنبر، ولم يعترض عليه أحد من الحاضرين، لا من الصحابة، ولا من التابعين، مما يدل على أنهم جميعاً يعلمون أن لرسول الله حكم فى رسالته هو من ربه، وهو أمر زائد على مجرد البلاغ!.

وقال تعالى : { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (164) [آل عمران : 164] } إنّ الله - عز وجل - فى هذه الآية الكريمة، يمتن على هذه الأمة، ببعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، من أنفسهم، وأنه جاء ليس لمجرد بلاغ وتلاوة القرآن الكريم فقط - كما يزعم أعداء الإسلام ؛ وإنما جاء مع بلاغ القرآن وتلاوته ؛ جاء بتزكيتهم وتعليمهم الكتاب والحكمة.

وهذه التزكية والتعليم من مهامه - صلى الله عليه وسلم - فى دعوته، مع بلاغه للقرآن وبيانه لما فيه، وحكمه به. وبهذه المهمة (التزكية والتعليم) تكون هداية الناس، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

5- قال تعالى : { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّور [إبراهيم : 1] } أى من ظلمات الكفر والجهل والضلالة، إلى نور الإيمان والعلم والهداية وقال سبحانه : { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم [الشورى : 52] } فأسند الهداية إليه - صلى الله عليه وسلم -، مما يدل على أنه - عليه الصلاة والسلام - بكل ما جاء به من عند الله - عز وجل -، يهدى إلى صراط مسقيم.

... وتأمل قوله "لتخرج" وقوله "تهدى" إنه سبحانه اسند الفعلين إليه - صلى الله عليه وسلم - وفى ذلك دلالة على أن ذلك من مهام رسالته التى كلفه بها، مع بلاغه للقرآن وتبيينه لما فيه، وحكمه بين الناس وتزكيته وتعليمه لأمته؛ وكل ذلك ينكره أعداء هذه الأمة.

المبحث الحادي عشر

الرعيل الأول وأوائل من أسلم

وفيه عدة مطالب :

المطلب الأول :ما قيل في أول من أسلم.

المطلب الثاني :الرعيل الأول.

المطلب الثالث : السابقون إلى الإسلام بعد هؤلاء الثمانية

المطلب الرابع :الصحابي ومنزلته في الشريعة.

المطلب الخامس : هل يُعدُّ ورقة بن نوفل من الصحابة.

المطلب الأول

ما قيل في أول من أسلم

خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها

يُجمع كتاب السيرة دون مخالف لهم على أنّ خديجة أول من استجاب لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

قال ابن هشام [1] : وأمنت به خديجة بنت خويلد ، وصدقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره ، وكانت أول من آمن بالله وصدق بما جاء منه.

وقال الواقدى [2] : أصحابنا مجمعون على أنّ أول أهل القبلة استجاب لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خديجة بنت خويلد.

وقال الحلبى [3] :

ولا يخفى على أهل الأثر وعلماء السير على أنّ أول الناس إيماناً به ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الإطلاق خديجة ـ رضى الله عنها ـ

أول من أسلم بعد خديجة :

اختلفت الروايات فى أول من أسلم بعد خديجة ـ رضى الله عنها ـ بين على بن أبى طالب وزيد بن حارثة وأبو بكر الصديق ـ رضى الله عنهم جميعا ـ فمنهم من قال :علي ثم زيد ثم أبو بكر [4] ومن قال : الظاهر أنّ أهل بيته ـ صلى الله عليه وسلم ـ آمنوا قبل كل أحد خديجة وزيد وزوجه أم أيمن وعلي ـ رضى الله عنهم ـ

---

[1] السيرة النبوية لإبن هشام ج 1 ص 77 تحقيق طه عبد الرؤوف سعد دار الجيل بيروت
[2] سبل الهدى والرشاد ج 1 ص 307
[3] سيرة الحلبي ج 1 ص 431
[4] دلائل النبوة للبيهقي رواية عن ابن اسحاق

أدلة القائلون بأنّ عليا أول من أسلم من الذكور :

قال بذلك ابن كثير بناءًا على ما رواه عن ابن اسحق حيث قال [1] : وقال ابن اسحق : ثم إنّ على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ جاء بعد ذلك بيوم وهما يصليان ، فقال على : يا محمد ما هذا ؟ قال : دينُ الله الذى اصطفى لنفسه ، وبعث به رسله فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، وإلى عبادته ، وأن تكفر باللات والعُزَّى ،فقال على : هذا أمرٌ لم أسمع به من قبل اليوم ، فلست بقاضٍ أمرًا حتى أُحدِّث به أبا طالب.

فكره رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يفشى عليه سرَّه قبل أن يُستعلن أمره فقال له : يا علي إذا لم تسلم فاكتم.

فمكث علىٌّ على تلك الليلة ، ثم إنّ الله أوقع فى قلب علىّ الإسلام فأصبح غاديا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى جاءه فقال : ماذا عرضت لى يا محمد ؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى وتبرأ من الأنداد. ففعل عليٌّ وأسلم ، ومكث يأتيه على خوف من أبى طالب ، وكتم علىٌّ إسلامه ولم يظهره.

وقال الطبرى [2] : كان أول ذكر آمن برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصلى معه وصدَّقه بما جاء من عند الله علىّ بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ. ثم ذكر الطبرى بعض من قال بذلك فروى عن ابن عباس قال : أول من صلى عليٌّ. ورَوى عن جابر قال :بُعث النّبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الاثنين ، وصلى علىٌّ يوم الثلاثاء.

وعن زيد بن أرقم قال :أول مَنْ أسلم مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ علىٌّ بن أبى طالب.

---

[1] السيرة النبوية لإبن كثير ج 1 ص428 ، والطبري ج 2 ص 312

[2] تاريخ الرسل والملوك للطبري ج 2 ص 310

ثم يَروى دليل آخر وهو حديث عفيف الذى ذكرناه آنفا.

وروى البيهقى فى الدلائل عن محمد بن كعب القُرظى[1] : إنّ أول من أسلم من هذه الأمة برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خديجة بنت خويلد وأول رجلين أسلما أبو بكر الصديق ، وعلي بن أبى طالب ـ رضى الله عنهما ـ وأنّ أبا بكر الصديق أوّل من أظهر الإسلام وأن عليا كان يكتم الإسلام فَرَقا من أبيه حتى لقيه أبو طالب ؛ فقال: أسلمت ؟ قال : نعم ، قال : وآزر ابن عمك وانصره. وقال : أسلم علىٌّ قبل أبى طالب.

أما الحديث الذى رُوى عن عبَّاد وابن عبد الله قال : سمعت علياً يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصِّديق الأكبر لا يقولها بعدى إلا كاذب مُفْتر ، صليت قبل الناس بسبع سنين.

وهو الذى رواه ابن ماجه عن محمد بن إسماعيل الرازى ، عن عبيد الله ابن موسى الفَهى ـ وهو شيعى من رجال الصحيح فقد قيل أنه حديث ضعيف وقال البخارى : فيه نظر، وقال ابن كثير : وهذا الحديث مُنْكَر بكل حال ، ولا يقوله علىّ ـ رضى الله عنه ـ وكيف يمكن أن يصلى قبل الناس بسبع سنين ؟! هذا لا يُتصور أصلا. والله أعلم [2]

القائلون بأن أبى بكر أول من أسلم :

روى الطبرى [3]: فى تاريخه من عدة طرق عن الشعبى قال : قلت لابن عباس : مَنْ أول الناس إسلاماً ؟ فقال : أما سمعت قول حسان بن ثابت :

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجْوًا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ.. ... فَاذْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلا

خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أَتْقَاهَا وَأَعْدَلُهَا.. ..... بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلا

وَالثَّانِيَ التَّالِيَ الْمَحْمُودُ مَشْهَدُهُ.. . وَأَوَّلُ النَّاسِ مِمَّنْ صَدَّقَ الرُّسُلا

---

[1] دلائل البيهقي ج 2 ص 163

[2] انظر سيرة ابن كثير ج 1 ص 432

[3] تاريخ الطبري ج 2 ص 314 – 315

وروى أيضا عن أبى أمامة الباهلى ، قال : حدثنى عمرو بن عبسة قال : أتيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو نازل بعكاظ ، قلت :

يا رسول الله مَنْ تَبِعك على هذا الأمر ؟ قال : اتبعني عليه رجلان ، حُرٌّ وعبد ، أبو بكر وبلال ، قال :فأسلمت عند ذلك ، قال : فلقد رأيتُنى إذ ذاك رُبْع الإسلام. لكن روى أيضا عن جبير بن نفير ، قال : كان أبو ذر وابن عَبَسة كلاهما يقول : لقد رأيتُنى رُبْع الإسلام ، ولم يُسلِم قبلى إلا النّبي وابو بكر وبلال ، وكلاهما لا يدرى متى أسلم الآخر.

ورَوَى أيضا عن عمرو بن مرة قال : قال النخعى : أبو بكر أول من أسلم

القائلون بأنّ زيد أول من أسلم :

قال الواقدى : حدثنى ابن أبى ذئب ، قال :

سألت الزُّهرى مَنْ أول مَنْ أسلم ؟ قال : من النساء خديجة ، ومن الرجال زيد بن حارثة.

وعن أبي الأسود ، عن سليمان بن يسار قال : أول مَنْ أسلم زيد بن حارثة ، وكذلك رَوى عن عمران بن أبى أنس وعن عروة مثله.

وقد وَفَّقَ العلماء بين اختلاف هذه الرويات بأن قالوا :أول مَنْ أسلم من النساء خديجة ومن الرجال أبو بكر ومن الصبية على ومن الموالى زيد ، وقالوا فى بنات النّبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنهن أسلمن تبعا لأمهن خديجة ـ رضى الله عنها ـ ، ثم أنه كان من حبهن لأبيهن وثقتهن بصدقه دُفعوا إلى الإيمان به دون أدنى شك أو كبوة. وقد كان لأوائل من أسلم مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دور كبير فى مجال الدعوة يدعونا إلى سرد ترجمة عن حياتهم نذكرها لكل منهم في حينها.

اسلام أبو ذر الغفاري

الكثيرون من كُتاب السير لم يذكروا قصة اسلام أبي ذر الغفاري مع أوائل من أسلم ، وقد يكون ذلك لأنه أسلم وعاد إلى قبيلته ولم يلتق مع الرسول إلا بعد الخندق وقد آثرت أن أذكره هنا تأكيدا على أنه من أوائل من أسلم.

اسمه ونسبه – رضي الله عنه ـ [1]:

أبو ذر الغفاري :

جُنْدُبُ بْنُ جُنَادَةَ بْنِ سُفْيَانَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ حَرَامِ بْنِ غِفَارِ بْنِ مُلَيْلِ بْنِ ضَمْرَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ، أبو ذر : صحابي، من كبارهم. قديم الاسلام، يقال أسلم بعد أربعة وكان خامسا. يضرب به المثل في الصدق. وهو أول من حيا رسول الله- صلى الله عليه وسلم - بتحية الاسلام.

شهادة النّبي – صلى الله عليه وسلم – له :

في مسند أحمد[2] : عَنْ أَبِي حَرْبِ بْنِ أَبِي الْأَسْوَدِ قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : " مَا أَقَلَّتْ الْغَبْرَاءُ وَلَا أَظَلَّتْ الْخَضْرَاءُ مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ ".

قصة اسلام أبي ذر الغفاري :

وردت لنا قصة اسلام أبي ذر – رضي الله عنه – في صحيح البخاري عن أَبُي جَمْرَةَ قَالَ [3]: قَالَ لَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِإِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ ؟ قَالَ : قُلْنَا بَلَى. قَالَ : قَالَ أَبُو ذَرٍّ: كُنْتُ رَجُلًا مِنْ غِفَارٍ فَبَلَغَنَا أَنَّ رَجُلًا قَدْ خَرَجَ بِمَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَقُلْتُ لِأَخِي : انْطَلِقْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ كَلِّمْهُ وَأْتِنِي بِخَبَرِهِ.

---

[1] المعجم الكبير للطبراني (2/ 147) ، الأعلام للزركلي (2/ 140).

[2] مسند أحمد (11/ 70) ، مسند البزار = البحر الزخار (6/ 450)، مصنف ابن أبي شيبة (6/ 387).

[3] صحيح البخاري ت (9/ 41) ، مسند البزار = البحر الزخار (9/ 333).

فَانْطَلَقَ فَلَقِيَهُ ثُمَّ رَجَعَ فَقُلْتُ : مَا عِنْدَكَ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَيَنْهَى عَنْ الشَّرِّ. فَقُلْتُ لَهُ : لَمْ تَشْفِنِي مِنْ الْخَبَرِ. فَأَخَذْتُ جِرَابًا وَعَصًا ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى مَكَّةَ فَجَعَلْتُ لَا أَعْرِفُهُ وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ وَأَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ وَأَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ قَالَ : فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ فَقَالَ :

كَأَنَّ الرَّجُلَ غَرِيبٌ ؟ قَالَ : قُلْتُ نَعَمْ. قَالَ : فَانْطَلِقْ إِلَى الْمَنْزِلِ. قَالَ : فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ وَلَا أُخْبِرُهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ لِأَسْأَلَ عَنْهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يُخْبِرُنِي عَنْهُ بِشَيْءٍ. قَالَ : فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ فَقَالَ : أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ يَعْرِفُ مَنْزِلَهُ بَعْدُ ؟ قَالَ : قُلْتُ لَا.

قَالَ : انْطَلِقْ مَعِي قَالَ : فَقَالَ مَا أَمْرُكَ ، وَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ الْبَلْدَةَ ؟ قَالَ : قُلْتُ لَهُ إِنْ كَتَمْتَ عَلَيَّ أَخْبَرْتُكَ. قَالَ : فَإِنِّي أَفْعَلُ. قَالَ : قُلْتُ لَهُ بَلَغَنَا أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ هَا هُنَا رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَأَرْسَلْتُ أَخِي لِيُكَلِّمَهُ فَرَجَعَ وَلَمْ يَشْفِنِي مِنْ الْخَبَرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَلْقَاهُ. فَقَالَ لَهُ : أَمَا إِنَّكَ قَدْ رَشَدْتَ ، هَذَا وَجْهِي إِلَيْهِ فَاتَّبِعْنِي ادْخُلْ حَيْثُ أَدْخُلُ فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ أَحَدًا أَخَافُهُ عَلَيْكَ قُمْتُ إِلَى الْحَائِطِ كَأَنِّي أُصْلِحُ نَعْلِي وَامْضِ أَنْتَ.

فَمَضَى وَمَضَيْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ وَدَخَلْتُ مَعَهُ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقُلْتُ لَهُ : اعْرِضْ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ. فَعَرَضَهُ فَأَسْلَمْتُ مَكَانِي فَقَالَ لِي : يَا أَبَا ذَرٍّ اكْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ. فَقُلْتُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ.

فَجَاءَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَقُرَيْشٌ فِيهِ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَقَالُوا : قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ. فَقَامُوا فَضُرِبْتُ لِأَمُوتَ فَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ : وَيْلَكُمْ تَقْتُلُونَ رَجُلًا مِنْ غِفَارَ وَمَتْجَرُكُمْ وَمَمَرُّكُمْ عَلَى غِفَارَ ؟! فَأَقْلَعُوا عَنِّي فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الْغَدَ رَجَعْتُ فَقُلْتُ مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالْأَمْسِ فَقَالُوا : قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ. فَصُنِعَ بِي مِثْلَ مَا صُنِعَ بِالْأَمْسِ وَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ وَقَالَ : مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالْأَمْسِ. قَالَ : فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال الزركلي : هاجر بعد وفاة النّبي - صلى الله عليه وسلم - إلى بادية الشام، فأقام إلى أن توفي أبو بكر وعمر وولي عثمان، فسكن دمشق وجعل ديدنه تحريض الفقراء على مشاركة الاغنياء في أموالهم، فاضطرب هؤلاء، فشكاه معاوية - وكان والي الشام - إلى عثمان - الخليفة - فاستقدمه عثمان إلى المدينة، فقدمها واستأنف نشر رأيه في تقبيح منع الاغنياء أموالهم عن الفقراء، فعلت الشكوى منه، فأمره عثمان بالرحلة إلى الربذة - من قرى المدينة - فسكنها إلى أن مات.

وكان كريما لا يخزن من المال قليلا ولا كثيرا، ولما مات لم يكن في داره ما يكفن به.

دعوة أبو بكر الناس للإسلام [1]**:**

كان أبو بكر رجلا مألوفاً لقومه محبا سهلا وكان أنسب قريش لقريش وأعلم بما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلا تاجراً ذا خُلُق ومعروف.

وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته. فجعل يدعو إلى الإسلام مَنْ وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه ، فأسلم على يديه فيما بلغنى : الزبير بن العوام وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنهم جميعا - ، فانطلقوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعهم أبو بكر فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحق الإسلام فآمنوا ، وكل هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام فصلوا وصدقوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

[1] السيرة النبوية لابن هشام (2/ 89) ، السيرة النبوية لابن كثير (1/ 437).

وينقل لنا التاريخ كم سَخَّرَ اللهُ ـ عزَّ وجلّ ـ هؤلاء الذين سبقوا للإسلام لخدمة ذلك الدين ونشر دعوته ، مما يجعلنا لا نشك أنَّ هؤلاء وثُلة أخرى أسلمت معهم فى بداية الدعوة هم اختيار الله ـ عزَّ وجلّ ـ لصحبة النّبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمشاركته عِبء الدعوة فى حياته وعبؤها بعد أن لقى ربه.

فكما اختار ـ سبحانه ـ أنقى البشر ليكون صاحب الدعوة الخاتمة الحُجة لخلق الله أجمعين اختار أيضا صحبه الكرام دُعامة له فى حياته للدعوة إلى الله ودُعامة للإسلام بعد إنتقاله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الرفيق الأعلى ، لخصوصية هذه الدعوة عن سائر الدعوات. ولعل هذه الأسباب وأخرى كثيرة غيرها هى التى توجب علينا نقل ترجمة يسيرة عن بعض منهم فى دراستنا هذه فقد نزلت تشريعات كثيرة كان لهم فيها مواقف.

المطلب الثاني

الرعيل الأول

النَّفَرُ الثَّمَانِيَةُ الَّذِينَ سَبَقُوا النَّاسَ بِالْإِسْلَامِ

1) خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ.
2) عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ.
3) زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ شُرَحْبِيلَ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى.
4) أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ

ذِكْرُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ الصّحَابَةِ بِدَعْوَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[1]

1) عُثْمَانُ بْنُ عَفّانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ بْنِ غَالِبٍ.

[1] السيرة النبوية لابن هشام (2/ 90).

2) وَالزّبَيْرُ بْنُ الْعَوّامِ بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى بْنِ قُصَيّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ.
3) عَبْدُ الرّحْمَنِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَبْدِ عَوْفِ بْنِ عَبْدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقّاصٍ، وَاسْمُ أَبِي وَقّاصٍ مَالِكُ بْنُ أُهَيْبُ بْنُ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ مُرّةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ.
4) طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ فَجَاءَ بِهِمْ إلَى رَسُولِ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – وَصَلّوْا

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَكَانَ هَؤُلَاءِ النّفَرُ الثّمَانِيَةُ الّذِينَ سَبَقُوا النّاسَ بِالْإِسْلَامِ فَصَلّوْا وَصَدّقُوا رَسُولَ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - بِمَا جَاءَهُ مِنْ اللهِ.

قصة إسلام أبي بكر الصديق

عن أنس قال [1]: لما كان ليلة الغار قال أبو بكر : يا رسول الله دعني أدخل قبلك فإن كان حية أو شيء كانت لى قبلك. قال : أُدخل فدخل أبو بكر فجعل يلتمس بيده كلما رأى جُحراً قال بثوبه فشقه ثم ألقمه الجُحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع. قال : فبقى جُحر فوضع عَقِبَه عليه ثم أدخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما أصبح قال له النّبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأين ثوبك يا أبا بكر ؟ فأخبره بالذى صنع فرفع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يديه وقال : اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى يوم القيامة فأوحى الله ـ عزَّ وجلّ ـ إليه أن الله تعالى قد استجاب لك.

فمَنْ هذا الرجل الذى درجته مع درجة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم القيامة ؟

اسمه : عبد الله بن أبى قحافة ، واسم أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر يجتمع مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مُرَّة بن كعب.

[1] انظر كتاب صفة الصفوة لإبن القيم ج 1 ص 102

وكان اسم أبى بكر فى الجاهلية عبدَ الكعبة فسماهُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبدَ الله [1]. واسم أمه أم الخير[2] : سلمى بنت صخر بن عامر ماتت مسلمة

تسمى أبو بكر بعتيق وفى هذه التسمية ثلاثة أقوال :

الأول : ما روى عن عائشة أنها سئلت. لما تسمى أبو بكر عتيقا؟ فقالت : نظر إليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال هذا عتيق من النار.

الثاني : انه اسم سمته به أمه ، قاله موسى بن طلحة

والثالث : أنه سمى به لجمال وجهه قاله الليث بن سعد

وقال ابن قتيبة : لقبه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك لجمال وجهه ، وسماه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ صِديقا وقال : يكون بعدى اثنا عشر خليفة أبو بكر الصديق لا يلبث إلا قليلا وكان على بن أبى طالب يحلف بالله أنّ الله أنزل اسم أبى بكر من السماء (الصديق).

صفة أبى بكر :

كان نحيفا خفيف العارضين[3] معروق الوجه[4] ناتىء[5] الجبهة أجنى[1] لا يستمسك إزاره يسترخى عن حقويه[2]عارى الأشاجع[3]يخضب بالحناء والكتم [4].

---

[1] انظر الجوهر في نسب النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابة العشرة ج 2 ص 109 مركز زيدان للتراث والتاريخ

[2] صفة الصفوة ج 1 ص 100

[3] في الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (3 / 1086) : عارضتا الانسان: صفحتا خديه. وقولهم: فلان خفيف العارضين، يراد به خفة شعر عارضيه.

[4] في الصحاح في اللغة - (1 / 464) والعَرْقُ أيضاً: العظمُ الذي أُخذَ عنه اللحمُ، والجمع عُراقٌ بالضم. ورجلٌ مَعْروقُ العظامِ ومُعْتَرَقٌ، أي قليلُ اللحم. وتَعَرَّقْتُ العظمَ، مثل عَرَقْتُهُ.

[5] في الصحاح في اللغة - (2 / 191) نَتَأَ نَتْأً نُتوءًا ونتُوًّا. وفي المثل: " تَحْقِرُهُ ويَنْتَأُ " أي يرتفع. وكلُّ شيءٍ ارتفع من بيتٍ وغيره فهو ناتئٌ. ونَتَأَ الشيءُ: خرج من موضعه من غير أن يَبينَ. ونَتَأَتِ القَرْحَةُ: وَرِمَتْ. ونَتَأَتْ على القوم: طَلَعَتْ عليهم مثل نَبَأْتُ. ونَتَأَتِ الجاريةُ: بَلَغَتْ وارتفعت. وفي المحيط في اللغة - (2 / 381) النُّتُوْءُ: خُرُوْجُ الشيْءِ من مَوْضِعِه من غَيْرِ بَيْنُوْنَةٍ، وهو ناتئ.

أولاده [5] : كان له من الولد. عبد الله وأسماء ذات النطاقين وأمهما قُتيلة وعبد الرحمن وعائشة وأمهما أم رومان ، ومحمد وأمه أسماء بنت عُميس ، وأم كلثوم وأمهما حبيبة بنت خارجة بن زيد كان أبو بكر لما نزل المدينة على خارجة فتزوج ابنته.

أما أسماء فتزوجها الزبير فولدت له عدةً ثم طلقها فكانت مع ابنها عبد الله إلى أن قتل وعاشت مائة سنة ، وأما عبد الرحمن ، فشهد يوم بدر مع المشركين ثم أسلم ، وأما محمد فكان من نُساك قريش إلا أنه أعان على عثمان يوم الدار ثم ولَّاه على بن أبى طالب مصر فقتله هناك صاحب معاوية ، وأما أم كلثوم فتزوجها طلحة بن عبيد الله.

---

[1] في المعجم الوسيط (1/ 141) (جني) جنى خرج ظهره ودخل صدره فهو أجنى وهي جنواء (لغة في المهموز)

[2] في المحيط في اللغة (1/ 234، بترقيم الشاملة آليا) الحَقْوَانِ: الخاصِرَتانِ، والجَميعُ: الأحْقاءُ، والعَدَدُ: أحْقٍ، وعُذْتُ بِحَقْوِ فلانٍ: إذا عاذَ به ليَمْنَعَه. وحَقْوا الثَّنِيَّةِ في الجَبَلِ: مَخْرِماها. ورَمى فلانٌ حَقْوَه: أي ازارَه. والحَقْوَةُ: داءٌ يأخُذُ في البَطْنِ يُورِثُ نَفْخَةً في الحَقْوَينِ، حُقِيَ الرَّجُلُ فهو مَحْقُوٌّ. والحِقَاءُ: شِبْهُ كِسَاءٍ يُدْخَلُ بين حَقْوَيِ البَعيرِ ثُمَّ يُشَدُّ به وَسطُ الرَّحْلِ، وجَمْعُه: أحْقِيَةٌ. وهو أيضاً: الجِزَامُ الذي يكونُ عند الثِّيْلِ. وحَقْوُ السَّهْمِ: مُسْتَدَقُّه من مُؤخَّرِه ممّا يَلي الرِّيْشَ. وما أَشْرَفَ من الأرْضِ: الحَقْوُ، وجَمْعُه: حِقَاءٌ.

[3] في المحيط في اللغة - (1 / 33) والأشْجَعُ: هو العَصَبُ المَمدُودُ فوق السُلامى ما بينَ الرُّسْغ إلى أصول الأصَابع، وجَمْعُه أشَاجِعُ. وقيل: هو العَظْمُ الذي يَصِلُ الأصَابعَ بالرسْغِ؛ لكل إصْبَع أشْجَع، واحْتُجَ بقَوْلهم: " عاري الأشاجِع " للسباع. وقد يُجْعَلُ واحِدُ الأشاجِع شَجَعَةً. وفي الكنز اللغوي - (1 / 208)
الأشاجع وهي العصبات التي على ظهر الكف تتصل ببطون الأصابع والواحد

[4] في الصحاح في اللغة (2/ 107، بترقيم الشاملة آليا) والكَتَمُ بالتحريك: نبتٌ يخالط بالوَسْمَةِ يُختضب به.

[5] صفة الصفوة ج 1 ص 101

سبب إسلامه :

وردت روايات مختلفة عن سبب إسلامه منها :

- كان الصديق ـ رضى الله عنه ـ قبل بعثة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشتغل بالتجارة وكان يشارك فى رحلة الشتاء والصيف التى ذكرها القرآن\، وفى إحدى رحلاته للشام وبعد أن هيأ تجارته وقبل أن يعود إلى مكة رأى رؤيا استولت على وعيه وملأت وقته بالتفكير والتأمل فسارع إلى أحد الرهبان الصالحين ، وكان يعرفه وقص عليه أنه رأى أن القمر قد غادر مكانه فى الأفق الأعلى ونزل مكة حيث تجزأ إلى قطع وأجزاء تفرقت على جميع منازل مكة وبيوتها ثم تقاربت هذه الأجزاء مرة أخرى وعاد القمر إلى كيانه الأول واستقر فى حجر أبى بكر فتهلل وجه الراهب وقال له: لقد أهلَّت أيامه.
فلما سأله أبو بكر : من تعنى ؟ النّبى المنتظر ؟

قال : نعم وستؤمن معه وستكون أسعد الناس به.

فلما عاد أبو بكر وصل إلى أذنيه ما تردده قريش بشأن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد اقترب أحد الرجال إليه وقص عليه ما كان منه على جبل الصفا حيث أعلن أمام الملأ نبوته ، فأسرع حيث مجلس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال له : يا أبا القاسم ما الذى بلغنى عنك ؟

فسأله النّبى : وما بلغك عنى ؟ قال : بلغنى أنك تدعو إلى توحيد الله وزعمت انك رسول الله.

قال: نعم يا أبا بكر إن ربى جعلنى بشيرا ونذيرا وجعلنى دعوة إبراهيم وأرسلنى إلى الناس أجمعين

فما أبطا أبو بكر أن قال : والله ما جربت عليك كذبا وإنك لخليق بالرسالة لعظم أمانتك وصلتك لرحمك وحُسن فعالك مُد يدك فإنى أبايعك وهكذا أصبح أبو بكر أول رجل من شرفاء العرب دان للإسلام.

وفي الخصائص [1]: عن بعض الصحابة أنّ أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ آمن بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل النبوة ، أى علم أنه النّبى المنتظر لما مرَّ على بحيرا الراهب ، ولما سمعه من شيخ عالم من الأزد قد قرأ الكتب نزل به فى اليمن فقال له الشيخ : أحسبك حرميا ؟

فقال أبو بكر : نعم ، فقال له : أحسبك قرشيا ؟ قال : نعم فقال له أحسبك تميمياً ، قال : نعم ، قال بقيت لى فيك واحدة. قال وما هى قال له : تكشف لى عن بطنك فقال له لا أفعل أو تخبرنى لم ذلك ، فقال : أجد فى العلم النجيح الصادق أنّ نبيا يُبعث فى الحرام يعاونه على أمره فتى وكهل ، فأما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات ، وأما الكهل فأبيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه اليسرى علامة ، وما عليك أن ترينى ما سألتك فقد تكاملت فيك الصفة ، فقال أبو بكر : فكشفت له عن بطنى فرأى شامة بيضاء أو سوداء فوق سرتى ، فقال : أنت ورب الكعبة.

قال أبو بكر : فلما قضيت أربى من اليمن أتيته لأودعه فقال: أحافظ عنى أبياتا من الشعر قلتها فى ذلك النبى ؟ قلت : نعم ، فذكر له أبياتا. قال أبو بكر: فقدمت مكة وقد بُعث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجاءنى صناديد قريش كعقبة بن أبى معيط وشيبة بن ربيعة وأبى جهل وأبى البخترى ، فقالوا : يا أبا بكر يتيم أبى طالب يزعم أنه نبى ولولا انتظارك ما انتظرنا به ، فإذا قد جئت فأنت الغاية والكفاية ، قال أبو بكر : فصرفتهم على أحسن شيء ثم جئته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقرعت عليه الباب فخرج إليّ وقال لي : يا أبا بكر إنى رسول الله إليك وإلى الناس كلهم فأمِنْ بالله ، فقلت : وما دليلك على ذلك.

قال : الشيخ الذى أفادك الأبيات ، فقلت : ومن أخبرك يا حبيبى ، قال : المَلَك العظيم الذى يأتى الأنبياء قبلى. قلت مُد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

---

[1] الخصائص الكبرى المؤلف / أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي (1/ 52).

- وهناك رواية رويناها فى حديث بدء الوحى والتى فيها أنّ خديجة طلبت من أبى بكر الذهاب مع زوجها إلى ورقة بن نوفل ليقص عليه ما حدث له ، ولعل هذه الرواية دليل أيضا على إسلام أبى بكر بعد ذلك دون كبوة.

الزبير بن العوام بن خويلد[1]

(28 ق هـ - 36 هـ = 594 - 656 م)

اسم الزبير ونسبه :

الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الأسدي أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو ابن عمة رسول الله وابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النّبي وكانت أمه تكنيه أبا الطاهر بكنية أخيها الزبير بن عبد المطلب واكتنى هو بأبي عبد الله بابنه عبد الله فغلبت عليه.

عمره حين أسلم :

أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة قاله هشام بن عروة. وقال عروة : أسلم الزبير وهو ابن اثنتي عشرة سنة رواه أبو الأسود عن عروة. وروى هشام بن عروة عن أبيه : أنّ الزبير أسلم وهو ابن ست عشرة سنة. وقيل : أسلم وهو ابن ثماني سنين وقال الزركلي : أسلم وله 12 سنة ، وكان إسلامه بعد أبي بكر - رضي الله عنه - بيسير كان رابعا أو خامسا في الإسلام.

الزبير من أصحاب الهجرتين :

هاجر إلى الحبشة وإلى المدينة وآخى رسول الله بينه وبين عبد الله بن مسعود لما آخى بين المهاجرين بمكة فلما قدم المدينة وآخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار آخى بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش.

---

[1] أسد الغابة (2/ 307).

الزبير أول من سل سيفا في سبيل الله - عز وجل - :

كان الزبير أول من سل سيفا في الله - عز وجل - وكان سبب ذلك أنّ المسلمين لما كانوا مع النّبي - صلى الله عليه وسلم - بمكة وقع الخبر أنّ النّبي قد أخذه الكفار فأقبل الزبير يشق بسيفه والنّبي- صلى الله عليه وسلم - بأعلى مكة فقال له : " ما لك يا زبير " قال : أخبرت أنك أخذت. فصلى عليه النّبي - صلى الله عليه وسلم - ودعا له ولسيفه.

شهد الزبير المشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

وشهد المشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أحدا والخندق والحديبية وخيبر والفتح وحنينا والطائف وشهد فتح مصر وجعله عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - في الستة أصحاب الشورى الذين ذكرهم للخلافة بعده وقال : هم الذين توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو عنهم راض وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة.

بشر النّبي قاتل ابن صفية بالنار :

شهد الزبير الجمل مقاتلا لعلي فناداه علي ودعاه فانفرد به وقال له : أتذكر إذا كنت أنا وأنت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنظر إلي وضحك وضحكت فقلت أنت : لا يدع ابن أبي طالب زهوة فقال : " ليس بمزه ولتقاتلنه وأنت له ظالم " فذكر الزبير ذلك فانصرف عن القتال فنزل بوادي السباع وقام يصلي فأتاه ابن جرموز فقتله وجاء بسيفه إلى علي فقال : إنّ هذا سيف طالما فرج الكرب عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم ثم قال : بشر قاتل ابن صفية بالنار.

وكان قتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى من سنة ست وثلاثين وكان عمره لما قتل سبعا وستين سنة وقيل : ست وستون وكان أسمر ربعة معتدل اللحم خفيف اللحية.

عثمان بن عفان بن أبي العاص

(47 ق هـ - 35 هـ = 577 - 656 م)

اسمه ونسبه[1] :

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي. يجتمع هو ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في عبد مناف. يكنى : أبا عبد الله وقيل : أبو عمرو وقيل : كان يكنى أولا بابنه عبد الله وأمه رقية بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم كني بابن عمرو. وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس فهو ابن عمة عبد الله بن عامر وأم أروى : البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. ولقب بذي النورين لأنّه تزوج بنتي النّبي - صلى الله عليه وسلم - رقية ثم أم كلثوم.

اسلام عثمان بن عفان وزواجه من بنتي رسول الله :

أسلم في أول الإسلام دعاه أبو بكر إلى الإسلام فأسلم وكان يقول : إني لرابع أربعة في الإسلام ، ولما أسلم عثمان زوجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بابنته رقية وهاجرا كلاهما إلى أرض الحبشة الهجرتين ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة. ولما قدم إليها نزل على أوس بن ثابت أخي حسان بن ثابت.

وتزوج بعد رقية أم كلثوم بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما توفيت قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- : " لو أنّ لنا ثالثة لزوجناك "

وولد لعثمان ولد من رقية اسمه عبد الله فبلغ ست سنين وتوفي سنة أربع من الهجرة.

---

[1] أسد الغابة (3/ 578).

ولم يشهد عثمان بدرا بنفسه لأن زوجته رقية بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت مريضة على الموت فأمره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يقيم عندها فأقام وتوفيت يوم ورد الخبر بظفر النّبي - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين بالمشركين لكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ضرب له بسهمه وأجره فهو كمن شهدها ، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجنة.

قال الزركلي عنه [1] : كان غنيا شريفا في الجاهلية. ومن أعظم أعماله في الاسلام تجهيزه نصف جيش العسرة بماله، فبذل ثلاث مئة بعير بأقتابها وأحلاسها وتبرع بألف دينار. وصارت إليه الخلافة بعد وفاة عمر بن الخطاب سنة 23 هـ، فافتتحت في أيامه أرمينية والقوقاز وخراسان وكرمان وسجستان وإفريقية وقبس، وأتم جمع القرآن، وكان أبو بكر قد جمعه وأبقى ما بأيدي الناس من الرقاع والقراطيس، فلما ولي عثمان طلب مصحف أبي بكر فأمر بالنسخ عنه وأحرق كل ما عداه.

وهو أول من زاد في المسجد الحرام ومسجد الرسول، وقدم الخطبة في العيد على الصلاة، وأمر بالآذان الاول يوم الجمعة. واتخذ الشرطة. وأمر بكل أرض جلا أهلها عنها أن يستعمرها العرب المسلمون وتكون لهم. واتخذ دارا للقضاء بين الناس، وكان أبو بكر وعمر يجلسان للقضاء في المسجد وروى عن النّبي - صلى الله عليه وسلم - 146 حديثا.

نقم عليه الناس اختصاصه أقاربه من بني أمية بالولايات والأعمال، فجاءته الوفود من الكوفة والبصرة ومصر، فطلبوا منه عزل أقاربه، فامتنع، فحصروه في داره يراودونه على أن يخلع نفسه، فلم يفعل، فحاصروه أربعين يوما، وتسور عليه بعضهم الجدار فقتلوه صبيحة عيد الاضحى وهو يقرأ القرآن في بيته، بالمدينة.

---

[1] الأعلام للزركلي (4/ 210).

طلحة بن عبيد الله بن عثمان

(28 ق هـ - 36 هـ = 596 - 656 م)

اسمه ونسبه :

طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة أبو محمد القرشي التيمي وأمه الصعبة بنت عبد الله بن مالك الحضرمية يعرف بطلحة الخير وطلحة الفياض.

اسلام طلحة :

طلحة من السابقين الأولين إلى الإسلام دعاه أبو بكر الصديق إلى الإسلام فأخذه ودخل به على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما أسلم هو وأبو بكر أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية فشدهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم وكان نوفل أشد قريش فلذلك كان أبو بكر وطلحة يسميان القرينين وقيل : إنّ الذي قرنهما عثمان بن عبيد الله أخو طلحة فشدهما ليمنعهما عن الصلاة وعن دينهما فلم يجيبان فلم يرعهما إلا وهما مطلقان يصليان

ولما أسلم طلحة والزبير آخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بينهما بمكة قبل الهجرة فلما هاجر المسلمون إلى المدينة آخى رسول الله- صلى الله عليه وسلم - بين طلحة وبين أبي أيوب الأنصاري.

جهاد طلحة مع رسول الله :

طلحة أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد أصحاب الشورى ولم يشهد بدرا لأنه كان بالشام فقدم بعد رجوع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بدر فكلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سهمه فقال : " لك سهمك. قال : وأجري ؟ ، قال : " وأجرك " فقيل : كان في الشام تاجرا وقيل : بل أرسله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه سعيد بن زيد إلى طريق الشام يتجسسان الأخبار ، ثم رجعا إلى المدينة وهذا أصح ولولا ذلك لم يطلب سهمه وأجره.

وشهد أحدا وما بعدها من المشاهد وبايع بيعة الرضوان وأبلى يوم أحد بلاءا عظيما ووقى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنفسه واتقى عنه النبل بيده حتى شلت إصبعه وضرب على رأسه وحمل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ظهره حتى صعد الصخرة.

قال الزركلي في الأعلام [1]:

ويقال له (طلحة الجود) و (طلحة الخير) و (طلحة الفياض) وكل ذلك لقبه به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مناسبات مختلفة، ودعاه مرة (الصبيح المليح الفصيح). شهد أحدا وثبت مع رسول الله، وبايعه على الموت، فأصيب بأربعة وعشرين جرحا، وسلم، فشهد الخندق وسائر المشاهد. وكانت له تجارة وافرة مع العراق، ولم يكن يدع أحدا من بني تيم عائلا إلا كفاه مؤونته ومؤونة عياله ووفى دينه. قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة. ودفن بالبصرة. له 38 حديثا

سعد بن أبي وقاص

(23 ق هـ - 55 هـ = 600 - 675 م)

اسمه ونسبه[2] :

هو سعد بن مالك وهو سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص : مالك بن وهيب وقيل : أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الزهري يكنى أبا إسحاق وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس وقيل : حمنة بنت أبي سفيان بن أمية.

---

[1] الأعلام للزركلي - (3 / 229).
[2] أسد الغابة (2/ 452).

اسلام سعد :

أسلم بعد ستة وقيل بعد أربعة وكان عمره لما أسلم سبع عشرة سنة. روى عنه أنه قال : أسلمت قبل أن تفرض الصلاة ، وروت عنه ابنته عائشة أنه قال : رأيت في المنام قبل أن أُسلم كأني في ظلمة لا أبصر شيئا إذ أضاء لي قمر فاتبعته فكأني أنظر إلى من سبقني إلى ذلك القمر فأنظر إلى من سبقني إلى ذلك القمر فأنظر إلى زيد بن حارثة وإلى علي بن أبي طالب وإلى أبي بكر وكأني أسألهم : متى انتهيتم إلى ها هنا قالوا : الساعة وبلغني أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعو إلى الإسلام مستخفيا فلقيته في شعب أجياد وقد صلى العصر فأسلمت فما تقدمني أحد إلا هم

مكانته عند رسول الله :

هو أحد الذين شهد لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجنة وأحد العشرة سادات الصحابة وأحد الستة أصحاب الشورى الذين أخبر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - توفي وهم عنهم راض.

وفي اسد الغابة : عن عامر عن جابر قال : أقبل سعد فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - : " هذا خالي فليرني امرؤ خاله " وإنما قال هذا لأن سعدا زهري وأم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زهرية وهو ابن عمها.

سعد فارس الإسلام :

شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبلى يوم أحد بلاء عظيما وهو أول من أراق دما في سبيل الله وأول من رمي بسهم في سبيل الله. وهو [1] فاتح العراق، ومدائن كسرى، ويقال له : فارس الاسلام.

---

[1] الأعلام للزركلي (3/ 321).

افتتح القادسية، ونزل أرض الكوفة فجعلها خططا لقبائل العرب، وابتنى بها دارا فكثرت الدور فيها. وظل واليا عليها مدة عمر بن الخطاب. وأقره عثمان زمنا، ثم عزله. فعاد إلى المدينة، فأقام قليلا وفقد بصره. وقالوا في وصفة : (كان قصيرا دحداحا [1]، ذا هامة [2]، شثن الاصابع [3]، جعد الشعر[4]) مات في قصره بالعقيق (على عشرة أميال من المدينة) وحمل إليها. له في كتب الحديث 271 حديثا.

عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف

(44 ق هـ - 32 هـ = 580 - 652 م)

اسمه ونسبه[5] :

عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي الزهري يكنى أبا محمد. كان اسمه في الجاهلية : عبد عمرو وقيل : عبد الكعبة فسماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عبد الرحمن. وأمه الشفا بنت عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ولد بعد الفيل بعشر سنين.

---

[1] في جمهرة اللغة - (1 / 67) رجل دَحْداح ودَحْدَح، وهو القصير.

[2] في الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - دار العلم للملايين - (5 / 2063) الهامة: الرأس، والجمع هام. وهامة القوم: رئيسهم. والهامه من طير الليل، وهو الصدى، والجمع هام. قال ذو الرمة: قد أعسف النازح المجهول معسفه في ظل أخضر يدعو هامه البوم وكانت العرب تزعم أن روح القتيل الذى لا يدرك بثأره تصير هامة فتزقو عند قبره تقول: اسقوني اسقوني، فإذا أدرك بثأره طارت.

[3] في الصحاح في اللغة - (1 / 346) الشَثَنُ بالتحريك: مصدر شَثِنَتْ كفُّه، أي خشُنت وغلُظت. ورجل شَثْنُ الأصابع بالتسكين، وكذلك العضو.

[4] في القاموس المحيط - (1 / 348) الجَعْدُ من الشَّعَرِ : خِلافُ السَّبْطِ أو القَصيرُ منه. وفي المعجم الوسيط - (1 / 125) جعد الشعر وغيره جعودة وجعادة اجتمع وتقبض والتوى وقصر

[5] أسد الغابة - (1 / 708)

اسلامه وهجرته :

أسلم قبل أن يدخل الرسول - صلى الله عليه وسلم - دار الأرقم ، وكان أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام وأحد الخمسة الذي أسلموا على يد أبي بكر، وكان من المهاجرين الأولين هاجر إلى الحبشة وإلى المدينة. وآخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بينه وبين سعد بن الربيع.

جهاده مع رسول الله :

شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى دومة الجندل إلى كلب وعممه بيده وسدلها بين كتفيه. وقال له : إن فتح الله عليك فتزوج ابنة ملكهم - أو قال : شريفهم - وكان الأصبغ بن ثعلبة بن ضمضم الكلبي شريفهم فتزوج ابنته تماضر بنت الأصبغ فولدت له أبا سلمة بن عبد الرحمن ، وكان أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر بن الخطاب الخلافة فيهم وأخبر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- توفي وهو عنهم راض وصلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خلفه في سفرة وجرح يوم أحد إحدى وعشرين جراحة وجرح في رجله فكان يعرج منها وسقطت ثنيتاه فكان أهتم.

انفاقه في سبيل الله [1]:

كان كثير الإنفاق في سبيل الله - عز وجل - أعتق في يوم واحد ثلاثين عبدا وكان من الأجواد الشجعان العقلاء. وكان يحترف التجارة والبيع والشراء، فاجتمعت له ثروة كبيرة.وتصدق يوما بقافلة، فيها سبع مئة راحلة، تحمل الحنطة والدقيق والطعام. ولما حضرته الوفاة أوصى بألف فرس وبخمسين ألف دينار في سبيل الله. له 65 حديثا. ووفاته في المدينة.

---

[1] الأعلام للزركلي (3/ 321).

أوائل من أسلم بعد هؤلاء

يقول ابن كثير بعد ذكر إسلام أبى بكر :

ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير ابن العوام وسعد ابن أبى وقاص فأسلموا ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون ، وأبى عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن ابن عوف ، وأبى سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبى الأرقم ـ رضى الله عنهم جميعا [1] وهكذا بدأت الدعوة حتى اجتمع معهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانوا ثمانية وثلاثون رجلا ، وتقول عائشة [2]ـ رضى الله عنها ـ لما اجتمع أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألح أبو بكر على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الظهور فقال : يا أبا بكر إنَّا قليل ، فلم يزل أبو بكر يلُّح حتى ظهر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتفرق المسلمون فى نواحى المسجد كلُّ رجل فى عشيرته ، وقام أبو بكر فى الناس خطيبا ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جالس فكان أول خطيب دعا إلى الله ، وإلى رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وثار المشركون على أبى بكر وحدث ما ذكرناه فى ترجمته.

وكان من أسلم إذا أراد الصلاة يذهب إلى بعض الشعاب يستخفى بصلاته من المشركين ، فبينما سعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى شِعب من شِعاب مكة إذ ظهر عليه نفر من المشركين وهم يُصَلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن أبى وقاص رجلا منهم بلحى بعير فشجه ، فهو أول دم أهريق فى الإسلام

---

[1] السيرة النبوية لإبن كثير ج 1 ص 439

[2] المرجع السابق ص 439 وسبل الهدى والرشاد ج 2 ص 448

ثم دخل ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه مستخفين فى دار الأرقم بعد هذه الوقعة ، فكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأصحابه يقيمون الصلاة بدار الأرقم ، ويعبدون الله ـ تعالى ـ فيها إلى أن أمره ـ سبحانه ـ بإظهار الدين.

وما ورد فى سياق هذه الرواية يدل على أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ استمر بعبادته مستخفياً هو وأصحابه فى دار الأرقم إلى أن أظهر الدعوة وأعلنها.

المطلب الثالث

السابقون إلى الإسلام بعد هؤلاء الثمانية

1) أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرّاحِ، وَاسْمُهُ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْجَرّاحِ بْنِ هِلَالِ بْنِ أُهَيْب بْنِ ضَبّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ. [1]
2) أَبُو سَلَمَةُ وَاسْمُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ بْنِ هِلَالِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرِ بْنِ مَخْزُومِ بْنِ يَقَظَةَ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ. [2].

---

[1] (40 ق هـ - 18 هـ = 584 - 639 م) في أسد الغابة (2/ 524) قيل : اسمه عامر بن عبد الله بن الجراح. وقيل : عبد الله بن عامر. والأول أصح وهو : عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر القرشي الفهري أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وشهد بدرا وأحدا وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه و سلم وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية. وفي الأعلام للزركلي - (3 / 252) الامير القائد، فاتح الديار الشامية، قال ابن عساكر: داهيتا قريش أبو بكر وأبو عبيدة. وكان لقبه أمين الامة. ولد بمكة. وهو من السابقين إلى الاسلام. وشهد المشاهد كلها. وولاه عمر ابن الخطاب قيادة الجيش الزاحف إلى الشام، بعد خالد بن الوليد، فتم له فتح الديار الشامية، وبلغ الفرات شرقا وآسية الصغرى شمالا، ورتب للبلاد المرابطين والعمال، وتعلقت به قلوب الناس لرفقه وأناته وتواضعه. وتوفي بطاعون عمواس ودفن في غور بيسان، وانقرض عقبه. له 14 حديثا.

[2] في أسد الغابة (1/ 187) عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي المخزومي يكنى أبا سلمة وهو ابن عمة رسول الله صلى الله عليه و سلم أمه برة بنت عبد المطلب وهو أخو رسول الله صلى الله عليه و سلم وأخو حمزة بن عبد المطلب من الرضاعة وفي صفة الصفوة - (1 / 441) وشهد أبو سلمة بدرا وجرح بأحد فمكث شهرا يداوي جراحه ثم بعثه رسول الله صلى الله عليه و سلم في سرية فلما قدم انتفض جرحه ثم توفي فحضره رسول الله صلى الله عليه و سلم عند وفاته أو أغمضه بيده توفي في سنة ثلاث من الهجرة

3) وَالْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ. وَاسْمُ أَبِي الْأَرْقَمِ عَبْدُ مَنَافِ بْنِ أَسَدٍ - وَكَانَ أَسَدٌ يُكَنّى أَبَا جُنْدُبِ - بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومِ بْنِ يَقَظَةَ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ. [1]

4) عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ وَهْبِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُمَحَ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْصِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ. [2]

5) وَأَخَوَاهُ قُدَامَةُ بْنَ مَظْعُونِ بْنِ حَبِيبٍ [3]

6) عَبْدُ اللهِ بْنَ مَظْعُونِ بْنِ حَبِيبٍ. [4]

7) عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ الْمُطّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ. [1]

---

[1] في أسد الغابة (1/ 187) الأرقم بن أبي الأرقم واسم أبي الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي وأمه أميمة بنت عبد الحارث وقيل اسمها : تماضر بنت حذيم من بني سهم وقيل اسمها : صفية بنت الحارث بن خالد بن عمير بن غبشان الخزاعية يكنى أبا عبد الله كان من السابقين الأولين إلى الإسلام. أسلم قديما قيل : كان ثاني عشر. وكان من المهاجرين الأولين وشهد بدرا ونفله رسول الله صلى الله عليه و سلم منها سيفا واستعمله على الصدقات وهو الذي استخفى رسول الله صلى الله عليه و سلم في داره وهي في أصل الصفا والمسلمون معه بمكة لما خافوا المشركين فلم يزالوا بها حتى كملوا أربعين رجلا وكان آخرهم إسلاما عمر بن الخطاب فلما كملوا به أربعين خرجوا وفي صفة الصفوة - (1 / 442) وشهد الأرقم بدرا وأحدا والمشاهد كلها وتوفي ابن بضع وثمانين سنة في سنة خمس وخمسين بالمدينة وصلى عليه سعد بن أبي وقاص

[2]في الأعلام للزركلي (4/ 214) (000 - 2 ه = 000 - 624 م) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي، ابو السائب: صحابي، كان من حكماء العرب في الجاهلية، يحرم الخمر. وأسلم بعد ثلاثة عشر رجلا، وهاجر إلى أرض الحبشة مرتين.

وأراد التبتل والسياحة في الارض زهدا بالحياة، فمنعه رسول الله، فاتخذ بيتا يتعبد فيه، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فأتخذ بعضادتي البيت، وقال: يا عثمان إن الله لم يبعثني بالرهبانية (مرتين أو ثلاثا) وإن خير الدين عند الله الحنفية السمحة. وشهد بدرا. ولما مات جاءه النبي صلى الله عليه وسلم وفقبله ميتا، حتى رؤيت دموعه تسيل على خد عثمان. وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين وأول من دفن بالبقيع منهم.

[3] في الأعلام للزركلي (5/ 191)- (5 / 191) (000 - 36 ه = 000 - 656 م) قدامة بن مظعون بن حبيب الجمحي القرشي: صحابي، وال، من مهاجرة الحبشة. شهد بدرا وأحدا والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعمله عمر على البحرين، ثم عزله لشربه الخمر، وأقام عليه الحد في المدينة

[4] في الطبقات الكبرى (3/ 306) عبد الله بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح وأمه سخيلة بنت العنبس بن وهبان بن وهب بن حذافة بن جمح ويكنى أبا محمد وشهد عبد الله بن مظعون بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه و سلم ومات سنة ثلاثين في خلافة عثمان بن عفان وهو بن ستين سنة

8) سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ رِيَاحِ بْنِ رَزَاحِ بْنِ عَدِيّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ. [2]

9) وَامْرَأَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطّابِ بْنِ نُفَيْلِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُرْطِ بْنِ رِيَاحِ بْنِ رَزَاحِ بْنِ عَدِيّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ، أُخْتُ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ[3].

10) أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ[4].

---

[1] قال في الأعلام للزركلي - (4 / 198) (62 ق ه - 2 ه = 562 - 624 م) عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، أبو الحارث: من أبطال قريش في الجاهلية والاسلام. ولد بمكة، وأسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وعقد له النبي ثاني لواء عقده بعد أن قدم المدينة، وبعثه في ستين راكبا من المهاجرين، فالتقى بالمشركين وعليهم أبو سفيان بن حرب، في موضع يقال له " ثنية المرة " وكان هذا أول قتال جرى في الاسلام. ثم شهد بدرا وقتل فيها وفي أسد الغابة - (1 / 737) وكان أسن من رسول الله صلى الله عليه و سلم بعشر سنين

[2] في الأعلام للزركلي (4/ 198) (22 ق ه - 51 ه = 600 - 671 م) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي، أبو الأعور: صحابي، من خيارهم. هاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها إلا بدرا وكان غائبا في مهمة أرسله بها النبي صلى الله عليه وسلم. وهو أحد العشرة المبشرين وكان من ذوي الرأي والبسالة. وشهد اليرموك وحصار دمشق. وولاه أبو عبيدة دمشق. مولده بمكة، ووفاته بالمدينة. له في كتب الحديث 48 حديثا وفي أسد الغابة (3/ 547) وهو ابن عم عمر بن الخطاب يجتمعان في نفيل كان صهر عمر زوج أخته فاطمة بنت الخطاب وكان سعيد يكنى أبا الأعور وقيل : أبو ثور والأول أكثر أسلم قديما قبل عمر هو وامرأته فاطمة بنت الخطاب وهي كانت سبب إسلام عمر وكان من المهاجرين الأولين ولم يشهد بدرا وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره فقيل : إنما لم يشهدها لأنه كان غائبا بالشام فقدم عقيب غزاة بدر فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره.

[3] في الطبقات الكبرى (8/ 209) فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب وهي أخت عمر بن الخطاب وأمها حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم تزوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأسلمت هي وزوجها قبل عمر بن الخطاب وقبل دخول رسول الله صلى الله عليه و سلم دار الأرقم

[4] في الأعلام للزركلي (1/ 305) ذات النطاقين (000 - 73 ه = 000 - 692 م) أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر، من قريش: صحابية، من الفضليات.آخر المهاجرين والمهاجرات وفاة. وهي أخت عائشة لابيها، وأم عبد الله بن الزبير. تزوجها الزبير بن العوام فولدت له عدة أبناء بينهم عبد الله. ثم طلقها الزبير فعاشت بمكة مع ابنها عبد الله، إلى أن قتل. فعميت بعد مقتله وتوفيت بمكة. وهي وإبنها وأبوها وجدها صحابيون. شهدت اليرموك مع ابنها عبد الله وزوجها. وكانت فصيحة حاضرة القلب واللب، تقول الشعر. وخبرها مع الحجاج بعد مقتل ابنها عبد الله، مشهور. عاشت مئة سنة وهي محتفظة بعقلها. وسميت (ذات النطاقين) لانها صنعت للنبي صلى عليه وسلم طعاما حين هاجر إلى المدينة، فلم تجد ما تشده به، فشقت نطاقها وشدت به الطعام. لها 56 حديثا

11) عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَهِيَ يَوْمئِذٍ صَغِيرَةٌ [1].

12) خَبّابُ بْنُ الْأَرَتّ، حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : خَبّابُ بْنُ الْأَرَتّ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ وَيُقَالُ هُوَ مِنْ خُزَاعَةَ [2].

13) عُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقّاصٍ، أَخُو سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقّاصٍ[3].

---

[1] في أسد الغابة (7/ 186) عائشة بنت أبي بكر الصديق الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأشهر نسائه وأمها أم رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة الكنانية تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بسنتين وهي بكر قال أبو عبيدة وقيل : بثلاث سنين. وقيل : بأربع سنين. وقيل : بخمس سنين. وكان عمرها لما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين وقيل : سبع سنين. وبني بها وهي بنت تسع سنين بالمدينة. وكان جبريل قد عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم صورتها في سرقة حرير في المنام لما توفيت خديجة وكناها رسول الله صلى الله عليه وسلم أم عبد الله بابن أختها عبد الله بن الزبير وفي الأعلام للزركلي (3/ 240) (9 ق هـ - 58 هـ = 613 - 678 م) عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان، من قريش : أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والادب. كانت تكنى بأم عبد الله. تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية بعد الهجرة، فكانت أحب نسائه إليه، وأكثرهن رواية للحديث عنه. ولها خطب ومواقف. وما كان يحدث لها أمر إلا أنشدت فيه شعرا. وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض فتجيبهم. وكان (مسروق) إذا روى عنها يقول: حدثتني الصديقة بنت الصديق. وكانت ممن نقم على (عثمان) عمله في حياته، ثم غضبت له بعد مقتله، فكان لها في هودجها، بوقعة الجمل، موقفها المعروف. وتوفيت في المدينة. روي عنها 2210 أحاديث.

[2] في أسد الغابة (2/ 147) خباب بن الأرت. اختلف في نسبه فقيل : خزاعي وقيل : تميمي وهو الأكثر وهو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم يكنى أبا عبد الله وقيل : أبو محمد وقيل : أبو يحيى وهو عربي لحقه سباء في الجاهلية فبيع بمكة وقيل : هو حليف بني زهرة وقال ابن منده وأبو نعيم : قيل : هو مولى عتبة بن غزوان وقيل : مولى أم أنمار بنت سباع الخزاعية وهي من حلفاء بني زهرة فهو تميم النسب خزاعي الولاء زهري الحلف لأن مولاته أم أنمار كانت من حلفاء عوف بن عبد الحارث بن زهرة والد عبد الرحمن بن عوف وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام وممن يعذب في الله تعالى كان سادس ستة في الإسلام وفي الأعلام للزركلي (2/ 301)وهو أول من أظهر إسلامه. كان في الجاهلية قينا يعمل السيوف، بمكة. ولما أسلم استضعفه المشركون فعذبوه ليرجع عن دينه، فصبر، إلى أن كانت الهجرة. ثم شهد المشاهد كلها، ونزل الكوفة فمات فيها وهو ابن 73 سنة. ولما رجع علي من صفين مر بقبره، فقال: رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا. روى له البخاري ومسلم وغيرهما 32 حديثا

[3] في أسد الغابة ط العلمية (4/ 287) قديم الإسلام مهاجري. شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه و سلم وقتل بها شهيدا. واستصغره النبي صلى الله عليه و سلم لما أراد المسير إلى بدر فبكى فأجازه. وكان سيفه طويلا فعقد عليه حمائل سيفه وكان عمره حين قتل ست عشرة سنة قتله عمرو بن عبد ود

14) عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شَمْخِ بْنِ مَخْزُومِ بْنِ صَاهِلَةَ بْنِ كَاهِلِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ تَمِيمِ بْنِ سَعْدِ بْنِ هُذَيْلٍ[1].

15) مَسْعُودُ بْنُ الْقَارّيّ وَهُوَ مَسْعُودُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى بْنِ حَمَالَةَ بْنِ غَالِبِ بْنِ مُحَلِّمِ بْنِ عَائِذَةَ بْنِ سُبَيْعِ بْنِ الْهُونِ بْنِ خُزَيْمَةَ مِنْ الْقَارّةِ [2].

16) سَلِيطُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ وُدّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِسْلِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ. [3]

17) وَأَخُوهُ حَاطِبُ بْنُ عَمْرٍو. [4]

---

[1] في الثقات لابن حبان (3/ 208) عبد الله بن مسعود بن الحارث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل حليف بنى زهرة وقيل إنه عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن الحارث بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان كنيته أبو عبد الرحمن سكن الكوفة ومات بالمدينة سنة ثنتين وثلاثين وأوصى أن يدفن بجنب قبر عثمان بن مظعون فدفن بالبقيع وكان له يوم مات نيف وستون سنة وصلى عليه الزبير بن العوام وكانت أمه أم عبد بنت عبد ود بن سواء بن قريم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل وأمها هند بنت عبد بن الحارث بن زهرة

[2] قَال ابْنُ هِشَامٍ : وَالْقَارّةُ : لَقَبٌ (لَهُمْ) وَلَهُمْ يُقَالُ قَدْ أَنْصَفَ الْقَارّةَ مَنْ رَامَاهَا وَكَانُوا قَوْمًا رُمَاةً.

[3] في أسد الغابة (2/ 537) سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ابن لؤي بن غالب العامري أخو سهيل والسكران ابني عمرو ، وفي الطبقات الكبرى ط العلمية (4/ 154): وشهد سليط أحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه و سلم وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجهه بكتابه الى هوذة بن علي الحنفي وذلك في محرم سنة سبع من الهجرة وقتل سليط بن عمرو يوم اليمامة شهيدا سنة اثنتي عشرة في خلافة أبي بكر الصديق

[4] في أسد الغابة (1/ 662) حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي أخو سهيل وسليط والسكران بني عمرو أسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه و سلم دار الأرقم بن أبي الأرقم وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين معا وهو أول من هاجر إليها في قول وشهد بدرا مع النبي - صلى الله عليه وسلم -.

18) عَيّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرِ بْنِ مَخْزُومِ بْنِ يَقَظَةَ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ. [1]

19) وَامْرَأَتُهُ أَسَمَاءُ بِنْتُ سَلَامَةَ بْنِ مُخَرّبَةِ التّمِيمِيّةُ. [2]

20) خُنَيْسُ بْنُ حُذَافَةَ بْنِ عَدِيّ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْصِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ. وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ. [3]

21) عَنْزِ بْنِ وَائِلٍ، حَلِيفُ آلِ الْخَطّابِ بْنِ نُفَيْلِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى[4]. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : عَنْزُ بْنُ وَائِلِ أَخُو بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، مِنْ رَبِيعَةَ بْنِ نِزَارٍ

---

[1] في الطبقات الكبرى (6/ 3) : عياش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأمه أسماء بنت مخربة بن جندل بن أبير بن نهشل بن دارم من بني تميم وهو أخو أبي جهل لأمه أسلم عياش بن أبي ربيعة قبل دخول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها وهاجر عياش بن أبي ربيعة إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية ومعه امرأته أسماء بنت سلمة فولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن عياش ثم قدم عياش بن أبي ربيعة من أرض الحبشة إلى مكة فلم يزل بها حتى خرج أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- الى الهجرة الى المدينة فخرج معهم وصاحب عمر بن الخطاب فلما نزل قباء قدم عليه أخواه لأمه أبو جهل والحارث بنا هشام فلم يزالا به حتى رداه الى مكة فأوثقاه وحبساه ثم أفلت بعد ذلك فقدم الشام مجاهدا ثم رجع إلى مكة فأقام بها حتى مات ولم يبرح ابنه عبد الله من المدينة وفي تقريب التهذيب - (1 / 763) يلقب ذا الرمحين أسلم قديما وهاجر الهجرتين وكان أحد من يدعو له النبي صلى الله عليه و سلم من المستضعفين واستشهد باليمامة وقيل باليرموك وقيل مات سنة خمس عشرة

[2] في إكمال الكمال - (7 / 211) وأما مخربة بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وكسر الراء وتشديدها فأسماء بنت مخربة بن جندل بن أبير بن نهشل بن دارم أم الحارث وأبي جهل ابني هشام بن المغيرة وأم عياش وعبد الله ابني أبي ربيعة بن المغيرة وقال ابن إسحاق هي أسماء بنت سلامة بن مخربة. وفي الطبقات الكبرى ط العلمية (8/ 233) أسماء بنت سلامة بن مخربة بن جندل بن أبير بن نهشل بن دارم من بني تميم وأمها سلمى بنت زهير بن أبير بن نهشل بن دارم من بني تميم أسلمت قديما بمكة وبايعت وهاجرت إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية مع زوجها عياش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فولدت له هنالك عبد الله بن عياش.

[3] في أسد الغابة (2/ 188) ، والطبقات الكبرى (3/ 300) خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن معب ابن لؤي القرشي السهمي هو أخو عبد الله بن حذافة كان من السابقين إلى الإسلام وهاجر إلى أرض الحبشة وعاد غلى المدينة فشهد بدرا وأحدا وأصابه بأحد جراحة فمات منها وكان زوج حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل النبي صلى الله عليه وسلم فلما توفي تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[4] في الإكمال - (6 / 289) أما عنز بفتح العين المهملة وسكون النون وبالزاي فهو عنز بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة، وأمه هند بنت مر / أخت تميم بن مر، وهو أخو بكر وتغلب، ومن ولده عامر بن ربيعة ، وفي سير أعلام النبلاء - (2 / 333) عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك. أبو عبد الله العنزي، عنز بن وائل. من حلفاء آل عمر بن الخطاب ; العدوي. من السابقين الاولين. أسلم قبل عمر، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرا. قال ابن إسحاق:: أول من قدم المدينة مهاجرا: أبو سلمة بن عبد الاسد، وبعده، عامر بن ربيعة. له أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن أبي بكر، وعمر. حدث عنه: ولده عبد الله، وابن عمر، وابن

22) عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشِ بْنِ رِئَابِ بْنِ يَعْمُرَ بْنِ صَبِرَةَ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَبِيرِ بْنِ غَنْمِ بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ. [1]

23) وَأَخُوهُ أَبُو أَحَمْدَ بْنُ جَحْشٍ، حَلِيفَا بَنِي أُمَيّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ[2].

24) جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ [3].

الزبير، وأبو أمامه بن سهل ; وغيرهم. وكان الخطاب قد تبناه. وكان معه لواء عمر لما قدم الجابية. قال الواقدي: كان موت عامر بن ربيعة بعد قتل عثمان بأيام. وكان لزم بيته، فلم يعشر الناس إلا بجنازته قد أخرجت. روى يحيى بن سعيد الانصاري، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة: أن أباه رئي في المنام حين طعنوا على عثمان، فقيل له: قم فسل الله أن يعيذك من الفتنة. توفي عامر سنة خمس وثلاثين، قبل مقتل عثمان بيسير.

[1] في الأعلام للزركلي (2/ 31) (000 - 3 ه = 000 - 625 م) عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر الاسدي: صحابي، قديم الاسلام. هاجر إلى بلاد الحبشه، ثم إلى المدينة. وكان من أمراء السرايا. وهو صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم أخو زينب أم المؤمنين. قتل يوم أحد شهيدا، فدفن هو والحمزة في قبر واحد

[2] في الإصابة في تمييز الصحابة (7/ 5) أبو أحمد بن جحش الأسدي أخو أم المؤمنين زينب اسمه عبد بغير إضافة وقيل عبد الله حكى عن بن كثير وقالوا إنه وهم اتفقوا على أنه كان من السابقين الأولين وقيل إنه هاجر إلى الحبشة ثم قدم مهاجرا إلى المدينة وأنكر البلاذري هجرته إلى الحبشة وقال لم يهاجر إلى الحبشة قال وإنما هو أخو عبيد الله الذي تنصر بها وقال بن إسحاق وكان أول من قدم المدينة من المهاجرين بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة وعبد الله بن جحش احتمل بأهله وأخيه عبد الله وكان أبو أحمد ضريرا يطوف بمكة أعلاها وأسفلها بغير قائد وكانت عنده الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب وشهد بدرا والمشاهد وجزم بن الأثير بأنه مات بعد أخته زينب بنت جحش وفيه نظر فقد قيل إنه الذي مات فبلغ أخته موته فدعت بطيب فمسته.

[3] في الطبقات الكبرى (4/ 24) ، أسد الغابة (1/ 541) : جعفر بن أبي طالب واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه و سلم وأخو علي بن أبي طالب لأبويه وهو جعفر الطيار وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه و سلم خلقا وخلقا أسلم بعد إسلام أخيه علي بقليل قيل : أسلم بعد واحد وثلاثين إنسانا وكان هو الثاني والثلاثين وله هجرتان : هجرة إلى الحبشة وهجرة إلى المدينة وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم يسميه أبا المساكين. وكان أسن من علي بعشر سنين وأخوه عقيل أسن منه بعشر سنين وأخوهم طالب أسن من عقيل بعشر سنين ولما هاجر إلى الحبشة أقام بها عند النجاشي إلى أن قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم حين فتح خيبر فتلقاه رسول الله صلى الله عليه و سلم واعتنقه وقبل بين عينيه وفي الأعلام للزركلي - (2 / 125) يقال له (جعفر الطيار) وهو أخو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وكان أسن من علي بعشر سنين. وهو من السابقين إلى الاسلام، أسلم قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم ويدعو فيها، وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، فلم يزل هنالك إلى أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فقدم عليه جعفر، وهو بخيبر (سنة 7 ه) وحضر وقعة مؤتة بالبلقاء (من أرض الشام) فنزل عن فرسه وقاتل، ثم حمل الراية وتقدم صفوف المسلمين، فقطعت يمناه، فحمل الراية باليسرى، فقطعت أيضا، فاحتضن الرايه إلى صدره، وصبر، حتى وقع شهيدا وفي جسمه نحو تسعين طعنة ورمية، فقيل: إن الله عوضه عن يديه جناحين في الجنة

25) وَامْرَأَتُهُ أَسَمَاءُ بِنْتُ عُمَيْس بْنِ النّعْمَانِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ قُحَافَةَ، مِنْ خَثْعَمَ [1].

26) حَاطِبُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ مَعْمَرِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ وَهْبِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُمَحَ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْصِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ [2].

27) فَاطِمَةُ بِنْتُ الْمُجَلّلِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَيْسِ بْنِ عَبْدِ وُدّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِسْلِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ [3].

28) وَأَخُوهُ حَطّابُ بْنُ الْحَارِثِ [4].

29) وَامْرَأَتُهُ فُكَيْهَةُ بِنْتُ يَسَارٍ [5].

30) مَعْمَرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ مَعْمَرِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ وَهْبِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُمَحَ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْصِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ [6].

31) السّائِبُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ وَهْبٍ [1].

---

[1] في تهذيب الكمال - (35 / 126) أسماء بنت عميس الخثعمية من بني خثعم بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث وقيل أنمار بن الأرت بن معد بن عدنان لها صحبة وهي أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي لأمها روت عن النبي صلى الله عليه و سلم وفي أسد الغابة (7/ 12) وأسماء أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأخت أم الفضل امرأة العباس وأخت أخواتهما لامهم وكن عشر أخوات لام وقيل : تسع أخوات.

[2] في الطبقات الكبرى (4/ 152) ، وأسد الغابة (1/ 661) حاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح الجمحي مات بأرض الحبشة مهاجرا كان خرج إليها ومعه امرأته فاطمة بنت المجلل العامرية ولدت هناك ابنيه : محمدا والحارث.

[3] في أسد الغابة (7/ 225) فاطمة بنت المجلل بن عبد الله بن قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشية العامرية تكنى أم جميل. كانت من السباقين إلى الإسلام وممن هاجر إلى الحبشة فاطمة بنت المجلل بن عبد الله بن قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشية العامرية تكنى أم جميل. كانت من السباقين إلى الإسلام وممن هاجر إلى الحبشة وتوفي زوجها بالحبشة وقدمت هي وابناها إلى المدينة في إحدى السفينتين.

[4] في أسد الغابة (2/ 41) : حطاب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي وأمه وأم أخيه حاطب سخيلة بنت العنبس بن وهبان بن حذافة بن جمح هاجر إلى أرض الحبشة مع أخيه حاطب بن الحارث وهاجرت معه امرأته فكيهة بنت يسار ومات حطاب في الطريق إلى أرض الحبشة لم يصل إليها وقيل : مات منصرفا من الحبشة في الطريق

[5] لم يذكر ف يكتب التراجم سوى اسلامها وهجرتها مع زوجها

[6] في الطبقات الكبرى (3/ 307) ،وأسد الغابة (5/ 226) : معمر بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح أخو حاطب وحطاب. أمهم قتيلة بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون أسلم معمر قبل دخول رسول الله صلى الله عليه و سلم دار الأرقم وهاجر إلى المدينة وآخى رسول الله صلى الله عليه و سلم بينه وبين معاذ ابن عفراء. وشهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه و سلم وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما

32) الْمُطّلَبُ بْنُ أَزْهَرَ بْنِ عَبْدِ عَوْفِ بْنِ عَبْدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ [2].

33) امْرَأَتُهُ رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي عَوْفِ بْنِ صُبَيْرَة بْنِ سَعِيدِ (بْنِ سَعْدِ) بْنِ سَهْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْصِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ [3].

34) النّحّامُ، وَاسْمُهُ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَسِيد، أَخُو بَنِي عَدِيّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ [4].

---

[1] الطبقات الكبرى (3/ 306) ، أسد الغابة (2/ 396) : السائب بن عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح قال ابن إسحاق : أسلم أول الإسلام وهاجر مع أبيه وعمه قدامة وعبد الله إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية وذكره فيمن شهد بدرا وجميع المشاهد وقتل السائب يوم اليمامة شهيدا وهو ابن بضع وثلاثين سنة وفي الأعلام للزركلي - (3 / 68) (...- 12 ه =...- 633 م) السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي: صحابي، من ذوي الرأي والاقدام. ولاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المدينة حين برحها في غزوة (بواط) وشهد بدرا وأحدا والخندق. وكان من الرماة المعدودين.

[2] في الطبقات الكبرى (4/ 93) ، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (4/ 1846) : المطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة أخو عبد الرحمن وطليب ابني أزهر كان المطلب وطليب من مهاجرة الحبشة وبها ماتا جميعاً، وكان خروج المطلب بن أزهر إلى الحبشة مع امرأته رملة بنت أبي عوف بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم. وولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب. وفي الإصابة في تمييز الصحابة (6/ 103) : فورثه ابنه عبد الله فيقال إنه أول وارث في الإسلام.

[3] لم اجد في ترجمتها سوى ما في الطبقات الكبرى - (8 / 268) رملة بنت أبي عوف بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم وأمها أم عبد الله وهي صرماء بنت الحارث بن عوف بن عمرو بن يربوع بن ناضرة بن غاضرة بن حطيط وهو راعي الشمس أسلمت رملة بمكة قديما قبل دخول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دار الأرقم وبايعت وهاجرت إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية مع زوجها المطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة فولدت له هناك عبد الله بن المطلب.

[4] في أسد الغابة (5/ 326) وإنما سمي النحام لأن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال : دخلت الجنة فسمعت نحمة من نعيم فيها. والنحمة : السعلة وقيل : النحنحة الممدود آخرها فبقي عليه أسلم قديما أول الإسلام قيل : أسلم بعد عشرة أنفس وقيل : أسلم بعد ثمانية وثلاثين إنسانا قبل إسلام عمر بن الخطاب وكان يكتم إسلامه ومنعه قومه لشرفه فيهم من الهجرة لأنه كان ينفق على أرامل بني عدي وأيتامهم ويمونهم فقالوا : أقم عندنا على أي دين شئت فوالله لا يتعرض إليك أحد إلا ذهبت أنفسنا جميعا دونك. ثم قدم مهاجرا إلى المدينة بعد ست سنين هاجر عام الحديبية ثم شهد ما بعدها من المشاهد. فلما قدم المدينة كان معه أربعون من أهل بيته فاعتنقه النبي - صلى الله عليه وسلم - وقبله وقال له : قومك خير لك من قومي. قال : لا بل قومك خير يا رسول الله قومك أخرجوك إلى الهجرة وقومي حبسوني عنها روى عنه نافع ومحمد بن إبراهيم التيمي وما أظنهما سمعا منه وقتل يوم اليرموك شهيدا سنة خمس عشرة في خلافة عمر. وقيل : استشهد بأجنادين سنة ثلاث عشرة في خلافة أبي بكر.

35) نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَسِيد بْنِ عَبْدِ عَوْفِ بْنِ عُبَيْد بْنِ عَوِيجِ بْنِ عَدِيّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ وَإِنّمَا سُمّيَ النّحّامَ، لِأَنّ رَسُولَ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – قَالَ : " لَقَدْ سَمِعْت نَحْمَهُ فِي الْجَنّةِ " [1].

36) عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ الصّدّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[2].

37) خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ أُمَيّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ [3].

38) وَامْرَأَتُهُ أَمِينَةُ بِنْتُ خَلَفِ بْنِ أَسَعْدَ بْنِ عَامِرِ بْنِ بَيَاضَةَ بْنِ سُبَيْعِ بْنِ جُعْثُمَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ مُلَيْحِ بْنِ عَمْرٍو، مِنْ خُزَاعَةَ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ وَيُقَالُ هُمَيْنَةُ بِنْتُ خَلَفٍ.

---

[1] قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : نَحْمُهُ صَوْتُهُ. (وَنَحْمُهُ) : حِسّهُ.

[2] في الطبقات الكبرى (3/ 173)، أسد الغابة (3/ 134)، الاستيعاب (2/ 796): عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق يكنى أبا عمرو وكان مولدا من مولدي الأزد أسود اللون مملوكا للطفيل بن عبد الله بن سخبرة أخي عائشة لأمها وكان من السابقين إلى الإسلام أسلم قبل أن يدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم- دار الأرقم أسلم وهو مملوك وكان حسن الإسلام وعذب في الله فاشتراه أبو بكر فأعتقه ولما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر إلى الغار بثور مهاجرين أمر أبو بكر مولاه عامر بن فهيرة أن يروح بغنم أبي بكر عليهما وكان يرعاها فكان عامر يرعى في رعيان أهل مكة فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلباها وإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفي عليه فلما سار النبي - صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر من الغار هاجر معهما فأدرفه أبو بكر خلفه وشهدعامر بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة سنة أربع من الهجرة وهو ابن أربعين سنة وقال عامر بن الطفيل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما قدم عليه : من الرجل الذي لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه قال : هو عامر بن فهيرة.

[3] في أسد الغابة (2/ 124) أسلم قديما يقال : إنه أسلم بعد أبي بكر الصديق - رضي الله عنه- فكان ثالثا أو رابعا وقيل : كان خامسا. وكان سبب إسلامه أنه رأى في النوم أنه وقف على شفير النار فذكر من سعتها ما الله أعلم به وكأن أباه يدفعه فيها ورأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- آخذ بحقويه لا يقع فيها ففزع وقال : أحلف إنها لرؤيا حق ولقي أبا بكر - رضي الله عنه - فذكر ذلك له فقال له أبو بكر : أريد بك خير هذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ، حتى خرج المسلمون إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية وهاجر معه إلى أرض الحبشة أخوه عمرو بن سعيد وقدما على النبي - صلى الله عليه وسلم - بخيبر مع جعفر وشهد مع النبي - صلى الله عليه وسلم - القضية وفتح مكة وحنينا والطائف وتبوك وبعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عاملا على صدقات اليمن وقيل : على صدقات مذحج وعلى صنعاء فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو عليها ، فلما توفي رجعوا عن أعمالهم وقالوا : نحن بنو أبي أحيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا. واستعمل أبو بكر خالدا على جيش من جيوش المسلمين حين بعثهم إلى الشام فقتل بمرج الصفر في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

39) حَاطِبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ وُدّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِسْلِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ [1].

40) أَبُو حُذَيْفَةَ، وَاسْمُهُ مهشم - فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ - بْنِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ [2].

41) وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَرِينَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْن يَرْبُوعِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ، حَلِيفُ بَنِي عَدِيّ بْنِ كَعْبٍ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : جَاءَتْ بِهِ بَاهِلَةُ، فَبَاعُوهُ مِنْ الْخَطّابِ بْنِ نُفَيْلٍ، فَتَبَنّاهُ فَلَمّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : { ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ } قَالَ أَنَا وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، فِيمَا قَالَ أَبُو عَمْرٍو الْمَدَنِيّ [3].

---

[1] في الطبقات الكبرى (3/ 309) ، وأسد الغابة (1/ 662) : حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي أخو سهيل وسليط والسكران بني عمرو أسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين معا وهو أول من هاجر إليها في قول وشهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي الإصابة في تمييز الصحابة - (2 / 6) وقد قالوا إنه هو الذي زوج النبي صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة وهذا يدل على أنه رجع من الحبشة قبل الهجرة إلى المدينة وفي الثقات لابن حبان - (3 / 83) أمه أسماء بنت الحارث بن نوفل.

[2] في أسد الغابة (6/ 68) كان من فضلاء الصحابة جمع الله له الشرف. والفضل. وكان إسلامه قبل دخول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دار الأقم. ولما هاجر إلى الحبشة عاد منها إلى مكة فأقام مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى هاجر إلى المدينة وآخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بينه وبين عباد بن بشر الأنصاري وشهد المشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقتل يوم اليمامة شهيدا وهو ابن ثلاث - أو أربع - وخمسين سنة يقال : اسمه مهشك وقيل : هشيم. وقيل : هاشم وكان طويلا حسن الوجه - أحول أثعل - والأثعل : الذي له سن زائدة.

[3] في أسد الغابة (5/ 403)واقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي الحنظلي اليربوعي حليف بني عدي بن كعب قاله أبو عمر وقال ابن منده : واقد بن عبد الله الحنظلي له صحبة

وقال أبو نعيم : واقد بن عبد الله الحنظلي وقيل : اليربوعي وهو الذي بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سرية عبد الله بن جحش. أسلم قبل دخول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دار الأرقم وآخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بينه وبين بشر بن البراء بن معرور وواقد هذا أول قاتل من المسلمين وعمرو بن الحضرمي أول مقتول من المشركين في الاسلام. وشهد واقد بدرا لا عقب له وشهد أحدا والمشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب.

42) خَالِدُ بْنِ عَبْدِ ياليل بْنِ نَاشِبِ بْنِ غَيْرَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ لَيْثِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةِ بْنِ كِنَانَةِ حَلْفَاءُ بَنِي عَدِيّ بْنِ كَعْبٍ [1].

43) وأخوه عَامِرُ بْنِ عَبْدِ ياليل [2].

44) وأخوه عَاقِلُ بْنِ عَبْدِ ياليل[3].

45) وأخوه إِيَاسُ بْنِ عَبْدِ ياليل [4].

---

[1] في أسد الغابة (2/ 116) خالد بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الليثي الكناني وهو أخو عاقل وإياس وعامر بني البكير وكان جدهم عبد ياليل قد حالف في الجاهلية نفيل بن عبد العزى جد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهو وولده حلفاء بني عدي شهد خالد وأخوته بدرا وبعثه النبي - صلى الله عليه وسلم - مع عبد الله بن جحش إلى عير قريش قبل بدر في رهط من المهاجرين فيهم : خالد بن البكير فقتلوا عمرو بن الحضرمي وأنزل الله تعالى فيهم : " يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه " : البقرة 217. الآية وقتل خالد يوم الرجيع في صفر سنة أربع من الهجرة مع عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ومرثد بن أبي الغنوي فقاتلوا هذيلا ورهطا من عضل والقارة حتى قتلوا.

[2] في أسد الغابة (3/ 115) ،والاستيعاب في معرفة الأصحاب (2/ 788) عامر بن البكير الليثي هذا قول ابن إسحق وغيره وقال الواقدي وأبو معشر: ابن أبي البكير. قال أبو عمر: شهد بدراً هو وإخوته إياس بن البكير وعاقل بن البكير وخالد بن البكير كلهم شهدوا بدراً وما بعدها من المشاهد وأسلموا في دار الأرقم وهم حلفاء بني عدي بن كعب ولا أعلم لهم رواية. وقتل عامر بن البكير يوم اليمامة شهيداً.

[3] أسد الغابة ط العلمية (3/ 113)عاقل بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الكناني الليثي حليف بني عدي بن كعب شهد بدرا هو وإخوته : عامر وخالد وإياس بنو البكير وقتل عاقل ببدر شهد قتله مالك بن زهير الجشمي وهو ابن أربع وثلاثين سنة كان اسمه غافلا بالفاء فلما أسلم سماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عاقلا بالقاف وكان أول من أسلم وبايع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في دار الأرقم

[4] في أسد الغابة - (1 / 96) شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان من السابقين إلى الإسلام أسلم ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في دار الأرقم وكان من المهاجرين الأولي وإياس هذا هو والد محمد بن إياس بن بكير يروي عن ابن عباس وتوفي إياس سنة أربع وثلاثين

46) عَمّارُ بْنُ يَاسِرٍ، حَلِيفُ بَنِي مَخْزُومِ بْنِ يَقَظَةَ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : عَمّارُ بْنُ يَاسِرٍ عَنْسِيّ مِنْ مَذْحِج [1].

[1] في الطبقات الكبرى ط العلمية (3/ 186) ، وأسد الغابة (4/ 122)عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام بن عنس بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب المذحجي ثم العنسي أبو اليقظان وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام وهو حليف بني مخزوم. وأمه سمية وهي أول من استشهد في سبيل الله - عز و جل - وهو وأبوه وأمه من السابقين. وكان إسلام عمار بعد بضعة وثلاثين. وهو ممن عذب في الله وقال الواقدي وغيره من أهل العلم بالنسب والخبر : إن ياسرا والد عمار عرني قحطاني مذحجي من عنس إلا أن ابنه عمارا مولى لبني مخزوم لأن أباه ياسرا تزوج أمة لبعض بني مخزوم فولدت له عمارا وكان سبب قدوم ياسر مكة أنه قدم هو وأخوان له يقال لهما : : " الحارث " " مالك " في طلب أخ لهما رابع فرجع الحارث ومالك إلى اليمن وأقام ياسر بمكة فحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وتزوج أمة له يقال لها : " سمية " فولدت له عمارا فأعتقه أبو حذيفة فمن هاهنا صار عمار مولى لبني مخزوم وأبوه عرني وأسلم عمار ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في دار الأرقم هو وصهيب بن سنان في وقت واحد : قال عمار : لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيها فقلت : أردت أن أدخل على محمد وأسمع كلامه. فقال : وأنا أريد ذلك. فدخلنا عليه فعرض علينا الإسلام فأسلمنا وكان إسلامهم بعد بضعة وثلاثين رجلا وروى يحيى بن معين عن إسماعيل بن مجالد عن مجالد عن بيان عن وبرة عن همام قال : سمعت عمارا يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم وما مه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر وقال مجاهد : أول من أظهر إسلامه سبعة : رسول الله وأبو بكر وبلال وخباب وصهيب وعمار وأمه سمية واختلف في هجرته إلى الحبشة. وعذب في الله عذابا شديدا وفي الأعلام للزركلي (5/ 36) عمار بن ياسر (57 ق ه - 37 ه = 567 - 657 م) عمار بن ياسر بن عامر الكناني المذحجي العنسي القحطاني، أبو اليقظان: صحابي، من الولاة الشجعان ذوي الرأي. وهو أحد السابقين إلى الاسلام والجهر به.هاجر إلى المدينة، وشهد بدرا وأحدا والخندق وبيعة الرضوان. وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يلقبه " الطيب المطيب " وفي الحديث: ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أرشدهما. وهو أول من بنى مسجدا في الاسلام (بناه في المدينة وسماه قباء) وولاه عمر الكوفة، فأقام زمنا وعزله عنها. وشهد الجمل وصفين مع علي. وقتل في الثانية، وعمره ثلاث وتسعون سنة. له 62 حديثا.

47) صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ، أَحَدُ النّمِرِ بْنِ قَاسِطٍ، حَلِيفُ بَنِي تَيْمِ بْنِ مُرّةَ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : النّمِرُ بْنُ قَاسِطِ بْنِ هِنْبِ بْنِ أَفْصَى بْنِ جَدِيلَةَ بْنِ أَسَدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نِزَارٍ وَيُقَالُ أَفْصَى بْنُ دُعْمِيّ بْنِ جَدِيلَةَ بْنِ أَسَدٍ، وَيُقَالُ صُهَيْبٌ مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ وَيُقَالُ إنّهُ رُومِيّ. فَقَالَ بَعْضُ مَنْ ذَكَرَ أَنّهُ مِنْ النّمِرِ بْنِ قَاسِطٍ، إنّمَا كَانَ أَسِيرًا فِي أَرْضِ الرّومِ، فَاشْتُرِيَ مِنْهُمْ. وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ النّبِيّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – " صُهَيْبٌ سَابِقُ الرّومِ "[1]

[1] في الأعلام للزركلي - (3 / 210) (32 ق ه - 38 ه = 592 - 659 م) صهيب بن سنان بن مالك، من بني النمر بن قاسط: صحابي، من أرمى العرب سهما، وله بأس. وهو أحد السابقين إلى الاسلام. كان أبوه من أشراف الجاهليين. ولاه كسرى على الابلة (البصرة) وكانت منازل قومه في أرض الموصل، على شط الفرات مما يلي الجزيرة والموصل، وبها ولد صهيب، فأغارت الروم على ناحيتهم، فسبوا صهيبا وهو صغير، فنشأ بينهم، فكان ألكن. واشتراه منهم أحد بني كلب وقدم به مكة، فابتاعه عبد الله ابن جدعان التيمي، ثم أعتقه. فأقام بمكة يحترف التجارة، إلى أن ظهر الاسلام، فأسلم (ولم يتقدمه غير بضعة وثلاثين رجلا) فلما أزمع المسلمون الهجرة إلى المدينة، كان صهيب قد ربح مالا وفيرا من تجارته، فمنعه مشركو قريش، وقالوا: جئتنا صعلوكا حقيرا، فلما كثر مالك هممت بالرحيل ؟ فقال: أرأيتم إن تركت مالي تخلون سبيلي ؟ قالوا: نعم. فجعل لهم ماله أجمع. فبلغ النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك، فقال: ربح صهيب، ربح صهيب !. وشهد بدرا وأحد والمشاهد كلها. له 307 أحاديث. وتوفي في المدينة. وفي أسد الغابة (3/ 38) صهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة بن جذيمة بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس مناة بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار الربعي النمري. كذا نسبه الكلبي وأبو نعيم وقال الواقدي : هو صهيب بن سنان بن خالد بن عبد عمرو بن عقيل بن كعب بن سعد وقال ابن إسحاق : صهيب بن سنان بن خالد بن عبد عمرو بن طفيل بن عامر بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد فجعل طفيلا بدل عقيل وجعل خزيمة بدل جذيمة وهو من النمر بن قاسط وأمه سلمى بنت قعيد بن مهيص بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم كنيته أبو يحيى كناه بها رسول الله صلى الله عليه و سلم وقال أهل صهيب وولده ومصعب الزبيري : إنه هرب من الروم لما كبر وعقل فقدم مكة فحالف ابن جدعان. وأقام معه إلى أن هلك ولما بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسلم وكان من السابقين إلى الإسلام قال الواقدي : أسلم صهيب وعمار في يوم واحد وكان إسلامهما بعد بضعة وثلاثين رجلا وكان من المستضعفين بمكة الذين عذبوا.

المطلب الرابع

في تعريف الصحابي وفضله وأهميته

تعريف الصحابى :[1]

لغة : مشتق من الصحبة ، وهى تعم القليل والكثير ومنه يقال : صحبته ساعة أو يوماً أو شهراً أو أكثر من ذلك.

اصطلاحاً:اختلف العلماء فى معنى "الصحابى" وما تثبت به الصحبة على النحو التالى :

1- بعضهم قال : أن الصحابى يكفى فيه مجرد الرؤية والملاقاة.

2- وذهب آخرون : إلى أنه لابد فيه من طول الصحبة.

3- وثالث قال : لابد من الرواية له مع طول الصحبة.

وقد جمع الآمدى هذه الآراء فى عبارة موجزة فقال "اختلفوا فى مسمى الصحابى" :-

1- ذهب الشافعية وأحمد بن حنبل : إلى أن الصحابى من رأى النبى - صلى الله عليه وسلم- وإن لم يختص به اختصاص المصحوب ولا روى عنه.

2- ذهب آخرون : إلى أن الصحابى إنما يكلق على من لقى النبى رأى النبى - صلى الله عليه وسلم- واختص به اختصاص المصحوب ، وطالت مدة صحبته وإن لم يروِ عنه.

3- وذهب عمر بن يحيى : إلى أن هذا الاسم إنما يسمى به من طالت صحبته للنبى -صلى الله عليه وسلم- وأخذ عنه العلم.

*وعند المحديثين : ذهبوا إلى الرأى الأول فالصحابى عندهم "هو كل مسلم رأى النبى - صلى الله عليه وسلم- ولو لحظة".

---

[1] تاريخ الفقه الإسلامى / د.عبد الشافى على جابر.

أهمية تعريف الصحابي وفائدته :

معرفة المتصل من المرسل من الأحاديث النبوية ولها فوائد أخري كثيرة.

بم تعرف صحبة الصحابي ؟

تعرف بأحد الأمور الآتية :

1 ـ التواتر. كصحبة أبي بكر، وعمر بن الخطاب، وبقية العشرة المبشرين بالجنة.

2 ـ الشهرة والاستفاضة القاصرة عن حدّ التواتر كصحبة ضمام بن ثعلبة، وعكاشة بن محصن.

3 ـ إخبار الصحابي عن نفسه بأنه صحابي بعد ثبوت عدالته ، ومعاصرته للرسول ـ -صلي الله عليه وسلم -.

4 ـ إخبار الصحابة عنه بأنه صحابي.

5 ـ إخبار ثقة من التابعين بأنه صحابي.

عدد طبقات الصحابة :

اختلف العلماء في الصحابة هل هم طبقة واحدة أم طبقات فمنهم من نظر إلي الصحابة من حيث اشتراكهم في شرف الصحبة فجعلهم طبقة واحدة، ومنهم من نظر إليهم باعتبار سبقهم إلي الإسلام والهجرة وشهودهم المشاهد الفاضلة فجعلهم طبقات. فابن سعد جعلهم خمس طبقات، والحاكم جعلهم اثنتي عشرة طبقة، وكذا بن حجر العسقلاني وهو القول المشهور.

أفضل الصحابة :

أجمع أهل السنة علي أن أفضل الصحابة علي الإطلاق أبو بكر ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي ثم تمام العشرة المبشرين بالجنة ؛ ثم أهل بدر ؛ ثم أهل بيعة الرضوان.

فضل الصحابة - رضوان الله عليهم- :

هم الجيل المثالى رباهم الرسول - صلى الله عليه وسلم- وادركوا فى شخصه الكريم كل هداية فاهتدوا ، لقد شاهدوا النبى - صلى الله عليه وسلم- فى حله وترحاله ، وعاشوا حياته كلها وباشروا الوقائع والنوازل ، وعرفوا ما يحيط بالوحى من أسباب استدعت نزول الآيات والأحاديث فهم أعرف الناس بأسباب التنزيل - كتاباً وسنة - وتفسيراته طبقاً للغة العربية التى هى لغتهم ، فهم يدركون مالا يدركه غيرهم. وقد أوضح الكتاب وبينت السنة فضلهم ومكانتهم.

*من أمثلة ذلك :

من الكتاب : قوله تعالى : "وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"

من السنة : جعل بعض علماء الحديث أبواباً ختصة فى فضل الصحابة إما بالنص عليهم بالاسم ، وإما بالنص على فضلهم بصفة عامة. ومن الأحاديث الصحيحة التى وردت :

1- ما رواه أبو سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : "لا تسبوا أصحابى ، لا تسبوا أصحأبى فو الذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثلاً أُحد ذهباً لما أدرك مُد أحدهم ولا نصيغه"[1]

2- مارواه أو داود والترمذى قال - صلى الله عليه وسلم- : "عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ ةإياكم ومحدثات الأمور"

3- ما رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه عن عبد الله بن مغفل قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " الله الله فى أَصحابى لاتتخذوهم عرضاً بعدى ، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه "

---

[1] رواه مسلم.

عدد الصحابة :

ذكر أبو زرعة أنه قُبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة ممن روى عنه فقيل له : أين كانوا ، وسمعوا منه؟ فقال : أهل المدينة وأهل مكة ومن بينهما والأعراب ومن شهد معه حجة الوداع.

وقد روى البخارى فى صحيحه أن كعب بن مالك قال فى قصة تخلفه عن غزوة تبوك (وأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كثير لا يجمعهم كتاب حافظ)

أكثر الصحابة رواية :

هم من زاد حديثهم على ألف حديث وهم سبعة :

1- أبو هريرة (5374 حديثاً)

2- عبد الله بن عمر (2730 حديثاً)

3- أنس بن مالك (2286 حديثاً)

4- السيدة عائشة (2210 حديثاً)

5- عبد الله بن عباس (1660 حديثاً)

6- جابر بن عبد الله (1540 حديثاً)

7- أبو سعيد الخدرى (1170 حديثاً)

الفقهاء من الصحابة :

حُفِظت الفتوى من نحو مائة وثلاثون من الصحابة بين رجل وامرأة :

أكثرهم فتوى :

1- عمر بن الخطاب.

2- على بن أبى طالب.

3- عبد الله بن مسعود.

4- السيدة عائشة.

5- زيد بن ثابت.

6- عبد الله بن عباس.

7- عبد الله بن عمر.

وليس في الصحابة من يزيد حديثه علي الألف غير هؤلاء ، إلا أبا سعيد الخدري فإنه روى ألف ومائة وسبعين حديثاً.

أكثر الصحابة فتيا :

هو ابن عباس ثم كبار علماء الصحابة وهم ستة : عمر، وعلي، وأُبَيُّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبي الدَّرداء، وابن مسعود ـ رضي الله عنهم جميعا.

العبادلة من الصحابة :

هم من كان اسمه منهم " عبد الله " وهم في الأصل ثلاثمائة صحابي لكن المراد بهم هنا أربعة : عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص.

ومزية هؤلاء أنهم تأخرت وفاتهم حتى احتيج إلي علمهم فكانت لهم هذه المزية والشهرة.

أشهر المصنفات في الصحابة :

* الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر.
* أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير.
* الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البَرّ.

هل قول الصحابي دليلا شرعيا ؟

آراء الأئمة فى مذهب الصحابة [1] :

الأحناف : يرون أن الأحكام التى لا تدرك بالقياس يعمل فيها بقول الصحابى وما يدرك بالقياس فالأحناف مختلفون فيه فمنهم من يحتج بقول الصحابى ويترك القياس.

الإمام مالك : قول الصحابى عنده حجة مقدمَة على القياس.

الإمام الشافعى : له أقوال قى ذلك آخرها أنه ليس بحجة مطلقاً.

الإمام أحمد : له روايتان أحدهما موافقة الشافعى فى عدم الإحتجاج بقول الصحابى والآخرى موافقة لمذهب الإمام مالك.

*دليل من رأى الإحتجاج بقول الصحابى :

جملة الآيات القرآنية التى تثبت عدالتهم وأن الله عز وجل زكاهم ومحهم بما يجعل قولهم معمولاً به ورأيهم يؤخذ به لأنهم عدول.

ومن الآيات :

قوله تعالى : **"مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ "**

وقوله تعالى : **"لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ"**

وقوله تعالى : **" وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ"**

ومن السنة المطهرة :

قول النبى – صلى الله عليه وسلم - " خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الأول فالأول" وفى رواية " ثم يغشوا الكذب " وفى رواية ثالثة "ثم يأتى من بعد ذلك قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته "

وقوله- صلى الله عليه وسلم -" إن الله اختارنى واختار لى أصحابًا وأصهارًا وأنصارًا" وما ذكرناه آنفًا من الأحاديث فى فضلهم - رضى الله عنهم جميعاً-

*ومن أدلتهم :

---

[1] بحوث فى القواعد الأصولية فى نظر الأصوليين (السابق ذكره) صـــ553 وما بعده بتصرف.

أنّ العمل بقول الصحابى أدلة لاحتمال السماع من الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإن لم يكن قد سمع ذلك من الرسول فرأيهم أقوى لأنهم أدرى من غيرهم بمعرفة السريعة لمشاهدة الأحوال التى نزلت فيها النصوص والمحال التى تتغير باعتبارها الأحكام.

*أدلة من ذهب إلى عدم الإحتجاج بقول الصحابى :

من القرآن :

قوله تعالى : **" فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ"**

من السنة :

ما رواه البخارى بإسناده إلى السيدة عائشة - رضى الله عنها- أنها قالت : صنع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئاً فترخص فيه وتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبى - صلى الله عليه وسلم - فحمد الله ثم قال : "ما بال أقوام يتنزهون عن شئ أصنعه فوالله إنى أعلمهم بالله وأشدهم خشية ".

من الإجماع :

أجمع الصحابة على جواز مخالفة بعضهم بعضاً فلو كان قول الواحد حجة لأنكر على مخالفة ذلك ووجب اتباع كل منهم لقول الآخر مع أن الإجماع قائم على أن قول الصحابى ليس بحجة على مثله.

من القياس : قول الصحابى على حجة على غيره من المجتهدين فى أصول الدين فلا يكون حجة فى فروعها والجامع بينهما تمكن المجتهد فى الوضعين من الوصول إلى الحكم لطريقته.

من المعقول : لو كان الصحابى حجة لدعا الناس إلى مذهبه كما كان الرسول – صلى الله عليه وسلم- يدعوا الناس إلى اتباع قوله وشريعته ، ومن المعلوم أن الصحابة كانوا يدعون إلى كتاب الله والسنة ، وما أجمعوا عليه.

المطلب الخامس

هل يُعدُّ ورقة بن نوفل من الصحابة ؟

أولا : من هو ورقة بن نوفل ؟

ورقة بن نوفل بن أسد (..- نحو 12 ق ه =..- نحو 611 م)

ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي من قريش [1]: حكيم جاهلي، اعتزل الأوثان قبل الإسلام، وامتنع من أكل ذبائحها، وتنصر، وقرأ كتب الأديان.

وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني. أدرك أوائل عصر النبوة، ولم يدرك الدعوة. وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين.

وفي حديث ابتداء الوحي، بغار حراء، أنّ النّبي - صلى الله عليه وسلم- رجع إلى خديجة، وفؤاده يرتجف، فأخبرها، فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل " وكان شيخا كبيرا قد عمي " فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خبر ما رأى، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، ياليتني فيها جذع ! ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله : أو مخرجي هم ؟ قال : نعم ! لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. وابتداء الحديث ونهايته، في البخاري. ولورقة شعر سلك فيه مسلك الحكماء.

ثانيا : هل يُعدُّ ورقة بن نوفل من الصحابة ؟

قال النووي [2]: قال ابن مندة : واختلفوا فى إسلام ورقة، وهذا الحديث الذى ذكرته ظاهر فى إسلامه واتباعه وتصديقه.

---

[1] الأعلام للزركلي (8/ 114).
[2] تهذيب الأسماء واللغات (2/ 143).

وقال الزركلي : وفي المؤرخين من يعده في الصحابة، قال البغدادي : ألف أبو الحسن برهان الدين إبراهيم البقاعي تأليفا في إيمان ورقة بالنّبي، وصحبته له، سماه " بذل النصح والشفقة، للتعريف بصحبة السيد ورقة "

وفي وفاته روايتان : إحداهما الراجحة، وهي في حديث البخاري المتقدم، قال : " ثم لم ينشب ورقة أن توفي " يعني بعد بدء الوحي بقليل، والثانية عن عروة بن الزبير، قال في خبر تعذيب " بلال ": " كانوا يعذبونه برمضاء مكة، يلصقون ظهره بالرمضاء لكي يشرك، فيقول : أحد، أحد ! فيمر به ورقة، وهو على تلك الحال، فيقول : " أحد أحد، يا بلال " وهذا يعني أنه أدرك إسلام بلال.

وعالج ابن حجر (في الاصابة) التوفيق بين الروايتين، فلم يأت بشئ. وفي حديث عن أسماء بنت أبي بكر، أنّ النّبي - صلى الله عليه وسلم - سئل عن ورقة، فقال : يبعث يوم القيامة أمة وحده

المبحث الثاني عشر

اول ما أفترضه الله على المسلمين

وفيه عدة مطالب :

المطلب الأول : تعليم جبريل النّبي - صلى الله عليه وآله وسلم - الوضوء والصلاة

المطلب الثاني :الأمر بقيام الليل

المطلب الثالث :فوائد قيام الليل الروحية.

المطلب الرابع :فوائد قيام الليل الصحية.

المطلب الخامس :من فقه قيام الليل والتهجد.

المطلب الأول

تعليم جبريل النّبي - صلى الله عليه وآله وسلم - الوضوء والصلاة

في مسند الإمام أحمد [1]: عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم- أَنَّ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - أَتَاهُ فِى أَوَّلِ مَا أُوحِىَ إِلَيْهِ فَأَرَاهُ الْوُضُوءَ وَالصَّلاَةَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْوُضُوءِ أَخَذَ حَفْنَةً مِنَ الْمَاءِ فَنَضَحَ بِهَا فَرْجَهُ.

قال الصالحي[2] : رواه الإمام أحمد والدار قطني من طريق رشدين بن سعد وهو ضعيف، عن عقيل عن قرة، عن عروة، عن أسامة. والحارث بن أبي أسامة، والدار قطني من طريق ابن لهيعة وهو ضعيف، عن عقيل، عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير، عن أسامة بن زيد، عن أبيه فذكره، ورواه الطبراني في الأوسط عن عقيل عن الزهري به. فينظر فيمن دون عقيل فإن كانوا ثقات فالحديث سنده جيد.

ورواه أبو نعيم من طريق النضر بن سلمة وهو ضعيف، عن عائشة.

ورواه أبو نعيم والبيهقي من طريق يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير، فذكر مجئ جبريل - عليه السلام - وحديث البعث، وفي آخره: ففتح جبريل عينا من ماء فتوضأ ومحمد - صلى الله عليه وآله وسلم - ينظر إليه فغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ومسح برأسه وغسل رجليه إلى الكعبين ثم نضح فرجه وسجد سجدتين مواجهة البيت ففعل محمد كما رأى جبريل يفعل. ورواه أبو نعيم من طريق يزيد بن رومان عن الزهري عن عروة عن عائشة. وهذه الطرق يقوي بعضها بعضا.

ويدل على أنّ للقصة أصلا.

---

[1] مسند أحمد (29/ 25).

[2] سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - (2 / 296)

وقد ذكر القصة ابن إسحاق ورواه البلاذري عن الزهري وقتادة والكلبي ومحمد بن قيس قالوا: إنّ جبريل علم رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- الوضوء والصلاة و(اقرأ باسم ربك الذي خلق) أتاه وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت له منه عين فتوضأ جبريل ورسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ينظر إليه ليريه كيف الطهور للصلاة، ثم توضأ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كما رأى جبريل يتوظأ، ثم أقام بن جبريل فصلى به. وفي حديث عائشة السابق أنه صلى به ركعتين نحو الكعبة واستقبل الحجر الأسود. انتهى.

وصلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بصلاته، ثم انصرف جبريل فجاء رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - خديجة فتوضأ لها يريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل، فتوضأت كما توضأ لها رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ثم صلى لها كما صلى به جبريل، فصلته بصلاته.

وروى الإمام أحمد والبيهقي وابن عبد البر عن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندي عن أبيه، عن جده، قال : كنت امرأ تاجرا فقدمت الحج في الجاهلية، فأتيت العباس بن عبد المطلب لابتاع منه بعض التجارة فو الله إني لعنده بمنى إذ خرج رجل مجتمع من خباء قريب منه، فنظر إلى الشمس فلما رآها مالت توضأ فأسبغ الوضوء ثم قام يصلي، ثم خرج غلام قد راهق الحلم من ذلك الخباء فقام يصلي معه، ثم لم ألبث إلا يسيرا حتى جاءت امرأة من ذلك الخباء فقامت خلفهما، ثم ركع الشاب وركع الغلام وركعت المرأة، ثم رفع الشاب ورفع الغلام ورفعت المرأة، ثم خر الشاب ساجدا وخر الغلام وخرت المرأة فقلت للعباس : يا عباس ما هذا ؟ قال: هذا محمد بن عبد المطلب ابن أخي. قلت : من هذه المرأة.

قال: هذه امرأته خديجة بنت خويلد.

فقلت: من هذا الفتى ؟ قال: هذا علي بن أبي طالب ابن عمه قلت : فما هذا الذي يصنع ؟ قال : يصلي، يزعم أنه نبي ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتى، وهو يزعم أنه ستفتح عليه كنور كسرى وقيصر.

قال عفيف : فليتني كنت آمنت به يومئذ فكنت أكون ثانيا مع علي بن أبي طالب.

وهذا الحديث يرد قول من قال : إن فرض الصلاة كانت بالغداة والعشي فقط.

تنبيهات الصالحي في موضوع فرض الوضوء :

أولا : قال السهيلي رحمه الله تعالى: الوضوء على هذا الحديث - يعني رواية الحارث بن أبي أسامة. عن زيد بن حارثة - مكي بالفرض مدني بالتلاوة، لأن آية الوضوء مدينة وإنما قالت عائشة: فأنزل الله آية التيمم ولم تقل آية الوضوء وهي هي لأن الوضوء قد كان مفروضا قبل، غير أنه لم يكن قرآنا يتلى حتى نزلت آية المائدة.

قال الشامي : قلت: قال الحاكم - رحمه الله تعالى - في المستدرك: أهل السنة بهم حاجة إلى دليل الرد على من زعم أن الوضوء لم يكن قبل نزول المائدة.

ثم ساق حديث ابن عباس: دخلت فاطمة عن النّبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وهي تبكي فقالت: هؤلاء الملأ من قريش قد تعاقدوا على قتلك فقال: ائتوني بوضوء، فتوضأ ثم خرج إلى المسجد. وذكر الحديث.

وقال أبو عمر رحمه الله تعالى : معلوم عند جميع أهل المغازي أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - لم يصل منذ افترضت الصلاة إلا بوضوء، ولا يدفع هذا إلا جاهل أو معاند، قال: وفي قول عائشة رضي الله تعالى عنها: (فأنزل الله آية التيمم) إشارة إلى أنّ الذي طرأ إليهم من العلم حينئذ حكم التيمم لا حكم الوضوء.

قال: والحكمة في نزول آية الوضوء مع ما تقدم العمل به ليكون فرضه متلوا بالتنزيل.

وقال غيره: يحتمل أن يكون أول آية الوضوء نزل قديما فعملوا به، ثم نزل بقيتها وهو ذكر التيمم في هذه القصة. وإطلاق آية التيمم على هذا من إطلاق الكل على البعض.

قال الحافظ: لكن رواية عمرو بن الحارث عند البخاري في التفسير تدل على أن الآية نزلت جميعها في هذه القصة، فالظاهر ما قاله ابن عبد البر.

وقال القاضي رحمه الله تعالى : اختلفوا متى فرضت الطهارة للصلاة ؟ فذهب ابن الجهم إلى أن الوضوء في أول الإسلام سنة ثم نزل فرضه في آية التيمم وقال الجمهور: بل كان قبل ذلك فرضا.

الثاني : قال الحافظ عماد الدين بن كثير رحمه الله تعالى: صلاة جبريل هذه غير الصلاة التي صلاها به عند البيت مرتين، فبين له أوقات الصلوات الخمس أولها وآخرها فإن ذلك كان بعد فرضيتها ليلة الإسراء.

الثالث : زعم ابن حزم أن الوضوء لم يشرع إلا بالمدينة وتعقب بما تقدم.

الرابع : قال السهيلي : ذكر الحربي ويحيى بن سلام أن الصلاة كانت قبل الإسراء صلاة قبل غروب الشمس وصلاة قبل طلوعها. ونقل ابن الجوزي عن مقاتل بن سليمان قال : فرض الله تعالى على المسلمين في أول الإسلام ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي. قال الحافظ بعد أن نقل ما ذكره الحربي: ورده جماعة من أهل العلم. وقال قبل ذلك : ذهب جماعة إلى أنه لم يكن قبل الإسراء صلاة مفروضة إلى ما وقع الأمر به من صلاة الليل من غير تحديد.

الخامس : ذكر ابن إسحاق هنا حديث ابن عباس في إمامة جبريل بالنّبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وتعليمه إياه أوقات الصلوات الخمس في اليومين.

قال في الروض : ولم يكن ينبغي له ذكره في هذا الموضع، لأن أهل العلم متفقون على أنّ هذه القصة كانت في الغد من ليلة الإسراء.

المطلب الثاني

الأمر بقيام الليل

ذكرنا أنّ من أوائل ما نزل بعد فترة الوحى مطلع المزمل وقد نزل الأمر بقيام الليل إلا قليلا وترتيل القرآن الكريم. وقد اختلف العلماء هل كان قيام الليل فرضاً حتما أو كان ندبا وحضا.

قال الإمام القرطبى [1] : والدلائل تقوى أنّ قيامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان حتما وفرضا ، وذلك أنّ الندب والحض لا يقع على بعض الليل دون بعض لأنّ قيامه ليس مخصوصا به وقتا دون وقت.

وفى سفر السعادة [2] :عن قوله تعالى {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (79)}

قالت طائفة : هذا صريح فى وجوب قيام الليل والتهجد كما جاء ثم اختلف العلماء فى كون قيام الليل كان فرضا عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحده أو عليه وعلى من كان قبله من الانبياء أو عليه وعلى أمته ، يقول القرطبى فى ذلك ثلاثة أقوال :

الأول : أنه كان فرضا عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحده وهو قول سعيد بن جبير وعلل بتوجه الخطاب إليه خاصة.

---

[1] الجامع لأحكام القرآن المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671هـ) ط دار الريان للتراث ج 10 ص 6825 -

[2] سفر السعادة الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي تحقيق أحمد مصطفى الطهطاوي ط دار الفضيلة ص 70

الثاني : أنه كان عليه وعلى من كان قبله من الأنبياء وهو قول ابن عباس حيث قال : كان قيام الليل فريضة على النّبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى الأنبياء قبله.

القول الثالث : هو أنه كان فرضا عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى أمته ، وهو قول عائشة ورواية عن ابن عباس.

قال القرطبى :ـ وهو الصحيح ـ كما فى صحيح مسلم عن زرعة بن أوفى أن سعد بن هشام بن عامر أراد أن يغزو فى سبيل الله.. ... الحديث ، وفيه فقلت لعائشة : انبئينى عن قيام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت ألست تقرأ "يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ " ؟ قلت بلى ، قالت : فإن الله ـ عزَّ وجل ـ افترض قيام الليل فى أول السورة فقام ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه حولا وأمسك الله ـ عزَّ وجل ـ خاتمتها اثني عشر شهرا فى السماء حتى أنزل ـ عزَّ وجل ـ فى آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة وذكر الحديث.

ثم قال القرطبى : وذكر وكيع ويَعْلَى قالا : حدثنا مِسْقر عن سماك الحنفى قال : سمعت ابن عباس يقول لما أُنزل أول { يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ } كانوا يقومون نحواً من قيامهم فى شهر رمضان حتى نزل آخرها ، وكان بين أولها وآخرها نحو من سنة.

بينما ذكر القرطبى رواية سعيد بن جبير التى قال فيها :

مكث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه عشر سنين يقومون الليل فنزل بعد عشر سنين (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ) فخفف الله عنهم.

قيام الليل زيادة للدرجات وتكفير للسيئات:

تحدث العلماء عما فى تفسير لفظ (نافلة) فى قوله تعالى (" وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (79) ".

فقالوا إنّ قيام الليل فى حق غيره ـ صلى الله عليه وسلم ـ مباح ومكفر للسيئات ، وأما فى حقه فزيادة فى الدرجات ، وعلو المراتب لأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ المغفور له على الإطلاق.

قال مجاهد [1] : لم يكن لغيره نوافل ، بل مكفرات والنوافل الخاصة به ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يَدَعْ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قيام الليل فى حالة من الحالات بل حافظ عليه فى السفر والحضر ، وإن فاته فى حين المرض ، أو غلبه نوم صلى فى أثناء النهار اثنى عشرة ركعة بدل ذلك.

وقال ابن القيم : وذكر سُليم بن حبان ، حدثنا أبو غالب قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ يَقُولُ :

إِذَا وَضَعْتَ الطَّهُورَ مَوَاضِعَهُ قَعَدْتَ مَغْفُورًا لَكَ فَإِنْ قَامَ يُصَلِّي كَانَتْ لَهُ فَضِيلَةً وَأَجْرًا وَإِنْ قَعَدَ قَعَدَ مَغْفُورًا لَهُ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا أَبَا أُمَامَةَ أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَ فَصَلَّى تَكُونُ لَهُ نَافِلَةً قَالَ لَا إِنَّمَا النَّافِلَةُ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَيْفَ تَكُونُ لَهُ نَافِلَةً وَهُوَ يَسْعَى فِي الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا تَكُونُ لَهُ فَضِيلَةً وَأَجْرًا [2]:

قال ابن القيم : قلتُ : والمقصود أن النافلة فى الآية لم يُرد بها الزيادة فى الدرجات ، وهذا قدر مشترك بين الفرض والمستحب فلا يكون قوله (نافلة لك) نافياً لما دل عليه الأمر من الوجوب.

ما ذُكِرَ فى فضل قيام الليل :

ورد فى كتب الصحاح والرقائق فى فضل قيام الليل ما يرغب فيه ويقوى العزيمة على الحفاظ عليه وإليك بعض ما ورد :

---

[1] سفر السعادة ص70

[2] مسند أحمد (36/ 534).

البشرى بقبول الصلاة واستجابة الدعاء بالليل :

فى البخارى [1] : عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ :

" مَنْ تَعَارَّ مِنْ اللَّيْلِ فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ "

البعد عن النار :

وروى البخارى أيضا عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : " رَأَيْتُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَأَنَّ بِيَدِي قِطْعَةَ إِسْتَبْرَقٍ فَكَأَنِّي لَا أُرِيدُ مَكَانًا مِنْ الْجَنَّةِ إِلَّا طَارَتْ إِلَيْهِ وَرَأَيْتُ كَأَنَّ اثْنَيْنِ أَتَيَانِي أَرَادَا أَنْ يَذْهَبَا بِي إِلَى النَّارِ فَتَلَقَّاهُمَا مَلَكٌ فَقَالَ لَمْ تُرَعْ خَلِّيَا عَنْهُ فَقَصَّتْ حَفْصَةُ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِحْدَى رُؤْيَايَ فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ. فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ.. .... ".

مقيم الليل نشيطا طيب النفس :

وروى البخارى أيضا عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

أَنَّ رَسُولَ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَال [2]: " يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ **".**

---

[1] صحيح البخاري ت (3/ 18).

[2] صحيح البخاري ت (2/ 598).

متى كان يقوم ـ صلى الله عليه وسلم ـ للتهجد ؟ وما أول ما يبدأ به ؟.

كان [1] ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستيقظ من النوم بعد مضى نصف الليل وأحيانا قبل ذلك ، وأحيانا عند صياح الديك ، وذلك يكون فى الغالب بعد مضى منتصف الليل ، وكان إذا استيقظ مسح بيده على عينيه المباركتين ثم استعمل السواك ثم توضأ ، وفى حالة استعمال السواك كان يقرأ أخر سورة آل عمران (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ.. .) الى أخر السورة ، ثم افتتح الصلاة بركعتين خفيفتين وأمر أمته بذلك فقال : (وإذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين)

وقد ورد فى البخارى ما يؤكد قيامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند صياح الديك وذلك ما روى عَنْ شُعْبَةَ عَنْ أَشْعَثَ سَمِعْتُ أَبِي قَالَ [2]: سَمِعْتُ مَسْرُوقًا قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - " أَيُّ الْعَمَلِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ؟ قَالَتْ : الدَّائِمُ. قُلْتُ : مَتَى كَانَ يَقُومُ ؟ قَالَتْ : كَانَ يَقُومُ إِذَا سَمِعَ الصَّارِخَ ". حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ عَنْ الْأَشْعَثِ قَالَ إِذَا سَمِعَ الصَّارِخَ[3] قَامَ فَصَلَّى ".

---

[1] سفر السعادة ص 73 فضل استيقاظه – صلى الله عليه وسلم- من النوم بعد نصف الليل.

[2] صحيح البخاري ت (2/ 584).

[3] الصارخ : الديك وهو يفعل ذلك عند انتصاف الليل تقريبا.

كما روى البخارى عن ابْنَ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قَالَ [1] : كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ :" اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ [2]السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ وَقَوْلُكَ حَقٌّ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ[3] وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ[4] فَاغْفِرْ لِي [5]مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ[6] لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ

قَالَ سُفْيَانُ وَزَادَ عَبْدُ الْكَرِيمِ أَبُو أُمَيَّةَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ " قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ : سَمِعَهُ مِنْ طَاوُسٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "

---

[1] صحيح البخاري ت (2/ 566).

[2] القيم : القائم بنفسه بتدبير خلقه المقيم لغيره.

[3] وبك خاصمت : أي بما أعطيتني من البرهان وبما لقنتني من الحجة.

[4] وإليك حاكمت : أي كل من جحد الحق حاكمته غليك وجعلتك الحكم بيننا لا من كانت الجاهلية تتحاكم إليه من كاهن ونحوه.

[5] فاغفر لي :قال ذلك مع كونه مغفورا له إما على سبيل التواضع والهضم لنفسه وتعظيما لربه أو على سبيل التعليم لأمته لتقتدي به.

[6] قيل اشارة إلى نفسه لأنه المُقدم في البعث يوم القيامة والمؤخر في البعث في الدنيا

وفى سنن أبى داود [1]: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّهُ رَقَدَ عِنْدَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم- فَرَآهُ اسْتَيْقَظَ فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ وَهُوَ يَقُولُ : (إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ أَطَالَ فِيهِمَا الْقِيَامَ وَالرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ ثُمَّ إِنَّهُ انْصَرَفَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ بِسِتِّ رَكَعَاتٍ كُلُّ ذَلِكَ يَسْتَاكُ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ وَيَقْرَأُ هَؤُلاَءِ الآيَاتِ ثُمَّ أَوْتَرَ - قَالَ عُثْمَانُ : بِثَلاَثِ رَكَعَاتٍ فَأَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ فَخَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ - وَقَالَ ابْنُ عِيسَى : ثُمَّ أَوْتَرَ فَأَتَاهُ بِلاَلٌ فَآذَنَهُ بِالصَّلاَةِ حِينَ طَلَعَ الْفَجْرُ فَصَلَّى رَكْعَتَىِ الْفَجْرِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ - ثُمَّ اتَّفَقَا - وَهُوَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِى قَلْبِى نُورًا وَاجْعَلْ فِى لِسَانِى نُورًا وَاجْعَلْ فِى سَمْعِى نُورًا وَاجْعَلْ فِى بَصَرِى نُورًا وَاجْعَلْ خَلْفِى نُورًا وَأَمَامِى نُورًا وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِى نُورًا وَمِنْ تَحْتِى نُورًا اللَّهُمَّ وَأَعْظِمْ لِى نُورًا ».

كيف كانت صلاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالليل ؟ وعدد ركعاته ؟.

قال أبن القيم [2]: ورد فى كيفية قيام الليل ثمانية طرق كلها صحيحة ، والمُتَعَبِدُ مخير فى المواظبة على أى هذه الأنواع شاء أو اختيار نوع منها فى وقت دون وقت.

النوع الأول : أنه كان فى بعض الأوقات يفتتح بركعتين خفيفتين ، وفى بعض الأوقات بركعتين طويلتين.

النوع الثاني : الذي ذكرته عائشة، أنه كان يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين ، ثم يُتمم ورده إحدى عشرة ركعة، يُسلم من كل ركعتين ويوتر بركعة.

النوع الثالث : ثلاث عشرة ركعة كذلك.

---

[1] سنن أبي داود (2/ 44).

[2] زاد المعاد في هدي خير العباد ابن قيم الجوزية ط مكتبة الإيمان بالمنصورة ط الأولى 1420 هـ - 1999م تحقيق محمد بيومي – د/ عمر الفرماوي – عبد الله المنشاوي. ج 1ص 268 وما بعدها.

النوع الرابع : يُصلي ثمانَ ركعات، يُسلم من كل ركعتين، ثم يُوتر. بخمس سرداً متوالية، لا يجلس في شيء إلا في آخرهن.

النوع الخامس : تسع ركعات، يسرُد منهن ثمانية لا يجلِس في شيء منهن إلا في الثامنة، يجلِس يذكر الله – تعالى - ويحمدُه ويدعوه، ثم ينهض ولا يُسلِّم، ثم يُصلي التاسعة، ثم يقعد، ويتشهد، ويُسلِّم، ثم يُصلي ركعتين جالساً بعدما يسلم.

النوع السادس : يُصلي سبعاً كالتسع المذكورة، ثم يُصلي بعدها ركعتين جالساً.

النوع السابع : أنه كان يُصلي مَثنى مَثنى، ثم يُوتر بثلاث لا يفصِل بينهن فهذا رواه الإمام أحمد رحمه الله عن عائشة، أنه كان يُوتِر بثلاث لا فصل فيهن " وروى النسائي عنها" كان لا يُسلِّم في ركعتي الوتر "

ومما أوردنا وجب التنبيه إلى أقوال العلماء فى عدد ركعاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قيام الليل.

قال البعض : لم يزد فى الليل على إحدى عشرة ركعة ، والرواية التى وردت بثلاث عشر صحيحة ، لكن مع ركعتى الفجر وحديث عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ بين ذلك ، قالت " كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُصلى ثلاث عشرة ركعة بركعتى الفجر " وقال الشعبى : سألت ابن عباس وابن عمر ـ رضى الله عنهما ـلاعن صلاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالليل ؟ فقالا : " ثلاث عشرة منها ثمانية ، ويوتر بثلاث وركعتين بعد الفجر "

ومن الروايات المروية فى هذه الموضوع نجد أن العلماء اتفقوا على إحدى عشرة واختلفوا فى ركعتين فعند البعض هما غير ركعتى الفجر ، وعند البعض هما هما.

وإذا ضممت هذا العدد إلى ركعات الفرائض والرواتب كان العدد يواظب عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أربعين ركعة يوميا : الفرض من ذلك سبعة عشر والرواتب عشر أو أثنا عشر وقيام الليل إحدى عشر أو اثنا عشر أو ثلاث عشرة فصار المجموع أربعين ركعة وما زاد على هذا العدد فلسبب، كصلاة الفتح وصلاة الضحى وتحية المسجد.

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلى حتى ترم قدماه.

فقد أورد البخارى في صحيحه [1]: عن أَبُي نُعَيْمٍ قَالَ : حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ عَنْ زِيَادٍ قَالَ : سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ : " إِنْ كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَيَقُومُ لِيُصَلِّيَ حَتَّى تَرِمُ قَدَمَاهُ أَوْ سَاقَاهُ فَيُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ".

هل كان يصليها قائماً أو قاعداً ؟

الغالب القيام وأحيانا القعود ، وأحيانا أخرى يقوم ويجلس.

قال صاحب سفر السعادة [2]: وصلاة النّبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت على ثلاثة أنواع :

أحدها : أنه كان يصليها قائما ، وذلك فى الغالب

الثاني : أنه كان يصليها جالساً ، ويركع جالساً ايضا

الثالث : أنه كان يصليها جالساً ، ويقرأ غالب القراءة جالساً ثم يقوم فيقرأ ما بقى قائما ثم يركع. وهذه الأنواع الثلاثة صحيحة.

---

[1] صحيح البخاري ت (2/ 580).
[2] سفر السعادة ص 76.

قراءته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى صلاة التهجد :

قال ابن القيم [1]: كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ قراءته آية آية ، وكان يقف على رؤوس الآيات وإن تعلقت بما بعدها ، وذهب بعض القُرَّاء إلى تتبع الأغراض والمقاصد ، والوقوف عند انتهائها وإتباع هَدْى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسنته أولى.

وقال : وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُرتِّل السورة حتى تكون أطول مِنْ أطول منها ، وقام بآية يُرَدِّدُها حتى الصباح.

فقد روى أحمد والنسائى وابن ماجه بسند حسن عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ [2]: " صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَيْلَةً فَقَرَأَ بِآيَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ يَرْكَعُ بِهَا وَيَسْجُدُ بِهَا { إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }

فَلَمَّا أَصْبَحَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا زِلْتَ تَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى أَصْبَحْتَ تَرْكَعُ بِهَا وَتَسْجُدُ بِهَا قَالَ إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ الشَّفَاعَةَ لِأُمَّتِي فَأَعْطَانِيهَا وَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا ".

أيهما الأفضل من الترتيل وقلة القراءة ، أو السرعة مع كثرة القراءة ؟

قال ابن القيم : وقد اختلف الناس فى الأفضل من الترتيل وقلة القراءة ، أو السرعة مع كثرة القراءة أيهما أفضل ؟

على قولين :

الأول : ذهب ابن مسعود وابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ وغيرهما إلى أنّ ترتيل القرآن وتدبره مع قلة القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها واحتجوا بأنّ مقصود القراءة التدبر والفهم والفقه فيه والعمل به وتلاوته وحفظه وسيلة إلى معانيه .

---

[1] زاد المعاد ج 1ص 274 وما بعدها.
[2] مسند أحمد (35/ 256).

الثاني : قال أصحاب الشافعى :

كثرة القراءة أفضل واحتجوا بحديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ في سنن الترمذى عَنْ أَيُّوبَ بْنِ مُوسَى قَال[1] : " سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ الْقُرَظِيَّ قَال : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – " مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ ".

والصواب أنّ قراءة الترتيل والتدبر أجلَّ وأرفع قدراً وثواب القراءة أكثر عدداً.

وفي مسند أحمد [2] :عَنْ نَهِيكِ بْنِ سِنَانٍ السُّلَمِيِّ أَنَّهُ أَتَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ : قَرَأْتُ الْمُفَصَّلَ اللَّيْلَةَ فِي رَكْعَةٍ فَقَالَ : " هَذًّا مِثْلَ هَذِّ الشِّعْرِ[3] أَوْ نَثْرًا مِثْلَ نَثْرِ الدَّقَلِ[4] إِنَّمَا فُصِّلَ لِتُفَصَّلُوا لَقَدْ عَلِمْتُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقْرُنُ عِشْرِينَ سُورَةً الرَّحْمَنُ وَالنَّجْمُ عَلَى تَأْلِيفِ ابْنِ مَسْعُودٍ كُلُّ سُورَتَيْنِ فِي رَكْعَةٍ وَذَكَرَ الدُّخَانَ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ فِي رَكْعَةٍ ".

هل كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجهر فى صلاة الليل[5] ؟

كان يُسرُّ بالقراءة فى صلاة الليل تارة ، ويجهر بها تارة ، ويطيل القيام تارة ، ويخففه تارة ، ويوتر آخر الليل ـ وهو الأكثر ـ وأوله تارة ، وأوسطه تارة وكان يصلى التطوع بالليل والنهار على راحلته فى السفر قَبلَ أى جهة توجهت به فيركع ويسجد عليها إيماءً ويجعل سجوده أخفض من ركوعه.

---

[1] سنن الترمذي ت شاكر (5/ 176).
[2] مسند أحمد - (8 / 297) برقم 3762
[3] الهذ : سرعة القراءة بغير تأمل.
[4] نثر الدقل : أي كما يتساقط الرطب الرديء اليابس من العذق إذا هُزّ.
[5] انظر زاد المعاد ج 1 ص 275 وما بعدها.

نهي النّبي - صلى الله عليه وسلم - صحابته عن التشدد في العبادة :

ومع قيامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى تَرِمَ قدماه إلا أنه كان ينهى أصحابه عن التشدد فى العبادة رأفة بهم ، فقد ورد أنه أمر بحل الحبل الذى شدته بنته زينب ـ رضى الله عنها ـ بين ساريتين كانت تتعلق به إذا فترت فى صلاتها وهو ما رواه البخارى [1]:عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ : دَخَلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ فَقَالَ : مَا هَذَا الْحَبْلُ ؟! قَالُوا : هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ. فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : لَا حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ).

كما روى البخارى أيضا [2] :عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : مَنْ هَذِهِ ؟ قُلْتُ : فُلَانَةُ لَا تَنَامُ بِاللَّيْلِ فَذُكِرَ مِنْ صَلَاتِهَا فَقَالَ : مَهْ عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنْ الْأَعْمَالِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا ".

فإن قيل كيف ينهى عن أمر يفعله ، رُدَّ بأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بخصوصيته لا يمل من لقاء الله ولا يشعر بما يحدث لقدميه خلاف باقى البشر.

تمكن الشيطان ممن نام ولم يقم للصلاة :

روى البخارى أيضا [3] : عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قَالَ : " ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَجُلٌ فَقِيلَ : مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحَ مَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ. فَقَالَ : بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ ".

---

[1] صحيح البخاري (3/ 12).
[2] صحيح البخاري (3/ 14).
[3] صحيح البخاري (3/ 1).

كلام الإمام الغزالي عن قيام الليل :

أورد الإمام الغزالى ـ رحمه الله ـ أبوابا في فضيلة قيام الليل نوجز منها ما تيسر[1]:

ابتدأ الغزالى حديثه عن فضيلة قيام الليل بالاستدلال من الكتاب والسنة فقال :

أما من الآيات فقوله تعالى (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ[المزمل : 20])

وقوله تعالى : " إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا " [المزمل:6] ، وقوله تعالى : " تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ " [السجدة : 16] وقوله تعالى : " أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ " [الزمر : 9].

وقوله ـ عز وجل ـ : " وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا " [الفرقان : 64]. وقوله تعالى : " وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ " [البقرة : 45]. قيل هى قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس.

ومن الأخبار ذكر الإمام الغزالى جملة من الأخبار نورد أصحها :

منها ما ورد في سنن الترمذى [2]:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : " عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ وَمَنْهَاةٌ لِلْإِثْمِ "

---

[1] احياء علوم الدين للإمام الغزالي ج 1 ص 321- 328 ط عالم الكتب مكتبة عبد الوكيل الدروبي دمشق – درويشية

[2] سنن الترمذي ت شاكر (5/ 553).

وقوله كما في مسند أحمد [1]: عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :" مَا مِنْ امْرِئٍ تَكُونُ لَهُ صَلَاةٌ بِاللَّيْلِ فَيَغْلِبُهُ عَلَيْهَا نَوْمٌ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ أَجْرَ صَلَاتِهِ وَكَانَ نَوْمُهُ ذَلِكَ صَدَقَةً ".

وقوله كما في سنن النسائي[2] : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – " رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّى ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ.

وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت فى وجهه الماء ".

ومن الآثار :

روى أنّ عمر ـ رضى الله عنه ـ كان يمر بالآية من وِرده بالليل فيسقط حتى يُعاد منها أياما كثيرة كما يُعاد المريض.

وكان ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ إذا هدأت العيون قام فيُسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح.

ويقال أنّ سفيان الثورى ـ رحمه الله ـ شبع ليلة فقال :إنّ الحمار إذا زيد فى علفه زيد فى عمله ، فقام تلك الليلة حتى أصبح.

الأسباب التي تيسر قيام الليل :

أورد الغزالى الأسباب التى بها يتيسر قيام الليل وموجزها :

الأسباب الظاهرة وهى أربعة :

الأول : أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه قيام الليل.

---

[1] مسند أحمد (40/ 500).
[2] سنن النسائي الكبرى (1/ 411).

الثاني : أن لا يُتعب نفسه بالنهار فى الأعمال التى تعيا بها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فإنّ ذلك أيضا مجلبة للنوم.

الثالث : أن لا يترك القيلولة بالنهار فإنها سنة للاستعانة على قيام الليل.

الرابع : أن لايحتقب الأوزار بالنهار فإن ذلك مما يُقسى القلب ويَحُولُ بينه وبين أسباب الرحمة. قال رجل للحسن : يا أبا سعيد إنى أبيت مُعافى وأُحب قيام الليل وأُعِدُ طهورى فما بالى لا أقوم ؟ فقال : ذنوبك قيدتك.

أما الميُسرات الباطنة فأربعة أمور :

الأول : سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وإن قام فلا يتفكر فى صلاته إلا فى مهماته ولا يحول إلا فى وساوسه.

الثاني : خوفٌ غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فإنه إذا تفكر فى أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعَظُم حذره كما قال طاووس : إن ذكر جهنم طير نوم العابدين.

الثالث : أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأخبار والآثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة فى درجات الجنان

الرابع : وهو أشرف البواعث لحب الله وقوة الإيمان بأنه فى قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وإن تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فإذا أحب الله تعالى أحب لا محالة الخلوة وتلذذ بمناجاته فَتْحمِلُه لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام.

ثم يبين الإمام الغزالى طرق القسمة لأجزاء الليل ويقف فى هذا البيان على مقدار الوقت الذى يقوم فيه المتهجد.

فيقول : اعلم أنّ إحياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب :

المرتبة الأولى : إحياء كل الليل وهذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يَتْعبوا بطول الليل وردوا المنام إلى النهار فى وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء.

المرتبة الثانية : أن يقوم نصف الليل ، وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف ، وأحسنُ طريقٍ فيه : أن ينام الثلث الأول من الليل والسدس الأخير منه حتى يقع قيامه فى جوف الليل ووسطه فهو الأفضل.

المرتبة الثالثة : أن يقوم ثلث الليل فينبغي أن ينام النصف الأول والسدس الأخير وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لأنه يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه والشهرة به فلو قام أكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه وقالت عائشة - رضي الله عنها - : " كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهن وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه للصلاة "وقالت أيضا - رضي الله عنها -ما ألفيته بعد السحر إلا نائما" [1]

حتى قال بعض السلف : هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم أبو هريرة - رضي الله عنه - وكان نوم هذا الوقت سببا للمكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لأرباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الأول من أوراد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الأخير ونوم السدس الأخير قيام داود صلى الله عليه و سلم.

---

[1] إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي - (2 / 205) قال الإمام العراقي في هذا الحديث : أخرجه مسلم من حديث عائشة كان ينام أول الليل ويحيي آخره ثم إن كان له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم ينام وقال النسائي فإذا كان من السحر أوتر ثم أتى فراشه فإذا كان له حاجة إلى أهله ولأبي داود كان إذا قضى صلاته من آخر الليل نظر فإن كنت مستيقظة حدثني وإن كنت نائمة أيقظني وصلى الركعتين ثم اضطجع حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه بصلاة الصبح فيصلي ركعتين خفيفتين ثم يخرج إلى الصلاة وهو متفق عليه بلفظ كان إذا صلى فإن كنت مستيقظه حدثني وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة وقال مسلم إذا صلى ركعتي الفجر وقالت أيضا رضي الله عنها ما ألفيته بعد السحر إلا نائما حديث عائشة ما ألقيته بعد السحر الأعلى إلا نائما متفق عليه بلفظ

الرابعة : أن يقوم سُدُس الليل أو خُمسُه وأفضله أن يكون فى النصف الأخير وقبل السدس الأخير منه.

الخامسة : أن لا يراعى التقدير فإن ذلك إنما يتيسر لنبى يُوحى إليه أو لمن يعرف منازل القمر ويُوكّل به من يراقبه ويواظبه ويوقظه ثم ربما يضطرب فى ليالى الغيم ولكنه يقوم من أول الليل أن يغلبه النوم فإذا أنتبه قام فإذا غلبه النوم عاد إلى النوم فيكون له فى الليل نومان وقومتان وهو من مكابدة الليل وأشد الأعمال وأفضلها وقد كان هذا من أخلاق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

السادسة : وهى الأقل أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين أو تتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب فى جملة قَوَّامِ الليل برحمة الله وفضله وقد جاء فى الأثر : صل من الليل ولو قدر حلب شاة.

ثم ختم الغزالى ـ رحمه الله ـ حديثه فى فضل قيام الليل بذكر الليالى والأيام الغافلة وهى كما قال : اعلم أن الأيام المخصوصة بمزيد الفضل التى يُتأكد فيها استحباب الإحياء فى السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغى أن يغفل المُريد عنها فإنها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المُريد عن فضائل الأوقات لم ينجح.

فستة من هذه الليالى فى شهر رمضان خمس فى أوتار العشر الأخير إذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان فهى ليلةٌ صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير ـ رضى الله عنه ـ هى ليلة القدر. وأما التسع الأُخر فأول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء. وأول ليلية من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهى ليلة المعراج

وأما الأيام الفاضلة فتسعة عشر يستحب مواصلة الأوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم وهو اليوم الذى أَهبط الله فيه جبريل عليه السلام على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان وهو يوم وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوم العيدين والأيام المعلومات وعى عشر ذى الحجة والأيام المعدودات وهى أيام التشريق ، ومن فضائل الأيام فى الأسبوع يوم الخميس والاثنين ترفع فيها الأعمال إلى الله تعالى.. انتهى

أقول : لا شك أن لقيام الليل الفضل الذى لاينكر فى القرب من الله ـ عز وجل ـ وترقيق القلوب وتهذيب النفوس.

ولا شك أنه من الأعمال الخالصة لله ـ عز وجل ـ والتى يَبعد عنها مظنة الرياء وفيها من المنافع مالا ينكرها إلا غليظ الطبع بعيد الإيمان.

ولا شك أننا عرضنا لما كان عليه حال النّبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قيامه ، فكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقوم وينام وربما لم يقم لمرض أو تعب ، وكان مع قيامه ومواظبته وحرصه على ذلك لا يُقصِرُ فى أداء مهمته تجاه أمته لا يستغرق نهاره فى النوم أو الكسل ، وهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ قُدوتنا وهديه هَدْيُنا فكان لزاما على المسلم أن يَقتدى بهديه ويَسيرُ على نهجه

ومن هنا نلحظ أن قيام الليل مشروط بشرائط ومحدد بأسباب فوجب علينا الالتزام بالشرائط والعمل بالأسباب فلا يُعطل فرض للقيام بسنةٍ أو مندوب ، ولا يُعطل عمل فيه حياة الأمة والمجتمع لآداء مندوب ، فلا يصح أن يتهجد الرجل الليل كله ثم يذهب لينام فى محل عمله يُعطل المصالح ويُؤجر على غير عمل.

المطلب الثالث

فوائد قيام الليل الروحية :

قيامُ الليل قُربةٌ من أجل القربات وطاعةٌ من أنفس الطاعات، لا يحافظُ عليها إلا الموفقون، ولا ينافسُ فيها إلا السابقون.

وأما فوائده وثمراته التي تعود على العبد في الدنيا والآخرة فكثيرةٌ تستعصي على الحصر، ولكننا نسوقُ إليك طرفاً منها لعل الله أن ينفعنا بها.

1- أنه سببٌ لنيلِ الجنة، وناهيكَ بها من فائدة، قال تعالى: قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ. {آل عمران: 15-17}.

وقال تعالى : تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {السجدة :16-17}، وقال صلى الله عليه وسلم: أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام. رواه الترمذي، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

2- أنه سبيلٌ إلى القيام بشكر نعمة الله على العبد، والشاكرون قد وعدهم الله بالزيادة كما قال تعالى: وإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ {إبراهيم:7}.

ففي صحيح مسلم [1]: عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلَاهُ قَالَتْ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ".

4- أنه ينهى صاحبه عن الإثم قال تعالى: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ. {العنكبوت:45}.

5- أنه مطردة للداء عن الجسد فهو سبب لذهاب الأسقام وإبعاد الآلام فقد قال صلى الله عليه وسلم: عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد. أخرجه الترمذي.

6- أنه يكسو وجه صاحبه نورا فإن الجزاء من جنس العمل فإنهم لما احتملوا ظلمة الليل وهانت عليهم مكابدتها جازاهم الله بأن نور وجوههم، فقد قال سعيد بن المسيب رحمه الله : إن الرجل ليصلي بالليل، فيجعل الله في وجهه نورا يحبه عليه كل مسلم، فيراه من لم يره قط فيقول: إني لأحبُ هذا الرجل.

وقيل للحسن البصري رحمه الله: ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجوها ؟ فقال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره.

7- أنه سبب فى زيادة الرزق قال تعالى: وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى.{طه: 132}.

---

[1] صحيح مسلم (8/ 141).

8- أنه يعرض صاحبه للنفحات الإلهيه ويكون سببا لإجابة دعائه وإعطائه سؤله وقت نزول الرب عز وجل إلى سماء الدنيا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له. رواه البخاري ومالك ومسلم والترمذي وغيرهم.

9- أنه يُحصّل لصاحبه الثواب المضاعف فقليله يُزيلُ عنه اسم الغفلة، ومتوسطه يكسوه اسمَ القنوت، وكثيره يجلبُ له قناطير الأجر، ففي سنن أبي داود [1]: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ المُقَنْطِرِينَ».

المطلب الرابع

فوائد قيام الليل الصحية

الفوائد الصحية لقيام الليل[2]

القيام من الفراش أثناء الليل والحركة البسيطة داخل المنزل والقيام ببعض التمرينات الرياضية الخفيفة، و تدليك الأطراف بالماء، والتنفس بعمق له فوائد صحية عديدة

والمتأمل لهذه النصائح يجد أنها تماثل تماماً حركات الوضوء والصلاة عند قيام الليل، وقد سبق النّبي - صلى الله عليه وسلم - كل هذه الأبحاث في الإشارة المعجزة إلى قيام الليل فقال فيما رواه الترمذي في سننه [3]: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : « عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ لِلإِثْمِ ».

---

[1] الكتاب: سنن أبي داود المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)(2/ 57)

[2] المصدر: من مقالة لـ د. صلاح أحمد حسين أستاذ بطب أسيوط جريدة الأهرام 2004/7/27.

[3] سنن الترمذي(5/ 553) (5/ 553).

وعن كيفية قيام الليل بطرد الداء من الجسد فقد ثبت الآتي: " يؤدي قيام الليل إلى تقليل إفراز هرمون الكورتيزون (وهو الكورتيزون الطبيعي للجسد) خصوصاً قبل الاستيقاظ بعدة ساعات. وهو ما يتوافق زمنياً مع وقت السحر(الثلث الأخير من الليل)، مما يقي من الزيادة المفاجئة في مستوي سكر الدم، والذي يشكل خطورة علي مرضي السكر، ويقلل كذلك من الارتفاع المفاجئ في ضغط الدم، ويقي من السكتة المخية والأزمات القلبية في المرضى المعرضين لذلك كذلك يقلل قيام الليل من مخاطر تخثر الدم في وريد العين الشبكي، الذي يحدث نتيجة لبطء سريان الدم في أثناء النوم، وزيادة لزوجة الدم بسبب قلة تناول السوائل، أو زيادة فقدانها. أو بسبب السمنة المفرطة وصعوبة التنفس مما يعوق ارتجاع الدم الوريدي من الرأس ويؤدي قيام الليل إلى تحسن وليونة عند مرضى التهاب المفاصل المختلفة، سواء كانت روماتيزمية أو غيرها نتيجة الحركة الخفيفة والتدليك بالماء عند الوضوء.

قيام الليل علاج ناجح لما يعرف باسم " مرض الإجهاد الزمني " لما يوفره قيام الليل من انتظام في الحركة ما بين الجهد البسيط والمتوسط، الذي ثبتت فاعليته في علاج هذا المرض ويؤدي قيام الليل إلى تخلص الجسد من ما يسمي بالجليسيرات الثلاثية (نوع من الدهون) التي تتراكم في الدم خصوصاً بعد تناول العشاء المحتوي علي نسبه عالية من الدهون والتي تزيد من مخاطر الإصابة بأمراض شرايين القلب التاجية بنسبة 32% في هؤلاء المرضي مقارنة بغيرهم، ويقلل قيام الليل من خطر الوفيات بجميع الأسباب، خصوصاً الناتج عن السكتة القلبية والدماغية وبعض أنواع السرطان كذلك يقلل قيام الليل من مخاطر الموت المفاجئ بسبب اضطراب ضربات القلب لما يصاحبه من تنفس هواء نقي خال من ملوثات النهار وأهمها عوادم السيارات ومسببات الحساسية قيام الليل ينشط الذاكرة وينبه وظائف المخ الذهنية المختلفة لما فيه من قراءه وتدبر للقرآن وذكر للأدعية واسترجاع لأذكار الصباح والمساء. فيقي من أمراض الزهايمر وخرف الشيخوخة والاكتئاب وغيرها وكذلك يقلل قيام الليل من شده حدوث والتخفيف من مرض طنين الأذن لأسباب غير معروفه

المطلب الخامس

من فقه قيام الليل والتهجد

أ – مقصود قيام الليل :

المستفاد من كلام الفقهاء أن قيام الليل قد لا يكون مستغرقا لأكثر الليل، بل يتحقق بقيام ساعة منه. أما العمل فيه فهو الصلاة دون غيرها. وقد يطلقون قيام الليل على إحياء الليل. ففي مراقي الفلاح : معنى القيام أن يكون مشتغلا معظم الليل بطاعة، وقيل ساعة منه، يقرأ القرآن أو يسمع الحديث أو يسبح أو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وكل واحد منهما قد يسبقه نوم بعد صلاة العشاء وقد لا يسبقه نوم.

حكم قيام الليل :

قال ابن عبد البر في الاستذكار [1] :

والذي جاء له حديث هذا الباب هو ما تضمنته رحمته في صلاة الليل يريد الترغيب فيها قال أبو عمر : صلاة الليل من أفضل نوافل الخير وهي عندي سنة مسنونة لأنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يفعلها ويواظب عليها ،وقد قال : قوم إن صلاة الليل واجبة على النّبي - صلى الله عليه وسلم - وسنة لأمته وهذا لا أعرف وجهه لأن الله تعالى يقول (ومن اليل فتهجد به نافلة لك.. .)الإسراء 79

[1] [الاستذكار - ابن عبد البر] (2/ 82).

وقال قوم : أمره بقيام الليل وقوله تعالى (نافلة لك) أي فضيلة ونسخ الأمر بقيام الليل عن سائر أمته مجتمع عليه بقول الله -عز وجل - " عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ " المزمل 20 وهذا ندب لأن الفرائض محدودات ، وقد شذ بعض التابعين فأوجب قيام الليل ولو قدر حلب شاة ، والذي عليه جماعة العلماء أنه مندوب إليه مرغوب فيه قال عبد الله بن مسعود : فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية.

وروى وكيع عن سفيان عن علي بن الأقمر عن الأغر أبي مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا : إذا أيقظ الرجل أهله فضليا من الليل كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات.

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ أهله فصلوا رحم الله أمرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى ".

ب - التهجد :

التهجد لا يكون إلا بعد نوم. ولكن يطلقه كثير من الفقهاء على صلاة الليل مطلقا.

مشروعيته :

اتفق الفقهاء على أنه يندب إحياء الليالي الفاضلة التي ورد بشأنها نص، كما يندب إحياء أي ليلة من الليالي، لقول عائشة رضي الله عنها : " كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينام أول الليل ويحيي آخره " ؛ لأن التطوع بالعبادة في الليل، كالدعاء والاستغفار في ساعاته مستحب استحبابا مؤكدا، وخاصة في النصف الأخير من الليل، ولا سيما في الأسحار، لقوله تعالى : { والمستغفرين بالأسحار }، ولحديث مسلم في صحيحه : عَنْ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ جَابِرٍ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ.

أنواعه :

أ - إحياء ليال مخصوصة ورد نص بإحيائها كالعشر الأواخر من رمضان، والعشر الأول من ذي الحجة.

ب - إحياء ما بين المغرب والعشاء من كل ليلة .

الاجتماع لإحياء الليل :

كره الحنفية والشافعية الاجتماع لإحياء ليلة من الليالي في المساجد غير التراويح، ويرون أن من السنة إحياء الناس الليل فرادى. وذهب الشافعية إلى أنه يكره ذلك، ويصح مع الكراهة. وأجاز الحنابلة إحياء الليل بصلاة قيام الليل جماعة، كما أجازوا صلاته منفردا، لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعل الأمرين، ولكن كان أكثر تطوعه منفردا، فصلى بحذيفة مرة، وبابن عباس مرة، وبأنس وأمه مرة.

وفرق المالكية في الاجتماع على إحياء الليل بقيامه بين الجماعة الكثيرة والجماعة القليلة، وبين المكان المشتهر والمكان غير المشتهر، فأجازوا – بلا كراهة - اجتماع العدد القليل عليه إن كان اجتماعهم في مكان غير مشتهر، إلا أن تكون الليلة التي يجتمعون لإحيائها من الليالي التي صرح ببدعة الجمع فيها، كليلة النصف من شعبان، وليلة عاشوراء، فيكره.

إحياء الليل كله :

صرح الشافعية والحنابلة بكراهة قيام الليل كله لحديث عائشة : ما رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم - قام ليلة حتى الصباح. رواه مسلم. واستثنوا إحياء ليال مخصوصة، لحديث عائشة : " كان إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل كله". متفق عليه.

كيفيته :

يكون إحياء الليل بكل عبادة، كالصلاة، وقراءة القرآن والأحاديث، وسماعها، وبالتسبيح والثناء والصلاة والسلام على النبي - صلى الله عليه وسلم -. ويصلي في إحياء الليل ولو ركعتين. والتفصيل في عدد ما يصلي وكونه مثنى أو رباع، موطنه " قيام الليل ".

وكما يجوز له أن يحيي الليل بالصلاة يجوز له أن يحييه بالدعاء والاستغفار، فيستحب لمن أحيا الليل أن يكثر من الدعاء والاستغفار في ساعات الليل كلها. وآكده النصف الأخير، وأفضله عند الأسحار.

وكان أنس بن مالك يقول : أمرنا أن نستغفر بالسحر سبعين مرة. وقال نافع : كان ابن عمر يحيي الليل، ثم يقول : يا نافع، أسحرنا ؟ فأقول : لا، فيعاود الصلاة. ثم يسأل، فإذا قلت : نعم، قعد يستغفر. وعن إبراهيم بن حاطب عن أبيه قال : سمعت رجلا في السحر في ناحية المسجد يقول : يا رب أمرتني فأطعتك، وهذا سحر، فاغفر لي، فنظرت فإذا هو ابن مسعود.

إحياء الليالي الفاضلة :

الليالي الفاضلة التي وردت الآثار بفضلها هي :

ليلة الجمعة، وليلتا العيدين، وليالي رمضان، ويخص منها ليالي العشر الأواخر منه، ويخص منها ليلة القدر، وليالي العشر الأول من ذي الحجة، وليلة نصف شعبان، والليلة الأولى من رجب. وحكم إحياء هذه الليالي فيما يلي :

إحياء ليلة الجمعة :

نص الشافعية على كراهة تخصيص ليلة الجمعة بقيام بصلاة، لما رواه مسلم في صحيحه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي.

أما إحياؤها بغير صلاة فلا يكره، لا سيما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإن ذلك مطلوب فيها.

ولا يكره إحياؤها مضمومة إلى ما قبلها، أو إلى ما بعدها، أو إليهما، قياسا على ما ذكروه في الصوم.

وظاهر كلام بعض الحنفية ندب إحيائها بغير الصلاة ؛ لأن صاحب مراقي الفلاح ساق حديث : خمس ليال لا يرد فيهن الدعاء : ليلة الجمعة، وأول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلتا

إحياء ليلتي العيد :

يندب إحياء ليلتي العيدين (الفطر، والأضحى) باتفاق الفقهاء. لقوله عليه الصلاة والسلام : من قام ليلتي العيد محتسبا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب. وذهب الحنفية اتباعا لابن عباس إلى أنه يحصل له ثواب الإحياء بصلاة العشاء جماعة، والعزم على صلاة الصبح جماعة.

إحياء ليالي رمضان :

أجمع المسلمون على سنية قيام ليالي رمضان عملا بقوله - صلى الله عليه وسلم - : من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه.

ويخص منها العشر الأخير، لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا كان العشر الأواخر طوى فراشه، وأيقظ أهله، وأحيا ليله. وذلك طلبا لليلة القدر التي هي إحدى ليالي العشر الأخير من رمضان. قال - صلى الله عليه وسلم - : اطلبوا ليلة القدر في العشر الأواخر. وكل هذا لا خلاف فيه.

إحياء ليلة النصف من شعبان :

ذهب جمهور الفقهاء إلى ندب إحياء ليلة النصف من شعبان، لقوله عليه الصلاة والسلام : إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها، فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى السماء الدنيا، فيقول : ألا من مستغفر فأغفر له، ألا مسترزق فأرزقه، ألا مبتلى فأعافيه.. . كذا.. . كذا.. . حتى يطلع الفجر.

وقوله - صلى الله عليه وسلم - إن الله يطلع ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن.

وبين الغزالي في الإحياء كيفية خاصة لإحيائها، وقد أنكر الشافعية تلك الكيفية واعتبروها بدعة قبيحة، وقال الثوري هذه الصلاة بدعة موضوعة قبيحة منكرة.

الاجتماع لإحياء ليلة النصف من شعبان :

جمهور الفقهاء على كراهة الاجتماع لإحياء ليلة النصف من شعبان، نص على ذلك الحنفية والمالكية، وصرحوا بأن الاجتماع عليها بدعة وعلى الأئمة المنع منه. وهو قول عطاء بن أبي رباح وابن أبي مليكة. وذهب الأوزاعي إلى كراهة الاجتماع لها في المساجد للصلاة ؛ لأن الاجتماع على إحياء هذه الليلة لم ينقل عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولا عن أحد من أصحابه. وذهب خالد بن معدان ولقمان بن عامر وإسحاق بن راهويه إلى استحباب إحيائها في جماعة.

إحياء ليالي العشر من ذي الحجة :

نص الحنفية والحنابلة على ندب إحياء الليالي العشر الأول من ذي الحجة. لما رواه الترمذي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيها من عشر ذي الحجة، يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة، وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر.

إحياء أول ليلة من رجب :

ذكر بعض الحنفية وبعض الحنابلة من جملة الليالي التي يستحب إحياؤها أول ليلة من رجب، وعلل ذلك بأن هذه الليلة من الليالي الخمس التي لا يرد فيها الدعاء، وهي : ليلة الجمعة، وأول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلتا العيد.

إحياء ليلة النصف من رجب :

ذهب بعض الحنابلة إلى استحباب إحياء ليلة النصف من رجب.

إحياء ليلة عاشوراء :

ذهب بعض الحنابلة إلى استحباب إحياء ليلة عاشوراء.

إحياء ما بين المغرب والعشاء :

مشروعيته :

الوقت الواقع بين المغرب والعشاء من الأوقات الفاضلة، ولذلك شرع إحياؤه بالطاعات، من صلاة - وهي الأفضل - أو تلاوة قرآن، أو ذكر الله تعالى من تسبيح وتهليل ونحو ذلك. وقد كان يحييه عدد من الصحابة والتابعين وكثير من السلف الصالح. كما نقل إحياؤه عن الأئمة الأربعة. وقد ورد في إحياء هذا الوقت طائفة من الأحاديث الشريفة، وإن كان كل حديث منها على حدة لا يخلو من مقال، إلا أنها بمجموعها تنهض دليلا على مشروعيتها، منها :

1 - ما روته السيدة عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من صلى بعد المغرب عشرين ركعة بنى الله له بيتا في الجنة.

2 - وعن ابن عمر، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى بعد المغرب ست ركعات كتب من الأوابين

(2). حكمه :

لا خلاف بين الفقهاء في أن إحياء ما بين المغرب والعشاء مستحب. وهو عند الشافعية والمالكية مستحب استحبابا مؤكدا. وكلام الحنابلة يفيده.

عدد ركعاته :

اختلف في عدد ركعات إحياء ما بين العشاءين تبعا لما ورد من الأحاديث فيها. فذهب جماعة إلى أن إحياء ما بين العشاءين، يكون بست ركعات، وبه أخذ أبو حنيفة، وهو

الراجح من مذهب الحنابلة. واستدلوا على ذلك بحديث ابن عمر السابق. وفي رواية عند الحنابلة أنها أربع ركعات، وفي رواية ثالثة أنها عشرون ركعة.

وذهب الشافعية إلى أن أقلها ركعتان وأكثرها عشرون ركعة. وذلك جمعا بين الأحاديث الواردة في عدد ركعاتها. وذهب المالكية إلى أنه لا حد لأكثرها ولكن الأولى أن تكون ست ركعات. وتسمى هذه الصلاة بصلاة الأوابين، للحديث السابق. وتسمى صلاة الغفلة. وتسميتها بصلاة الأوابين لا تعارض ما في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم : صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال "، لأنه لا مانع أن تكون كل من الصلاتين صلاة الأوابين

من فقه قيام الليل :

هل يقطع الصلاة على المصلي إذا مر بين يديه الحمار والكلب والمرأة ؟

قال ابن عبد البر : وأما حديث مالك في هذا الباب عن أبي النضر عن أبي سلمة عن عائشة أنها قالت كنت أنام بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورجلاي في قبلته فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي وإذا قام بسطتهما قالت والبيوت يؤمئذ ليس فيها مصابيح قد ذكرنا من تابعه على مثل هذه الرواية ومعناها في التمهيد

وفيه من الفقه وجوه منها أن المرأة لا تبطل صلاة من صلى إليها سواء جعلها سترة من صلاته أو كانت بينه وبين قبلته فإن ذلك كله مذكور في حديثها هذا عند ناقليه.

وهذا موضع اختلف فيه العلماء لاختلاف الآثار المرفوعة في ذلك

فقالت طائفة : يقطع الصلاة على المصلي إذا مر بين يديه الحمار والكلب والمرأة ، وممن قال بها أنس بن مالك وأبو الأحوص والحسن البصري وحجتهم حديث أبي ذر وحديث بن عباس بذلك عن النّبي - صلى الله عليه وسلم - وقد ذكرتهما بالأسانيد الحسان في كتاب التمهيد والحمد لله.

وروى عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : " لا يقطع الصلاة إلا الكلب الأسود ". وبه قال أحمد بن حنبل وقال في نفسي من المرأة والحمار شيء.

وكان ابن عباس وعطاء بن أبي رباح يقولان يقطع الصلاة الكلب الأسود والمرأة الحائض رواة قتادة عن جابر بن زيد سمعة يحدثه عن ابن عباس ورواه شعبة عن قتادة عن جابر عن ابن عباس عن النّبي - صلى الله عليه وسلم -.

وقال جمهور العلماء : لا يقطع الصلاة شيء وهو قول مالك والشافعي وأبي حنيفة وأصحابهم والثوري وأبي ثور وداود والطبري وجماعة من التابعين.

وحجتهم حديث بن شهاب عن عروة عن عائشة قالت : " كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي من الليل صلاته وأنا معترضة بينه وبين القبلة كاعتراض الجنازة " ورواه عطاء بن أبي رباح عن عروة عن عائشة مثله ويسقط بهذا الحديث أن تقطع المرأة بمرورها صلاة من تمر بين يديه ، ومعلوم أن اعتراضها بين يديى المصلي أشد من مرورها.

وأما قوله في حديث هذا الباب ورجلاي في قبلته فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي وهو حديث القاسم بن محمد عن عائشة "غمز رجلي فقبضتهما أو فضممتهما إلي " ففيه دليل على أن الملامسة باليد لا تنقض الطهارة (ما لم يكن معها اللذة) لأن الأصل في (لمس) الرجل أن يكون بلا حائل وكذلك اليد حتى يثبت الحائل.

وفي قول عائشة رحمها الله والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح دليل على أنها إذ حدثت بهذا الحديث كانت بيوتهم فيها المصابيح وذلك أنّ الله - عز وجل - فتح عليهم من الدنيا بعد النّبي - صلى الله عليه وسلم - فوسعوا على أنفسهم إذ وسع الله عليهم وقولها يومئذ تريد حينئذ لأنا لو جعلنا اليوم هنا النهار على المعهود.

ومعلوم أنّ النهار ليس بوقت للمصابيح استحال ذلك فعلمنا أنها أرادت بقولها يؤمئذ أي حينئذ.

وهذا مشهور في لسان العرب كانت تعبر باليوم عن الحين والوقت وهذا أشهر من أن يحتاج فيه إلى الاستشهاد.

لا ينبغي أن يقرب الصلاة من لا يعقلها ولا يقيمها على حدودها :

روى ابن عبد البر : وأما حديثه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:" إذا نعس أحدكم في صلاته فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه "

ففيه دليل على أنّ الصلاة لا ينبغي أن يقربها من لا يعقلها ولا يقيمها على حدودها وأن كل ما شغل القلب عنها وعن الخشوع فيها فواجب تركه واستعمال الفراغ لها بقلب مقبل عليها

وقد قال الضحاك بن مزاحم في قول الله تعالى (لا تقربوا الصلوة وأنتم سكرى) النساء 43 قال من النوم وما أعلم أحدا تابعه على ذلك والله أعلم

وقد يستدل من هذا الحديث بأنّ النعاس وهو النوم اليسير لا ينقض الصلاة وإذا لم ينقض الصلاة لم ينقض الوضوء والدليل على أن النعاس ليس بالنوم الثقيل قول الشاعر

(وسنان أقصده النعاس فرنقت.. . في عينه سنة وليس بنائم)

وليس في هذا الحديث معنى يحتاج فيه إلى القول غير ما وصفنا إلا أن يستدل مستدل بأنه لا يجوز للمرء أن يسب نفسه وذلك بأن يستسب لها وهذا فيه من النصوص ما يغني عن الاستدلال.

النفوس لا تحتمل الإسراف عليها :

في حديث مالك عن إسماعيل بن أبي حكيم أنه بلغه أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمع امرأة من الليل تصلي فقال : من هذه ؟ فقيل : الحولاء بنت تويت لا تنام الليل. فكره ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى عرفت الكراهية في وجهه ثم قال : إنّ الله لا يمل حتى تملوا اكلفوا من العمل ما لكم به طاقة ، والحولاء امرأة قرشية من بني أسد بن عبد العزى بن قصي والتويتات في بني أسد.

وأما قوله : " إنّ الله لا يمل حتى تملوا " فمعناه عند أهل العلم إنّ الله لا يمل من الثواب والعطاء على العمل حتى تملوا أنتم العمل وتقطعونه فينقطع عنكم ثوابه ولا يسأم من أفضاله عليكم إلا بسآمتكم عن العمل وأنتم متى تكلفتم من العمل والعبادة ما لا تطيقون وأسرفتم لحقكم الملل وضعفتم عن العمل فانقطع عنكم الثواب بانقطاع العمل يحضهم - صلى الله عليه وسلم - بهذا المعنى على القليل الدائم ويخبرهم أنّ النفوس لا تحتمل الإسراف عليها وأنّ ذلك سبب إلى قطع العمل.

ومن هذا حديث بن مسعود قال : كان النّبي - صلى الله عليه وسلم - يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا.

ومنها أيضا قوله - صلى الله عليه وسلم - لا تشادوا الدين فإنه من غالب الدين يغلبه الدين.

ومنه الحديث " إنّ هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا يقطع أرضا ولا يبقى ظهرا "

وقال - صلى الله عليه وسلم - لعبد الله بن عمرو بن العاص وكان يصوم النهار ويقوم الليل : " لا تفعل فإنك إذا فعلت نفهت نفسك أي أعيت وكلت يقال للمعيي منفه ونافه " وجمع نافه نفه

كذلك فسره أبو عبيد عن أبي عبيدة وأبي عمرو قال الأصمعي الإيفال السير الشديد وأما الوغول فهو الدخول

وقد جعل مطرف بن عبد الله بن الشخير رحمه الله الغلو في أعمال البر سيئة والتقصير سيئة فقال : الحسنة بين السيئتين

وأما لفظه في قوله " إنّ الله لا يمل حتى تملوا " فهو لفظ خرج على مثال لفظ ومعلوم أن الله -عز وجل - لا يمل سواء مل الناس أو لم يملوا ولا يدخله ملال في شيء من الأشياء جل عن ذلك وتعالى علوا كبيرا.

وإنما جاء لفظ هذا الحديث على المعروف من لغة العرب فإنهم إذا وضعوا لفظا بإزاء لفظ جوابا له أو جزءا ذكروه بمثل لفظه وإن كان مخالفا له معناه.

ألا ترى إلى قوله عز و جل (وجزؤا سيئة سيئة مثلها) الشورى 40

وقوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) البقرة 194

والجزاء لا يكون سيئة والقصاص لا يكون اعتداء لأنه حق وجب

ومثل ذلك قول الله عز و جل (ومكروا ومكر الله والله خير المكرين) آل عمران 54

وقوله تعالى (إنما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم) القرة 14

وقوله تعالى (إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا) الطارق 15 16

وليس من الله مكر ولا هزو ولا كيد إنما هو جزاء مكرهم واستهزائهم وكيدهم فذكر الجزاء بمثل لفظ الابتداء لما وضع بحذائه وقبالته.

فكذلك قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنّ الله لا يمل حتى تملوا أي من مل فقطع عمله انقطع عنه الجزاء.

روى الأوزاعي وغيره عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عائشة قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " خذوا من العمل قدر ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا ".

قالت : وكان أحب العمل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما داوم عليه صاحبه وإن قل.

وبعضهم يرويه وكان أحب الصلاة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما داوم عليها صاحبها وإن قلت.

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا صلى صلاة داوم عليها

ثم قرأ أبو سلمة (الذين هم على صلاتهم دائمون) المعارج 23

إمارة عمر لم تشغله عن صلاة الليل :

روى ابن عبد البر عن زيد بن أسلم عن أبيه : أنّ عمر بن الخطاب كان يصلي من الليل ما شاء الله حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة يقول لهم الصلاة الصلاة ثم يتلو (وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها) طه 132

ففيه ما كان عليه عمر من قيام الليل وأنه لم تشغله أمور المسلمين وما كان إليه منهم عن الصلاة بالليل وذلك لفضل صلاة الليل وفيه أنه لم يكن يكلف أهله من الصلاة ما كان هو يفعله منها بالليل ويحتمل أن يكون إيقاضه أهله ليدركوا شيئا من صلاة الأسحار والاستغفار فيها.

ويحتمل أن يكون إيقاظه لهم للصلاة المفروضة صلاة الصبح وأيها كان فإنه امتثل في ذلك الآية التي ذكر مالك وامتثل والله أعلم قول الله عزوجل (يأيها الذين ءامنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا التحريم) قال : أهل العلم بتأويل القرآن ومعانيه : أدبوهم وعلموهم.

ما قيل في وقت قيام الليل [1]:

أما وقت قيام الليل فهو موسَّع تماماً كوقت الوتر وكوقت صلاة التراويح، يمتد من بعد صلاة العشاء إلى أذان الفجر، أي طلوع الفجر، وأفضلُه آخِرَ الليل لما رُوي أن عمرو بن عبسة قال « قلت : يا رسول الله أي الليل أسمع؟ قال : جوف الليل الآخِر، فصلِّ ما شئت » رواه أبو داود والحاكم والترمذي. فمن أحبَّ أن ينال الفضيلة التامة لقيام الليل فلْيصلِّه في آخر الليل، وكلما اقترب بصلاته من آخر الليل تحقَّق من نوال الفضيلة التامة، فعن مسروق قال «سألت عائشة عن عمل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقالت : كان يحب الدائم، قال قلت : أي حين كان يصلي؟ فقالت: كان إذا سمع الصارخ قام فصلى» رواه مسلم والنَّسائي وأبو داود والبخاري وأحمد. قوله الصارخ: أي الديك وهو يصرخ في آخِر الليل قبيل طلوع الفجر. وهذا كله إن كان المرء يريد أن يصلي قليلاً من قيام الليل.

أما إن أراد أن يصلي مقدار ثلث الليل، فلْيجعل صلاته في الثلث الأخير، وإن هو أراد أن يصلي مقدار نصف الليل، فليبدأ بمنتصف الليل وينتهي في آخره، وإن هو أراد الزيادة فلْيبدأ عقب ثلث الليل الأوَّل، ولا يُفَضَّل أن يُزاد على ذلك، بل لا بد للمرء من أخذ قسط من النوم فلا يصلي الليل كله، وفي كلٍّ وردت أحاديث أذكر منها ما يلي:

عن جابر - رضي الله عنه – قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «من خاف أن لا يقوم من آخِر الليل فليوتر أوله، ومن طمع أن يقوم آخِره فليوتر آخِر الليل، فإن صلاة آخِر الليل مشهودة وذلك أفضل» رواه مسلم وأحمد والترمذي وابن ماجة.

وفي رواية أخرى لمسلم من طريق جابر «أيُّكم خاف أن لا يقوم من آخر الليل فلْيوتر ثم ليرقد، ومن وثق بقيامٍ من الليل فلْيوتر من آخِره، فإن قراءة آخِر الليل محضورة وذلك أفضل».

---

[1] الجامع لأحكام الصلاة 1-2 الطبعة الأخيرة (3/ 76وما بعدها)

وروى أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال «ينزل ربنا تبارك وتعالى كلَّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: مَن يدعوني فأستجيب له، مَن يسألني فأعطيه، مَن يستغفرني فأغفر له» رواه البخاري ومسلم وابن ماجة وأبو داود.

وفي روايةٍ لمسلم من طريق أبي هريرة بلفظ «إذا قُضي شطرُ الليل أو ثلثاه ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا.. .». فتردد بين شطر الليل وثلث الليل الأخير، ومثله ما جاء في رواية ثالثة عند مسلم من طريق أبي هريرة بلفظ «ينزل الله في السماء الدنيا لشطر الليل أو لثلث الليل الآخِر».

فهذه الروايات الثلاث صرَّحت بذكر الثلث الآخِر من الليل، وترددت روايتان منها بين شطر الليل والثلث الآخِر من الليل، وجاءت رواية رابعة رواها مسلم من الطريق نفسها بلفظ «ينزل الله إلى السماء الدنيا كلَّ ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول».

وبمثلها جاءت روايات عند أحمد وأبي داود والنَّسائي والترمذي وابن ماجة من طريق أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما. فهذه الروايات تذكر ثلث الليل الأول وليس الآخِر، فهي معارِضة للروايات الأولى وخاصة الروايةَ الصحيحة القوية التي رواها البخاري ومسلم وابن ماجة وأبو داود.

وقد رجَّح جمهرة علماء الحديث رواية البخاري ومسلم وابن ماجة وأبي داود على رواية مسلم الرابعة، فالعمل برواية البخاري ومسلم وابن ماجة وأبي داود أولى، ويشهد لهذه الرواية الصحيحة القوية ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه- «أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال له: أَحَبُّ الصلاة إلى الله صلاةُ داود عليه السلام، وأَحَبُّ الصيام إلى الله صيامُ داود، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سُدُسه، ويصوم يوماً ويفطر يوماً» رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجة وأحمد.

فلو افترضنا أن الليل هنا اثنتا عشرة ساعة عصرية، فإن الثلث الآخِر يكون آخر أربع ساعات من الليل، ويكون الشطر ست ساعات، فلما نام داود عليه السلام نصف الليل الأول وقام ثلثه فإنه يكون قد صلى ساعتين من الساعات الأولى للثلث الآخِر من الليل ونام ساعتين منه أي نام سدس الليل، أي أنه صلى في ثلث الليل الآخر، فنال الفضيلة التامة. وهذا الحديث يشهد أيضاً للروايتين اللتين ترددتا بين شطر الليل وثلثه الأخير، فالفضيلة التامة يمكن أن تُنال بالبدء في الصلاة عند منتصف الليل، فداود عليه السلام كان ينام نصف الليل، أي ينام الساعات الست الأولى من الليل، ويقوم عند منتصف الليل، فيصلي ثُلُثاً من الليل بادئاً بمنتصف الليل، وبذلك يصلي ساعتين قبل ثلث الليل الآخر، ثم يصلي ساعتين أخريين من ثلث الليل الآخِر، وبذلك فإنه يصلي أربع ساعات، وهي تعادل ثلث الليل كما يقول الحديث «ويقوم ثلثه». فهذا الثلث يجمع بين ساعتين قبل ثلث الليل الأخير وساعتين من ثلث الليل الأخير، فهو يجمع بين العمل بنصف الليل والعمل بثلث الليل الآخر.

ولكني أعود فأُذكِّر بأنّ وقت صلاة الليل موسَّع، يبدأ عقب صلاة العشاء، وإنما أحببت فقط أن أنوِّه بوقت الفضيلة التامة، وأنها تتردد بين نصف الليل الثاني وثلث الليل الآخِر.

أما قوله سبحانه في سورة المُزَّمِّل { قُم اللَيْلَ إلا قَلِيْلاً. نِصْفَهُ أَو انْقُصْ مِنْهُ قَلِيْلاً. أو زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيْلاً } الآيات 2، 3، 4 من السورة. وقوله سبحانه في السورة نفسها { إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُوْمُ أَدْنَىْ مِنْ ثُلُثَيِ اللَيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِن الذِيْنَ مَعَكَ.. . } الآية 20 من السورة. فإن هذا القول وذاك ليس في موضوع وقت الفضيلة التامة، وإنما هو متعلق بقدر قيام الليل، فلا يتعارض هذا مع الأحاديث النبوية التي حدَّدت وقت الفضيلة التامة بنصف الليل الثاني، وبثلث الليل الآخِر، وإنما معنى ما جاء في كتاب الله سبحانه أن قيام الليل لمن شاء التطويل هو بقدر نصف الليل، وعندها يبدأ بالصلاة عند منتصف الليل، وهذا يشمل الثلث الآخر من الليل.

ويكون بقدر ثلث الليل، وهذا ظاهر. ويكون بقدر ثلثي الليل، وعندها يبدأ بالصلاة عقب انصرام ثلث الليل الأول، ويستمر إلى آخر الليل، فيشمل هو الآخر ثلث الليل الآخِر. ومثله { أَوْ زِدْ عَلَيْهِ } فهو أيضاً يبدأ قبل منتصف الليل ويستمر حتى آخره فيدخل فيه ثلث الليل الآخِر. وهكذا فإن ثلث الليل الآخر يدخل في جميع أحواله - صلى الله عليه وسلم -، في الصلاة التي ذكرت في المزَّمِّل في الموضعين منها.

وهذا كله متعلق بحق من يقوم الليل وحده في بيته، أما إن كان قيام الليل جماعةً في مسجد، ويكون بصلاة التراويح، فلْيكن ذلك في أول الليل عقب صلاة العشاء، لأن هذا هو ما كان عليه حال صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقد علمنا حديث [صلاة التراويح] الذي رواه البخاري ومالك «فقال عمر : نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل مِن التي يقومون، يعني آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله».

سنن قيام الليل :

1- أن تُفتتح الصلاة بركعتين خفيفتين كما جاء ذلك في حديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النّبي - صلى الله عليه وسلم - قال «إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين» رواه مسلم وأحمد.
2- وعن عائشة رضي الله عنها قالت «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا قام من الليل ليصلي افتتح صلاته بركعتين خفيفتين» رواه مسلم والبخاري وأحمد وأبو داود.
3- أن يقوم المرء بتنظيف أسنانه بالسواك أو بالفرشاة قبل الدخول في الصلاة، فقد روى حذيفة رضي الله عنه «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا قام للتهجُّد من الليل يَشُوص فاه بالسِّواك» رواه البخاري ومسلم والنَّسائي وابن حِبَّان.

4- أن يدعو المسلم بما تيسر له من أدعية مأثورة قبل القيام بالصلاة. كالذي رواه ابن عباس - رضي الله عنه - قال « كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا قام من الليل يتهجَّد قال : اللهم لك الحمد، أنت قَيِّم السموات والأرض ومَن فيهن، ولك الحمد، لك مُلْكُ السموات والأرض ومَن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومَن فيهن، ولك الحمد أنت مَلِكُ السموات والأرض، ولك الحمد أنت الحقُّ ووعدُك الحقُّ ولقاؤُك حقٌّ وقولُك حقٌّ، والجنة حق والنار حق، والنبيون حق، ومحمد - صلى الله عليه وسلم - حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمتُ وبك آمنت، وعليك توكلت وإليك أنبت، وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر، لا إله إلا أنت - أو - لا إله غيرك» رواه البخاري. ورواه أحمد وأبو داود والنَّسائي والترمذي باختلاف في الألفاظ.

أو ما رواه عُبادة بن الصامت - رضي الله عنه - عن النّبي - صلى الله عليه وسلم - قال «من تعارَّ من الليل فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا استُجيب له، فإن توضأ قُبلت صلاته» رواه البخاري وابن حِبَّان. ورواه ابن ماجة بزيادة [العليِّ العظيم] لتصبح «ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ».

5- ويجوز في صلاة الليل الجهر كما يجوز الإسرار، ويجوز رفع الصوت كما يجوز الخفض، هذا إن كان المسلم يصلي منفرداً دون أن يصلي إلى جواره أحد، فإن صلى في مسجد أو مكان فيه آخرون يصلون، فلْيخفض صوته كي لا يشوِّش على مَن عنده من المصلين فعن عبد الله بن أبي قيس قال «سألت عائشة.. . كيف كانت قراءة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الليل أيجهر أم يُسِرُّ ؟ قالت: كلَّ ذلك قد كان يفعل، وربما جهر وربما أسرَّ» رواه أحمد

والترمذي وأبو داود والنَّسائي وابن ماجة. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال «كانت قراءة النبي - صلى الله عليه وسلم - بالليل يرفع طوراً ويخفض طوراً» رواه أبو داود. ورواه ابن ماجة قريباً من ذلك، وعن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال «اعتكف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف الستر وقال : ألا إنَّ كلَّكم مناجٍ ربه فلا يُؤذيَنَّ بعضُكم بعضاً، ولا يرفع بعضكم على بعضٍ في القراءة، أو قال، في الصلاة» رواه أبو داود وابن خُزَيمة.

6- وكما تُقضى السنن الرواتب فإنّ من واظب على قيام الليل فأخذته نَوْمة، أو مَرِضَ من ليلته، أو شُغل عنه قضاه في نهاره المقبل، وقضاه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، فقد روى سعد بن هشام عن عائشة - رضي الله عنها- «أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثِنتي عشرة ركعة» رواه مسلم والنَّسائي.

وفي رواية أخرى عند مسلم من طريق سعد بن هشام عن عائشة - رضي الله عنها - قالت «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا عمل عملاً أثبته، وكان إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار ثِنْتَي عشرة ركعة.. .». وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «من نام عن حزبه أو عن شئ منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتب له كأنما قرأه من الليل» رواه مسلم والنَّسائي وابن ماجة وأبو داود وابن خُزَيمة.

7- وكما في كل عبادة فإن المسلم يقوم بما في وسعه وبما يطيق وبما لا يشق عليه، لأن الله سبحانه لا يَملُّ حتى يَملَّ عبدُه، فكذلك في صلاة قيام الليل، فعن عائشة رضي الله عنها قالت «دخل عليَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعندي امرأة فقال: مَن هذه؟ فقلت: امرأةٌ لا تنامُ تصلي، قال: عليكم من العمل ما تطيقون، فوالله لا يملُّ الله

حتى تملُّوا...» رواه مسلم. ورواه أحمد وابن حِبَّان بلفظ «إن الحولاء بنت تويت مرت على عائشة وعندها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قالت فقلت: يا رسول الله هذه الحولاء زعموا أنها لا تنام الليل، فقال: لا تنام الليل! خذوا من العمل ما تطيقون، فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا». فلْيجهد المسلم في الإطالة ما وسعه ذلك، حتى إذا حصلت لديه مشقَّةٌ بالغة، وصار لا يطيق الاستمرار توقف عن الصلاة ونام، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآنُ على لسانه فلم يدر ما يقول فليضطجع» رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي.

مسألة : في عدد ركعات قيام الليل[1] :

ثبتت السنة عن النّبي - صلى الله عليه وسلم - من غير وجه أنه لا يزيد في قيام الليل لا في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة.

فقد جاء في الصحيحين وغيرهما من طريق مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه أخبره أنه سأل عائشة - رضي الله عنها - كيف كانت صلاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ فقالت : (ما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلى أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثاً.....)

قال ابن عبد البر رحمه الله : (وأكثر الآثار على أن صلاته كانت إحدى عشرة ركعة)

---

[1] باختصار من كتاب : أحكام قيام الليل المؤلف : سليمان بن ناصر بن عبد الله العلوان الناشر : دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع - الإسكندرية – مصر الطبعة : الأولى 1422 هـ، 2001 م.

وروى مالك في الموطأ بسند صحيح عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد أنه قال : أمر عمر بن الخطاب أبي بن كعب وتميماً الداري أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة....).

وما جاء أن الناس كانوا يقومون في زمان عمر بن الخطاب في رمضان بثلاث وعشرين ركعة. فلا يصح. رواه مالك وغيره بسند منقطع.

وجاء عند عبد الرزاق عن داود بن قيس وغيره عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد أن عمر جمع الناس في رمضان على أبي بن كعب وعلى تميم الداري على إحدى وعشرين ركعة.. ...).

وهذا الخبر غير محفوظ. ورواية مالك عن محمد بن يوسف بإحدى عشرة ركعة أصح من رواية داود. وأهل العلم بالحديث يقدمون مثل مالك على من دونه بالحفظ فتقرر بهذا أن السنة عدم الزيادة على إحدى عشرة ركعة، لأن هذا فعل النبي - صلى الله عليه وسلم -، الذي داوم عليه ولم يذكر عنه خلافه وعليه جرى العمل في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ووافقه عليه الصحابة ولم يأت عن أحد منهم شيء صحيح يخالف هذا وغاية ما يحتج به القائلون بسنية ثلاث وعشرين ركعة عمومات صحّ تقييدها، واجتماع الناس في عهد عمر على ذلك وهذا لا يصح والمحفوظ أنّه جمعهم على إحدى عشرة ركعة وقد تقدم على أن ترجيح هذا القول لا يجعل القول الآخر بدعة أو ضلالة فالمسألة اجتهادية والخلاف فيها محفوظ.

وقد قال أكثر أهل العلم بالزيادة ورأوا أن من صلى عشرين ركعة أو ثلاثاً وعشرين أو أكثر أنه مصيب ومأجور.

وذكر الإمام ابن عبد البر رحمه الله إجماع العلماء على هذا فقال (وقد أجمع العلماء على أن لاحدّ ولاشيء مقدراً في صلاة الليل وأنها نافلة فمن شاء أطال فيها القيام وقلت ركعاته ومن شاء أكثر الركوع والسجود).

غير أن البحث عن الراجح والعمل بالأفضل مطلب من مطالب الشريعة، وقد بينت السنة بفعل النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي داوم عليه حتى فارق الحياة وجرى عليه عمل أصحابه من بعده أن قيام الليل إحدى عشرة ركعة في رمضان وغيره. ولم يصح عن أحد منهم التفريق في رمضان بين أول الشهر وآخره على عادة الناس اليوم بل كانوا يقومون بهذا العدد طِوال حياتهم ويجتهدون في العشر الأواخر في الكيفية دون الكمية، فيطيلون القيام والركوع والسجود متلذذين بتدبر القرآن فهو حياة قلوبهم ومتنعمين بالوقوف بين يدي رب العالمين، ولم تكن همة أحدهم مصروفة إلى هَذّ القراءة ابتغاء بدعة يؤدونها آخر الشهر أو تكثير عدد الركعات والإخلال بالطمأنينة بحيث لا يمكن للمأموم متابعة إمامه إلا بمشقة وعناء نسأل الله العافية.

مسألة : (في كيفية صلاة الليل)

ذهب الإمام مالك والشافعي وأحمد وطائفة من السلف إلى أن صلاة الليل مثنى مثنى إلاّ ركعة الوتر، على خلاف بينهم هل هذا على الوجوب أم على الاستحباب وحجتهم في هذا ما جاء في الصحيحين وغيرهما من طريق مالك عن نافع وعبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رجلاً سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن صلاة الليل فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى) وقوله : (مثنى مثنى) معدول عن اثنين اثنين، والمراد أن تسلم في كل ركعتين قيل وجوباً وقيل استحباباً.

قال أحمد فيمن قام في التراويح إلى ثالثة : يرجع وإن قرأ، لأن عليه تسليماً، ولابد. للخبر. وعنه يصح مع الكراهة. ذكره جماعة، وهو المشهور، سواء علم العدد أو نسيه) وعنه لا يكره وهو مذهب أبي حنيفة قال رحمه الله في صلاة الليل (إن شئت ركعتين وإن شئت أربعاً وإن شئت ستاً وثمانياً لا تسلم إلا في آخرهن).

والأفضل في مذهبه صلاة أربع بسلام واحد لخبر عائشة في الصحيحين حين سألها أبو سلمة بن عبدالرحمن عن كيفية صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في الليل قالت : يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثاً).

وهذا الحديث مجمل ليس فيه التصريح بصلاة أربع بسلام واحد والاحتمال فيه وارد وإن كنت استظهر فيه الأربع بسلام واحد جرياً على الأخذ بالظاهر حتى يرد لفظ صريح يخرجه عن ذلك. وحديث ابن عمر ((صلاة الليل مثنى مثنى)) لا يدل على وجوب التسليم في كل ركعتين ولفظه لا يساعد على ذلك فيحمل على الاستحباب وأنه الأكثر استعمالاً. وغيره من الأحاديث تحمل على السنية في بعض الأحيان، والعبادات الواردة على وجوه متنوعة يعمل بها كلها وهذا أفضل من المداومة على نوع وهجر غيره فإن هدي النبي صلى الله عليه وسلم عمل الأمرين على أن المداومة على نوع مراعاة للمصلحة ودرءاً للمفسدة قد تكون أفضل في وقت دون آخر كما أن المفضول يكون فاضلاً وهذا أمر عام في كل العبادات الواردة على هذا الوجه والقول الجامع فيها مراعاة المصالح وهذا يختلف باختلاف الأحوال والبلاد والأشخاص والله أعلم.

وهل يتشهد في الركعتين أم يصلي الأربع بتشهد واحد، لا أ علم في ذلك دليلاً والأظهر فيها التخيير. إن شاء صلى أربعاً بتشهد واحد، وإن شاء تشهد تشهدين، ولا يسلم إلاّ في آخرهن.

وأما الوتر : فله أن يوتر بركعة. لحديث ابن عمر السابق (فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة.. .) متفق عليه. وعند مسلم من طريق شعبة عن قتادة عن أبي مجلز قال : سمعت ابن عمر يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الوتر ركعة من آخر الليل) وإن صلى قبلها شفعاً فهذا أفضل.

وله أيضاً الوتر بثلاث وخمس وسبع وتسع إلاّ أنه إذا أوتر بثلاث لا يتشهد تشهدين، بل يقتصر على التشهد في آخر الصلاة. والسنة أيضاً لمن صلى تسع ركعات أن لا يجلس فيها إلاّ في الثامنة فيجلس ويذكر الله ويحمده ويدعوه ثم ينهض بدون سلام ثم يصلى التاسعة ثم يسلم. والحديث في صحيح مسلم من حديث عائشة وجاء في هذا الحديث أنّ النّبي - صلى الله عليه وسلم - صلى ركعتين بعدما سلم وهو قاعد.

والتنويع في هذه الصيغ أفضل محافظة على السنة واتباعاً للنصوص الواردة في هذا الباب. والكل سنة بما في ذلك قيام الليل والوتر إلاّ أنه سنة متأكدة، كما هو قول جماهير العلماء من الصحابة والتابعين. وهو قول مالك والشافعي وأحمد، والأخبار في هذا متكاثرة.

وذهب أبو حنيفة رحمه الله إلى وجوبه وقال غيره : واجب على أهل القرآن والراجح قول الجمهور، وأنه سنة على عامة المسلمين.
وقد روى أبو داود في سننه من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبدالله بن الصُنابِحِيّ قال : زعم أبو محمد أن الوتر واجب. فقال عبادة بن الصامت : كذب أبو محمد. أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (خمس صلوات افترضهن الله عز وجل من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد إن شاء غفر له وإن شاء عذبه) سنده صحيح.
و رواه أبو داود أيضاً من طريق محمد بن يحيى بن حبان عن ابن محيريز أن رجلاً من بني كنانة يدعى المخدجي سمع رجلاً بالشام يدعى أبا محمد يقول : إن الوتر واجب.. ..)

وأما حديث أبي أيوب الأنصاري مرفوعاً (الوتر حق على كل مسلم) فلا يصح إلاّ موقوفاً. قاله أبو حاتم والذهلي والدارقطني وغيرهم. قال ابن حجر : وهو الصواب.

وأما حديث بريدة مرفوعاً (الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا) الحديث رواه أبو داود وغيره. فإنه خبر لا يصح. في إسناده عبيد الله بن عبدالله العتكي، قال عنه البخاري عنده مناكير، وقال العقيلي لا يتابع على حديثه ولا يعرف إلاّ به. وقال ابن حبان يجب مجانبة ما ينفرد به.

وأما حديث علي مرفوعاً (يا أهل القرآن أوتروا فإن الله وتر يحب الوتر) ففي صحته نظر فقد رواه أبو داود من طريق زكريا وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طريق أبي بكر بن عياش كلاهما عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي به ورواه سفيان الثوري وغيره عند الترمذي والنسائي عن أبي إسحاق عن عاصم عن علي رضي الله عنه قال (الوتر ليس بحتم كهيئة الصلاة المكتوبة ولكن سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهذا هو المحفوظ فإن سفيان أحفظ وأضبط من كل من رواه عن أبي إسحق قال الترمذي في جامعه وهذا أصح من حديث أبي بكر بن عياش. فترجح من هذا قول الجمهور أن الوتر سنة وليس بواجب على أنه لو صح ليس نصاً في المسألة فقد دلت أحاديث أخرى على عدم الوجوب فيحمل هذا الخبر على تأكد السنية والله أعلم.

المبحث الثالث عشر

مدة الدعوة السرية وسماتها

المطلب الأول : مدة الدعوة السرية ومفهومها

المطلب الثاني : سمات المرحلة الأولى للدعوة

المطلب الثالث : دروس من مرحلة الدعوة السرية

المطلب الأول

مدة الدعوة السرية ومفهومها

يكاد يكون الإتفاق بين كتاب السير على أن مدة الدعوة السرية كانت ثلاث سنوات ، قال ابن هشام [1] : وكان بين ما أخفى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين فيما بلغنى من مبعثه.

وقال صاحب بهجة المحافل [2] : وفى السنة الرابعة نزل قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين)

وروى البلاذُرى [3]عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سراً أربع سنين.

وبنزول الأمر بالصدع بالدعوة بدأت الدعوة مرحلة جديدة شهدت أشد المحن والأزمات ؛ وقبل الانتقال إليها نعرض لسمات الدعوة السرية.

ما الحكمة في أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بدأ دعوته سريًا ؟

من الطبيعي لأي دعوة -غالبا- أن تكون بدايتها سرية فهي في مهدها تبدوا ضعيفة غير مألوفة ، خاصة إذا كانت هذه الدعوة تمس لب العرف والتقاليد وموروث قرون سواء كان أمر عقدي أو اجتماعي أو غير ذلك ، وتأتي صعوبة الدعوة إذا كانت تمس الموروث العقدي لاسيما لأصحاب القيادة لهذا الموروث ولعل من الحكم في سرية الدعوة :

- أنها فرصة للتربية، والتكوين، ومرحلة لإعداد المؤمنين حتى يشتد عودهم، وتقوى على تحمل البلاء نفوسهم. لأن الرسول - صلى الله

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام (2/ 97).
(2) بهجة المحافل ج 1 ص 75.
(3) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (2/ 322).

عليه وسلم - جاءهم بدين لم يعرفوه، وبأمر لم يألفوه، فلو أنه واجههم به لأول وهلة لحالوا بينه وبين الاتصال بالناس، ولم يمكنوه من تبليغ دعوته، وحينئذ لم يتوفر لديه فرصة الالتقاء بمن آمنوا به ليعلمهم ويفقههم في الدين، ويربيهم التربية التي تؤهلهم للنهوض بالعبء الضخم الذي ينتظرهم.

- تعليم للدعاة وإرشاد لهم في كل زمان ومكان إلى مشروعية الأخذ بالحيطة والأسباب الظاهرة.

مفهوم السرية في هذه الفترة من الدعوى [1] :

كانت الدعوة سرية في أول الأمر، وظلت كذلك ثلاث سنين، ثم أصبحت بعد ذلك علنية، وكانت في أول أمرها مقصورة على عشيرة النّبي - صلى الله عليه وسلم - الأقربين {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين} [الشعراء] ثم اتجهت إلى الدعوة العامة.

والحقيقة أنه لا يوجد فارق حقيقي بين الدعوة السرية والعلنية، فإن طبائع الأشياء لا تكاد تقبل هذا التصوير، فإن رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - انتشرت منذ البدء وبلغت أهله الأقربين ثم أصدقاءه، وظل الأصدقاء يكتسبون أصدقاءهم، واتسعت الدائرة شيئًا فشيئًا حتى أصبحت الدعوة عامة علنية. وكانت مهمة النّبي - صلى الله عليه وسلم- في مكة هي إبلاغ القرآن وتعليمه وتحفيظه، وإمداد المؤمنين بالصبر والاحتفاظ باليقين والصمود للفتنة والسعي لنشر التعاليم الجديدة في المواسم عند اجتماع الناس، والدعوة لها، والقرآن الكريم الذي نزل على النّبي - صلى الله عليه وسلم - في هذه الفترة مليء بالدعوة لهذه المبادئ، متعدد النواحي في تبيانها، داعي العقول إلى التفكير فيها واستنباطها، ضارب الأمثلة لها، محذر من عاقبة جحودها والوقوف في وجهها، في أسلوب رائع أخاذ، يأخذ بمجامع القلوب وينفذ إلى أقصى أغوار النفس.

---

[1] مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم المؤلف : أحمد إبراهيم الشريف ص 217 الناشر : دار الفكر العربي

وقد سايرت الرسالة في ظروف الدعوة إليها، ظروف التكوين العربي: فقد أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يدعو عشيرته الأقربين؛ لأنهم بحكم عصبية القرابة والرحم سيقفون إلى

جانبه ويؤازرونه ويكونون عونًا له وحماية في وجه العصبيات الأخرى، ثم أمر بعد ذلك أن يدعو مكة {لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} [الشورى] وحين نقول مكة نعني بذلك قبيلة قريش؛ فإنها كانت هي الأصل في أهل مكة ومن معها من الناس موال لها أو أتباع. فالانتقال من عصبية العشيرة إلى عصيبة القبيلة أمر جرى عليه التكوين الاجتماعي عند العرب

المطلب الثاني

سمات المرحلة الأولى للدعوة

المتأمل فى المرحلة الأولى للدعوة الإسلامية يلحظ أنها ذات سمات خاصة عدَّها صاحب المنهج الحركى بعشرة [1] وهى :

الدعوة سراً ، وقيامها على الاصطفاء والعمل من خلال ثقافة الداعية ومركزه الإجتماعى وعمومها لكل الطبقات والقبائل واشتراك المرأة فى هذه المرحلة والصلاة ومعرفة قريش بخبر الدعوة والمعايشة بين المسلمين وغيرهم والتركيز على بناء العقيدة ، وأخيراً ً الجهر بالدعوة بعد بناء العقيدة ، وأخيرا الجهر بالدعوة بعد النواة الصلبة وسنفرد بالتوضيح كل سمة من هذه السمات.

أما السمة الأولى :

وهى سرية الدعوة يقصد بالسرية هنا كونها لم تكن دعوة أمام المحافل وأماكن تجمع العرب عامة أو خاصة وإنما يقصد بها تخير أفاضل القوم والاجتماع بهم فرادى وعرض الدعوة عليهم.

[1] المنهج الحركي للسيرة النبوية ص 17 – 28 دار الوفاء بتصرف

وقد كانت الدعوة سراً لحِكَم كثيرة دعت إلى ذلك ولعل هذا هو الأمر الطبيعى لمثل هذه الدعوات ، فالدعوة دعوة عقيدة ، والعقيدة الجديدة اقتلاع لأساس متوارث لأجيال كثيرة رسخت مبادئه فى نفوس أصحابه حتى صار جل حياتهم على هذا الأساس ، فالجميع هنا فى مكة يكمن ـ كما يظن ـ عزة وشرفه ومكانته بين العرب جميعا فى هذه العقيدة الباطلة ، بل إن مكانته التجارية وحركات القوافل وأمنها مرهون ـ عنده ـ أيضا بما عليه مكة التى تُعد مركزاً لعبادة الأصنام والأوثان لا منافس له وإن كان للعرب طواغيت غيرها إلا أن مكة تحتل فى نفوسهم المكانة الأولى ، ولكون مكة مركز الزعامة الأولى لهذه العبادة فالمكان يبدوا أكثر صعوبة من غيره ، فالدعوة الجديدة لابد أن تواجه كل الأطراف وتُعرض على كل الآراء ، وتتقلب بين القبائل بخلاف لو أنّ الدعوة كانت فى منطقة نائية منعزلة فلن تواجه وقتها سوى طرف واحد ورأى واحد ولكن قدر الله لهذه الدعوة أن تبدأ من مكة مركز تجمع العرب كى تصل أخبارها إلى عامتهم فى أسرع وقت ممكن حتى إذا وجدت أرضا صلبة رَكَزَت فيها وهو ما حدث بالفعل.

لذا كان لابد أن تكون المرحلة الأولى من الدعوة سرية تحبو شيئا فشيء نحو اقتلاع الباطل من جذوره بين الصفوة المختارة أولا ممن يُرى فيهم الكياسة والحكمة وإمعان العقل فيما عليه حال الأمة.

وأما السمة الثانية :

فهى تدعو على الإصغاء ، وهو أيضا أمرا طبيعيا أن تقوم مثل هذه الدعوات فى بدايتها على الإصغاء فالبداية أساس والدعوة عالمية خاتمة فلا بد أن يكون الأساس قوياً راسخاً يحتمل الهزات العنيفة التى طالما سيتعرض لها من كل صوب وناحية ، وقد أفاد الاصطفاء الدعوة فى مراحل متعددة أولها المرحلة التى تلتها من الجهر بالدعوة وما كان فيها من التعذيب والأذى والمطاردة ، وثانيها المرحلة التى

تلت الهجرة من جهاد مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصد عنه بالنفس والمال والولد ، وثالثهما نشر الإسلام وفتح البلدان وتحريرها من عبادة العباد وإعطاء الفرصة للناس لعبادة رب العباد عن حرية واقتناع.

ولعل المتأمل فى الصفوة الأولى من رجال الدعوة يجد فيهم المثل الأعلى للتحرك الإسلامى والمثل الأعلى للتطبيق الإسلامى كما جاء به الأمين.

أما السمة الثالثة :

وهى العمل من خلال ثقافة الداعية ومركزه الاجتماعي ولعل فى أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ النموذج الأمثل لهذه السمة فقد كان رجلا نسابة يحفظ انساب العرب ويُعَدُ مرجعا لهم وصاحب مشورتهم ، أضف إلى كونه كان تاجراً له علاقاته بالناس ، لهم عنده مصالحهم الخاصة ، والحساسة التى تتعلق بمصائرهم ومراكزهم الاجتماعية والاقتصادية بين العرب فكان هذا الرجل يستعمل مكانته وثقافته فى الدعوة ـ من غير استغلال ـ إلى الله بالحسنى ، وكان لقربه من الكثيرين دوره فى إنصات الكثيرين لسماعه ، واجتذاب هؤلاء إلى الإسلام ومناقشتهم فى ما جاءت به الدعوة الجديدة ولعل هذه السمة تظل فى كل العصور من سمات الدعوة إلى الله ، فليس معنى أنّ ابى بكر أو مكانة بين قومه لتجارته ومعرفته بالأنساب أن المكانة العليا فقط هى التى تجذب الأخرين إلى الإنصات للداعى فلم يكن الصديق ذا حسب بين أقوام العرب وإنما عَرَفَ كيف يسخر عمله وثقافته للدعوة إلى الله ويجعل منهما ربح الدنيا والدين ، ولعل التاريخ يؤيد هذا ليس فى أبى بكر فقط بل فى كل الدعاة الناحجين على مدى العصور ، فالتاريخ يذكر أن دولاً عدة عجزت السيوف عن فتحها وفتحها التاجر المسلم بصورته الصادقة فى الإسلام ، وقتها كان التاجر المسلم فقيها فى دينه ملتزما بمبادئه فكان صورة لما يدعوا له

فلفت الأنظار الى ما يدعوا له ، مما دعى الأخرين إلى حب التعرف على مايعتنقه هذا التاجر فدخل الناس فى دين الله أفواجا وفتحت البلاد بلا سيف

أما السمة الرابعة :

وهى عمومها لكل الطبقات :

فلم تكن الدعوة لطبقة بعينها ، ولا طبقات دون أخرى بل شملت كل طبقات المجتمع وفى عرض أوائل من أسلم ما يدل على ذلك [1]:

أولا بنو هاشم :

1. على بن ابى طالب
2. جعفر بن ابى طالب
3. ام الفضل بنت الحارث
4. عبيدة بن الحارث
5. أسماء بنت عميس (زوج جعفر)
6. خديجة بنت خويلد
7. زيد بن حارثة (مولى)

ثانياً : بنو أمية :

1. عثمان بن عفان
2. خالد بن سعيد
3. أمينة بنت خالد (زوج خالد)
4. حاطب بن عمرو
5. عبد الله بن جحش (حليف)
6. أبو أحمد بن جحش (حليف)
7. فاطمة (زوجة)

---

[1] المرجع السابق ص 21- 22

ثالثاً :بنو مخزوم :

1. أبو سلمة بن عبد الأسد
2. عياش ابن ابى ربيعة
3. عمار بن ياسر (حليف)
4. أسماء (زوجة عياش)
5. ياسر بن عامر (حليف)
6. سمية بنت الخياط (زوج ياسر)
7. الأرقم بن أبى الأرقم

رابعاً : بنو تميم :

1. أبو بكر الصديق
2. طلحة بن عبيد الله
3. عامر بن فهيرة (مولى)
4. بلال بن رباح (مولى)
5. صهيب بن سنان (مولى)

خامساً : بنو عدى :

1. سعيد بن زيد
2. فاطمة بنت الخطاب
3. عامر بن ابى ربيعة (حليف)
4. نعيم بن عبد الله
5. واقد بن عبد الله (حليف)
6. خالد بن البكير (حليف)
7. عامر بن البكير (حليف)
8. إياس بن البكير (حليف)

سادساً : بنو زهرة :

1. سعد بن ابى وقاص
2. عبد الرحمن بن عوف
3. عمير بن ابى وقاص
4. المطلب بن أزهر
5. عبد الله بن مسعود
6. خباب بن الأرت (حليف)
7. مسعود بن ربيعة (حليف)

سابعاً : بنو سهم :

1. خنيس بن حذافة
2. حفصة بنت عمر (زوجة)

ثامناً : بنو جمع :

1. حاطب بن الحارث بن معمر
2. فاطمة (زوجة)
3. خطاب بن الحارث
4. فكيهة (زوجة)
5. السائب بن عثمان
6. معمر بن الحارث
7. عثمان بن مظعون
8. عبد الله بن مظعون
9. رملة (زوجة)
10. السائب بن مظعون

تاسعاً : بنو أسد :

1. الزبير بن العوام

عاشراً : بنو الحارث بن فهر :

1. أبو عبيدة عامر بن الجراح

حادى عشر : بنو عامر بن لؤى :

1. سليط بن عمرو
2. حاطب بن عمر

ثانى عشر : قبائل متفرقة :

1. عمرو بن عبسة السلمى
2. جندب بن جنادة الغفارى (أبو ذر)

وبهذا العرض يتضح لنا أن الدعوة حتى فى أولها كانت عامة لكل الطبقات سواء الطبقات الاجتماعية أو المركزية منها فقد أسلم فى هذه المرحلة الحر والعبد والغنى والفقير ومن كان من أكابر القوم ومن كان من عليتهم عربيا كان أم أعجميا ، أما ما تدل عليه هذه السمة فأمور منها :

عموم الدعوة للناس كافة منذ اللحظة الأولى لها دون أى اعتبار سوى الآدمية فقط ، ولقد جاء الإسلام بكل التقدير والاحترام للآدمية ، ونزل القرآن وحكت السنة عن احترام الآدمية فى الإسلام أيا كان العرق وأيا كان الدين وأيا كانت اللهجة وأيا كان اللون فقد قال القرآن الكريم (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا [الإسراء : 70]) فبدأ باحترام الآدمية جمعاء دون النظر الى لون أو جنس أو عقيدة ، وقد حكى الفقهاء طهارة الآدمى حياً كان أو ميتا مسلما كان أو غير مسلم ، ثم اختص من بنى آدم أهل التقوى والقرب من الله ـ عز وجل ـ فقال سبحانه (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [الحجرات : 13])

فكان الأفضل عند الله التقى الذى يرعى حدود الله ، ومع أفضلية التقوى إلا أن الإسلام لم ينكر حق الآخرين ـ وإن كانوا غير مسلمين ـ فى الحياة الآمنة الحرة ما لم يتعدوا حدودهم ، فلا يُكرَهون على الإسلام (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ [البقرة : 256]) ولا تمتنع المعيشة السلمية معهم (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ [الممتحنة : 8]..)

ولم يكتف الإسلام بمجرد مسالمتهم فقط بل حرَّم الاعتداء عليهم بغير وجه حق خاصة أصحاب العقائد السماوية السابقة.

ومع ذوبان الطبقية بشتى أنواعها فى بوتقة الإسلام. إلا أن الإسلام قد حفظ للمعادن الكريمة رونقها وأصالتها فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا "[1] فاشترط للحفاظ على المكانة التى كان عليها قبل الإسلام أن يتفقه فى الدين لأن التفقه فى الدين عمود الشرع وأساسه ولا فائدة للحسب والنسب دون تفقه ومعرفة.

السمة الخامسة فى هذه المرحلة :

اشتراك المرأة فيها ، فالملاحظ أن خمس من أوردناهم على أنهم أول من أسلم من النساء ، فقد أسلمت زوج النّبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ خديجة ـ رضى الله عنها ـ وكانت لها دورها المشهود فى المرحلة الأولى من الدعوة واستمرت على مساندة الدعوة وقائدها حتى توفاها الله ـ سبحانه ـ

[1] مسند أحمد (16/ 201).

وأسلمت زوج جعفر أسماء بنت عميس ، وزوج أبو أحمد بن جحش فاطمة ، وزوج عياش أسماء وزوج ياسر سمية وكانت أول شهيدة فى الإسلام وزوج خالد بن سعيد فاطمة بنت الخطاب وكان ما يزال أخيها عمر مشركاً يتفنن فى تعذيب المسلمين وأسلمت زوج خنيس ابن حذافة حفصة بنت عمر وأسلمت زوج حاطب ابن الحارث وزوج الخطاب بن الحارث وزوج عبد الله بن مظعون. أسلمن وعشن المرحلة السرية دون أن يدرى بهن أحد وحافظن على السر وكتمنه دون أن نسمع شيئا عن إفشائهن له ، وأسلمن وكن سندا لأزواجهن وعوناً لهم.

ولم يكتف دورهن على المرحلة السرية فقط أو على مجرد كتمهن السر فقط بل شاركن فى المراحل التالية بما لم يشارك به بعض الرجال وسنورد بعون الله هذه المشاركات مع سياق الأحداث.

السمة السادسة من سمات هذه المرحلة : الصلاة.

وقد أوردنا قول القائلين بأنّ الصلاة فرضت مع نزول اقرأ وافتراض الصلاة أو وجودها فى بداية الدعوة ينم عن حقيقة هامة وهى مكانة الصلاة فى الإسلام ، فالصلاة صلة العبد بربه ولقاء يومى متكرر هذا اللقاء يزن بين يديه ـ سبحانه ـ الأعمال أولاً بأول فإن كان خيراً شكر وإن كان شراً استغفر ورجع.

وهى دليل خضوع وانصياع تام لله ـ عز وجل ـ بتوجيه حركات الإنسان وسكناته لله رب العالمين " قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " [الأنعام : 162])والصلاة فى الإسلام لا تسقط عن الإنسان بأى حال إلا إذا غاب عن الوعى فهو يصلى قائما أو جالساً أو متكئاً ، وهو يصلى بقيام وركوع وسجود ويصلى أحياناً بالإيماء ، فلا تسقط عنه خلافاً لكثير من الالتزامات الإسلامية الآخرى فالحج يسقط عند عدم الاستطاعة

والزكاة كذلك والصوم كذلك ، والمقصر فى أداء الصلاة خلاف المقصر فى أداء أى ركن آخر ، فالمقصر فى الصلاة يُعَرِضُ نفسه للكفر على قول البعض لحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم " بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ [1]" وأما المقصر فى أداء الزكاة أو الصوم أو غير الصلاة فيعرض نفسه لذنب صَغُرَ أم كبر خلاف الكفر ، والصلاة أول ما يحاسب عليه المرء يوم القيامة فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله ، وهى تشفع لصاحبها يوم القيامة مع القرآن.

السمة السابعة من سمات هذه المرحلة :

معرفة قريش بخبر الدعوة ، فالدعوة وإن كانت وقتها سرية إلا أنها لم تكن خفية ذلك الخفاء المفهوم لدى العامة فهى ليست كتلك الدعوات التى تحاك فى الخفاء لتدبر أمراً خبيثاً دنيويا ، وإنما هى دعوة خير الدنيا والآخرة وإن كان فى بدايتها إسرار فالضرورة دعت إلى ذلك ،وإسرار الدعوة فى هذه المرحلة لهم لم يعنى عدم معرفة قريش بها تماماً ، وإنما يعنى أنها كانت تُعرض على أصحاب العقول والبصائر السليمة ، وأصحاب الفطرة التى لم تطمسها رذائل الجاهلية ، وتُعرض على هؤلاء أولاً ثم إذا ما أشتد عودها وتفرعت أوراقها ظهرت جهاراً للعامة ،

ولعل قريشاً لم تنل من الدعوة فى بدايتها لكونها لم تتعرض لأصنامها وأوثانها فظنت فى بداية الأمر أن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحبه كأولئك الذين ظهروا كم على الساحة من المتألهين ، ولم يكن لهم أى أثر على مراكزهم وسير أمورهم.

---

[1] صحيح مسلم (1/ 61).

ثم إنّ لنا لدرساً فى موقف الدعوة من الأصنام فى هذه المرحلة فلا النّبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا صحابته ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا يتعرضون لها أمام العامة فلم يقف أحد من رجال الدعوة وقتها فى المسجد ليكسر صنماً أو يُسقط وثنا لأنّ الدعوة وقتها كانت عوداً أخضر يسهل الفتك به ، فكان لزاماً عليها أن تصبر حتى ينمو فيصعب النيل منه ، كما أنّ تعلق الناس بهذه الأصنام التعلق الشديد يحتاج إلى بسط الوقت للإقناع بحقيقتها قبل الإقبال على تكسيرها ، فتكسير الصنم يستلزم إزالة الاعتقاد به أولاً ، وإلا صُنع بدلا منه ألف صنم فلقد كان العرب يرون الصنم أمامهم تأكله عوامل التعرية وتبول عليه الكلاب فيُزيلون بول كلابهم ، ويبدلون كسر الحجارة بالذهب والفضة.

ولعل هذا الموقف دعوة صريحة إلى ملازمة الحكمة وحسن البصيرة قبل تغيير المنكر ، فإن كان التغيير يؤدى الى منكر أكبر منه فليس أوانه ، وهذا الموقف أيضا يدعونا إلى النظر فيما قرره الشارع الحكيم فى مراحل تغيير المنكر ، فلا شك أنّ كل منكر يجب تغييره فى الشرع ، ولكن كيفية التغيير ووقت التغيير أمور فصل فيها الشرع بحسب الأحوال والأوقات ، فكيف أقف على صاحب منكر لأغير المنكر وهو لا يفهم أصلاً إنّ هذا منكرا.

السمة الثامنة من هذه السمات : المعايشة بين المسلمين وغيرهم :

فما كان الإسلام يوما فى أى مرحلة من مراحله التاريخية دينا منعزلا عن الناس ، وما كان أهله يوما فئة منطوية عن المجتمعات مهما زاخت هذه المجتمعات ومهما فشت فيها المخالفات الشرعية.

ولعل هذه المرحلة مثلا لمن يخطئ فيظن ضرورة العيش فى منعزل عن الناس لما فيهم من جاهلية وبُعد عن شريعة الله طالما كان هناك أمل فى دعوتهم ولو استجاب القليل منهم.

ولو كان أهل الدعوة أهل عزلة لمَا كانوا أهل الدعوة. خاصة الدعوة الإسلامية التى يَتَحَمَّل كل مسلم ـ دون استثناء ـ عبء الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ بالحكمة والموعظة الحسنة كل بحسب طاقته وقدرته ، فالإندماج فى المجتمعات ومعايشة الأحداث ضرورة شرعية للإحتكاك بهؤلاء وكسب ألفتهم ، ثم عرض الدعوة عليهم ، بشرط أن يكون هناك أمل فى تقبل الناس فى هذا المجتمع للاستماع والأمل فى إسلامهم.

وكذلك فعل الصديق ـ رضى الله عنه ـ فكان لإحتكاكه ومعايشته لقريش أثره البالغ فى الإنصات إليه.

ثم إنّ الإحتكاك بالمجتمع يكسب فن التعامل معه بعد الإلمام بما فى سرائر الناس ومعرفة نقاط الضعف والقوة ومداخل التفاهم معم حتى تُكسب قلوبهم وتُنال ثقتهم ، لا لتزيين الإسلام ، فالإسلام لا يحتاج لم يزينه ، وإنما كسب القلوب لإعطاء الفرصة لعرض الإسلام دونما وجود ما يشوش على فرصة العرض ، قد كان هذا منهج الدعوة للإسلام فى مراحله الأولى وظل والدولة الإسلامية تملك الأرض ، ثم بعد أن خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة وأتبعوا الشهوات فضيعوا مجد الآباء ، عَرَف غيرهم أنّ الإحتكاك بالمجتمع ومعرفة أسراره وخباياه وتسجيل نبضات كل فرد فيه هو الوسيلة المثلى للسيطرة على الشعوب.

لقد قامت إلى بلاد الإسلام الحملات الفرنسية ومعها العلماء أكثر من السلاح جابوا شرقا وغربا ولا أظنهم تركوا جُحراً إلا دخلوه وسجلوا كل نبض شعبها ونقبوا عن كل شبر فى أرضها فعرفوا كيف يُخرجون من بين أظهر أهلها من تكون قِبْلَتَهُ إلى فرنسا بدلا من الكعبة ومن تكون الفرنسية على لسانه أبلغ من العربية ، ثم عرفوا كيف يضعون هؤلاء على قمة المجتمع ويجعلون منهم رواداً وقادة ، لقد تركت أجسادهم البلاد ولم تتركها ثقافتهم لا

لحسنها وروعتها بل لطمسهم الحقائق وتزييفهم التاريخ ، فكانوا كمن حل على كريم يجاور نبع ماء صاف يملكه يسقى منه الناس بلا مقابل وهو لهم مضيّفٌ ودود فذبح الرجل وألقاه فى البئر فاختلط النبع دما وفسد الماء فارتدى القاتل ثوب الرجل فجعل كل ظمآن يُقبل على النبع يُخرج له منه ويقول نبع فاسد به ماء فاسد ، ثم يغريه أن يشرب من كأسه هو ، فمن تكاسل فى التحقق مما حدث ولم تكن به عزيمة وسيطرة نفس ، ضَعُفت نفسه وهو يرى بريق الكأس فتعاطاه فغاب بعقله عن الحقيقة ، وكلما ناوله تعاطى حتى أصبح لا يملك أن يعود إلى رشده بعد أن سيطر عليه الكأس أما من مَلَك بصيرته وتحكَّم فى إرادته فبقليل تأمل أدرك ما يحاك له ، ولكن هيهات فمثله قليل وقد جمع صاحب الكأس حوله السكارى يُرضيهم بجرعة كأس ويرضونه بترديد ما يقول ، وهكذا انقسم المجتمع إلى فئة السكارى التى مع سُكرها كان لها مقاليد أمور شتى وفئة من أدركوا ما يحاك لهم ، وكم بدل السكارى وغيروا.

وهكذا فى بلاد عدة مسلمة حاولوا تبديل اللغة وتبديل العقول وطمس التراث الأصيل ليقف على أنقاضه زيف حضارتهم وزخرف هوسهم ، ولولا حمى الله الإسلام فى بقاعه ، ففى مصر حماه بالأزهر الشريف ، وفى غيرها بمن أكرمهم الله وأخلصوا الدعوة إليه وحرصوا على نقل التراث الأصيل لعامة الناس.

لقد قصَّ علىَّ من أثق فى صدقه ، ممن عاشوا فى أحد البلاد الأفريقية المسلمة إنه كان من مبعوثى الأزهر الشريف يوما ، وظل فى بلد مسلم مائة فى المائة أكثر من ثلاثة أعوام يعتبره أهل البلاد أجنبياً ، وقد لاحظ فيها إلا السيطرة الإدارية على مقاليد الأمر فى هذا البلد من دولة غربية كانت تستعمرها ، وذات يوم أقبلت فتيات من أهل التنصير ، فتوغلت الواحدة منهن فى

المجتمع توغل النار فى الهشيم من أول يوم جاءت فيه فسكنَّ فى بيوتهم وعِشنَّ معيشتهم ، فألفهم الناس وهم هم ، ومقصودهم لا يغيب عن أحد ،فما قلت لنفسى إلا أننا مقصرون ، وما قمنا بدور الداعية فى هذه البلاد ، لقد تقوقعنا حتى بين بعضنا البعض كأمة واحدة.

وهناك صور أخرى أكثر خطورة من الأولى لابد من الإلتفات إليها وهى داخل المجتمع المسلم نفسه ، فقد يتكتل بعضهم فى أماكن معينة أو فى صناعة معينة ، ويحتكرون مكاناً أو صناعة أو هيئة ربما تكون حكومية فيكونون أهل السيطرة فيها ، وأصحاب قرار فيعطلون كل من هو مسلم وهم فى دولة الأغلبية المسلمة ، ويحتكرون على كل ما هو مسلم وهم فى دولة الأغلبية المسلمة.

فلماذا نركن حتى نفاجأ بهذا التكتل ناهيك إن كان فى موقع حساس أو فى صنعة هامة والأمثلة على ذلك كثيرة ، لقد ذكر صاحبى أن فى هذه الدولة ذات الأغلبية المسلمة أو ربما نقول ذات الهيكل المسلم كاملاً أنّ الفئة التى تسيطر على كثير من الإداريات فى هذه الدولة تعطل إنارة الشوارع فى أعياد المسلمين ، وتجددها وتعمل على سطوعها فى أعيادهم ، حتى آبار المياه يُطلق علي الخَرِب منها اسم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى من يتولونه بالعناية الخاصة الفائقة اسماً من أسمائهم كل هذا فى الدولة المسلمة وهم رعايا فيها ـ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

أين قول الله ـ عزَّ وجَل ـ (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) إنها فريضة غائبة وكم غيبنا من الفرائض فى عصرنا.

السمة التاسعة من سمات هذه المرحلة التركيز على بناء العقيدة

فلا يختلف اثنان على أنّ العقيدة هى أساس كل تشريع وهى أيضا ـ إن رسخت فى النفوس ـ الركيزة الصلبة التى لا يهتز بعدها رجال الدعوة مهما عصفت المحن.

وقد كان العرب قد بدلوا دين أبيهم إبراهيم ، وادخلوا الشرك فيه وتمكنت الأصنام من نفوسهم قرونا توارثتها أجيال بعد أجيال ، فكان لابد من نزع العقيدة الباطلة وترسيخ العقيدة الصحيحة بدلا منها حتى تُبنى عليها التشريعات العامة للإسلام.

ولم تكن الدعوة الإسلام كسابقتها من الدعوات ، فالدعوات السابقة كانت تُنسخ بما بعدها ، فكانت وقتية ليس كذلك فحسب بل كانت لقوم بعينهم دون الآخرين أما دعوة الإسلام فقد كانت الدعوة الباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وكانت دعوة الناس كافة فكان لابد من بناء أساس راسخ ومتين للعقيدة الباقية ما بقيت السماوات والأرض ، لذا كان جُلّ اهتمام الدعوة فى هذه المرحلة عن ذكر الله ـ تعالى ـ وتنزيهه من كل نقص و التبرأ من كل ما فيه من شرك به ثم ذكر خلق الإنسان ومماته وذكر حشره والجنة والنار من باب الترغيب والترهيب حتى يُعَجل الفرد فى تطهير نفسه مما لحق بها من آثار الجاهلية ، فليس من المعقول أن يؤمر الإنسان بصلاة وزكاة وصيام وهو ما يزال يجهل معبوده أو لم تكتمل الصورة واضحة له عن هذا المعبود هذا ولم يكن اهتمام الدعوة ببناء العقيدة فى مرحلتها السرية فحسب بل استمرت حتى مرحلة الهجرة إلى المدينة فأخذت من زمن الوحى أكثر من النصف حتى نجحت فى تخريج رجال أقاموا الإسلام فى كل بقاع الأرض.

وختام هذه السمات الجهر بالدعوة :

ولعل الجهر بالدعوة مرحلة أخرى تلت المرحلة السرية ، ولكنها كانت نتيجة من نتائج هذه المرحلة.

فقد وجدت الدعوة نفسها قد بَنَت رجالاً يعتمد عليهم فى تحمل أعباء المرحلة الأكبر. الأمر الإلهى بالجهر بالدعوة (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين). (وانذر عشيرتك الأقربين) (وقل إنى أنا النذير المبين)

والمشاهد فى دعوة الإسلام أن كل ما فيها قائم على التدرج خلافاً للدعوات السابقة ، وهو ما أوجد فرصة للطاعنين فيها ولبث سمومهم وإدعائهم بأن هذه المراحل إنما قامت على تطور الفكر والاحتكاك من محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليس قائما على المرحلة والأمر الالهى ، ولعل قراءة التشريع الإسلامى وأحوال العرب وقتها وما كانت عليه طبيعة جزيرة العرب يجعل من هذا الإدعاء مجرد ضرب من الحقد والضغينة دون أدنى فكر حر.

المطلب الثالث

دروس من مرحلة الدعوة السرية

1. وجه السرية فى بدء دعوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :
لم يكن تكتمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى دعوته أول الأمر لخوف على نفسه ، فقد أدرك منذ البداية أنّ الأمر كله لله ـ عز وجل ـ وأنه موكل بالدعوة إليه والانصياع الكامل لأوامره ، ولو كان الله ـ سبحانه ـ أمره بأن يصدع من أوله ما تردد فى ذلك وما توانى ولكن الله ـ سبحانه ـ أراد أن يكون أول الدعوة سرية لأسباب ذكرنا بعضها عند الحديث عن سمات هذه المرحلة.

أما العبرة فى ذلك والدرس المستفاد هنا مشروعية الأخذ بالحيطة[1] والأسباب الظاهرة وما يقرره التفكير والعقل السليم من الوسائل التى ينبغى أن تُتخذ من أجل الوصول إلى غايات الدعوة واهدافها على أن لا يتغلب كل ذلك على الاعتماد والاتكال على الله وحده وعلى أن لا يذهب الإنسان فى التمسك بهذه الأسباب مذهبا يعطيها معنى التأثير والفاعلية فى تصوره وتفكيره فهذا يخدش أهل الإيمان بالله تعالى فضلا عن أنه يتنافى مع طبيعة الدعوة إلى الإسلام ، وبناءً على ذلك فإنه يجوز لأصحاب الدعوة الإسلامية فى كل عصر أن يستعملوا المرونة فى كيفية الدعوة من حيث التكتم والجهر ،أو اللين والقوة حسبما يقتضيه الظرف وحال العصر الذى يعيشون فيه وهى مرونة حددتها الشريعة الإسلامية اعتمادا على واقع سيرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ

[1] انظر فقه السيرة للبوطي ص 26 وما بعدها

يقول الشيخ / محمد رمضان البوطى :

ومن أجل هذا أجمع جمهور الفقهاء على أن المسلمين إذا كانوا من قلة أو ضعف العدة بحيث يُغلب على الظن أنهم سيُقتلون من غير أى نكاية فى أعدائهم ، إذا ما أجمعوا قتالهم فينبغى أن تقدم هنا مصلحة حفظ النفس لأن المصلحة المقابلة وهى مصلحة حفظ الدين موهومة أو منفية الوقوع ويقرر العز بن عبد السلام حرمة الخوض فى مثل هذا الجهاد قائلاً : فإذا لم تحصل النكاية وجب الانهزام ، لما فى الثبوت من فوات النفس مع شفاء صدور الكفار وإرغام أهل الإسلام ، وقد صار الثبوت هنا مفسدة محضة ليس في طيها مصلحة

وتقديم مصلحة النفس هنا من حيث الظاهر فقط ، وأما من حيث حقيقة الأمر ومرماه البعيد فإنها فى الواقع مصلحة دين إذ المصلحة الدينية تقتضى ـ فى مثل هذه الحال ـ أن تبقى أرواح المسلمين سليمة لكى يتقدموا ويجاهدوا فى الميادين المفتوحة الأخرى ، وإلا فإن هلاكهم يعتبر إضراراً بالدين نفسه وفسحا للمجال أمام الكافرين ليقتحموا ما كان مسدوداً أمامهم من السبل.

ثم يقول الشيخ : والخلاصة أنه يجب الإسرار بالدعوة إذا كان الجهر يضر بها ولا يجوز الإسرار فى الدعوة إذا أمكن الجهر بها وكان ذلك مفيداً ولا يجوز المسالمة مع الظالمين والمتربصين بها إذا توفرت أسباب القوة والدفاع عنها ، ولا يجوز القعود عن جهاد الكافرين فى عقر دورهم إذا ما توفرت وسائل ذلك وأسبابه [1].

[1] نهاية كلام الشيخ البوطي

أقول :والواقع كل الواقع يشهد بذلك فلقد حورب الإسلام فى بلاد الشيوعية وهى فى أوجها فاضطر أهل الإسلام هناك إلى دراسة القرآن والشريعة سراً فى البيوت فرادى وجماعات ولم يكن لأحد منهم أن يجاهر حتى ولو بحمل مصحف فى يده ناهيك عن أداء الشعائر كالصلاة والصيام.

وهذه صورة من واقع المسلمين خلال هذه الحقبة يحفظ منها التاريخ الكثير، فقد سافر أحد المصريين ذات يوم هناك فى بعثة علمية وبينما هو يسير ذات مرة فى الطريق إذ شَعَر بفتاة تتبع أثره على حذر ، فتتجه خلفه حيث يتجه حتى إذا دخل منزله لاحقته أيضا على حذر وقد ظن أنها من بنات الهوى فلما دخلت واقتربت منه سألته: أأنت مسلم ؟ قال: نعم، قالت :هل معك من القرآن شيء؟ فتعجب فلم يدر بخلده إطلاقاً أن تتبعه فتاة كل هذه المسافة وتتلصص للدخول حيث دخل ثم تسأله عن مصحف فقد تعود فى بلاده أن المصاحف تملأ الدور والمكتبات ، ولتعجل الفتاة قطعت عليه تعجبه وقبل ان يفيق من دهشته أعادت عليه سؤالها وقد ظهر قلقها من الوقوف معه فلم يدرى ما يقول لها إلا إنه قال : لماذا.. .. كيف ؟ إنه لا يعرف حتى كيف يسألها ليزيل الاستفهام الذى حيره فى هذه اللحظة.

ويبدو أنّ الفتاة لم يكن معها من الوقت ما يجعلها هادئة أو حتى تجيبه باطمئنان لكنها على عجالة أفهمته حقيقة الواقع الذى جاء على أرضه لتكون بعثته العلمية ، إنّ كل من وُجد عنده مصحفاً أو يؤدى شعيرة من شعائر الإسلام فهو خائن للشيوعية ، والخائن يحاكم ويجازى وأى محاكمة وأى جزاء والقوم هنا يريدون الحفاظ على هويتهم الإسلامية حتى ينجلى عنهم هذا الضباب.

فهل من الحكمة أن يقوم ذلك الشاب بالدعوة الى الإسلام جهراً وتوزيع الكتب الإسلامية والمصاحف جهراً وهذا الأمر من باب المعروف.

ولم يكن الأمر كذلك فى روسيا الشيوعية وحدها بل سبقتها محاكم الأسبان بعد دمار دولة الإسلام هناك فقد كان اعتناق المسيحية وقتها أمراً واجباً وإلا كان القتل والسبى وهتك العرض والمذلة فكان البعض يضطر الى إظهار المسيحية والإسرار بالإسلام حتى يحافظ على نفسه وعرضه لحين الفرار بدينه ، ومن بعد روسيا والأسبان الكثير من البلاد التى قويت شوكتها على أهل الإسلام فنالت من أهل الإسلام وحاولت النيل من الإسلام ، وما كان على أهل الإسلام وقتها إلا الإسرار بعقيدتهم حتى يأتى الفرج من الله لأن فى جهرهم القضاء عليهم نهائياً ، وبالتالى يكون الضرر الدينى أكبر من الضرر البشرى.

وهناك تجربة أخرى هامة أثرت أثراً بالغاً فى نفوس الكثيرين فى مصر خاصة وفى بعض الدول الأخرى ، وهو ظهور بعض الجماعات التى وهبت نفسها لأمر الدعوة وخاضت تجربة كان الضرر فيها أكثر من النفع فعلى مستوى الأفراد والعامة كان بعض هذه الجماعات يبدو عنيفا فى معاملته معهم لتغيير منكر أو حث على معروف ولو كان هذا المعروف أداء فريضة كالصلاة وكان هؤلاء العامة على جهل متوارث بأمور كثيرة فى الدين وهم بحاجة إلى الحسنى أولاً والإحساس بالمودة والألفة من المحتسب قبل النصح والإرشاد ، فكانت نتيجة البدء بالعنف التنافر والقطيعة بل الإصرار على ما عليه البعض من المنكر عناداً لما يراه ، فهو جاهل والجهل يولد العناد ، والعناد يولد الكفر فهذا يدَّعى أنه داعية وما زاد الطين إلا بلة.

أما على مستوى الخاصة من الناس من أصحاب المراكز والمناصب والأقلام فكان بعض أفراد هذه الجماعات يعاملونهم بما يعاملون به العامة من جفاء الطبع وشدة الأسلوب فيُشعرونهم بأنهم الجهال وهم العلماء وبأنهم أهل فسق ومجون وهم أهل تقوى وورع ، ناهيك عن أسلوب الحوار المنفر ناهيك عن أن بعضهم التف حول هذه الجماعة لا لدعوة خاصة لله ، بل لمرض فيه ونقص يريد أن يعوضه من فرض سيطرته ورأيه على العامة والخاصة ، فكان موقف الخاصة منهم أشد من موقف العامة إذ أن بيدهم مقاليد الأمور فى البلاد فكانت المآسى وفَضح أهل الإسلام على مسمع ومرأى من العالم. وكان يجب على هؤلاء أن لا يفوتهم أن الدعوة تبدأ بالمعروف والحسنى مع الصبر ولو على مدى جيل كامل أو جيلين وأن الجاهل المسلم أشد على الإسلام من غير المسلم ، وان الداعية إن لم يتحلى بالصبر والثبات والخلق القويم ، واحترام الآخرين مهما بدر منهم من جهل - لأن جهله موروث أجيال يحتاج إلى صبر وترويض حتى لا يعاند فيكون أشد معصية من غير المسلم.

وفات هؤلاء أن الذى يحرك المجتمع إلى الصواب المعرفة الصحيحة أولاً بالإسلام ،وتصحيح ما أفسدته الأجيال السابقة ، وهذا يتطلب جهد وافر فى تعريف المجتمع بالإسلام تعريفا هادئاً صحيحاً على حقيقة الإسلام لا على أهواء هؤلاء ، فالداعية يكون أميناً على ما يدعو إليه فلا تسيطر عليه عقده النفسية التى عاشها قبل وأراد أن يخرج منها بارتداء ثوب الداعية وجوهره ما زال خربا به مخزون هذه العقد.

ولا نذكر هذه النماذج لنصور أنّ الدعوة كلها أضحت اليوم بهذه الصورة بل لكى ننبه أنّ الصوت الشاذ هو الذى يعلو الساحة فينبغى أن لا يصدر منا صوت شاذ يعيب الإسلام ، و الإسلام منه براء وإذا كنا نتحدث عن نماذج أساءت للدعوة فإنّ هناك أخرى ـ وهى كثيرة والحمد لله ـ خير منها كانت وما زالت مثالاً صادقاً لما أمر به الإسلام وهى تملأ وستملأ الأرض ما بقيت الحياة

تم بحمد الله نعالى وتوفيقه ويليه إن شاء الله الجهر بالدعوة

ممدوح جاد أحمد جاد الكريم

مصادر ومراجع الكتاب

أولا : القرآن الكريم كلام رب العالمين أنزله على النّبي الأمين محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم -

ثانيا : كتب تفسير القرآن الكريم :

- أسباب نزول القرآن المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ) المحقق: كمال بسيوني زغلول الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، 1411 هـ عدد الأجزاء: 1
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل المؤلف : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (المتوفى: 538هـ) دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت عدد الأجزاء / 4 تحقيق : عبد الرزاق المهدي.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - 1422 هـ
- العجاب في بيان الأسباب المؤلف : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ) المحقق: عبد الحكيم محمد الأنيس الناشر: دار ابن الجوزي عدد الأجزاء: 2
- تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب المؤلف : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى : 606هـ). عدد الأجزاء / 32 دار النشر / دار إحياء التراث العربى.

- تفسير القرطبي المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م عدد الأجزاء: 20 جزءا (في 10 مجلدات)
أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى - 1418 هـ.
- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى - 1419 هـ.
- تفسير اللباب لابن عادل ـ المؤلف : أبو حفص عمر بن على ابن عادل الدمشقى الحنبلى المتوفى بعد سنة 880 هـ عدد الأجزاء / 20 دار النشر / دار الكتب العلمية ـ بيروت
- لباب النقول في أسباب النزول المؤلف : جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
- أسرار ترتيب القرآن المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع عدد الأجزاء: 1
الإتقان في علوم القرآن المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى : 911هـ) المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة : 1394هـ/ 1974 م

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف : محمود الألوسي أبو الفضل (المتوفى: 1270هـ) الناشر : دار إحياء التراث العربي بيروت عدد الأجزاء : 30.
- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ) الناشر : مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان الطبعة : الأولى، 1420هـ/2000م
- المنتخب في تفسير القرآن الكريم المؤلف: لجنة من علماء الأزهر الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر، طبع مؤسسة الأهرام الطبعة: الثامنة عشر، 1416 هـ - 1995 م عدد الأجزاء:1.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة الطبعة: الأولى.
- الإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: 1394هـ/ 1974 م عدد الأجزاء: 4
- لباب التأويل في معاني التنزيل المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ) تصحيح: محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، 1415 هـ
- المرشد الوافي في علوم القرآن د / محمد بسيوني فودة مطبعة الأمانة – مصر 1402 هـ / 1982م
- القران المبين وكيف نزل به الروح الأمين د محمد بحيرى ابراهيم ط الأولى دار الطباعة المحمديه

- الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة علي بن نايف الشحود
- [الأحرف السبعة - أبو عمرو الداني] الكتاب : الأحرف السبعة للقرآن المؤلف : الداني أبو عمرو ص 7 وما بعدها الناشر : مكتبة المنارة - مكة المكرمة الطبعة الأولى، 1408 تحقيق : د. عبد المهيمن طحان عدد الأجزاء : 1
- كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة المؤلف: نخبة من العلماء الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1421هـ عدد الصفحات: 309 عدد الأجزاء: 1
- رد شبهات حول عصمة النبى صلى الله عليه وسلم فى ضوء السنة النبوية الشريفة المؤلف : عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى المحقق : عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى عدد الأجزاء : 1
- آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي عرض ونقد إعداد الدكتور: إدريس حامد محمد
- مصدر القرآن الكريم في رأي المستشرقين عرض ودراسة ونقد أ. د /محمد السيد راضي جبريل.

- [الأحرف السبعة - أبو عمرو الداني] الكتاب : الأحرف السبعة للقرآن المؤلف : الداني أبو عمرو ص 7 وما بعدها الناشر : مكتبة المنارة - مكة المكرمة الطبعة الأولى، 1408 تحقيق : د. عبد المهيمن طحان عدد الأجزاء : 1

- المرشد الوافي في علوم القرآن د / محمد بسيوني فودة مطبعة الأمانة – مصر 1402 هـ / 1982م

السنة النبوية المطهرة :

- الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري (من أعيان المئة الثانية للهجرة) تحقيق محمد إدريس ، عاشور بن يوسف الناشر دار الحكمة ،مكتبة الاستقامة سنة النشر 1415 مكان النشر بيروت ،سلطنة عمان عدد الأجزاء 1.
- مسند الحميدي المؤلف: أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي (المتوفى: 219هـ) حقق نصوصه وخرج أحاديثه: حسن سليم أسد الدَّارَانيّ الناشر: دار السقا، دمشق – سوريا الطبعة: الأولى، 1996 م عدد الأجزاء: 2.
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: 235هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت الناشر: مكتبة الرشد – الرياض الطبعة: الأولى، 1409 عدد الأجزاء: 7.
- مسند ابن أبي شيبة المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: 235هـ) المحقق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي الناشر: دار الوطن - الرياض
الطبعة: الأولى، 1997م عدد الأجزاء: 2
- مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: 255هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 2000 م عدد الأجزاء: 4.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المؤلف : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري (المتوفى : 256هـ) المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر : دار طوق النجاة الطبعة : الأولى 1422هـ
- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم المؤلف : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) الناشر : دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ـ بيروت الطبعة : عدد الأجزاء : ثمانية أحزاء في أربع مجلدات.
- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (المتوفى: 272هـ) المحقق: د. عبد الملك عبد الله دهيش الناشر: دار خضر – بيروت الطبعة: الثانية، 1414 عدد الأجزاء: 6 أجزاء في 3 مجلدات.
- سنن ابن ماجه المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي عدد الأجزاء: 2.
- سنن أبي داود المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت عدد الأجزاء: 4

- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث المؤلف: أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة (المتوفى: 282هـ).
- الجامع الكبير - سنن الترمذي المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) المحقق: بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت سنة النشر: 1998 م عدد الأجزاء: 6.
- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: 292هـ) المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من 1 إلى 9) وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من 10 إلى 17) وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء 18) الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة: الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م) عدد الأجزاء: 18
- المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة: الثانية، 1406 – 1986 عدد الأجزاء: 9 (8 ومجلد للفهارس)
- السنن الكبرى المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ) حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م عدد الأجزاء: (10 و 2 فهارس).
- مسند أبي يعلى المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: 307هـ) المحقق:

حسين سليم أسد الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق الطبعة: الأولى، 1404 – 1984 عدد الأجزاء: 13.
- شرح مشكل الآثار المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى - 1415 هـ، 1494 م عدد الأجزاء: 16 (15 وجزء للفهارس).
- المعجم الكبير المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة الطبعة: الثانية عدد الأجزاء:25 ويشمل القطعة التي نشرها لاحقا المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد 13 (دار الصميعي - الرياض / الطبعة الأولى، 1415 هـ - 1994 م).
- المستدرك على الصحيحين المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، 1411 – 1990 عدد الأجزاء: 4 تحقيق : شعيب الأرنؤوط عدد الأجزاء : 18.
- [شعب الإيمان - البيهقي] شعب الإيمان المؤلف : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت 458) الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، 1410 تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول عدد الأجزاء : 7
- السنن الكبرى المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المؤلف : أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (المتوفى: 676هـ) الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الطبعة الثانية، 1392 عدد الأجزاء : 18
- المنتقي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي (المتوفى: 807 هـ). المحقق: د. حسين أحمد صالح الباكر الناشر: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة الطبعة: الأولى، 1413 – 1992 عدد الأجزاء: 2.
- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: 840هـ) تقديم: فضيلة الشيخ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم المحقق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر: دار الوطن للنشر، الرياض الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م عدد الأجزاء: 9 (8 ومجلد فهارس)
- فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (المتوفى: 852هـ) الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379 رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز عدد الأجزاء: 13
- مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ) تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1427 هـ - 2006 م
عدد الأجزاء: 3.

- جامع الأحاديث (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطى والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوى، والفتح الكبير للنبهانى) المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف د على جمعة (مفتي الديار المصرية)
طبع على نفقة: د حسن عباس زكى عدد الأجزاء: 13.
- المختار من كنوز السنة شرح أربعين حديثا في أصول الدين – تأليف د / محمد عبد الله دراز.

كتب عقيدة :

- كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة المؤلف: نخبة من العلماء الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1421هـ عدد الصفحات: 309عدد الأجزاء: 1

كتب سيرة وتراجم :

- سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) المؤلف: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: 151هـ) تحقيق: سهيل زكار
- الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: الأولى 1398هـ /1978م عدد الأجزاء: 1.
- السيرة النبوية لإبن هشام المتوفى سنة 212ه تحقيق محمد شحاتة ابراهيم دار المنار
- السيرة النبوية لابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد سنة الولادة / سنة الوفاة 213 (1 / 233) تحقيق طه عبد الرءوف سعد الناشر دار الجيل سنة النشر 1411 مكان النشر بيروت عدد الأجزاء 6*3.

- الطبقات الكبرى - ابن سعد] الكتاب : الطبقات الكبرى المؤلف : محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري المتوفى سنة 230 هـ الناشر : دار صادر – بيروت عدد الأجزاء : 8 تاريخ الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري الكنوفى سنة 310هـ ط/ دار المعارف المصرية الطبعة الخامسة.
- الثقات المؤلف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (المتوفى: 354هـ) الناشر : دار الفكر الطبعة الأولى، 1395 - 1975تحقيق : السيد شرف الدين أحمدعدد الأجزاء : 9.
- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ) صحّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء الناشر: الكتب الثقافية - بيروت الطبعة: الثالثة - 1417 هـ عدد الأجزاء: 2
- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ) حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس الناشر: دار النفائس، بيروت الطبعة: الثانية، 1406 هـ - 1986 م عدد الأجزاء: 2
- معرفة الصحابة المؤلف : أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى : 430هـ) تحقيق : عادل بن يوسف العزازي الناشر : دار الوطن للنشر – الرياض الطبعة : الأولى 1419 هـ - 1998 م عدد الأجزاء : 7 (6، ومجلد فهارس).
- دلائل النبوة ـ للبيهقي (384 ـ 458 هـ) تحقيق : وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه : الدكتور / عبد المعطى قلعجى الناشر : دار الكتب العلمية ـ ودار الريان للتراث الطبعة الأولى 1408 هـ / 1988 م عدد الأجزاء 7.

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ) المحقق: علي محمد البجاوي الناشر: دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 1992 م عدد الأجزاء: 4.
- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى المؤلف : علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا (المتوفى: 475هـ) الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، 1411 عدد الأجزاء : 5.
- بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل بشرح العلامة / جمال الدين محمد بن الأسخر اليمني للإمام الفقيه /عماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري المتوفى سنة 507هـ دار صادر – بيروت الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء المؤلف : العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي 544 هـ الحاشية : العلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمنى 873 الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع عام النشر: 1409 هـ - 1988 م عدد الأجزاء: 2
- صفة الصفوة لإبن الجوزي المتوفى سنة 597 هـ دار الجيل بيروت.
- [أعلام النبوة - الماوردي] الكتاب : أعلام النبوة المؤلف : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (المتوفى: 450هـ) الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى، 1987 تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي عدد الأجزاء : 1.

- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: 581هـ) المحقق: عمر عبد السلام السلامي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2000م عدد الأجزاء: 7.
- [صفة الصفوة - ابن الجوزي] صفة الصفوة المؤلف : عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (المتوفى: 597هـ) الناشر : دار المعرفة – بيروت الطبعة الثانية، 1399 – 1979 تحقيق : محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعه جي عدد الأجزاء : 4.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ) المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى سنة النشر: 1415هـ - 1994 م عدد الأجزاء: 8 (7 ومجلد فهارس).
- تهذيب الأسماء واللغات المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان عدد الأجزاء: 4
- الجوهرة في نسب النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه العشرة – محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني الشهير بالبري المتوفى ستة 681هـ – مركز زايد للدراسات والتاريخ ط الأولى 1431ه- 2001م.

- سير أعلام النبلاء المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : 748هـ) المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الثالثة، 1405 هـ / 1985 م عدد الأجزاء : 25 (23 ومجلدان فهارس)
- زاد المعاد في هَدْي خير العباد المؤلف : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى : 751هـ)مكتبة الإيمان بالمنصورة – مصر ط الأولى1420 هـ / 1999.
- زاد المعاد في هدي خير العباد ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) ط مكتبة الإيمان بالمنصورة ط الأولى 1420 هـ - 1999م تحقيق محمد بيومي – د/ عمر الفرماوي – عبد الله المنشاوي.
- الإصابة في تمييز الصحابة المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (المتوفى: 761هـ) الناشر : دار الجيل – بيروت الطبعة الأولى، 1412 تحقيق : علي محمد البجاوي عدد الأجزاء : 8.
- تقريب التهذيب المؤلف : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المحقق : أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني الناشر : دار العاصمة عدد الأجزاء : 1.
- تهذيب الأسماء واللغات المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان عدد الأجزاء: 4.
- البداية والنهاية لإبن كثير المتوفى سنة 774 هـ دار الفكر العربي
- السيرة النبوية المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: 774هـ) تحقيق: مصطفى عبد الواحد الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان عام النشر: 1395 هـ - 1976 م.

- مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ) تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1427 هـ - 2006 م عدد الأجزاء: 3.
- الخصائص الكبرى المؤلف / أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ) دار النشر / دار الكتب العلمية - بيروت - 1405هـ - 1985م. عدد الأجزاء / 1.
- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد المؤلف: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: 942هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م عدد الأجزاء: 12.
- السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المؤلف: علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (المتوفى: 1044هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الثانية - 1427هـ عدد الأجزاء: 3
- الأعلام المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ) الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م.
- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم المؤلف: أحمد إبراهيم الشريف الناشر: دار الفكر العربي عدد الأجزاء:1.
- فقه السيرة للشيخ الغزالي ط دار الريان للتراث ط الأولى 1407هـ - 1987م.

- السيرة النبوية د/محمد الطيب النجار، د/عبد المقصود نصار ط المعاهد الأزهرية.

- الرحيق المختوم - صفي الرحمن المبارك فوري - دار الريان للتراث

- محمد رسول الله لمحمد رضا دار الكتب العلمية ط بيروت.

- هذا الحبيب يامحب لأبي بكر جابر الجزائري ط دار الدعوة. للطبع والنشر.

- فقه السيرة للشيخ الغزالي ، ط دار الريان للتراث.

- فلسفة السيرة الرسول والوحي د / محمد سيد أحمد المسير ط دار ابن كثير – دمشق – بيروت –.

- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث المؤلف : علي محمد محمد الصلابي عدد الأجزاء : 2.

- المختار من السنة هدية منبر الإسلام عدد جمادى الأخرة 1390هـ

علوم اللغة والمعاجم :

- تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي تحقيق مجموعة من المحققين الناشر دار الهداية عدد الأجزاء / 40.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار
الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م
عدد الأجزاء: 6.

- القاموس المحيط المؤلف : محمد بن يعقوب الفيروزآبادي عدد الأجزاء : 1.
- معجم البلدان - ياقوت الحموي] الكتاب : معجم البلدان المؤلف : ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله الناشر : دار الفكر – بيروت عدد الأجزاء : 5.
- [مختار الصحاح - الرازي] الكتاب : مختار الصحاح المؤلف : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي الناشر : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت الطبعة طبعة جديدة، 1415 – 1995 تحقيق : محمود خاطر عدد الأجزاء : 1
- مختار الصحاح تاليف احمد بن ابى بكر عبدالقادر الرازى ترتيب أ/ محمد خاصر ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ص 713.

الفقه الإسلامي :

- الموسوعة الفقهية الكويتية صادر عن : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت عدد الأجزاء : 45 جزءا الطبعة : (من 1404 - 1427 هـ).. الأجزاء 1 - 23 : الطبعة الثانية، دارالسلاسل – الكويت.. الأجزاء 24 - 38 : الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة – مصر الأجزاء 39 - 45 : الطبعة الثانية.
- [الاستذكار - ابن عبد البر] الكتاب : الاستذكار المؤلف : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، 1421 – 2000 تحقيق : سالم محمد عطا، محمد علي معوض عدد الأجزاء : 8.
- أحكام قيام الليل المؤلف : سليمان بن ناصر بن عبد الله العلوان الناشر : دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع - الإسكنرية – مصر الطبعة : الأولى 1422 هـ، 2001 م.

الأخلاق والآداب والرقائق

- إحياء علوم الدين المؤلف : محمد بن محمد الغزالي أبو حامد الناشر : دار االمعرفة – بيروت عدد الأجزاء : 4.

فهارس الكتب والأدلة :

نوادر المخطوطات المؤلف: عبد السلام محمد هارون (المتوفى: 1408هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر الطبعة: الثانية، 1393 هـ - 1973 م عدد الأجزاء: 2

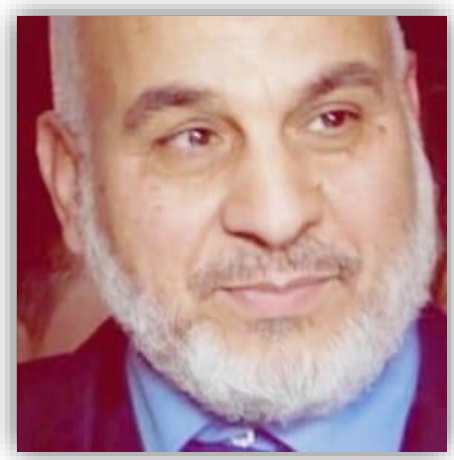

كتب للمؤلف :

مختصر السرور في سيرة الرسول –صلى الله عليه وسلم - (جزء واحد).

مختصر اللبيب في سيرة الحبيب- صلى الله عليه وسلم - (جزء واحد)

الوجيز المختار في سيرة خير الأبرار - صلى الله عليه وسلم - (جزء واحد)

الموجز التام في سيرة سيد الأنام - صلى الله عليه وسلم - (جزء واحد)

التبسيط المختار في سيرة خيرة الأبرار - صلى الله عليه وسلم - (جزء واحد)

ابسط الكلام في سيرة سيد الانام - صلى الله عليه وسلم - (جزء واحد)

أمنا عائشة – رضي الله عنها -. (جزء واحد)

أمنا خديجة – رضي الله عنها –(جزء واحد)

مختصر زوجات النبي – صلى الله عليه وسلم -. (جزء واحد).

أشهر من آذى النبي – صلى الله عليه وسلم – في مرحلة العهد المكي(جزء واحد).

نزول الوحي والدعوة السرية (جزء واحد).

تمام الشفا في سيرة المصطفي - صلى الله عليه وسلم – (20 جزء)

الرسالة الخاتمة من خلال السيرة النبوية المطهرة (23 جزء)

الفهرس

مقدمة الكتاب 5
ذكر ابن هشام ترتيب أحداث المبعث كالآتي : 9
المبحث الأول: إرهاصات النُّبوة 34
المطلب الأول: لكل مقدور نذير أو بشير 35
المطلب الثاني: أخذ الله الميثاق على الرسل للإيمان به - صلى الله عليه وسلم -.... 36
المطلب الثالث: إعلام الوحش برسالته - صلى الله عليه وسلم -..... 39
المطلب الرابع: ما سمع من الكهان والرهبان عند مبعثه 41
المطلب الخامس: سلام الحجر والشجر عليه – صلى الله عليه وسلم –..... 54
المطلب السادس: ما قيل في رجم الشياطين قبيل المبعث : 57
المطلب السابع: السيدة خديجة تسأل ميسرة لتستوثق مما سمعت عن نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم –..... 67
المبحث الثاني: في أول ما بدء به من الوحي الرؤيا الصالحة 69
المطلب الأول: الرؤيا الصادقة أول مراحل الوحي..... 70
المطلب الثاني: الرؤيا في اللغة 71
المطلب الثالث: لفظ رأى ومشتقاته في القرآن الكريم 72
المطلب الرابع: الرؤيا في السنة المطهرة..... 78
المطلب الخامس: ما قيل في اختلاف الآثار الواردة في درجة الرؤيا من النبوة..... 81
المطلب السادس: الرؤيا وجزء النبوة الذي ذكره النّبي – صلى الله عليه وسلم - ... 86
المطلب السابع: هل المراد بالرؤيا والنبوة في الروايات خصوص رؤياه ونبوته - صلى الله عليه وسلم - ؟. 87
المطلب الثامن: ما ذُكِرَ أنه جزء من النبوة غير الرؤيا 89

المطلب التاسع: الحكمة من هذه الرؤى قبيل نزول جبريل - عليه السلام – عليه للمرة الأولى :..... 90
المطلب العاشر: من رؤى الصحابة بعد النّبي والتي تحققت رؤيا النَّبي – صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ وُضِعَ فِي يَدَيَّه سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ..... 102
المطلب الحادي عشر: هل يرى الكافر الرؤيا الصادقة ؟ وهل تكون دائما مبشرة بخير ؟ 104
المطلب الثاني عشر: تفسير الرؤى أو الأحلام على مر العصور 106
المبحث الثالث: الخلوة والتحنث فى غار حراء 114
المطلب الأول: التحنث والتحنف في اللغة 115
المطلب الثاني : الحكمة في أنّ الله - عز وجل - حببَ إليه – صلى الله عليه وسلم – الخلاء :..... 117
المطلب الثالث: غار حراء وصفه قديما وحديثا..... 119
المطلب الرابع : كيف كان يتعبد – صلى الله عليه وسلم – فى الغار ؟! 122
المطلب الخامس: الوقت الذي كان يقضيه – صلى اله عليه وسلم - في الغار 124
المطلب السادس: حب النبي - صلى الله عليه وسلم - للخلوة والتفكر منذ صغره . 125
المطلب السابع: زاده – صلى الله عليه وسلم – فى الخلوة..... 125
المطلب الثامن: هل كان – صلى الله عليه وسلم – أول من تحنث فى قومه ؟... 126
المطلب التاسع: الخلوة فى شريعة الإسلام..... 126
المبحث الرابع: بدء الوحي..... 148
المطلب الأول: ما ورد من روايات عن بدء الوحى..... 149
المطلب الثاني: توضيح بعض الكلمات التى وردت بهذه الروايات..... 164
المطلب الثالث: هل غَدَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ..... 182
المطلب الرابع: ما اشتملت عليه روايات الوحي..... 188
المطلب الخامس: تحليل بعض المواقف من الروايات..... 191

المطلب السادس: فى مقصود الوحى وحالاته 195
المطلب السابع: حامل الوحي 200
المطلب الثامن: أساليب حامل الوحى وصوره 205
المطلب التاسع: ما الذي كان ينزل به جبريل - عليه السلام – 217
المطلب العاشر: هل قُرِنَ اسرافيل بالنبي – صلى الله عليه وسلم - قبل جبريل :. 219
المطلب الحادي عشر: هل شُقَّ صدر النّبي - صلى الله عليه وسلم - قبيل مبعث ؟221
المطلب الثاني عشر: من دروس وعبر مجيء الوحي 223
المطلب الثالث عشر: دروس من روايات حديث بدء الوحى..... 230
المبحث الخامس: الملائكة..... 234
المطلب الأول: الملائكة في القرآن الكريم 235
المطلب الثاني: الإيمان بالملائكة..... 244
المطلب الثالث: جبريل - عليه السلام - في القرآن الكريم..... 260
المطلب الرابع: جبريل - عليه السلام - في عقيدة نصارى اليوم..... 261
المطلب الخامس: جبريل – عليه السلام – عند اليهود..... 266
المطلب السادس: بعض ما ورد عن اسرافيل – عليه السلام - في السُنة..... 269
المطلب السابع: هل قرن إسرافيل بالنبي –صلى الله عليه وسلم – أولا قبل جبريل ؟.
..... 277
المبحث السادس: في تعريف النبوة والرسالة وعمر النّبي - صلى الله عليه وسلم - حين بعثه الله - عز وجل. 280
المطلب الأول: فى تعريف النبوة والرسالة والفرق بينهما..... 281
المطلب الثاني: شهر وعام بعثته - صلى الله عليه وسلم -..... 284
المطلب الثالث: ذكر عمره – صلى الله عليه وسلم - وقت بعثته..... 289
المطلب الرابع: تدرج أحوال النّبي – صلى الله عليه وسلم – إلى أن وصل إلى النّبوة
..... 291

المبحث السابع: التعريف بالقرآن الكريم وكيف نزل 296
المطلب الأول: منزلة القرآن من الإسلام..... 297
المطلب الثاني: القرآن الكريم تعريفه – خصائصه – بيانه للأحكام 305
المطلب الثالث: كيفية إنزال القرآن الكريم من اللوح المحفوظ..... 307
المطلب الرابع: جمع القرآن الكريم 311
المطلب الخامس: الأحرف السبعة..... 319
المبحث الثامن: في أول ما نزل به الروح الأمين على الصادق الأمين وفيه عدة مطالب..... 330
المطلب الأول: أول ما نزل من القرآن الكريم..... 331
المطلب الثاني: في رحاب نزول العشر آيات الأولى من سُورَةُ الْعَلَقِ : 334
المطلب الثالث: في رحاب ما نزل من صدر سورة المزمل 341
المطلب الرابع: نزول صدر سورة المدثر 345
المطلب الخامس: في رحاب نزول سورة الفاتحة..... 351
المبحث التاسع: فترة الوحي..... 358
المطلب الأول: فترة الوحي 359
المطلب الثاني: مدة فترة الوحى 360
المطلب الثالث: هل تعدد إبطاء الوحى علي النّبي - صلى الله عليه وسلم - : 363
المطلب الرابع: أول ما نزل بعد فترة الوحى 367
المبحث العاشر: فيما أثير من شبهات حول الوحي..... 371
المطلب الأول: زعم المستشرقين أنّ الوحي أمر ذاتي 372
المطلب الثالث: موقف أهل الكتاب من اليهود والنصارى زمن النّبي – صلى الله عليه وسلم - من القرآن الكريم..... 397
المطلب الرابع: موقف كفار قريش ومن تبعهم من القرآن الكريم 400

المطلب الخامس: موقف أهل الكتاب من اليهود والنصارى زمن النّبي - صلى الله عليه وسلم - من القرآن الكريم:..... 404
المطلب السادس: شبهة أنّ مهمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاصرة على بلاغ القرآن فقطوالرد عليها : 407
المبحث الحادي عشر: الرعيل الأول وأوائل من أسلم وفيه عدة مطالب : 419
المطلب الأول: ما قيل في أول من أسلم خديجة بنت خويلد - رضى الله عنها 420
المطلب الثاني: الرعيل الأول..... 427
المطلب الرابع: في تعريف الصحابي وفضله وأهميته بم تعرف صحبة الصحابي ؟ 458
المطلب الخامس: هل يُعدُّ ورقة بن نوفل من الصحابة ؟ 464
المبحث الثاني عشر: أول ما افترضه الله على المسلمي..... 466
المطلب الأول: تعليم جبريل النّبي - صلى الله عليه وآله وسلم - الوضوء والصلاة 467
المطلب الثاني: الأمر بقيام الليل..... 471
المطلب الثالث: فوائد قيام الليل الروحية : 489
المطلب الرابع: فوائد قيام الليل الصحية..... 491
المطلب الخامس: من فقه قيام الليل والتهجد 493
المبحث الثالث عشر: مدة الدعوة السرية وسماتها 520
المطلب الأول: مدة الدعوة السرية ومفهومها..... 521
المطلب الثالث: دروس من مرحلة الدعوة السرية 539
مصادر ومراجع الكتاب 545

كم لديك من السطور الجميلة التى أخذت منك الكثير من المجهود والاعتناء لكى تكون أفضل ما يمكن لتعبر بها عن شعور داخلى لم تستطع أن تشاركه مع أحد غيرك.

مهما كانت سطورك

قصص... روايات... أشعار... مقالات

باللغة العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية

تواصل معنا

لتشارك سطورك مع العالم

٠١١٢٢٣٨٠٤٤٣